ممالك

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال في هذا العام



تمهيد

قضينا صيف هذا العام في اوربا بين فرنسا وانكلترا وسويسرا وتنقلنا في اهم مدائنها فزرنا مرسيليا وليون وباريس ولندن وكمبريدج ومنشستر واكسفورد وجنيف ولوزان وافيان . ودرسنا احوالها وتفقدنا متاحفها ومكاتبها وآثارها . وتوخينا النظر على الخصوص في ما يهمُّ قراء العربية من احوال تلك المدنية التي اخذنا في تقليدها منذ قرن كامل ونحن نتخبط في اختيار ما يلائم احوالنا منها . وسننشر في ما يلي خلاصة ما بلغ اليه الامكان من ذلك الدرس

ونقتصر من ذلك على ما يهم القارىء الشرقي من حيث حاجته الى تحدي مدنية اولئك القوم في نهضته هذه . ونبين ما يحسن او يقبح من عوامل تلك المدنية بالنظر الى طبائعنا وعاداتنا واخلاقنا

ونغفل سياق الرحلة فلا نذكر رحيلنا او نزولنا وما لاقيناه او كابدناه في اثناء ذلك على ما جرت به عادة اهل الرحلة اذ ليس غرضنا ان يكون ما نكتبه دليلاً للراحلين في السفر والنزول ومعرفة الطرق والمسافات والاجور . وانما نريد ان نمثل للقارىء ما طبع في ذهننا باثناء هذه الرحلة بعد اعمال الفكرة في احوال تلك الامم . ولذلك نقسم الكلام الى ثلاثة اقسام باعتبار الممالك التي زرناها على ترتيب تلك الزيارة فنبدأ بفرنسا فانكلترا فسويسرا

اولاً – فرنسا

١ نظام حكومتها

تقلب نظام الحكومة الفرنساوية على اوجه شتى واستقر في ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ على الجمهورية . وتثبت ذلك في ١٦ يوليو سنة ١٨٧٥ بقانون دستوري تعدل بعض التعديل بعد ذلك . وهو يقضي ان ترجع قوة التشريع الى مجلس الامة ومجلس الشيوخ وقوة التنفيذ الى رئيس الجمهورية والوزارة

وهم ينتخبون رئيس الجمهورية كل سبع سنوات باغلبية الاصوات ولانتخابه يجتمع المجلسان المذكوران في الجمعية العمومية . وعليه تنفيذ ما يقررانه او يشرعانه . وهو يشكل الوزارة من المجلسين ويجوز ان يكون بعض الوزراء من غير اعضائهما . وهو يعين الموظفين الملكيين والعسكريين ويعقد المعاهدات مع الدول الاخرى . لكنه لا يقدر ان يعقد معاهدة تتعلق بمساحة ارض فرنسا او مستعمراتها الا بمصادقة القوة التشريعية . ولا يجوز له ان يعلن حرباً الا بموافقة المجلسين . وكل عمل من اعمال الوزارة يجب ان يمضيه رئيس الجمهورية مع احد الوزراء . ويستطيع هذا الرئيس بالاتفاق مع مجلس الشيوخ ان يحل مجلس النواب

والوزارات او النظارات ١٣ نظارة هي : الداخلية والمالية والاشغال العمومية والحربية والبحرية والحقانية والمستعمرات والمعارف العمومية والخارجية والتجارة والزراعة والعمال والاديان

وينتخب النواب لاربع سنوات بالتصويت العام وكل فرنساوي من غير الجند بلغ الحادية والعشرين من عمره له حق التصويت في الانتخاب بشرط ان يثبت اقامته ستة اشهر في البلد الذي يريد ان يصوت لنائبه . اما النائب فيجب ان يكون سنه ٢٥ سنة على الاقل . وعدد النواب الآن ٥٨٤ نائباً وعدد المنتخبين بين عشرة ملايين وسبعة ملايين . ومجلس الشيوخ مؤلف من ٣٠٠ عضو ينتخبون لتسع سنوات من اعيان الفرنساويين ولا يكون سن احدهم اقل من ٤٠ سنة . يتقاعد ثلثهم كل ثلاث سنين وينتخب غيرهم. وانتخاب الشيوخ منوط بلجنة مؤلفة من مندوبين عن مجالس البلدية في الولايات على نسبة عدد سكانها ومن النواب . فينتخبون ٢٢٥ شيخاً ينوبون عن الولايات يضاف اليهم ٧٥ شيخاً ينتخبون لطول الحياة باجماع المجلسين . ولا يجوز انتخاب احد من اعضاء الاسرة الملكية (المخلوعة) في احد المجلسين

الراتب واحد للنواب والشيوخ فيستولي النائب او الشيخ على ١٥٠٠٠ فرنك في السنة (نحو ٦٠٠ جنيه) واما رئيس المجلس فيأخذ فوق ذلك ٧٢٠٠٠ فرنك (نحو ٢٨٤٠ جنيهاً) للنفقات . ويسافر اعضاء المجلسين في السكك الحديدية بنفقات زهيدة . وراتب رئيس الجمهورية ٦٠٠٠٠٠ فرنك او نحو ٢٤٠٠٠ جنيه . ونحو هذا المبلغ للنفقات الرسمية

وعندهم مجلس للشورى انشأه نابوليون الاول ولا يزال باقياً برأسه ناظر الحقانية . وهو مؤلف من مستشارين قضائيين وعلماء في القضاء للنظر في ما تعرضه عليهم الحكومة واكثره يتعلق بالادارة ونحوها

٢ عمرانها

فرنسا قدوة للمالك المتمدنة في روح المدنية الحديثة واكثرهن احتكاكاً بالشرق الادنى . وكنا الى عهد غير بعيد لا نعرف سواها قدوة لنا في احوالنا الاجتماعية والادبية والسياسية والقضائية ولا نزال اكثر معرفة بها مما بسواها

مساحة مملكة فرنسا ٢٠٧٠٥٤ ميلا مربعاً وعدد سكانها ٣٩٣٧٦٠٠٠ نفس منهم نحو ٣٠٠٠٠٠٠٠ نفس من اهل الفلاحة والباقون من سكان المدن يتعاطون الصنائع والمهن والوظائف والمصالح . وفيها ستون مدينة سكان كل منها فوق ٣٥٠٠٠ نفس اكبرها باريس عدد سكانها ٢٨٤٦٩٨٦ نفساً فرسيليا ٥١٧٤٩٧ فليون ٤٧٢١١٤ نفساً . ثم تأتي بوردو وليل وتولوز وغيرها الى روان وسكانها ٣٥٥١٦ نفساً

وفرنسا من اكبر ممالك اوربا ثروة نعني اهل فرنسا فانهم يعدون في مقدمة الامم من حيث الثروة الخصوصية . واختلف الباحثون في مجموع تلك الثروة فوجد المسيو دي فوفيل الباحث الاجتماعي ان فرنسا تقدر قيمتها على هذه الصورة :

جنيه	
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ارض زراعية
٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ابنية
٢٠٠٠٠٠٠٠٠	نقدية
٢٨٠٠٠٠٠٠٠٠	ضمانات وتأمينات
٤٠٠٠٠٠٠٠٠	ادوات زراعة ومواش ونحوها
٦٨٠٠٠٠٠٠٠	ممتلكات اخرى
٩٠٨٠٠٠٠٠٠٠	

وقدرها غيره باكثر من ذلك فبلغ مجموعها في تقدير جويو ٥٢٠ ٩ مليون جنيه . وبلغ دخل فرنسا السنوي في تقدير ليروا بوليو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١ جنيه ثلاثة اخماسه من نتاج العمل الشخصي

وفي كل حال فان الفرنساويين مشهورون بالاقتصاد والاحتفاظ بالمال . والفقر المدقع عندهم اقل كثيراً مما في سائر الممالك الكبرى . وفرنسا كثيرة المعامل واسعة التجارة ولها في الصناعة الدقيقة القدح المعلى ولبضائعها شهرة طائرة في الجمال وسلامة الذوق وهي قدوة الامم المتمدنة في الازياء من الملابس وغيرها . وعاصمتها باريس مرجع امم الارض في كل ذلك مما هو مشهور لا يحتاج الى بيان . وسنعود اليه عند الكلام على الاحوال الاجتماعية

اما مالية الحكومة الفرنساوية فبلغ دخلها للسنة الماضية ٠٥٤ ٧.٧ ١٧٠ جنيهاً منها ٥١ مليون جنيه دفعت عن الدين و٣٥ مليوناً للحربية و١٦ مليوناً للبحرية

٣ حالتها الاقتصادية

فرنسا ارض زراعية خصبة تزيد مساحة ما يزرع منها على ٠٠٠ ٠٠٠ ١٣٠قصبة . واكثر حاصلاتها الحنطة والكرم والعلف والبطاطس . وللخمور غلة كبرى بلغت قيمتها سنة ١٩١٠ نحو ٣٨٠٠٠٠٠٠ جنيه . وفيها من الماشية والحيوانات الاهلية كما يأتي :

عدد	
٣١٣٣٦٥٠	خيول
٠٠٠ ١٩٤	بغال
٠٠٠ ٣٦٣	حمير
٠٠٠ ٢٣٤ ١٤	ماشية من البقر ونحوها
٠٠٠ ٤٥٠ ١٧	« من الغنم
٠٠٠ ٢٠٢ ٧	خنازير
٠٠٠ ٤٢٤ ١	ماعز

اما الصناعة فالحرير له سوق رائجة عندهم وقد بلغ عدد المشتغلين في تربية دود القز سنة ١٩٠٨ نحو ١٢٣٨٠٠ عامل . ومقدار البزر الذي استولدوه ٠٠٠ ١٨٧ اوقية وبلغ محصولها ٢٩٩ ٤٠٩ ٨ كيلوغراماً من الشرانق

وفي فرنسا كثير من المناجم المعدنية تناهز ٦٠٠ منجم فيها ٢٣٠٠٠٠ عامل وفيهم النساء والاولاد . وبلغت غلة هذه المناجم نحو ٢٦٦٥٦٠٠٠ جنيه اكثرها من الفحم والحديد

وهي كثيرة المعامل على اختلاف انواعها اهمها معامل نسج القطن والصوف والحرير ومصانع الادوات الحديدية وادوات البناء وهاك اهم المعامل وعدد عمالها :

عدد العمال		عدد العمال	
١٦٧٢٠٠	معامل لنسج القطن	٥٥٠٠٠٠	عملة ادوات البناء
١٧١٠٠٠	« « الصوف	١٥٦٠٠٠	معامل الدنتلا وتوابعها
١٢٣٠٠٠	« « الحرير	٩٣٨٠٠٠	« الملبوسات على انواعها
١٦٦٠٠٠	« اصنع الخزف	٧٠٤٠٠٠	للمصنوعات الخشبية
٥٧٠٠٠٠	للمصنوعات الحديدية	٣٣٤٠٠٠	« الجلدية

ومن اهم حاصلات فرنسا السكر فان له ٢٥١ معملاً وتبلغ غلته في العام نحو مليون طن . وكذلك الكحول فان غلته تزيد على ٥٤ مليون جالون . غير غلة المعائد ونحوها

اما التجارة فلفرنسا شأن كبير فيها وقد بلغت قيمة صادراتها لسنة ١٩١٠ نحو ٢٢٠ مليون جنيه ووارداتها ٢٧٠ مليوناً

٤ حالتها العلمية

ان آداب اللغة الفرنساوية اشهر من ان تعرف . ولا يفي بوصفها الا المجلدات لكثرة من نبغ فيها من العلماء والادباء والشعراء . وبكثرة ما فيها من الصحف والمجلات على اختلاف مواضيعها وقد اشرنا الى ذلك مراراً في الهلال . وانما نريد هنا حالها من حيث التعليم والمدارس

ان للحكومة الفرنساوية عناية كبرى في التعليم تنفق في سبيل ذلك الاموال الطائلة على يد نظارة المعارف . والمدارس عندها طبقات : مكاتب (كتاتيب) ومدارس ابتدائية وثانوية وعالية . فنكتفي بفذلكة في التعليم العالي الذي يلقى في الجامعات الكبرى وفي الكليات الخاصة ونحوها . وهو حر مطلق بناء على قرارات رسمية صدر آخرها سنة ١٨٩٧ والجامعة عندهم تحتها كليات او مدارس تختلف اسماؤها باختلاف مواضيعها هاك اشهرها

١ مدارس الحقوق : هي ١٣ مدرسة في باريس واكس وبوردو وكاين وديجون

وغرنوبل وليل وليون ومونبليه ونانسي وبواتيه ورين وطولوز

٢ مدارس الطب : هي سبع مدارس في باريس ومونبليه وبوردو وليل وليون وطولوز ونانسي

٣ كليات العلوم : هي ١٥ كلية في باريس وبزانسون وبوردو وكاين وكليرمون وديجون وغرنوبل وليل وليون ومارسليا ومونبليه ونانسي وبواتيه ورين وطولوز

٤ كليات الآداب : هي ١٥ ايضاً في المدن التي تقدم ذكرها

غير المدارس التجهيزية او التي يراد بها التبحر في بعض العلوم الخاصة . اما عدد المتخرجين في هذه المدارس فهاك اجمالهم حسب المواضيع لسنة ١٩١٠

عدد التلامذة	
١٦٩١٥	في الحقوق
٨٠٢٩	« الطب
٦٢٨٧	« العلوم
٦٣٦٣	« الآداب
٣٤٥٠	« الصيدلة وغيرها
٤١٠٤٤	

وهذا العدد من طلاب العلوم العالية في الكليات الاميرية منه ٣٥٨٠٠ طالب من الفرنساويين و٥٢٤٤ من الاجانب . بينهم جميعاً ٣٨٣٠ من النساء ثلثاهن من الفرنساويين

وهناك مدارس عالية غير اميرية : منها في باريس الكلية الكاثوليكية لتعليم الحقوق والاداب العالية . ومدرسة التعليم الحر العالي . والكلية الحرة لتعليم العلوم السياسية . وفي انجرس مدارس للاهوت والحقوق والعلوم والاداب والزراعة . ومثل ذلك في ليون وليل ومرسيليا وطولوز . والمدارس الاميرية تمنح تلامذتها رتباً علمية هي (١) البكالوريا العلمية (٢) شهادة الحقوق (الليسانس) (٣) الدكتورية . وتمنح رتبة استاذ للتعليم الثانوي والعالي

وفي فرنسا غير ما تقدم من المدارس العالية مدارس كبرى تابعة لنظارة المعارف اشهرها :

١ كلية فرنسا Collège de France اسسها فرنسيس الاول سنة ١٥٣٠ وهي ارقى مدارس فرنسا على الاطلاق يعلم فيها ٥٠ فرعاً من اعلى طبقات العلم في

الآداب واللغات وعلم الآثار والرياضيات والطبيعيات والعقليات والاجتماعيات والسياسة والاقتصاد وغيرها

٢ معرض التاريخ الطبيعي : للتفقه في هذا العلم

٣ المدرسة العلمية للعلوم العالية في التاريخ والفيلولوجيا والرياضيات والعلوم الكيماوية البسيكولوجية . والعلوم الطبيعية والدينية الراقية . ومقر هذه المدرسة في السوربون بباريس وعلومها ١٨ فرعاً

٤ مدرسة المعلمين العليا : يتخرج فيها المعلمون للتعليم في المدارس الثانوية . واتبعت خطة السوربون بدون ان يكون لها اساتذة معينون

٥ مدرسة السجلات : لتعليم الخطوط القديمة والآثار ثمانية فروع

٦ مدرسة اللغات الشرقية الحية : بها ١٦ فرعاً من فروع اللغات الحية الشرقية

٧ مدرسة اللوفر : تعلم فن الآثار

٨ مدرسة الفنون الجميلة

٩ مدرسة الرصد بباريس

غير المدارس الفرنساوية خارج فرنسا كمدرسة الحقوق في القاهرة ومدرسة الطب في بيروت . فان مثلها في اثينا ورومية والهند الصينية وفي مراكش . ولفرنسا خارج باريس ثمانية مراصد

وغير التعليم الصناعي او الفني فانهُ واسع لكنهُ خارج عن دائرة نظارة المعارف اشهر مدارسه : مدرسة الصنائع والفنون في باريس (كونسيرفاتوار) تلقي عشرين علماً ليليا في العلم والاقتصاد السياسي . ومدارس اخرى للتجارة والصناعة تابعة لنظارة الزراعة وغيرها تابع لنظارة الحربية او المستعمرات أو غيرها مما يطول شرحه . وكلها في باريس ومثلها او اقلّ منها في خارجها مثل اكس وانجرس وشالون وكليني وليل وغيرها . وغير مدارس الموسيقى والخطابة ومدارس لتعليم الخدمة على الموائد وتربية الاطفال وغير ذلك

التعليم بمصر

والاطلاع على اسماء هذه المدارس يدل وحده على الفرق العظيم بين التعليم عندنا وفي تلك المملكة الراقية فقد ذكرنا عشرات من المدارس لا وجود لها عندنا ولم نذكر غير المدارس العالية . وقد اغفلنا المدارس الابتدائية والثانوية التي

عندنا مثلها . على ان مدارسنا هذه احط كثيراً من امثالها عند الفرنساويين والابتدائية منها اقل كثيراً من المدارس الابتدائية عندهم والمدارس الثانوية كذلك . وحامل البكالورية المصرية اقل معرفة من حامل البكالورية الفرنساوية . فالتعليم عندنا ضعيف جدًا من كل وجه وسنفرد فصلاً خاصاً في هذا الموضوع . وانما يكفي في هذا المقام ان نبين تقاعد حكومتنا او اغنيائنا عن التعليم . ولا يحتج علينا بصغر مصر بالنسبة الى فرنسا فان سكان مصر يناهزون ثلث سكان فرنسا ومع ذلك فالحكومة لا تنفق على التعليم عشر ماتنفقه فرنسا . ان ميزانية المعارف الفرنساوية ١١٥٥٧٠٠٠ جنيه فكم هي ميزانية حكومة مصر للمعارف ؟ انها نحو نصف مليون

وقد يحتجون بتقصير المالية المصرية عن المالية الفرنساوية لان الميزانية الفرنساوية ١٧٠ مليون جنيه والمصرية اقل من عشر هذا المبلغ فلا عجب اذا دفعت للمعارف عشر ما تدفعه فرنسا ولكن فرنسا تدفع من ماليتها اموالاً لا تدفع مصر شيئاً منها فالفرنساويون ينفقون على الحربية نحو ربع ميزانيتهم . واما مصر فربع ميزانيتها يكفي لنفقات كل نظاراتها وفرنسا تدفع نحو ثلث دخلها لوفاء الدين واما مصر فتدفع خمس دخلها فقط لهذا الغرض ومع ذلك فهي تنفق على المعارف ٢٠/١ مما تنفقه فرنسا

وفي فرنسا جمعيات علمية (اكاذيميات) عديدة لكل فرع من فروع العلم اهمها الاكاذيمية العلمية او اكاذيمية العلوم . واكاذيمية العلوم والنقوش . واكاذيمية الفنون الجميلة . واكاذيمية العلوم الادبية والسياسية . واكاذيمية الطب وغيرها . وكل اكاذيمية مؤلفة من ٤٠ عضواً او اكثر ولكل منهم اختصاص بفرع من فروع العلم التي تبحث فيها . غير ما هنالك من المتاحف العلمية والصناعية والمدارس على اختلاف احوالها

وغير الجمعيات المؤلفة لتنشيط العلم والادب او لحفظ حقوق المؤلفين والمترجمين ومراقبة سير العلوم من حيث الصحافة . وغيرها وغير المعارض والمتاحف فانها من ظواهر الرقي العلمي وسنأتي عليها

المراسح والتمثيل

ليس المراد ان نصف المراسح التمثيلية فان لدينا منها امثلة حسنة في مصر والاسكندرية وان كانت اقل مما في باريس فانها تشبهها حتى كثيراً ما تعرض فيها روايات فرنساوية يمثلها اجواق من باريس . لكننا رأينا على مراسح التمثيل في باريس وغيرها من المدائن الكبرى في فرنسا وسويسرا ضرباً من التمثيل الانتقادي يسمونه في اصطلاحهم Revue ويريدون به انتقاد العادات والاخلاق والآداب على المراسح

في شكل بين الجد والهزل يلذ للمشاهدين لانه يتعلق على الخصوص بالامور الجارية التي يتحدث بها الناس . وكثيراً ما ينتقدون الكتّاب اورجال السياسة على كتاب الفوه او رأي راوه . وقد شهدنا تمثيلاً من هذا النوع في باريس انتقدوا فيه حرية المراة الباريسية على اسلوب مؤثر فمثلوا عروساً عقد عليها لرجل وخرجت معه في الشارع فاصبحت كلما رات رجلاً تعرفه اورات ان تحبه ضمته وقبلتهُ وزوجها يرى ذلك . فاذا اعترضها احتجت عليه بحرية المراة بقولها « ان هذا العصرعصر حرية » . وانتقدوا عادة البراز انتقاداً يحقرها في عيون محبيها وانتقدوا مقالات كتبت في الاحوال الجارية بباريس . وشهدنا في تمثيل آخر في جنيف انتقاد المعاهدات الدولية والمجاملات السياسية ومثلوا في جملتها حرب الدولة العثمانية والايطاليان وغير ذلك . فهذا الاسلوب من التمثيل لا مثيل لهُ عندنا لكنه مفيد ولذيذ

٥ مظاهر حضارتها

ارقى مدائن فرنسا بلا خلاف باريس ومع ذلك فالذاهب اليها من مصر لا يجد فيها ما يدهشه من حيث ظواهر المدينة الحديثة كالشوارع الواسعة والابنية الفخمة والانوار الكهربائية وازدحام الاقدام والبذخ في الالبسة والتفنن في الازياء لان في مصرامثلة من ذلك لكنها في باريس افخم واجمل . ولاغرو فان حضارة مصر الحديثة صورة مصغرة من حضارة باريس . والمرحوم اسماعيل باشا صاحب الفضل الاكبرفي تنظيم شوارع القاهرة وانشاء الابنية الفخمة فيها انما كان يفعل ذلك تقليداً لباريس وكان مفتوناً بالفرنساويين ومدنيتهم . وظل ذلك مستمرًّا بعده الى عهد قريب

فلا ينبغي لنا أن نطيل الكلام في وصف شوارع باريس الكبرى وسعتها وما يحف بها من المخازن وما يعرض في تلك المخازن من السلع الثمينة او ما يتلألأ في الليل من الانوار الكهربائية على اختلاف الوانها . ولا تعداد ضروب المركبات من العربات فالاوتوموبيل فالتراموای فالاوتوبيس فالامنيبيس فالمتروبوليتان وغيره — فان هذه لها امثلة بين ظهرانينا الكنها عندهم اكثر عدداً والركاب اكثر ازدحاماً . وانما تمتاز عما في مصر وغيرها من مدائن الشرق ان السائق لا مطمع له في الراكب ولا سبيل الى طلب الزيادة عن حقه . لان المركبات الكبرى العمومية كالتراموای وغيره لها رسوم معينة كما في مصر . والمركبات الصغرى كالعربات والاوتوموبيل اصبحت كلها مقيدة بالعداد (تكسيمتر) وهذه الآلة تعين الاجرة اللازمة وتغني الناس عن النزاع

المركبات العامة

وقد استلفت نظرنا على الخصوص ان باريس مع تزاحم الاقدام فيها لا يتنازع الركاب في المسابقة الى الترامواي اوالاومنو يبس ولا يسمح لاحد بالوقوف بين الركاب اذا لم يكن له مجلس فارغ . ولا يجسر احد على الركوب الا في دوره . لا يختلفون في ذلك ولا سبيل الى الاختلاف لان عند كل موقف من مواقف هذه المركبات لوحاً معلقاً بعمود منصوب على الرصيف وعليه دفترصغيرالحجم اوراقه منمرة نمراً متسلسلة فالذي يسبق الى الموقف يقتطع النمرة الاولى ومن يأتي بعده يتناول النمرة التاليـة وهكذا . وقد يجتمع في الموقف عشرات من الناس وربما جاء القطر وليس فيه مكان الا لخمسة او ستة فلا يؤذن بالدخول الا لمن كانت عندهم النمر الاولى بقطع النظر عن احوالهم من الغنى او الفقر والوجاهة

ومثل هذه العادة في لندن عند تكاثر الركاب ساعة الظهر لركوب الترامواي . فقد جعلوا في المحطات التي يكثر التزاحم عندها موقفاً مستطيلاً لا يدخله الناس الا ازواجاً . اوله عند محطة القطر واخره في الشارع لا حدّ له . فالواصل الاول يقف قرب المحطة تماماً والذي يأتي بعده يقف وراءه وهكذا ازواجاً . وقد يتألف من الواقفين سلسلة طولها عشرات من الامتار وكل منهم ينتظر دوره بلا نزاع ولا خصام . ويفعلون نحو ذلك في كل ما تتزاحم فيه الاقدام كالدخول الى المراسح او قطع تذاكرها . فالسابق يقف عند شباك التذاكر والذي يأتي بعده يقف وراءه وهكذا وقد تتألف من الواقفين سلسلة طويلة رأينا واحدة منها عند مرسح بمنشستر. والمرسح في بناء كبير قائم بنفسه رأينا المنتظرين وقوفاً في سلسلة طويلة وقد يحيطون بالبناء من اربع جهاته اولهم عن يمين شباك التذاكر واخرهم عن يساره

ومما يحسن استطراده ويهمنا امره في هذا المقام ان قومساري الترامواي او غيره من المركبات العمومية لا يحتاجون الى مفتشين يتفقدون سيرهم خوفاً من السرقة كما هو حال الترامواي عندنا . وقد يكون للترامواي الفرنساوي او الانكليزي مفتشون ولكنهم لا يتفقدون المركبات الا نادراً . وقد ركبنا في تلك المركبات عشرات من المرات لم نشاهد فيها مفتشاً ولا لحظنا من القومساري مطمعاً في التذاكر كاستخدام التذكرة مرتين لراكبين او قبض الجعل بدون ان يعطي التذكرة ولا رقيب عليهم من الشركة . ولعل السبب في ذلك ان الشركة تدفع لهم الرواتب الكافية لمعاشهم فلا يرون حاجة الى السرقة . ولو ارادوا السرقة لا يجدون من الركاب من

توافقهم عليها كما يفعل كثيرون بيننا . حتى ان بعض ركاب الترامواي بمصر يحرض القومساري على سرقة الشركة بقوله « بلاش تذكرة » فيعطيه القرش ولا يأخذ التذكرة . وذلك ناتج عن ضعف في الاخلاق لا نراه عند اولئك

الاعلان

والتزاحم في العواصم الكبرى يسهل رواج السلع على طلاب الرزق . وقد يستغرب قومنا بمصر او الشام كيف ينفق في اسواق باريس او لندن اشياء لا فائدة لها او لا تستحق الرواج . وانما السبب في ذلك كثرة الناس لان من يعرض سلعة في الشارع لا يمضي عليه ساعة حتى يمرّ به مئات من الناس فلا يخلو ان يكون فيهم من يقع اختياره على تلك السلعة فيشتريها ولو على سبيل التجربة . وانما يطلب من صاحب السلع ان يستلفت الاذهان الى بضاعته وهذا هو السبب في اهتمام الافرنج بالاعلان حتى ان احدهم اذا همّ بانشاء تجارة او صناعة اعدّ راس مال الاعلان قبل رأس مال البضاعة . وقد تفننوا في ذلك تفنناً عجيباً فهم يعلنون في الجرائد وعلى اغلفة الكتب وعلى جدران المنازل واسطحتها وعلى الموائد واغلفة المساوك وفي مركبات الترامواي والاومنيبيس والقطر الحديدية وفي المحطات — حتى الحقول فانك وانت راكب في القطر من مدينة الى اخرى يقع بصرك على عشرات او مئات من الواح قائمة على عمد مغروسة في الحقول ووجهها نحو الركاب فتقرا عليها اسماء المحلات التجارية او المعامل او المصنوعات ولاسيما المشروبات والحلويات وامثالها فان اصحابها من اكثر الناس انفاقاً على الاعلان . وانما يفوز منها من يستلفت الاذهان الى صناعته فضلاً عن اتقانها . ويقال ان اكثر المتاجر انفاقاً في فرنسا اصحاب معمل « شكولات مينيه » وحيثما توجهت في شوارع المدن او خطوط السكك الحديدية حتى المتاحف والمعارض ونحوها فانك تجد عليها اسم هذه الشكولاته واصحابها ينفقون مليوني فرنك سنوياً على الاعلان وارادوا مرة ان يقتصدوا فقلت مبيعاتهم فعادوا الى الانفاق

ومن اغرب طرق الاعلان عندهم انهم يكتبون اسم البضاعة على الحقول نفسها او على الجبال باغراس من الاعشاب بلون خاص يغرسونها على الرسم المطلوب كتابته فتنبت على ذلك الشكل . وقد تكون بعيدة عن الطرق والمنازل عدة كيلومترات فيراها الناس ويقراونها واضحة . ومن اساليب الاعلان ان يذكر اسم السلعة او المشروب او غيره على المراسح او غيره في اثناء التمثيل على سبيل الاستشهاد او الانتقاد او غير ذلك ويدفع صاحب الاعلان على ذلك ثمناً

ومن اساليب الاعلان ان يعرض التاجر بضاعته ويكتب على كل صنف ثمنه. فهذا يسهل على الشاري الحكم في الابتياع او عدمه. لكن اصحاب البضائع التي فيها درجات متفاوتة باثمان متفاوتة يعلنون انهم يبيعون الاداة الفلانية بالثمن الفلاني ويذكرون ارخص سعر عندهم فيتوهم الشاري انه ثمن الصنف الجيد فيدخل للسؤال فيطلعونه على الاسعار ولا بد من ان يشتري

الازياء

ولاخلاف في ان باريس اسبق مدائن العالم الى جمال الصناعة ولطافة المصنوعات وهي التي ترسم للعالم الازياء التي يجب اتباعها وقد يكون لسواهم ازياء لكنها السابقة المتغلبة. ولاهلها مقدرة كبرى على توليد الازياء في الملابس وغيرها وهناك طائفة من اهل الذوق الصناعي انما يشتغلون بوضع الرسوم للازياء الجديدة يستعينون على ذلك بما في المتاحف الصناعية من الرسوم او المنسوجات القديمة فيركبون منها زيا جديداً يبالغون في تنقيحه وتدقيقه حتى يبلغ حده. ثم يعرض على اصحاب المعامل للنسج على منواله او اصحاب المتاجر ليروجوه

وللفرنساويين مهارة خاصة في الزخرفة واتقان المظاهر بغير التفات الى متانة ما يصنعونه وطول بقائه بخلاف الانكليز فانهم انما يهتمون بمتانة مايصنعونه ولا يهمهم ظاهره وهذا تابع لما اتصف به هذان الشعبان من الاخلاق كما سنذكره في بابه. فالبضاعة الباريسية انما يرغب الناس في ظواهرها اكثر مما في متانتها. واعتبر ذلك في اكثر معاملاتهم فان ما تبتاعه بعشرة فرنكات من اسواق باريس ليس فيه من المادة الاصلية الا ما يساوي فرنكين او اقل والباقي ثمن ما ينفق في سبيل ترويجه من المظاهرات كاتقان المخازن والاكثار من الخدم والتنوير الكهربائي والاعلان وغير ذلك

البوربوار (البخشيش)

ومن غرائب هذه الحضارة في فرنسا « البخشيش » نعني ما يعطى للخدم مكافأة على خدمة خاصة وهو عندنا لايعطى الا اذا كانت الخدمة خارجة عن واجبات الخادم التي ينقد عليها الاجرة. واما عندهم فالبخشيش فرض واجب لامناص منه ويسمونه في اصطلاحهم بوربوار (Pourboire) اي لاجل الشرب كانه يطلب ان تعطيه فلساً يبتاع به قدحاً من البيرا او الخمر. والبوربوار يعطى على الخصوص لخدم القهوات والاندية والمطاعم والفنادق وساقة المركبات وهو يقدر بنحو عشر المبلغ المدفوع ثمناً حقيقياً. فاذا دخلت مطعماً مثلاً ودفعت عشرة فرنكات ثمن الغداء فالبوربوار لخادم

المائدة فرنك . واذا زادت المدفوعات قلت نسبة البخشيش عن عشرة في المئة مما لا ضابط له . وفي ذلك مشقة على النازلين في الفنادق لانهم لا يعرفون كيف يدفعون ولا لمن يدفعون والخدمة كثيرون . والغالب ان يقسم البخشيش بين الفراش والبواب وخادم المائدة وصاحب الرافعة (اسانسور) وغيرهم . وقد يكونون اكثر كثيراً ويختلف ذلك باختلاف الطبقات . فالداخل على مطعم فخيم يستقبله خادم يتناول منه القبعة والشمسية وآخر يقدم له كرسيا على المائدة وهذا يخدمه في تبديل الوان الطعام فاذا نهض تلقاه الخادم الاخر بالقبعة والشمسية وتقدم اخر ففتح له الباب عند الخروج وآخر يفتح له باب المركبة عند الركوب فهؤلاء كلهم ينبغي ان يدفع اليهم البوربوار — وقد يزيدون على ذلك

واصل هذه العادة الغريبة عندهم على ما نظن تزاحم الغرباء على اماكن اللهو في زمن لم يكن الخدم فيه يستطيعون القيام بما يلزم من الخدمة . فاصبح من يريد تعجيل حاجته مضطراً ان يسترضي الخادم بدفعة خصوصية له . وتكرر ذلك حتى صار قاعدة . واصبح خدمة اماكن الملاهي يعدون البوربوار من جملة استحقاقاتهم وبعضهم لا يتقاضى من صاحب القهوة او المطعم اجرة . وفيهم من يدفع شيئاً من جيبه لصاحب القهوة ليأذن باستخدامه

ومما يستلفت نظر المصري في باريس انك لا تجد في شوارعها متسولاً يعترض طريقك ولا متشرداً مستلقياً على الشارع ولا غلاماً عارياً اوشبه عار يتسلق الترامواي او يعرض عليك خدمة من حمل حقيبة او نحوها — لاشتغالهم عن ذلك بالمدارس

ولا حاجة بنا الى ذكر سهولة المواصلات والمخابرات عندهم كالتلغراف والتلفون والبريد فانها مشهورة وعندنا امثلة منها لكنها هناك اكثر شيوعاً . فالتلفون يكاد لا يخلو منه منزل او متجر . وعندهم من طرق البريد مما لا مثيل له عندنا تذاكر ترسل مستعجلة في المدينة نفسها تتقاضى عليها مصلحة البريد ثلاثة اضعاف الاجرة المعتادة لكنها توصلها سريعاً كالتلغراف وهي ما يسمونه « بنوماتيك » Pneumatique وهي تذكرة تكتب فيها ما شئت وتعنونها وتضعها في عين من صناديق البريد خاصة بهذه التذاكر وعمال البريد يتفقدون هذه العيون كل مدة قصيرة فاذا وجدوا فيه تذكرة اسرعوا في ايصالها حالاً وهي ترسل عادة بضغط الهواء في انابيب ممتدة لذلك تحت الارض

تحسين الجنس البشري

هل يمكن ترقية الجنس البشري الى حالة من القوة والرفاهيـة اعلى من التي هو فيها ؟ وما هي الطريق الى ذلك ؟

سؤالان يخطران لكل مفكر في احوال الهيئة الاجتماعية وراغب في تحسينها . وقد اشتغل العلماء على اختلاف مشاربهم واوجه ابحاثهم في هذه المسألة العظمى وتضاربت آراؤهم فيها — شأن كل امر ينظر فيـه من اوجه مختلفة . فطريقة العالم الطبيعي لتحسين الجنس البشري تختلف كثيراً عن طريقة اللاهوتي وطريقة هذا تختلف عن طريقة الفيلسوف الاجتماعي وهلم جرًّا . فكل من هؤلاء ينظر في المسألة من حيث معارفه وابحاثه واميالهِ فيراها بشكل لا يراها فيه الآخر . والغالب في مثل هذه الحال أن يكون شيء من الحق مع كل فريق يمكن للعاقل استخراجه من بين تلك الآراء المتضاربة . وهذه هي الحال على ما نرى في مسألة اليوم — ونسميها مسألة اليوم لانه قد اجتمع مؤخراً في انكلترا نحو خمسمائة عالم من بلاد مختلفة للبحث فيها (١)

وفي الموضوع رأيان مهمان : يرى فريق من العلماء ان تحسين الجنس البشري انما يكون بطريق التناسل اي ان صحة الابناء وقوتهم يتوقفان على حالة آبائهم فيهما . ويرى الفريق الآخر ان الفساد في الصحة والاخلاق يترتبان على المحيط الذي ينمو فيه الانسان اكثر مما على الوراثة . وسنشرح كلاً من هذين الرأيين

الرأي الاول

يرجع هذا الرأي الى المبدأ التالي « يمكنك بواسطة الانتخاب ان تولد صفة مخصوصة في النبات او الحيوان » مثال ذلك :

١ — اذا كان عندك نوع من الزهر واستحسنت شكلاً او لوناً مخصوصاً فيه يمكنك ان تنتخب شتلة توفَّر فيها ذلك اللون او الشكل وتجعلها تتناسل فتحصل على جيل او دور فيه الصفة المطلوبة اكثر وضوحاً منها في الجيل الاول . ثم اذا تابعت هذا الانتخاب في الجيل الثاني فالثالث فالرابع الخ .. حصلت اخيراً على نبات وضح فيه اللون او الشكل المرغوب تمام الوضوح

٢ — قد توصل احد النباتيين الى نوع من شجر الصبير (التين الشوكي) قليل الليف والشوك يصلح لعلف الخيل والحمير ولم يكن لهذا النوع وجود في الطبيعة .

(١) Congress of Eugenics

وذلك انه انتخب اولاً من صبير احدى المزارع اغراساً قليلة الشوك بالنسبة الى باقي الاغراس وجعلها تتناسل فكان الجيل الثاني اقل شوكاً من الاول . وانتخب من هذا الجيل اقل الاغراس شوكاً وبتكرار الانتخاب بتوالي الاجيال حصل على جيل لاشوك فيه . ومن هذا الجيل الذي لا شوك فيه انتخب الافراد القليلة الليف وجعلها تتناسل ثم انتخب من الجيل التالي فالتالي وهلم جرًّا الى ان توفر له جيل لا ليف فيه تقريباً . وهكذا اوجد نوعاً مفيداً من النبات لم يكن من قبل

٣ — اذا احببت لوناً مخصوصاً من الخيل يمكنك ان تحصل عليه أيضاً بالانتخاب والتناسل المتواليين على عدة مرات . وبمثل ذلك يمكن الحصول على خصائص مختلفة كالقوة والضخامة وغيرها . وهذا المبدا ينطبق ايضاً على الخصائص العقلية كالحذاقة واللطف وما شاكل ذلك

٤ — اذا رايت كلباً حاذقاً في الصيد امكنك ان تحصل بواسطة توليده المتوالي بالانتخاب على افراد من الكلاب ماهرة في هذا الباب

هذا مبدا من المبادىء الثابتة في عالم الحياة عمل به الانسان منذ وجوده وطبقه على عالمي النبات والحيوان ويسميه العلماء « الانتخاب الصناعي » فان النباتات البيتية والحيوانات الاهلية كانت في الاصل برية فجعلها الانسان صالحة لحوائجه بانتخاب النباتات اللذيذة الغير المضرة وتوليدها بالزراعة . وربى الحيوانات السهلة القياد الصالحة للاستخدام فحصل بتوالي الاجيال على الانواع التي نراها اليوم

واذا كان هذا مكان المبدا المذكور من الصحة فلماذا لا يستعمله الانسان لتحسين جنسه ؟ فكما ينتخب افراداً من النبات والحيوان فيها خصائص يريدها كذلك يمكنه ان يفعل في ابناء جنسه فينتخب انشطهم اجساماً واقواهم عقولاً ويجعلهم يتناسلون فيحصل شيئاً فشيئاً على نوع من الانسان ارقى من الانسان

على ان هذا الانتخاب تقوم به الطبيعة من تلقاء نفسها ما لم يعارضها شيء في مجراها . وهو ما يسميه علماء النشوء والارتقاء « الانتخاب الطبيعي » ومرجعه الى تنازع البقاء وبقاء الاصلح . اي ان الحيوانات والنباتات تتناسل غالباً بكثرة مدهشة بحيث يتعذر على الطبيعة اخراج قوت كاف لها كلها فيبدأ التنازع بينها فينقرض الضعيف ويبقى القوي الصالح للبقاء

هذا هو شأن الانتخاب الطبيعي في عالمي النبات والحيوان . اما الانسان فقد خفف وطأته وحوّل مجراه بحيلته العقلية فاحتفظ بالضعفاء والمرضى من بني جنسه ولو

ترك الامر للطبيعة لابادتهم . هذا ما يحدو ببعض العلماء الى انتقاد الشرائع والاديان التي تحمي الضعفاء الغير الصالحين للبقاء لان الضعيف اذا كان بدون حارس او وصيّ تسلط عليه القوي واباده فلا يبقى الا الاقوياء فيكون نسلهم قويا . ولا يبقى من هذا النسل الا اقواهم وهلم جرًّا حتى نصل الى قوم جبابرة هم الذين يسميهم بعض العلماء « فوق الانسان » او Superman

هذا هو راي بعض المتطرفين النظريين . وهناك فريق آخر تطرفوا من الجهة الاخرى فهم يستكبرون على الانسان ان تسري عليه السنن التي تسري على غيره من الحيوانات . وقد يدخلون الدين في ذلك فيدعون ان الخالق وضع للكون خطة ليس للانسان ان يحولها او يعارضها كانهم يريدون ترك الامور للطبيعة . وهم يضادون انفسهم في كل حركة من حركاتهم . لان المدنية انما هي الابتعاد عن مجاري الطبيعة . لماذا اذن نبني البيوت ونقص شعورنا واظافرنا الى اخر ما هنالك من مطالب المدنية ؟ فان ذلك مخالف للطبيعة . فيجدر بالانسان ان يأخذ ما تقدمه له الطبيعة ويحسنه بقدر ماتسمح له قواه العقلية والجسدية بدلاً من الاستسلام الاعمى لاحكامها

ان كثيراً من المبادىء او الاراء يصح نظريا ويتعذر او يستحيل تطبيقه عملياً . فهل هذا هو شأن المبدا المذكور في تحسين الجنس البشري ؟ هل يمكن تضحية العواطف الشخصية لاجل المنفعة العامة ؟ هل يتوصل الانسان الى درجة من الرقي ينسى فيها نفسه ويضحي حياته لخدمة المجموع الانساني ؟ — مسائل يصعب الجواب عليها . واذا كان لا بد من الجواب فالارجح ان يكون سلبياً . في التاريخ القديم مثال من قبيل هذا المبدا نعني مدينة سبارطة من بلاد اليونان فقد كانت الحكومة تستبقي الاقوياء من الاولاد وتقتل الضعفاء منهم حتى لا يتناسلوا

وهناك طريقتان لتطبيق المبدأ السابق ذكره : الاولى ترغيب الاقوياء في التناسل والثانية منع زواج الضعفاء والمصابين بامراض وراثية . فالطريقة الاولى يصعب سلوكها في الوقت الحاضر واما الثانية فيمكن للحكومة والكنيسة ان تسن كل منهما شرائع تمنع فيها زواج غير الاصحاء . وقد خطت مدينة شيكاغو خطوة هامة في هذا السبيل فاعلنت كاتدرائيتها الكبرى انها لا تكلل فيها الا من ثبت انهم صحيحو الاجسام والعقول . ولاشك انه اذا سلك رجال الدين والحكومة مثل هذا المسلك زال كثير من مصائب الامم المتمدنة

وقد تباحث العلماء في ما اذا كان يجب منع المجرمين والمعرضين لبعض الامراض العضالة كالسل وغيره من التناسل . فيظن البعض ان المجرم نابغة في عقله وان قوته

العقلية انصرفت الى مجرى ضار . والمعرضون للسل هم غالباً ممتازون بمداركهم فاذا منع هؤلاء من التناسل رباحرم العالم من نوابغ كثيرين . ويقول المثل الافرنجي « ان بين النبوغ والجنون خطوة واحدة »

الرأى الثانى

كل المخلوقات الحية من نبات وحيوان وانسان تكون في اصل تكونها حويصلة واحدة وتأخذ في التكاثر حتى تصير جسماً متعدد الفروع والاعضاء . فلنرجع الى هذه الحويصلة في بحثنا ونرى الفرق بين الرأيين في ابسط صوره :

يقول اصحاب الرأي الاول ان كل الاعتماد في حالة الجسم الحيّ هي على الجرثومة الاصلية . اما اصحاب الراي الثاني فانهم يجعلون الاعتماد على ماسيحيط بهذه الجرثومة من الاحوال وما يطرأ عليها من المؤثرات في اثناء نموها . فيدعون ان انحطاط بعض طبقات الناس متوقف على نوع الاكل الذي يتناولونه وفساد الهواء الذي يستنشقونه وكمية الكحول التي يشربونها وما شاكل ذلك من المؤثرات الخارجية . وانه يمكن تحويل طبقة من هذه الطبقات المنحطة الى طبقة قوية صالحة للتناسل بتحسين الاكل ومنع المسكرات والتعرض للهواء النقي . او بكلمات اخرى ان اهل الفريق الواحد يعتقدون ان نمو الجسم متوقف بالاكثر على القوى الداخلية واهل الفريق الاخر يقولون انه متوقف على المؤثرات الخارجية

الخلاصة

في المثل « خير الامور الوسط » حكمة فلسفية صحيحة فكثيراً ما يتطرف العلماء في ابحاثهم وينظرون في المسائل من جهة واحدة ــ الجهة المختصة بابحاثهم فتصبح آراؤهم ضيقة محدودة المنفعة . حتى انك لتجد احياناً عدة علماء على طرفي نقيض في موضوع واحد . وهم مع ذلك مخلصون في ابحاثهم وسبب هذا التباين ان كل عالم يسلك مسلكاً ضيقاً فلا يحيط بالموضوع من كل اطرافه

هذه حال موضوعنا اليوم على ما نرى فالفريقان مصيبان الى حد محدود والحقيقة في نظرنا تستخرج بالتوفيق بينهما . فالطفل نتيجة القوى الداخلية المجموعة في الخلية الجرثومية التي ورثها عن ابائه من جهة والمؤثرات الخارجية التي تؤثر على جسمه وعقله من جهة اخرى . فتحسين الجنس البشري متوقف على صحة الآباء ونشاطهم ومقدرتهم وعلى حالة المحيط الذي يربى فيه الاولاد

اميل زيدان

الميكادو موتسوهيتو

امبراطور اليابان

ولد سنة ١٨٥٢ وتولى سنة ١٨٦٧ وتوفي سنة ١٩١٢

توفي امبراطور اليابان وختمت حياته فآن للتاريخ ان يقدرهُ قدره ويضعه في المقام اللائق به



الميكادو موتسوهيتو على جواده

ولد في كيوتو سنة ١٨٥٢ وخلف اباه على الملك سنة ١٨٦٧ وهو في الخامسة عشرة من عمره . ويزعم امبراطورو اليابان انهم متسلسلون من جد اسمه جيموتنو اي ابن السماء . وان مملكتهم تأسست سنة ٦٦٠ ق م وان هذا الامبراطور هو الحلقة المئة

والحادية والعشرون من سلسلة اعقابه . فهم في نظر الامة اليابانية ارقى من سائر البشر لا ينازعهم في ذلك احد من رعاياهم

حكم هذا الامبراطور ٤٥ سنة غير في اثنائها نظام دولة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الحكم الدستوري المقيد مما لم يسبق له مثيل في مثل هذه المملكة الثيوقراطية فلذلك عدوه من عظماء الرجال . وهو من اعظم رجال هذا العصر ان لم نقل اعظمهم لاسباب سنبينها في ما يلي

صفاته الشخصية

كان طويل القامة ليس في رعيته رجل اطول منه . يمشي بقدم ثابتة . وكان في اول حكمه يلبس اللباس الياباني ثم بدله باللباس الافرنجي . ويغلب ان يتخذ السراويل (البنطلون) من نسيج احمر وسائر البدلة بيضاء . وقد يتخذ ثوبه من اللون القرمزي والابيض وقبعته سوداء . وكان في ايامه الاخيرة اكثر ما يظهر للناس بثوب عسكري يشبه اثواب القواد ويتقلد سيفاً مذهباً ويزين صدره بالاوسمة المرصعة . وكان يكره البحر والنزول فيه ولذلك لم يقتن يختاً مع ان بلاده محاطة بالمياه وكثيراً ما يضطر لركوب البحر الى احدى الجزر فينتقل في مركب بخاري

ولما تولى الملك اخذ في تعلم اللغات الافرنجية فرأى ذلك شاقاً عليه فعدل عنه وكان يتداول مع السفراء والسياح من الافرنج بواسطة التراجمة . وقد ذكر بعض الذين خبروه من النزالة الانكليزية في يوكوهاما انه من الفطنة والتعقل والحكمة على جانب عظيم ومع انه قضى طفوليته منقطعاً عن الناس على عادة ملوك الشرق في تربية اولادهم فقد تمكن من مطالعة آداب لغته واكثرها عن الصين وعلمائها وفلاسفتها . واتقن كتابة الشعر وترتيب الازهار على النمط الياباني . وقد فطر على حب الاطلاع وله ارادة قوية ورغبة شديدة في اقتباس التمدن الحديث وتنوير اذهان رعاياه

الدستور الياباني

على ان عمله الاعظم الذي سيخلد ذكره في التاريخ انما هو جعل حكومته دستورية . وليس الانتقال الى الدستورية من المعجزات او الحوادث الخارقة العادة ولكنها غريبة في امة كاليابان . واغرب ما فيها ان امبراطورها هو الذي نقلها بمجرد

ارادته حتى صارت في مصاف اكبر الدول المتمدنة . فبعد ان كان حاكماً روحياً « لا ينظر اليه احد ويبقى حياً » واذا ذكروه قدسوه كما يقدسون الالهة . واذا جلس اليهم في حفلة تقنع وقعد بعيداً لا يلبس الثوب مرتين ولا يتناول طعامه في طبق واحد دفعتين — بعد ان كان كذلك تنازل عن هذه الامتيازات من تلقاء نفسه واشرك امته في حكومته واصبح يجالس الامراء ويفاوضهم ويركب في مواكبهم

ومع ذلك فقد قاسى في سبيل منح هذه الحرية عذاباً شديداً لان في ذلك الانتقال ما يسوء جماعة الممتازين من اهله وخاصته . وكان نصيره في هذا الجهاد وزيره واكبر رجال دولته المركيز ايتو . فقد كان عوناً كبيراً له وفيه ميل الى الشورى فسافر الى اوربا واميركا لدرس القوانين الدستورية وتطبيقها على احوال بلاده فوضع القوانين وعرضها على الامبراطور فامر بتنقيحها وتعديلها حتى تقررت رسمياً سنة ١٨٨٩ وصارت دولة اليابان دستورية من ذلك الحين . فدهش العالم لهذا الخبر وتوقعوا عود تلك الدولة الى الاستبداد بعد حين . ولو مات الامبراطور على اثر اعلان الدستور لكان ذلك الخوف في محله لكنه عاش بعده نيفاً وعشرين سنة وهو يؤيده ويطبق احوال حكومته عليه

على ان من يتتبع سيرة هذا الامبراطور من اولها لا يدهشه اعلان الدستور بقدر ما يدهشه اول خطاب القاه على امته سنة ١٨٦٨ فانه صرح فيه تصريحات بهت لها العالم المتمدن لما فيها من الحكمة واستقلال الفكر والعدل مما يندر مثله حتى في ملوك اوربا انفسهم في ذلك العهد — وهاك قوله :

١ — يجب تأسيس مجالس للمباحثة ولا يتقرر شيء في شؤون الدولة الا بتقرير الراي العام

٢ — يجب ان تتحد الامة على اختلاف طبقاتها في تنفيذ قوانين الحكومة

٣ — ينبغي للموظفين الملكيين والعسكريين وسائر العامة ان يتمتعوا بحقوقهم على قدر الطاقة بحيث لا يبقى باعث على التذمر

٤ — يجب ان نصلح العادات القديمة التي ورثناها عن ابائنا وان نجعل اساس كل عمل الحق الطبيعي في المساواة

٥ — يجب البحث عن المعرفة في انحاء العالم ونشرها في الامة حتى ترتقي وتسعد

ومن اسباب ثبات هذا الدستور ان الميكادو لاحظ في وضعه ما يلائم احوال اليابانيين . فلم يجعله حرًا مطلقاً مثل دستور الانكليز والاميركان لكنه قيده ببعض القيود اللازمة لحفظه في مثل تلك الامة واستبقى لنفسه سلطة تتوازن بها عادات الامة ريثما تتعود الدستور وتألف الحرية المطلقة

فالدستور الياباني يشبه في ظاهره سائر دساتير اوربا لكنه في حقيقته يجعل للميكادو سلطة ليست لملوك اوربا المقيدين . فهو يتولى القوى التنفيذية في الحكومة بمساعدة مجلس الوزراء وهو يعينهم ولا يخضعون لسواه . وله ايضاً مجلس خصوصي يشاوره في الامور الهامة . وله الحق المطلق في اشهار الحرب وامضاء الصلح وعقد المعاهدات الدولية . اما التشريع فلابدَّ من اخذ رأي مجلس النواب ومجلس الاعيان فيه . وللميكادو ترجع المصادقة على القوانين وله وحده ان يجمع المجلسين وان يفتح مجلس النواب ويقفله ويؤجلهُ ويحلهُ

وجعل مجلس الاعيان مؤلفاً من : ١ رجال العائلة المالكة البالغين ٢ من البرنسات والمركيزات من سن ٢٤ فما فوق وعددهم ١٥ برنساً و٣٦ مركيزاً ٣ الكونتية والبارونات في ذلك السن بشرط ان لا يزيدوا على خمس البارونات او الكونتات في المملكة ٤ الاعيان الذين تجاوزوا سن ٣٠ ولهم خدم ثابتة في مصلحة الدولة وتعيينهم منوط بالميكادو ٥ اعيان ينتخبون من الولايات ممن يدفعون اكثر من سواهم ضرائب وتعيين هؤلاء ايضاً منوط بالميكادو

فانظر الى الحكمة في اكتساب رضى الاسرة المالكة وكبار الدولة باشراكهم في الحكومة . وكيف ترك للميكادو الحق في تعيين قسم كبير من الاعيان

اما النواب فشروط انتخابهم تقرب من شروط سائر الدول في انتخاب نوابها . وللامبراطور وحده الحق في تعيين رئيس مجلس الاعيان ونائبه يختارهما من اعضاء ذلك المجلس . وهو ايضاً يعين رئيس مجلس النواب ونائبهُ لكنهُ يختارهما من ثلاثة يرشحهم المجلس لكل من المنصبين

الدستور العثماني

وجملة القول ان الامبراطور ومشيريه في وضع الدستور الياباني ادركوا سنن الاجتماع واتخذوا الحيطة اللازمة في الانتقال من الاستبداد الى الدستور . فلم يؤخذوا

بعامل التقليد الاعمى للدول المتمدنة لكنهم استخدموا الحكمة فعدّلوا الدستور الافرنجي حتى وافق احوالهم السياسية . كما عدلوا كثيراً من العادات الافرنجية حتى وافقت احوالهم الاجتماعية . فسلموا من الاضطراب الذي وقعت فيه الدولة العثمانية في مثل ذلك الانتقال . ان احرارنا ارادوا ان ينقلوا الدولة من حالها الاستبدادية ايام عبد الحميد الى اوسع الدساتير المطلقة ويجعلوا القوة كلها في ايدي النواب كما يفعل الانكليز والفرنساويون وغيرهما من الامم العريقة في الحرية . ولذلك قلنا في اثناء كلامنا عن الدستور العثماني منذ عامين انه لا يلائمنا ان يكون دستورنا حرًا مطلقاً مثل دستور انكلترا بل ينبغي ان يكون فيه شيء من التقييد لان الامة العثمانية تختلف عن الامة الانكليزية او الفرنساوية بما فيها من العناصر المختلفة والاديان المتباينة فضلاً عن الجهل السائد على جمهور العامة

فعظمة امبراطور اليابان قائمة ليس فقط باعلان الدستور على امته بل بتكييف ذلك الدستور حتى يلائم احوالها . و بتنازله من سماء عرشه الذي يميزه عن البشر وخلعه السيادة الدينية والاندماج في سلك سائر الملوك . وقد احسن كثيراً باستبقاء بعض السلطة في يده ولو لم يفعل ذلك لاختلفوا في الاجتزاء من تلك السلطة واختصموا وتنازعوا كما وقع في الدولة العثمانية . ولكن حال العثمانيين يختلف عن حال اليابانيين لأن هؤلاء لم يطلبوا الدستور ولا جاهدوا في طلبه وانما اتاهم عفواً بمجرد رغبة الامبراطور . فله ان يستبقي لنفسه ما شاء . واما العثمانيون فانهم طلبوه ووضعوا القانون الاساسي وكلفوا السلطان اعلانه من زمن مدحت . واراد السلطان عبد الحميد يومئذ تعديله فابوا عليه لكنه احتال في تعديل مادة واحدة اعطى نفسه فيه السلطة في نفي رؤساء العصابات بدون مشورة المبعوثان فاستخدمها في نفي مدحت باشا نفسه فذهب الدستور بذلك . فطبيعي ان لا تأمن الامة جانب ذلك السلطان ولا تعطيه سلطة . على انهم ارادوا ان يوسعوا هذه السلطة في العام الماضي بتحوير المادة ٣٥ من القانون الاساسي

اما الانقلاب الياباني فلم يكن فيه باعث على شيء من ذلك لان الامبراطور نفسه كان يجاهد في تحرير امته . ويظن البعض ان فضله قاصر على انصياعه لمشيريه في اعلان الدستور . وهو فضل كبير لكن اهل النقد يؤكدون انه هو المحرك لهذا الاصلاح

وان وزراءه ورجال دولته كانوا آلة بيده . ولا ريب انهم افادوه في ابحاثهم وتنقيحاتهم ولكنه وحده صاحب الفضل الاول في هذا الانقلاب العجيب - فهو متفرد في ذلك بين الملوك



الامبراطور يوشيهيتو
امبراطور اليابان الحالي



الامبراطورة سادا كو
امرأته

وقد خلفه على سرير الملك ابنه وولي عهده الامبراطور يوشيهيتو وسنه ٣٤ سنة وهو نحيف البنية وكان ملازماً فراشه في اثناء مرض ابيه الاخير . تزوج بالبرنسس سادا كو ابنة البرنس « كوجو » وله منها ثلاثة اولاد اصبح اكبرهم هيروهيتو الان ولي عهده . والمرجو ان يسير الامبراطور الجديد على خطة والده في اعمال الحكومة وان لم يكن له ما لابيه من المنزلة المدهشة عند رعاياه لكنهُ تثقف على العلوم الحديثة وتعلم الانكليزية والفرنساوية وآدابهما . وينتظر ان يحبه رعاياه كما احبوا اباه ولكن لا يرجى ان تكون له مثال هيبته في قلوبهم

اللغة العربية

والتعليم في المدارس الاميرية

والجامعة المصرية

لا غرو اذا اكثرنا من الحث على تأييد اللغة العربية لانها قوام الامة العربية او العنصر العربي ولا بقاء للامة الا بلغتها . ولا حياة للسان العربي الا بمصر لانها محور العالم العربي . واذا قدر لهذه اللغة ان تنهض فعلى مصر الواجب الاول في انهاضها .

كانت اللغة العربية من اوائل القرن الماضي الى اواخره قاعدة التدريس في المدارس الكبرى في مصر والشام . كانت المدارس الاميرية وغير الاميرية بمصر والمدرسة الكلية الاميركية واليسوعية وسائر المدارس الكلية في بيروت وغيرها تعلم الطبيعيات والتاريخ والرياضيات والطب والصيدلة والهندسة والحقوق وسائر العلوم باللغة العربية . فنبغت طائفة من الكتاب والعلماء في هذا اللسان بمصر والشام والفوا الكتب العلمية وانشأوا الجرائد والمجلات العربية . ودبت روح الرقي الحقيقي في عروق هذه الامة وتعلقت الآمال بمستقبل مجيد

لكن هذه الآمال اخذت في الزوال منذ بضع وعشرين سنة بعدول هذه المدارس عن هذه اللغة في تدريس العلوم العالية . بدأت بذلك المدرسة الكلية الاميركية في بيروت فجعلت قاعدة التدريس اللغة الانكليزية . وهكذا اليسوعية جعلت التدريس في الفرنساوية . ثم المدارس المصرية فجعلت التعليم في كلتا هاتين اللغتين . ثم اخذت الانكليزية تتغلب فيها رويداً رويداً ولا تزال . وحجة هذه المدارس في هذا التغيير قلة الكتب التعليمية في اللغة العربية وكثرتها واتقانها في اللغات الاجنبية . وهو عذر وجيه لاننا مهما بلغ من ارتقائنا العلمي فلا نزال وراء تلك الامم بمراحل لانهم سبقونا منذ اجيال فاصبح اللحاق بهم صعباً . الا اذا اخذنا عنهم وتمشينا على خطواتهم ويسهل ذلك خصوصاً اذا تلقنا تلك العلوم وتتبعناها بألسنتهم راساً

تلك حجة مقبولة لدى طالب العلم ان لم يكن غرضه غير التفقه واستنارة الاذهان . ولكن التعليم يراد به شيء اخر لا يقل اهمية عن ذاك نعني ترقية شؤون الامة وجمع

كلمتها واحياء آمالها ليكون لها شأن بين سائر الامم . وهذا لا يكون الا بترقية لسانها واحياء آدابها بتأليف الكتب العلمية والادبية وانشاء الصحف والمجلات فيه . ولا يتيسر لها ذلك الا اذا كان هو قاعدة التدريس في المدارس الكبرى فضلاً عن الصغرى فكيف اذا لم تعلم فيه هذه ولا تلك ؟ ـ تلك كانت حال المدارس بمصر والشام الى عهد غير بعيد

اصبح التعليم بمصر منذ بضعة اعوام كله في اللغة الانكليزية او الفرنساوية حتى مبادىء التاريخ والجغرافيا والحساب . واوشكت العلوم العربية نفسها ان تعلم باللسان الاجنبي . فاحتجت الامة بلسان مجلس الشورى واخذت الصحف بناصرها وكنا في جملة من خاض عباب هذا الموضوع وبينا الضرر الناجم من اغفال اللغة العربية . فاهتمت الحكومة بهذا الشأن ووعدت وزارة المعارف اذ ذاك باعادة التدريس فيها رويداً رويداً لكنها لم تخط الا خطوات قليلة لا تشفي غليلاً

فلما صارت هذه الوزارة الى صاحب السعادة احمد حشمت باشا جعل همه ترقية المعارف على العموم واحياء آداب اللغة العربية على الخصوص . فادخل تحسيناً هاما على المدارس الاميرية . والتفت الى العامة فنظر في ما يحتاجون اليه مما يسهل عليهم ابواب الرزق . والى المرأة وما يساعدها على ترتيب منزلها وتربية اولادها فضلاً عن تعميم اللغة العربية في اكثر المدارس

ولا يدرك فضله في هذا السبيل الا اذا جمعت اصلاحاته في باب واحد . وقد وفقنا الى معرفتها من اوثق المصادر فاحببنا نشرها تنويهاً بفضل منشئها خدمة للتاريخ وتنبيهاً للطلاب على التماسها من اماكنها وهي :

التعليم الفني

وجه سعادة الناظر عنايته على الخصوص الى نشر التعليم الفني لانه مرجع السواد الاعظم من الامة . وهو ينقسم الى ثلاثة فروع الزراعة والصناعة والتجارة :

الزراعة

وجه التفاته اولاً الى اصلاح المدرسة الزراعية في الجيزة فرأى انها تأسست منذ نحو عشرين سنة والتعليم فيها باللغة الانكليزية فلم تأت بثمر يذكر فجعله في اللغة العربية وجعل هذه المدرسة من صف المدارس العالية واشترط ان يكون طلبتها من حملة الشهادة الثانوية فوسع علومها الفنية واغفل علوماً لم يبق اليها حاجة فيها كالحساب والهندسة واللغتين الانكليزية والعربية وادخل بدلها علوماً عالية تختص بالزراعة . وجعل مدة التعليم اربع سنين وسنة للتمرين

وانشأ في العام الماضي مدرسة زراعية متوسطة بناحية مشتهر بالقليوبية يقبل فيها حملة الشهادة الابتدائية ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وسنة للتمرين ومعلموها من متخرجي مدرسة الجيزة المتقدم ذكرها . والتعليم فيها باللغة العربية — وهي تهتم على الخصوص بتعليم الزراعة العملية لمن يريد ان يمارس هذه المهنة

اما المدارس الزراعية الابتدائية المعبر عنها بمدارس الحقول فامرها منوط بعناية مجالس المديريات

التجارة

لا يخفى افتقار الامة المصرية الى التعليم التجاري لانصراف الاذهان عنها وعن سواها من الفنون الى الزراعة او الى خدمة الحكومة . فاهتم سعادة الناظر في هذه النقطة منذ سنتين فانشأ سنة ١٩١٠ مدرسة ليلية في القاهرة لتعليم المحاسبة التجارية ومسك الدفاتر والكتابة على الماكنة والتمرين على الاساليب التجارية والمعاملات والمكاتبات . وهذه المواد الاربع تعلم في اللغات الثلاث : العربية والانكليزية والفرنساوية فضلاً عن الاختزال (الستينوغراف) فانها تعلمه باللغتين الانكليزية والفرنساوية وسيعلم بالعربية

وانشأ سنة ١٩١١ مدرسة ليلية اخرى مثل هذه في الاسكندرية . وهاتان المدرستان تعطيان في كل فن شهادة على حدة . والطالب يختار المواد التي يريدها . فمن احرز ثلاث شهادات في ثلاث مواد تعطى له شهادة محاسبجي بشرط ان تكون احداها مادة اساليب المعاملات التجارية ولا يشترط على الطالب سن معين ولا شهادة دراسية ولا غيرها

ثم انشأ مدرسة تجارية عالية خديوية بالقاهرة تلقى فيها العلوم التجارية والمحاسبة في اللغة العربية لكنها تعلم اللغتين الانكليزية والفرنساوية ايضاً . وتعلمهما اجباري لان التاجر لا يستغني عنهما في مخابرة عملائه . وفي هذه المدرسة مكتب تجاري يتمرن فيه الطلبة على أعمال المصارف (البنوك) والشركات والسمسرة وغيرها من الامور التجارية باللغات الثلاث . وتلقى فيها ايضاً الشرائع التجارية والصناعية والجمركية والعلوم الاقتصادية ونظام التجارة والصناعة والاخلاق . ويشترط في طلبتها ان يكونوا من حملة الشهادة الثانوية . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنين

وانشأ مدرسة محاسبة وتجارة متوسطة يدخل فيها حملة الشهادة الابتدائية والتعليم فيها بالعربية . ونظامها يشبه نظام المدرسة العالية المتقدم ذكرها وانما ينقصها تعليم القوانين الاقتصادية والشرائع التجارية والصناعية . ومدة الدراسة ثلاث سنين وتمنح تلامذتها شهادة اعتيادية اما تلك فتمنح الدبلوما الزراعية

الصناعة

التعليم الصناعي قديم في المدارس الاميرية المصرية وهو مؤلف من : (١) مدرسة المهندسخانة بالجيزة وهي عالية يتخرج فيها مهندسو الري والمباني (٢) مدرسة الصنائع والفنون في بولاق (٣) الورش الصناعية في القاهرة واسيوط

فالاصلاح الذي ادخله الناظر في الأولى انه جعل تعليم الرياضيات والحساب والجبر والمثلثات باللغة العربية وكانت تعلم في الانكليزية

ووضع لمدرسة الصنائع والفنون منذ عامين نظاماً جديداً جعل المدرسة المذكورة ثلاث مدارس : الاولى لتعليم الميكانيكيات والكهربائية . والثانية لهندسة المدن وتنظيمها . والثالثة لزخرفة المباني والنقوش . وقاعدة التعليم فيها كلها اللغة العربية . ولكن اللغة الانكليزية تعلم فيها على انفراد . ويقبل فيها حملة الشهادة الابتدائية . ومدة الدراسة اربع سنوات وسنة للتمرين ويقبل التلامذة داخليين

اما الورش الصناعية فادخل على ورش القاهرة من السنة الماضية صناعة تصليح الاتوموبيلات وتعليم الساقة كيف يسوقونها . ولحام الرصاص لاعداد اسطوانات للمواسير لمثل مشروع مصارف العاصمة بحيث يمكن استخدام الوطنيين فيه وفي امثاله

وفي المنصورة مدرسة للصناعة من هذه الطبقة نظمها وجعل التدريس فيها مستمراً طول السنة وادخل فيها ورشة انسجة

غير مدارس الصنائع التابعة لمجالس المديريات في لقصر ونجع حمادي وسوهاج وبني سويف وطوخ – انشئت كلها في العامين الماضيين بارشاد نظارة المعارف واعانتها . وغير مدارس اخرى في الفيوم ودمنهور . فضلاً عن مدرسة محمد علي الصناعية في الاسكندرية فان نظارة المعارف تأخذ بيدها

قلم الترجمة للكتب العلمية الدراسية

ان تحويل التعليم في مدرسة الزراعة بالجيزة وفي المهندسخانة الى اللغة العربية اعوز المدرسين كتباً عربية للتعليم . فانشأ ناظر المعارف لذلك سنة ١٩١٠ قلماً لترجمة الكتب الدراسية في العلوم المطلوبة . وكان القلم المذكور عند انشائه مؤلفاً من ثلاثة اعضاء فاصبح الآن ستة واخذوا في النقل عن احدث المؤلفات . فترجموا حتى الآن اربع مجلدات زراعية طبعت في بولاق وكذلك اربع مجلدات لمدرسة المهندسخانة في العلوم الرياضية وترجموا كتباً في الحسابات التجارية والجغرافية التجارية تحت الطبع . والقلم المذكور تابع لادارة التعليم الفني

تعليم البنات

التدبير المنزلي

قد رأيت مما اوجزناه من الاصلاحات في المدارس الفنية ان ناظر المعارف على بينة من حاجة البلاد الحقيقية ولا سيما العامة واكثرهم الفلاحون وهم قوام الامة ومادتها الاصلية . فاراد ان يثقفهم ويرقي مداركهم من الوجهة العلميـة التي هم في حاجة اليها بتوسيع التعليم الزراعي . واراد من الجهة الاخرى ان يصرف اذهان الشبان عن خدمة الحكومة ويوجه انظارهم الى الصناعة والتجارة فانشأ المدارس الفنية وسهل دخولها على كل الطبقات

ثم التفت الى النصف الاهم من الامة بالنظر الى الهيئة الاجتماعية وادرك حاجة العائلة المصرية الى الاصلاح فرأى تعليم البنات سائراً على خطة تعليم الصبيان تدرس الفتاة فيه كما يدرس الشاب وتنال الشهادة الابتدائية او الثانوية بالامتحانات العامة كما ينالها هو . فرأى ان يخص البنات بطريقة تناسب ما خلقن له من العمل في نظام الاجتماع من ادارة المنازل وتربية البنين . فانشأ سنة ١٩١٠ مدرسة التدبير المنزلي في محطة القبة قرب القاهرة جعلها داخلية ومدة الدراسة فيها سنتان تتلقى فيهما الفتاة القرآن واللغة العربية والحساب ودفاتر الحساب المنزلي والاخلاق وعلم تدبير المنزل وعلم الصحة . وكلها في اللغة العربية فضلاً عن الاشغال اليدوية كتفصيل الثياب وترقيعها والتطريز والغسيل والكي والطبخ . ويقبل فيها التلميذات من سن ١٢ـ١٤ وقد بلغ عدد الطالبات في العام الماضي ستين طالبة والمرجو ان يتضاعف هذا العدد . وسيكون لهذه المدرسة شأن كبير في ترقية المرأة الشرقية . وقد وقع انشاؤها وقعاً حسناً لدى الامة فاقبلت مجالس المديريات على انشاء امثلة لها في اقاليمهم وقد تم انشاؤها الان في بني سويف ودمياط بارشاد نظارة المعارف

وللبنات مدرسة للمعلمات في بولاق منذ ثماني سنوات كانت قاصرة على تخريج معلمات لمدارس البنات الابتدائية اي المكاتب (الكتاتيب) فادخل سعادة الناظر فيها تعديلاً جعلها صالحة لتخريج معلمات في التدبير المنزلي لتعميم نشر هذه التربية النافعة للامة . وسينفذ هذا النظام من اول اكتوبر من هذا العام (سنة ١٩١٢) والتعليم فيها باللغة العربية . وفيها فضلاً عن التدبير المنزلي علم التربية العلمية والعملية

وقد وجهت النظارة اهتمامها الى اصلاح مدارس البنات على الاجمال وتعديل نظامها بحيث تختلف عن مدارس الصبيان كما تختلف طبائع كل من الجنسين وحاجته وواجباته

سائر المدارس

واللغة العربية

واما التعليم في سائر المدارس الاميرية فالعناية مبذولة فيه نحو الغرض المطلوب بحيث يصير كله في اللغة العربية وتتسع مواد التدريس وترتقي العلوم . وقد اصبح التدريس الآن في المدارس الابتدائية كله في اللغة العربية . وكذلك المدارس الثانوية فالرياضيات الآن تعلم فيها باللغة العربية . وستبدأ في اكتوبر الجاري من هذه السنة بتعليم الطبيعيات والتاريخ والجغرافيا في هذه اللغة. فاصبح التعليم الثانوي كله في اللغة العربية وهي خطوة مهمة في ترقية المعارف واحياء الآداب العربية

مدرسة المعلمين

وكان للمعلمين مدرسة ابتدائية الغاها واعتاض عنها سنة ١٩١١ بتوسيع نطاق مدرسة المعلمين الخديوية في درب الجماميز فزاد في عدد تلامذتها نحو ما نقص بالغاء تلك المدرسة . واعتاض عن السنة الاولى الابتدائية التي كان تلامذتها من حملة الشهادة الابتدائية بتلامذة من حملة الشهادة الثانوية وقد توخى ذلك جرياً مع تيار الافكار ورغبة الامة في الارتقاء العلمي

وفي هذه المدرسة يخرج المعلمون في كل العلوم الا العربية . ولكن التعليم فيها لا يزال في اللغة الانكليزية . فعسى ان يجعل في العربية قريباً . لان هذه المدرسة تخرج المعلمين لسائر المدارس فهي كالاساس للبناء فلاصلاح يجب ان يبدأ بها

وهي غير مدرسة المعلمين الناصرية وتسمى ايضاً دار العلوم . وهذه قديمة وكانت فصولها عشرة على خمس سنين يخرج فيها المعلمون للعربية والخط . وقد ادخل فيها تحسيناً هاماً بحيث اتسعت دائرتها وكثر تلامذتها

وهناك مدارس اخرى لتخريج معلمي المكاتب ينالون فيها شهادة الكفاءة واضاف الى بروغرامها تعليم الرسم ومسك الدفاتر ومدة التعليم ٣ سنوات تعطي في آخرها شهادة

ومن حسنات هذه الوزارة تعليم اللسان المصري القديم (الهيروغليف) فقد اصبح فرعاً من فروع العلم في مدرسة المعلمين الخديوية من اكتوبر سنة ١٩١٠ . وقد اقترح تعليمه الموسيو ماسبيرو ناظر المتحف المصري واحمد بك كمال وكيله وهو الذي يعلمه . والغرض تخريج رجال يخدمون دار التحف خدمة علمية في التنقيب عن الآثار

وقد ذكرنا في غير هذا المكان ما بذله ناظر المعارف من العناية في اصلاح دار الكتب الخديوية اذ وضع لها قانوناً لتنظيمها سنة ١٩١١ يقضي بتشكيل هيئة تدبر

شؤونها المهمة في باب التربية والتعليم فتألف لذلك مجلس برئاسة ناظر المعارف والهمة مبذولة بهذا السبيل وذكرنا في غير هذا المكان سعيه حفظه الله في احياء آداب اللغة العربية بنشر المؤلفات الهامة فيها

الذي نرجوه الآن

تلك هي الاصلاحات التي تمت حتى الآن في سبيل التعليم في المدارس المصرية وقد سرّنا على الخصوص ما توسمناه في حشمت باشا من الرغبة في ترقية اخلاق الامة. فسمعناه غير مرة يشكو مرّ الشكوى من نقص الدروس الاخلاقية في المدارس المصرية. وقد انتقى افضل الكتب المفيدة لبث الاخلاق الراقية في نفوس التلامذة من الصغر. وهذه الخطوة من اهم مساعي سعادته في سبيل مصلحة الامة

وقد رأيت انه بدأ الاصلاح من العامة بانشاء المدارس الفنية وسعى في احياء اللغة بجعلها قاعدة التدريس. ولا ريب انه يفكر ايضاً في توسيع دائرة التعليم بادخال علوم لا وجود لها في بروغرام المدارس المصرية من العلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفية والاخلاقية مما فصلناه في غير هذا المكان بالمقابلة بين المدارس الثانوية المصرية والمدرسة الكلية السورية وغيرها راجع الهلال سنة ١٥ ج ٢

ميزانية الحكومة ونظارة المعارف

على ان الوصول الى هذه الغاية لا تكفي فيه الارادة والعزم وانما هو يحتاج الى نفقات لا تقوم بها الاموال المخصصة في ميزانية الحكومة لنظارة المعارف. ان اموال الحكومة تؤخذ من الامة لتنفق في مرافقها حسب حاجتها او مركزها السياسي او الجغرافي او الطبيعي. وقد يختلف ذلك باختلاف احوالها من سلم او حرب من خصب او قحط. فالدول الحربية ذات الاساطيل نفقاتها الحربية اكثر من نفقات الدول الصغرى المستكنة. فالدولة الانكليزية مثلاً تنفق ثلث دخلها على الجندية البرية والبحرية لانها تحاذر على نفوذها وسلطانها والدول واقفة لها بالمرصاد وهي ذات مطامع في الاستعمار والاستثمار. وقد تقتضي الاحوال ان تنفق في ذلك نصف ميزانيتها او اكثر. وقس على ذلك سائر الدول المحاربة. اما الدول الصغرى الهادئة التي لا مطمع لها ولا خوف عليها فهذه لا تنفق الاموال في التجنيد والتحصين بل تصرف اموالها الى ما تحتاج اليه من اصلاح شؤونها الداخلية او الزراعية او النظامية كما تفعل بلجيكا وهولندا ونحوهما. فان نفقات بلجيكا على الجندية نحو ٦٠٠٠٠٠٠٠ فرنك ومجموع

نفقاتها ٦٦٠ مليون فرنك اي واحد من ١١ وهولندا تنفق على الجندية ٢٩ مليون فرنك وميزانيتها ٢٢٠ مليوناً اي اقل من السبع وقس على ذلك . وانما تصرف اموال هذه الدول في سبيل مرافق اخرى . فبلجيكا تنفق نحو نصف ميزانيتها على السكك الحديدية والبوسطة والتلغرافات او الزراعة او غيرها من المرافق النافعة لها

ومصر من الممالك التي لا مطمع لها في الحرب ولا خوف عليها من سطو او غزو ولذلك كانت نفقاتها الحربية قليلة . فالاموال التي تجمع من الامة باسم الضرائب والجمارك وغيرها يجب ان تنفق في ما تحتاج اليه البلاد من الاعمال . وهي بلاد زراعية فتوجه النفقات الى تلك الجهة على يد ديوان الاشغال . وهي ايضاً في حاجة الى التعليم فيجب ان تصرف العناية اليه . بل هي الآن بعد ان استقرت احوال الري اشد حاجة الى التعليم مما الى سواه . ولكن المخصص لنظارة المعارف لا يزال نحو جزء من ثلاثين من ميزانية الحكومة . فهو قليل جداً بالنظر الى ذلك . وهكذا لو اعتبرت هذه القيمة بالنظر الى عدد السكان . وهاك اهم نفقات التعليم عند اهم الدول بالمقابلة مع عدد السكان ومجموع الدخل :

	عدد سكانها	دخلها بالجنيه	نفقات المعارف فيها
انكلترا	٤٢٠٠٠٠٠٠	١٩٩٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠٠
الولايات المتحدة	٧٦٣٠٠٠٠٠	١٣٦٠٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠٠٠
فرنسا	٣٩٣٧٦٠٠٠	١٧٠٧٦٧٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	٣٤٥٦٤٠٠٠	٩٦٠٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠٠

فاذا قابلت دخل هذه الدول ونفقاتها على التعليم رأيت بعضها تنفق عليه اكثر من النصف وبعضها ينفق الثمن او العشر على الاقل وتجد النسبة اقرب في الدول التي لا تحارب او لا تحتاج الى التجنيد مثل مصر لكن مصر دخلها نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ جنيه تنفق منه على المعارف نصف مليون فقط

وهكذا اذا التفت الى نفقات المعارف بالنظر الى عدد السكان فانك تجد مصر اقل انفاقاً من اكثر الدول مع حاجتها الى التعليم اكثر من سواها . فانكلترا تنفق ٢٥ مليون جنيه على ٤٢ مليون نفس فيلحق الفرد اكثر من نصف جنيه . اما فرنسا فيلحق الفرد منها نحو ثلث جنيه وايطاليا نحو سبع جنيه . واذا نظرت في الدول الصغرى فانك تجد مصر من اقلهن حظاً في نفقات الحكومة على التعليم . فان ميزانية المعارف نحو ٥٠٠٠٠٠ جنيه وعدد السكان ١٢٠٠٠٠٠٠ نفس فيلحق

الفرد ٤ غروش فعسى ان تلتفت الحكومة الى هذا التقصير . ونحن نزعم اننا نجاري الامم المتمدنة فلا بد من الاخذ بناصر المعارف بالانفاق عليها لانشاء المدارس العالية التي تربي الاخلاق وتهذب العقول

الجامعة المصرية

على ان الامم الراقية او الراغبة في الارتقاء لا تلقي كل اتكالها على الحكومة بل تنهض هي بنفسها وتنفق من اموالها في ترقية ابنائها . ان جانباً كبيراً من جامعات اوربا انشأها رجال من اهلها وقفوا عليها الاموال وتضاعفت الاوقاف بتوالي الايام حتى صارت تعد بملايين الجنيهات . فضلاً عن المدارس الاخرى على اختلاف طبقاتها فان للامة دخلاً عظيماً في انشائها او الانفاق عليها

هكذا فعل الافاضل الذين بذلوا اموالهم في انشاء الجامعة المصرية بذلوها بسخاء ورغبة لانهم يشعرون بحاجة الامة الى التعليم الراقي . وقد شعرنا بذلك فاقترحنا منذ بضع عشرة سنة انشاء مدرسة كبرى لترقية اخلاق الامة وتهذيب عقولها — اردنا بها مدرسة كلية داخلية على شكل كلية بيروت تعلم الشبان وتربي اخلاقهم . فلما نهضت الامة لانشاء تلك المدرسة لا ندري من اشار بان تكون « جامعة » وان يقلدوا بها جامعات اوربا الكبرى بان يكون فيها التعليم خطباً تلقى سماعاً وينصرف الطلاب الى شؤونهم بلا تحريض ولا تسميع . فظهرت لسنتها الاولى اشبه بالنادي الادبي منها بالكليات العلمية فانتقدنا ذلك في الهلال الخامس من سنة ١٧ (فبراير سنة ١٩٠٩) في مقالة ضافية بينا فيها ان طريقة الجامعة وعلومها لا تفي بحاجة البلاد واقترحنا تعليم الطبيعيات والرياضيات بفروعهما . واظهرنا ما يترتب على تعلمهما من تثقيف العقول والححنا في التوسع في العلوم الاخرى . واقترحنا ان تكون المدرسة داخلية يدخلها الطالب يتلقى فيها العلوم ويتمرس باسباب الترقي ويتجمل بالآداب النافعة

فكان لندائنا صدى لدى مجلس ادارة الجامعة فعدلت بروغرامها وجعلت للعلوم الطبيعية حظاً بين العلوم التي قررت تدريسها للسنة التالية . وارسلت شباناً يتلقون تلك العلوم في اوربا على نفقتها حتى يعودوا ويعلموا تلك العلوم فيها . فدلنا ذلك على تعقل المجلس المذكور ورغبته في تطبيق اعماله على حاجة الامة وصرنا نتوقع ان يغير طريقة التدريس الى ما يلائم حاجة الامة فلم يفعل . ودلَّ الاختبار في السنين التي مضت منذ انشاء الجامعة ان هذه الطريقة غير وافية بحاجة البلاد لان الطلبة يتناقصون كل عام عما

قبله حتى اصبحوا يعدون على الاصابع . فلا بد من اعادة النظر في امر هذه الجامعة وعلومها وطرق تدريسها . ونتقدم بذلك الى مجلس ادارتها فانهم وحدهم المسئولون عن هذا المعهد العلمي لدى الامة التي وضعت ثقتها فيهم وعهدت بادارته اليهم

نحن لا نشك في صدق نية حضراتهم في خدمة الامة . ولكن صدق النية وحده لا يكفي لقيام الاعمال . ان سبعة آلاف جنيه تنفق على التعليم كل عام ينبغي ان تظهر اثمارها . لا ندري ما اعدته الجامعة لهذا العام من التحسين لكنها في كل حال تحتاج في نظرنا الى تعديل اساسي بتغيير بروغرامها حتى يوافق حاجة البلاد . ونحن نعلم ان اعضاء مجلسها يعملون مجاناً وبعضهم ينفق المال من جيبه في خدمتها والرئيس اعزه الله يسافر كل عام او يكابد مشاق الاسفار ونفقاتها في هذا السبيل — هذا كله مسلم ويدلُّ على صدق نية المجلس وغيرته . ولكن يظهر من مجاري الاحوال انه لم يهتد بعد الى الخطة الملائمة لهذا الوسط . فنستأذنهم في ابداء ما يعنُّ لنا من هذا القبيل ونرجو ان لايسوءهم ذلك لاننا شركاء في هذه الخدمة واننا نعمل معاً لمصلحة هذه الامة

اذا انتقدنا طريقة التعليم في الجامعة المصرية وقلنا انها لا تفيدنا فلا نريد انها لا تفيد غيرنا لانها الطريقة التي سارت عليها معظم جامعات اوربا . ولكن المطلوب ممن يريد ادخال حسنة من حسنات التمدن الحديث الى الشرق ان يكيفها حتى تلائم طبائع اهله وتوافق مصالحهم ويسهل تناولها عليهم . لا ان يقدمها لهم كما هي اذ لكل أمة احوال تختلف عما للاخرى

وحاجة هذا القطر كما قلنا مراراً انما هي الى ترقية النفوس وتدريب الشبيبة على العمل وتعليمهم قيمة الوقت وتدريب عقولهم على التمييز بين الصحيح والفاسد . وهذه وامثالها لاتنال باستماع الخطب في آداب اللغة او تاريخ الحضارة او الفلسفة — ليس لان هذه العلوم لا ترقي العقول بل لان الطلبة عندنا غير مستعدين لتفهمها والاستفادة منها لانها فوق ما يحتاجون اليه . كما انهم لايستفيدون الفائدة المطلوبة من المدارس الابتدائية والثانوية لانها تحت حاجتهم . فهم مفتقرون الى علوم متوسطة بين ما يعلم في المدارس الثانوية المصرية وما يلقى في الجامعة الآن . وهذا الذي نريده بانشاء المدرسة الكلية العلمية لانها تتكفل بسد هذا الخلل . والفرق بينها وبين المدارس الثانوية التي تمنح شهادة البكالوريا بمصر انها ارقى كثيراً ولا سيما في العلوم الطبيعية والرياضيات التي ترتقي بها عقول الشبان وتتعود النظر الصحيح والحكم المعقول

فبالبلاد في حاجة الى مدرسة علمية علومها ارقى من علوم المدارس الثانوية المصرية

وتكون داخلية يتربى فيها التلامذة على الاخلاق الراقية والآداب الصحيحة ويحمل بها التلميذ على الدرس كرهاً وينشأ في وسط يكون اساتذته مثالاً في الاخلاق السامية فضلا عن العلم. وتكون هذه المدرسة مدرسة تعليم وتربية يدخلها الطالب لدن العود لين العريكة فلا يزال يتلقى العلم ويتمرس باسباب الترقي ويطبع على الاقدام وسائر الفضائل حتى يخرج مثقفاً قوي الارادة نشيطاً مستقل الفكر هماماً يحب وطنه ويتفانى في خدمته . هذا لا يتأتى بالحضور الاختياري لسماع الخطب لان معظم هذه المناقب تنال بالقدوة والمباحثة والمعاشرة والمناقشة اناء الليل واطراف النهار . وبالجملة اننا في حاجة الى مدرسة يسبك فيها الطالب سبكاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده

هذه هي المدرسة التي نحن في حاجة اليها فنقترح على مجلس ادارة الجامعة ان يحولوا اسم « الجامعة المصرية » الى « الكلية المصرية » ويجعلوا بروغرامها مثل بروغرامات الكليات العلمية الحقيقية . واذا ارادوا ان يكون ذلك البروغرام اقرب الى حاجة بلادنا فليجعلوه مثل بروغرام المدرسة الكلية الاميركية في بيروت . مع ما تقتضيه حال مصر من التعديل انما يشترط ان يكون تعليمها باللغة العربية فتكون لها مزية على سائر المدارس الكبرى بمصر والشام من حيث احياء الآداب العربية لاسباب تقدم بيانها

وفي صندوق الجامعة الآن بضعة وعشرون الف جنيه غير الاوقاف ولها ريع ثابت يزيد على سبعة آلاف جنيه وهذا راس مال كاف للشروع في هذا العمل . فينفق من المال المجموع لانشاء المعارض العلمية اللازمة لتلامذة الطبيعيات والتاريخ الطبيعي وادوات الكيمياء وغيرها . ويشرع في اقامة بناء خاص للجامعة . وقد علمنا ان الحكومة ستهب الجامعة ارضاً واسعة في محل مناسب ولعلها تساعدها في البناء ايضاً . والا فالجامعة تبنيها مما تجمعه من التبرعات بتوالي الاعوام . وتنفق من الريع السنوي على رواتب الاساتذة مما لا يمكن تحديده تماماً . ولكننا على ثقة ان ذلك كاف للشروع بانشاء الكلية العلمية . ثم تنشأ الكليات الاخرى في الفروع الاخرى من العلوم العالية حسب الحاجة . وبعد ذلك يتألف من مجموع هذه الكليات « الجامعة المصرية »

هذا ما نراه وقد يكون في حاجة الى تعديل او تنقيح فلا بأس من المناقشة فيه . لكنه صحيح في اساسه وهو تحويل الجامعة المصرية الى كلية علمية مصرية تعلم العلوم الراقية في اللغة العربية فتحيي موات هذه اللغة بل تحيي الامة العربية . لانها تخرج المعلمين لمدارس فرعية تربي الناشئة على خدمتها ومنهاجها فلا يمضي زمن طويل حتى تنتشر تلك الروح الراقية في الامة مما نبكي عليه الآن ونتمناه ـ والله ولي الامر

صحة العائلة

وقاية الطفل من الامراض

من هو المسئول عن امراض العالم

اكثر الامهات لا يعرفن من الوقاية غير العطف على اطفالهن اما لجهلهنّ طرق الوقاية واما لاهمال منهن نحوهم . وليس فيهنّ واحدة ترتاح لمشاهدة ولدها مريضاً . وقد ابنا مراراً ان العطف على الطفل لا يدفع عنه مكروهاً ولا يرد عن جسمهِ الاخطار التي تهدده في السنين الاولى من حياته بل قد يكون سبباً في تقريبه منها . وشروط الوقاية الاعتناء بصحة الطفل ومراقبة نموه . ولاجل سهولة البحث اقسم الكلام عن الوقاية الى اربعة اقسام وهي : النظافة والرياضة والغذاء والمخالطة

١ — النظافة

النظافة وقد جعلتها فاتحة الكلام لانها عنوان يدلّ على سلامة ذوق القائم بها ومبلغ ما حصل عليه من التهذيب . ولا يخفى على احد اهمية النظافة ومقدار المنافع المترتبة عنها للنفس وللعقل وللجسد — حتى ان الرضيع في سريره يشعر بالفائدة منها فتظهر على وجهه علامات الراحة والسرور . وما يجب مراعاته في نظافة الطفل الرضيع يختلف قليلاً عن الطفل الاكبر سناً . فالرضيع يجب ان يغسل جسده مرة بالنهار بماء فاتر وفمه قبل الرضاعة وبعدها . وعيناه مرة في الصباح وفي الظهر ويغسلان في المساء بمحلول حامض البوريك ويمسح فخذاهُ بماء وصابون عقب التبويل وغيره

اما ثيابه فيجب ان تكون من الفلانلا الناعمة وان تكون واسعة بحيث يتمكن من تحريك اطرافه كما يشاء وان تبدل مرة في النهار على الاقل . هذا من جهة الطفل الذي في سريره اما من جهة ما حواليه من المفروشات — ان كان لا بد من وجود شيء منها — فيجب ان تكون قليلة وبغاية النظافة

ونظافة الطفل الاكبر سناً لا تختلف كثيراً عما تقدم الا بما يأتي : الاغتسال

يكون مرة في المساء بماء فاتر . اما في الصباح فيمسح جسده بماء بارد . ويتدرب على غسل فمه ويديه ووجهه قبل الاكل . وثيابه يجب ان تكون ناعمة وواسعة لئلا تعيقه في الحركة ولما كان كثير الحركة وهي واجبة لنمو جسده يقتضي ان يكون البيت وما يحيط به الى مسافة خمسة امتار نظيفاً . ولا يجوز ان ينام في الثياب التي كانت عليه في النهار ولا ان يرتدي الثوب يومين متواليين . بل يجب ان يلبس كل يوم ثوباً نظيفاً والثوب الذي ينام فيه غير الذي يجول فيه

٢ — الرياضة

الرياضة لازمة لسائر الاحياء . وهي من العوامل المساعدة على نمو الجسد فاعضاء التنفس والدورة الدموية والهضم تكتسب بواسطة الرياضة نشاطاً وقوة في تتميم وظيفتها والطفل الرضيع يرفع يديه ويرفس برجليه لا حباً بالرفس ولا ليقبض على شيء امامهُ وانما يفعل ذلك مدفوعاً بالحاجة الى الرياضة كما انه يبكي لا عن جوع ولا رغبة في البكاء بل ليحصل على كمية من الهواء التي ترئتيه . وهو لا يدري فائدة الهواء ولكن الطبيعة ترشده اليها ولذلك كان الهواء النقي ضرورياً له واحسن وسيلة يحصل بها عليه ان يخرج به من البيت في يوم سكن هواءه واعتدل حره . وفي فصل الشتاء يجب ان ينقل الى غرفة ثانية ريثما تفتح نوافذ غرفة النوم وتعرض للهواء ساعة على الاقل

والطفل الاكبر سناً يجب ان يشجع على الرياضة اذا لوحظ انهُ لا يطلبها فيعطى ادوات لا تؤذيه اذا استعملها لكنهُ يندر ان يحتاج لواسطة تدفعه الى الحركة بل كثيراً ما تحتاج الام الى زجره وقد تهدده بابيه الداخل الى البيت وربما ضربته . والاصح ان تطلق له حرية التنقل مع المراقبة . وكثيراً ما نشاهد فيه الميل الى التقلب على مرتبة او سجادة او عتبة وغير ذلك من انواع الحركة . ولو لم تكن الرياضة لازمة له لما تعلم الدبدبة ولا تجاسر على الوقوف وحده

٣ — الغذاء

لاجدال ان لبن (حليب) الام هو افضل غذاء يحصل عليه الطفل في ايامه الاولى . وقد ذكرنا في السنة الماضية من الهلال الطريقة المثلى في كيفية رضاعته فلا موجب لتكرارها . انما اقتصر الآن على تفصيل طريقة اطباء اميركا في تغذية الاطفال بوجه

الاجمال . وقد دلتهم اختباراتهم الواسعة على ان نمو الطفل لا يظهر بمجرد النظر الى جسمه فعولوا على الميزان ليرشدهم الى الصواب . ولما كان معدل ثقل الطفل عند الولادة معروفاً ونسبة الربح الذي يحصل عليه من الغذاء مقررة بالنسبة لكمية الغذاء الذي يتناوله في كل اربع وعشرين ساعة هان الوقوف على حقيقة نمو الطفل من وضعه بالميزان فنعرف ثقل جسده . وفي الاسبوع الفائت قرأت مقالة للاستاذ ليفي في هذا الصدد قال « ان معظم الامهات يتذمرن من القاعدة التي وضعناها لتغذية الطفل وليست شكواهن من رضاعته بالاوقات المعينة بل من طريقة مزج لبن البقر بالماء على نسبة تتدرج من القليل الى الاكثر » ثم قال انه خصص بضع سنين درس فيها تأثير اللبن مع بعض التغيير في كميته بالنسبة للماء الممزوج به . ونتيجة درسه « انه يجوز ان يعطى اللبن للطفل من ولادته لغاية الشهر السادس ممزوجاً بمثله من الماء مع اضافة خمسة في المئة من السكر ومن الشهر السادس الى التاسع بمزج بمثل نصفه من الماء وخمسة بالمائة سكر . ومن الشهر التاسع فصاعداً يعطى اللبن صرفاً »

ووجد الاستاذ هيو بنر ان معدل ما يحتاج اليه الطفل في الاشهر الثلاثة الاولى ١٠٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام من ثقل جسمه و٩٠ عقدة حرارة في الاشهر الثلاثة الثانية و٨٠ عقدة حرارة في الثلاثة الثالثة و٧٠ عقدة حرارة في الثلاثة الرابعة . لنفرض ان ثقل جسد الطفل بلغ في الشهر السابع ستة كيلوغرامات ونصف فالذي يحتاج اليه من الغذاء ٨٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام و٥٢٠ عقدة حرارة في مدة ٢٤ ساعة وفي هذا الوقت يعطى الثلثين لبن والثلث ماء مع خمسة بالمائة من السكر كما تقدم . فتكون الكمية التي تلزمه ليحصل منها على حاجته نحو اربعة اخماس الليتر و٢٨ اوقية تقسم الى خمس وجبات . فيعطى في كل رضاعة ١٧٠ غراماً او خمس اواق وثلثي اوقية . ومن المقرر أن نصف ليتر من اللبن يولد ٣٠٠ عقدة حرارة والخمسة بالمائة من السكر يولد ٢٠٠ عقدة حرارة . ولا بأس من وضع قاعدة تشمل الاطعمة التي يتدرج الطفل اليها بعد الرضاعة دفعاً للالتباس . والمقرر ان معدل ما يحتاج اليه البالغ من الغذاء ٣٠ عقدة حرارة لكل كيلوغرام لكن الطفل يحتاج الى ضعفي ذلك او ثلاثة اضعافه . فيفهم من ذلك ان الطفل يقلّ قدر غذائه كما تقدم في النمو بالنسبة الى ثقله أي الذي يفقده في

كل كيلوغرام يعوضه من الزيادة التي يربحها جسده في تدرجه الى النمو . وهاك جدولا لما تولده المأكولات من الحرارة :

اوقية		عقدة حرارة	اوقية		عقدة حرارة
١ من التفاح	يتولد عنها	٣٠	بيضة كاملة	يتولد عنها	٨٠
من التين ٣٣ غراماً	»	٨٠	١ من بياض البيض	»	٣٠
١ من الزبدة	»	١٦٠	١ من صفار البيض	»	٥٠
½ ١ من الحبوب	»	٥٠	١ من سكر اللبن	»	٣٦
١ من البسكويت	»	١١٤	ملعقة كبيرة من السكر	»	١٦
١ من القشطة	»	٦٠			

قلنا ان الوسيلة الوحيدة في تحقيق حال الطفل هو الميزان وبه نعلم مقدار نموه ولذلك اضع جدولاً في معدل ثقل الطفل من الولادة الى السنة السابعة فقط وليس على الام الا ان تمرن استعدادها الطبيعي على فهم المسئولية الملقاة على عاتقها فيسهل عليها معرفة الغرض من هذا المقال

	ثقل الصبي بالكيلوغرام	ثقل البنت بالكيلوغرام
عند الولادة	٣ ، ٤٣	٣ ، ٢٦
في الشهر السادس	٧ ، ٢٦	٧ ، ٣٠
في السنة الاولى	٩ ، ٢٩	٨ ، ٨٤
في السنة ونصف	١٠ ، ٣٥	٩ ، ٩٨
في السنتين	١٢ ، ٠٢	١١ ، ٥٦
في السنة الثالثة	١٤ ، ١٤	١٣ ، ٦٠
« الرابعة	١٥ ، ٨٧	١٥ ، ٤١
« الخامسة	١٨ ، ٧١	١٨ ، ٦
« السادسة	٢٠ ، ٤٨	١٩ ، ٩٧
« السابعة	٢٢ ، ٤٤	٢١ ، ٧٨

٤ — المخالطة

اريد بهذا الشرط من شروط الوقاية علاقة الطفل بالام وهي الصلة الوحيدة بين العالم خارج البيت وبين طفلها . واهمال هذا الشرط يفسد علينا الغاية المقصودة مما توخيناه وسبق بيانه . اذ ما الفائدة من الاعتناء بصحة الطفل اذا كانت الام غير معتنية بصحتها أو كانت تمضي الى زيارة صديقة مريضة او ولدها مريض وتغفل شروط الوقاية جاهلة انتقال العدوى من المريض الى السليم بقبلة تطبعها على فم طفلها بحال عودتها وقبل ان تجري اللازم اجراءه اذا كان لا بد لها من تلك الزيارة . أو تكون مشغولة بشؤون البيت من طبخ وغسيل وتنظيف وغير ذلك ثم ترامى على سرير طفلها وهي في تلك الحالة لا تحسب للخطر حساباً . واذا كان ولدها مستعداً للانتقال فتصحبه معها في زياراتها متنقلة من بيت الى آخر

ويصح هذا التنبيه على كل عضو في البيت بان يكون على حذر . فالاب والاخ والاخت والخادم سواء في نظام الوقاية وقد يكون اهمال الواحد منهم واسطة لنقل العدوى الى البيت كله ومعظم النقص في الاطفال سببه واحد من ثلاثة : الاهمال . او الجهل . او العطف . فتذهب هذه الاجسام الصغيرة وهي اغصان يانعة ضحية الجهل والاهمال على مذبح العطف اوالحنو ولو سألت الام سؤالاً عن مقدار محبتها لابنها لقالت انها تفديه بحياتها وهي اثمن ما عندها . ومن العجيب بام شفوقة محبة الى هذا الحد يصعب عليها الاخذ بما نردده على مسامعها اللطيفة في الاحايين المتتابعة من الشروط الصحية التي تقي حياتها من الافتداء . وتحفظ لها ولدها فتقرّ عينها به . وأي صعوبة لقاء قيامها بعبء هذه الواجبات تعادل الحزن الذي يتملك فؤادها عندما تشاهد ولدها مريضاً . واهم هذه الشروط ياسيدتي ان تعتني بصحتك من نظافة وطعام قبل ان تعتني بصحة طفلك واذا كان لا بد لك من زيارة بعض معارفك فيجب عليك بحال عودتك من الزيارة ان تغسلي وجهك ويديك جيداً وتنزعي الثوب الذي كان عليك . واذا كنت آخذة في شؤون البيت فاغسلي يديك ووجهك قبل المجيء الى طفلك

ولا بد من تلقيح الطفل في اول ايامه ولا ضرر من اعادة ذلك مرة في السنة ولا يقتصر على تلقيح الطفل بل كل عضو في البيت يجب تلقيحه

على انهُ اذا كان الاعتناء بصحة الطفل الجسدية واجبة فالاعتناء بصحته العقلية أوجب . واي فضل للام من نتاجها اولاداً لا تربية ادبية تردعهم ولا مبادىء سامية شريفة تغرس في عقولهم . بل اي مزية لها بذلك عن الشجرة التي تحمل اثماراً كثيرة لكن ثمرها رديء الطعم يفسد الهواء برائحته الكريهة . والدجاجة تعلمت العطف على صيصانها فتدفع عنها كل مهاجم . وتظن الوالدة ان المدرسة تكمل مافاتها اتمامه من هذه الجهة نحو ولدها فتضمن لها مستقبل ايامه بما يتعلمه فيها من العلوم والآداب فتهمله وشأنه يرتع ويمرح . وفاتها ان الزمن الذي يقضيه ولدها تحت عنايتها هو الوقت الذي تصلح تربته لزرع حبوب المبادئ والاخلاق الحميدة وان الذي يتعلمهُ فيها من العادات صالحة كانت ام رديئة لا تتغلب عليها علوم المدارس بل تتغلب عليه في اعماله كل ايام حياته . وكم من اعمال مستقبحة تصدر عن اولاد المدارس يمجها الذوق وينفر منها الادب . ومعظم امراض العالم من شر وفساد وحقد ونميمة يشتركون فيها . ولهم الضلع الاكبر في نشر الويتها . فلا الحكومات بقوة سلاحها وجندها ولا الطبيب بعقاقيره ولا القسيس بكتابه ولا الكاتب بقلمه يقدر ان يصلح هذه الامراض أو يقتل جرثومتها كما تقدرين انت ايتها الام فانك وحدك قادرة على تخليص الامة من هذه الادران المتفشية في اجسام ابنائها وانت المسئولة في اصلاحها . وبقدر سعي الام تكون سعادة الامة والسلام

مصر — الدكتور اندراوس شخاشيري

الحالة الاجتماعية

في الممالك الكبرى

من العلوم التي نمت نمواً ظاهراً في القرن الماضي علم الاحصاءات فقد اصبح عضداً لاكثر المباحث لا سيما الاجتماعية منها . فالاعداد قد تغني عن مقالات ضافية لانها تقرير الواقع والواقع افضل دليل — فهم يستدلون على حالة الامة الاجتماعية ودرجة ارتقائها او انحطاطها باحصاء المواليد والوفيات والمدارس والمتعلمين والمرضى عقلاً وجسداً وغير ذلك مما نجده مفصلاً في الجداول الآتية حسب آخر الاحصاءات الرسمية وهي :

١ — الحالة العلمية

اسماء الدول	التعاليم: الجهال الكلي ١٠٠٠٠ جندي	التعاليم: التلاميذ في المدارس في المئة	التعاليم: طلبة الجامعات الكبرى لكل ١٠٠٠٠٠ نفس	المطبوعات: الجرائد لكل مليون نفس	المطبوعات: الكتب المطبوعة لكل ١٠٠٠٠٠ نفس
بلجيكا	٨٣٣	١٢٫٢	٦٨	٢٧	٢٨
دانمارك	٢٠	١٣	٠٠	٨٤	١٣٥
فرنسا	٣٤٦	١٤٫٢	٨١	٢٥١	٢٨
المانيا	٤	١٧	٦٥	١١٥	٤٩
انكلترا	١٠٠	١٧	٥٦	٩٨	٢٢
ايتاليا	٣٠٧٢	٨٫٦	٧٧	٦٠	٢١
هولاندا	٢١٠	١٥	٧٢	١٣٢	٥٦
روسيا	٦١١٠	٤٫٥	١٦	٨	٦
سويسرا	٩	١٨٫٦	١٧٨	٢٧٥	١١٦
الولايات المتحدة	٣٨٠	١٩٫٧	٢٠	٢٦٠	١٠

٢ — الحالة الاجتماعية

اسماء الدول احصاء سنة ١٩٠٨	المواليد في الالف	المفقود في المئة	الوفيات في الالف	الوفيات عن السنة من العمر في المئة	الزواج في الالف	ذوو الحرف في المئة	المهاجرون من اوربا في ١٠٠٠٠ نفس	السكان في كل كيلو متر مربع
بلجيكا ١٩٠٧	٢٥	٤٫٣	١٥٫٧	١٣٫٢	٨٫٢	٤٦	٢٤	٢٢٧
دانمارك	٢٩	٢٫٤	١٤٫٧	١٠٫٨	٧٫٥	٤٥	١٧	٦٦
فرنسا ١٩٠٥	٢١	٤٫٥	٢٠٫٦	١٤٫٣	٨٫١	٥١	٠٠	٧٣
المانيا	٣٣	٣٫٦	١٩	١٧٫٨	٧٫٩	٤٥	٤	١١٢
انكلترا	٢٦	٠٠	١٤٫٧	١٢٫١	١٤٫٣	٤٤	٧٤	٢١٥
ايتاليا ١٩٠٥	٣٢	٤٫٥	٢١٫٩	١٥٫٦	٧٫٧	٥٠	١٨٣	١١٣
هولاندا	٣٠	٣٫٩	١٥	١٠٫٣	٧٫٣	٣٨	٥	١٥٤
روسيا ١٩٠٣	٤٧	٠٠	٢٩٫٤	٢٧٫٢	٨٫٧	٢٥	٠٠	٦
سويسرا	٢٧	٣٫٢	١٦٫٢	١٠٫٨	٧٫٨	٤٧	١٠	٨٠

٣ — امراض الهيئة الاجتماعية

اسماء الدول احصاءسنة ١٩٠٨	المجرمون من كل ١٠٠٠٠٠ نفس [illegible]	[illegible] القتل	[illegible]	[illegible]	[illegible] في ١٠٠ [illegible]	[illegible] في ١٠٠ [illegible]	[illegible] في ١٠٠ [illegible]	[illegible]	حوادث الطلاق والانفصال [illegible]
بلجيكا	٧١٥	'٧١	١١٤	٢٦٢٨	٢٣٤	٩٠٠	١١	١'٦	١٧
داغارك	٢٥٨	'٣٠	٧٦	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٢٠	٠٠	٢٥
فرنسا ١٩٠٥	٥٠١	'٦٩	١٥٦	١٣٩٢	١٧٨	١٥٣	٢٢	٣'٢	٢٥
المانيا	١٢٤٠	'١٣	١٥٢	١٩٩	٢٢	٠٠٠	٢٢	٢'٩	٢١
انكلترا	٢٩٨	'١٩	٢١٧	١٦٩٩	٣٥٦	٢٢١	٧'٤	٠٠	٢٢
ايتاليا ١٩٠٥	١٣٥٠	٧'٨١	٤١٣	٢٥٦٢	٠٠٠	٣٠٧٠	٦'٩٠	١'١	٦
هولاندا	٢٧٠١	'١٢	٠٠٠	٠٠٠	١٨٧	٢٣٦٠	٨'٤	٤'٦	٣٢
روسيا ١٩٠٣	٩٢	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٤٢	٠٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
سويسرا	٢١١	٠٠٠	٠٠٠	٥٢٥	٢٣١	٠٠٠	١٩	١'٢	٤٣
الولايات المتحدة	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٢٥٦	١٠١	١٨	٠٠	٨٦

فيظهر من هذه الجداول ان البلاد التي يكثر فيها عدد غير المتعلمين كايطاليا و بلجيكا تكثر فيها حوادث القتل والوفيات على الاجال . ولكن الانتحار والطلاق فيها قليلان . وبالعكس فحوادث الانتحار والطلاق تكثر في اكثر البلاد متعلمين كالمانيا وسويسرا

دروس من الباخرة تيتانيك

منذ بضعة اشهر غرقت الباخرة العظيمة بل المدينة السابحة تيتانيك معجزة الصناعة الحديثة فضج العالم لهذا الخبر وتألم الناس وعلموا انهم لا يزالون بعيدين عن تذليل الطبيعة وان صناعتهم مع ما بلغت اليه من الاتقان لا تزال بعيدة عن الكمال فشرعوا في اصلاح ما تبين لهم فساده — والاختبار خير معلم

واول ما تنبهت له الاذهان اصلاح القوانين المختصة بالسفن ففي وسع الحكومات ان تمنع السفن من حمل من لا يمكنها تخليصهم وقت الخطر . فان الشرائع القديمة في

قواعد تقويمية

لما كان امر استخراج تقويمات الشهور الشمسية والقمرية من الامور المهمة في المجتمع الانساني وكان هذا الفكر يتردد في مخيلتي كثيراً رأيت ان اضع القواعد الآتية على النمط الآتي تعميماً للفائدة وتفكهة للقراء

قواعد اوائل الاشهر

القاعدة الاولى لمعرفة وقوع اول كل شهر شمسي في اي يوم من الاسبوع في الحسابين الغربي والشرقي هي ان تطرح قاعدة الشهر الآتي بيانها من قاعدة السنة فما بقي فهو الجواب معبراً عن الواحد بيوم الاحد وعن الاثنين بيوم الاثنين وهكذا الى السبعة بيوم السبت . فان اتفق وقوع قاعدة السنة (المطروح منه) اقل من قاعدة الشهر (المطروح) فلكي يتم الطرح لك ان تزيد على قاعدة السنة سبعة وتطرح من المجموع كما علمت وهاك جدول قواعد الشهور الغربية :

	عدد
كانون ثاني (يناير) وتشرين اول (اكتوبر)	١
نيسان (افريل) وتموز (يوليو)	٢
ايلول (سبتمبر) وكانون اول (دسمبر)	٣
حزيران (يونيو)	٤
شباط (فبراير) واذار (مارس) وتشرين ثاني (نوفمبر)	٥
آب (اوغسطس)	٦
ايار (مايو)	٧

ولاستخراج جدول قواعد الشهور الشرقية لك ان تزيد على كل من قواعد الشهور الغربية واحداً فان زاد عن السبعة تطرحها منه وتعتبر الباقي . ثم تفعل بحسب القاعدة السابقة وهاك جدول قواعد الشهور الشرقية

	عدد
ايار (مايو)	١
كانون ثاني (يناير) وتشرين اول (اكتوبر)	٢
نيسان (افريل) وتموز (يوليو)	٣
ايلول (سبتمبر) وكانون اول (دسمبر)	٤

	عـدد
حزيران (يونيو)	٥
شباط (فبراير) واذار (مارس) وتشرين اول (نوفبر)	٦
آب (اوغسطس)	٧

(تنبيه) ان الواحد الذي يزاد على قواعد الشهور الغربية لاستخراج قواعد الشهور الشرقية كان اثنين في القرن الماضي الذي يبتدئ من سنة ١٨٠٠ . ينتج من ذلك ان قاعدة كل شهر غربي كانت في القرن الماضي اقل بواحد من القرن الحالي . فلو فرضنا ان قاعدة كانون ثاني الغربي مثلاً هي في القرن الحالي واحد تكون قاعدته في القرن الماضي سبعة . وعليه يجب ان يزاد واحد لقاعدة كل شهر غربي في كل كبيس قرني وهذا هو سبب الفرق بين الحسابين الغربي والشرقي . ومتى انتهيت في الزيادة الى السبعة ترجع من الواحد وهكذا

قاعدة السنة الشمسية

ولاستخراج قاعدة السنة الشمسية لك ان تضرب ارقام تلك السنة في ١/٤ ٣٦٥ (اي عدد ايام السنة تقريباً) وتقسم الحاصل على ٧ (عدد ايام الاسبوع) فما بقي بعد القسمة هو الجواب . فان وجد مع الباقي كسر يعتبر واحداً صحيحاً ويضاف اليه . كذلك ان كانت تلك السنة كبيساً سنوياً (اي ما كان شباطها ٢٩ يوماً) يزاد ذلك اليوم ايضاً على قاعدة السنة ويزاد ايضاً على كل من قاعدتي شهري كانون ثاني وشباط فقط . مثاله ما هي قواعد سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١ وسنة ١٩١٢ وسنة ١٩١٣ فلنا ١٩١٠ × ١/٤ ٣٦٥ ١/٢ ٦٩٧٦٢٧ ÷ ٧ = (١/٢)/٧ ٩٩٦٦١ اي ان الحاصل كله صحيح وبقي ١/٢ مقسومة على ٧ فاعتبر هذا الكسر بمقتضى القاعدة واحداً صحيحاً وهو الجواب . ولنا ١٩١١ × ١/٤ ٣٦٥ ٣/٤ ٦٩٧٩٩٢ ÷ ٧ = ٣/٤ ١ ٦٩٧١٣ = ٢ الجواب (لان الباقي ٣/٤ ١ وباعتبار الكسر واحداً صحيحاً واضافته الى الواحد = ٢) . ولنا ١٩١٢ × ١/٤ ٣٦٥ = ٦٩٨٣٥٨ ÷ ٧ = ٣/٧ ٩٩٧٦٥ = ٤ الجواب (لان الباقي وهو ٣ يزاد عليه واحد صحيح بما ان هذه السنة كبيسة) . ولنا ١٩١٣ × ١/٤ ٣٦٥ = ١/٤ ٦٩٨٧٢٣ ÷ ٧ = (١/٤ ٤)/٧ ٩٩٨١٧ = ٥ الجواب (لان الباقي ١/٤ ٤ وباضافة الكسر الى الصحيح = ٥)

فلو قيل في اي يوم من ايام الاسبوع يقع اول كانون ثاني الغربي سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١ وسنة ١٩١٣ فلنا قاعدة الشهر المذكور ١ وقواعد السنين الثلاث المذكورة ١ و٢ و٥ وبما ان الواحد قاعدة السنة المطروح منه مساوٍ للواحد قاعدة الشهر

المطروح فيضاف بمقتضى القاعدة ٧ الى الاول = ٨ و ٢ و ٥ ويطرح واحد من كل منها = ٧ السبت و١ الاحد و٤ الاربعاء . ويطرح ٢ للشهر المذكور الشرقي من كل منها ايضاً = ٦ الجمعة و٧ السبت و٣ الثلاثاء

ولو قيل في اي يوم من الاسبوع يقع اول كانون ثاني وشباط واذار وكانون اول الغربية سنة ١٩١٢ فلنا قواعد الشهور الاربعة المذكورة ١و٥ و٥ و٣ وباضافة واحد الى كلٍّ من الشهرين الاولين (لان هذه السنة كبيس سنوي) = ٢ و ٦ و ٥ و ٣ ويطرح كل منها من قاعدة السنة ٤ كما علمت = ٢ الاثنين و٥ الخميس و ٦ الجمعة و١ الاحد . وللشرقي لنا قواعد الشهور الاربعة المذكورة ٢ و ٦ و ٦ و ٤ وباضافة واحد الى كل من الشهرين الاولين = ٣ و٧ و ٦ و ٤ ويطرح كل منها من قاعدة السنة ٤ يكون الجواب ١ الاحد و٤ الاربعاء و٥ الخميس و٧ السبت

القاعدة الثانية لمعرفة اليوم من الشهر القمري الموافق لليوم من الشهر الشمسي في الحسابين الغربي والشرقي . هي ان تأخذ اولاً قاعدة القمر وتضيف اليها مجموع عدد الشهور مبتدئاً من اول السنة (اي من كانون ثاني) الى الشهر الذي انت فيه . ثم اضف الى المجموع ايام ذلك الشهر مبتدئاً من اوله الى اليوم الذي انت فيه . ثم اطرح المجموع ١٥ فما بقي فهو الجواب . وللشرقي لك بعد ان تفعل كما تقدم ان تطرح من المجموع ٢ عوضاً عن الـ ١٥ فما بقي فهو الجواب فان زاد عن ٣٠ فاطرحها منه واعتبر الباقي جواباً

قاعدة القمر

ولاستخراج قاعدة القمر لك ان تضرب ارقام تلك السنة الشمسية في ١/١٩ ١١ وتقسم الحاصل على ٣٠ فما بقي بعد القسمة اجمع له ١١ (بعد حذف الكسر ان وجد) فما كان فهو الجواب . فان زاد عن ٣٠ فاطرحها منه واعتبر الباقي . مثاله ما هي قاعدة القمر سنة ١٩١٢ الشمسية قلنا ١٩١٢ × ١/١٩ ١١ = ١٢/١٩ ٢١١٣٢ ÷ ٣٠ = ١٢/١٩ ١٢ ٧٠٤ (بعد حذف الكسر ١٢/١٩) ١٢ وباضافة ١١ اليها = ٢٣ الجواب .

فلو قيل اي يوم من الشهر القمري يقع في ٢٤ اذار غربي سنة ١٩١٢ فلنا ٢٣ (قاعدة القمر) + ٣ (اي من كانون ثاني لغاية اذار) + ٢٤ (اي مجموع ايام اذار من اوله الى اليوم الذي انت فيه) = ٥٠ — ١٥ - ٣٠ (الزيادة) = ٥ وهو الجواب . وللشرقي نرى ان ٢٤ اذار غربي توافق ١١ منه فلنا ٢٣ + ٣ + ١١ — ٣٧ — ٢ — ٣٠ (الزيادة) = ٥ وهو الجواب فعليك بالامتحان

عمّا الياس قسطه زريق

اناس باذناب

﴿ مامو في غانة الفرنساوية ﴾ نجيب افندي صباغ
في هذه البلاد الافريقية قوم يولد الذكور منهم ولهم اذناب مثل اذناب الكلاب اما الاناث فيولدن بلا اذناب فهل سمعتم بشي من ذلك

﴿ الهلال ﴾ لم يذكر العلماء المحققون قوماً على هذه الصورة وانما جاء ذكر ذلك في كتب الخرافات ولعلكم سمعتموه من مبالغ في الحديث . فاذا تيسر لكم مشاهدة ذلك ارسلوا الينا رسوم بعض اولئك المواليد بالفونوغراف لننشرها خدمة للعلم

اختراع البارود

حضرة منشىء الهلال

قدّر لي الله شرف المثول في حضرة صاحب السمو حاج علي قلي خان سردار اسعد البختياري فقال لي سموه . جاء في تاريخ التمدن الاسلامي ان اختراع البارود كان سنة ٧١٩ هجرية وان العرب اسبق الى اختراعه من الافرنج . وازيد على ذلك ان الشاعر الايراني اسدي الطوسي المتوفى سنة ٤٦٥ ه (وهو الاستاذ ابو نصر بن احمد الطوسي ينتهي نسبهُ الى ملوك العجم وأول من الف كتاب قاموس للغتنا الفارسية وكل الرسائل الفارسية اخذت من كتابه واشتهر في عهد آل بويه والغزنوية ويقولون بان ابا القاسم الفردوسي صاحب الشاهنامه كان من تلاميذه) فاسدي الطوسي هذا ذكر في كتابه المعروف به « كرشاسب نامه » ما يدل على ان في زمان « نريمان » جدّ « رستم » الفارس الشهير الايراني كانوا يستخدمون المدافع المعمولة من النحاس في محارباتهم وان القنابل في ذلك الزمان كانت حجارةً يزيد وزنها على مائة رطل . ولاطلاق المدافع كانوا يستخدمون البارود كما هو معمول في زماننا هذا

ومن ثمَّ امرني سموّه بان اترجم من الفارسية الى العربية الابيات المختصة بهذا الصدد من اشعار اسدي الطوسي وارسلها اليكم تأييداً لما ذكرتموه في تاريخ التمدن الاسلامي بان البارود كانت العرب والعجم تستخدمه في محارباتهم . ولا يصح نسبة هذا الاختراع الى شوارتز في سنة ٧١٩ هجرية لان العرب استخدمته قبل ذلك

بنصف قرن في سجلماسة والفرس استخدمته قبل هذا التاريخ في محاربة نريمان مع اللصوص الذين تحصنوا في قلعة « اسبند ». وباستخدام المدفع والبارود غلبت اللصوص على نريمان بعد ان حاصر القلعة ثلاث سنين متواليات . وحسب امر سموه اقدم هذه الرسالة مع الابيات المترجمة لنشرها خدمة للتاريخ :

نريمان درآن بارگاه شهي	همی بود تا شد زمردم تهي
نريمان في تلك الخيمة الملوكية	بقي حتى اصبحت خالية من الناس
شب آخرش بود شب زنده داشت	همی پیش یزدان سرافکنده داشت
فكانت اخر لياليه فاحيا الليل جميعاً	وكان راسه منحنياً امام الرب
مرآن خيمه بد پيش برج حصار	درآن برج بودي شه قلعه دار
والخيمة كانت منصوبة بازاء برج الحصار	وفي ذلك البرج كان سلطان القلعة
یکی دیك منجر درآن برج بود	كه تيرش بد از سنك صد من فزود
وكان قِدرٌ في ذاك البرج	وقنبلته اكثر وزناً من قنطار
بدارو مرآن رعد انباشتند	همه روز تا شب نكهد اشتند
ملأوا تلك القِدر من البارود	وابقوه حتى الليل
از آن برج آن سنك آمدرها	بدان اتش ودود چون اژدها
فمن ذاك البرج افلت ذاك الحجر	بين النار والدخان كحية تخرج من فمها النار
نريمان درآن بارگه در نماز	بدرگاه يزد اتش بودے نياز
نريمان في الخيمة كان مشغولاً بالصلاة	وكان يناجي الى باب الله
ازآن پس كزان كين كذشته سه سال	همه دشمن ودوست را زان ملال
حاصروا القلعة ثلاث سنين	وملّ الاعداء والاحباء من ذلك
زيا لا جو آن رعد انداختند	جهان از نريمان ببر داختند
فلما القوا تلك الصاعقة من الاعالي	جعلوا الدنيا خالية من وجود نريمان

فاذا اعتبرنا حكاية نريمان والمدفع والبارود حقيقية ينتج ان الفرس استخدموا المدفع والبارود قبل المسيح بقرون واذا اعتبرنا هذه الحكاية خرافية او وهمية فلا يستطيع احد ان ينكر ان الفرس كانوا يستخدمون البارود والمدفع في عصر اسدي الطوسي اوقبله . لاننا نرى هذا الشاعر ذكر في اشعاره وجود المدافع وشرح طريقة

استعمالها وكيف كانوا يطلقونها بواسطة البارود كما يفعلون في زماننا هذا . فالفرس كانوا يستخدمون البارود قبل التاريخ الذي يذكره الافرنج بثلاثة قرون او قرنين ونصف على الاقل . والا فمن اين عرف اسدي الطوسي وجود البارود والمدفع وطريقة استعمالها كما شرحهما في كتابه ولا يعلل ذلك الا بوجودهما في ايران قبل زمن اسدي الطوسي اي قبل ٤٦٥ هـ والله اعلم

حبيب الله بهاء السلطان

اخبار اجتماعية

﴿الفقر في انكلترا﴾ في اول يناير سنة ١٩١١ كان مجموع الفقراء الذين تعولهم الحكومة الانكليزية ٨٩٢٠٠٠ اي ٢٥ في الالف من السكان منهم ٤٩٩٠٠٠ يساعدون في بيوتهم و ٣٩٣٠٠٠ مقيمون في منازل الحكومة ومستشفياتها . اما في المانيا فلا يوجد احصاء اجمالي الا احصاء سنة ١٨٨٥ فكان عدد المعولين ١٥٩٢٠٠٠ اي ٣٤ في الالف . منهم ٢٩٩٠٠٠ في منازلهم . وفي بفاريا كان عدد المعولين سنة ١٩٠٩ ٢٣٥٠٠٠ اي ٣٦ في الالف — وقد تضاعف عدد الفقراء في مدينة برلين منذ ١٨٨٦ الى ١٩٠٩ اي كان ٢٦٠٠٠ فصار ٥٢٠٠٠

﴿المواليد في بروسيا وفرنسا﴾ ان عدد المواليد يقل في بروسيا وفي فرنسا ولكنه في الاخيرة اقل بكثير منه في الاولى . وهاك عدد المواليد بالالف في كل منهما :

سنة	في فرنسا	في بروسيا
١٩٠١	١٥.٧	٣٧
١٩٠٨	١٤.٨	٣٣.٧
١٩٠٩	١٤.٨	٣٢.٧
١٩١٠	١٤.٦	٣١.٥
١١٩١	١٢.١	٣٠.٢

﴿الحرائق في باريس﴾ حصل في باريس حسب الاحصاءات الرسمية ٢٤٤٤ حريقة سنة ١٩١١ منها ٤٩٦ قدرت الخسائر فيها باكثر من الف فرنك وبلغ

الهلال

الجزء الثاني من السنة الحادية والعشرين

اول نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩١٢ و٢١ ذي القعدة سنة ١٣٣٠

ممالك البلقان

والدولة العثمانية

البلقان بلاد جبلية كانت تسمى قديماً «هيموس» واقعة في جنوبي اوربا وشرقيها بين البحر الاسود والبحر الادرياتيكي . وهي كثيرة الجبال الوعرة متوسط علو جبالها نحو ٤٠٠٠ قدم ولكن بعضها يبلغ ارتفاعه ٨٠٠٠ قدم . وهي تتشعب في الشرق الى سلاسل عديدة تذهب شمالاً وجنوباً منها جبل سكاردوس اعلى قممه « تشارداغ » في البانيا ارتفاعه ٩٦٠٠ قدم . اكثر انهار البلقان تصب في البحر الاسود وبعضها في يصب في البحر المتوسط

ويقطع سلسلة جبال البلقان مضائق عديدة يعسر عبورها فالمسافر من النمسا الى الاستانة مثلاً لابد له من المرور في بعضها . والمواصلات جارية الآن بين فينا والاستانة بواسطة المضيق المعروف بباب تراجان . ومن تلك المضائق الهامة ايضاً « نادردربنت » و « كارناباد » و « بسرجك صوفيا » وحجارة تلك الجبال اكثرها من النوع الغرانيتي . ويظنون فيها كثيراً من المناجم المعدنية لكنهم لم يتحققوا ذلك بالتنقيب الكافي بعد . وقد اشتغل في ذلك كثيرون ولا يزالون

ويطلق الكتاب اسم « شبه جزيرة البلقان » على تلك الجبال وما يليها جنوباً

الى البحر المتوسط فيدخل فيها بلاد اليونان . وتشتمل على املاك الدولة العثمانية في اوربا ما استقل منها وما بقي . وهي موضوع بحثنا في هذه المقالة عمدنا الى وصف احوالها على ارتقيام معظم الممالك البلقانية التي استقلت وتعاونها لأكراه الدولة العثمانية على اجراء الاصلاح في مكدونية

فشبه جزيرة البلقان الان تشتمل على ممالك مستقلة وعلى ولايات لا تزال تابعة للدولة العثمانية . اما الممالك المستقلة فهي خمس منها اربع قائمة على الدولة وهي : (١) مملكة اليونان (٢) بلغاريا (٣) السرب (٤) الجبل الاسود . والخامسة لا تزال على الحياد اعني رومانيا وسنتكلم عن كل منها على حدة

اما الولايات العثمانية الباقية في حوزة الدولة العثمانيـة فتعرف على الاجمال باسم مكدونية والبانيا . ولكنها في المعاملات الرسمية تقسم الى ثماني ولايات هذه اسماؤها مع مساحتها وعدد سكانها :

اسم الولاية	مساحتها	عدد سكانها
الاستانة	١ ٥٠٥	١ ٢٠٣ ٠٠٠
شتلجة (متصرفية)	٧٣٣	٦٠ ٠٠٠
ادرنه	٢٤ ٨٢٢	١ ٠٢٨ ٢٠٠
سالونيك	١٣ ٥١٠	١ ١٣٠ ٨٠٠
مناستير	١١ ٠٠٠	٨٤٨ ٩٠٠
قوصوه	١٢ ٧٠٠	١ ١٣٨ ١٠٠
شقودرة	٤ ١٧٠	٢٩٤ ١٠٠
يانيا	٦ ٩١٠	٥٢٧ ١٠٠
(الجملة)	٦٥ ٣٥٠	٦ ٢٣٠ ٢٠٠

ومن هذا العدد ٣ ٥٠٠ ٠٠٠ نفس من المسيحيين و ٢ ٥٠٠ ٠٠٠ من المسلمين والباقي من سائر الطوائف

ولاجل المقابلة بين سكان هذه الولايات العثمانية وسائر ممالك البلقان الناهضة على الدولة نأتي على احصائها على الاجمال :

اسم المملكة	مساحتها بالميل المربع	عدد سكانها
اليونان	٢٥ ٠١٤	٢ ٦٣١ ٩٥٢
بلغاريا والروملي الشرقي	٣٧ ٠٨٠	٤ ٠٣٥ ٦٢٣

السرب	١٨٦٥٠	٢٦٨٨٠٢٥
الجبل الاسود	٣٦٣٠	٢٥٠٠٠٠
(الجملة)	٨٤٣٧٤	٩٦٠٥٦٠٠

فترى من مقابلة الاحصائين ان مساحة املاك الدولة العلية نحو خمسي مساحة تلك البلاد وعدد العثمانيين فيها نحو ثلثي مجموع سكان تلك الممالك . واكثرهم من المسيحيين . اما رومانيا فان مساحتها ٥٠٧٢٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ٧٠٠٠٠٠٠ نفس

تاريخ البلقان على الاجمال

ولشبه جزيرة البلقان على الاجمال تاريخ قديم فانها عاصرت الدول التي تمدنت قديماً وكانت في اثناء التمدن اليوناني مقسومة الى عدة ممالك اهمها مملكة اليونان ومكدونية وابيريا وايليريا وتراقية . وتوالت عليها احوال شتى وانتشبت بينها حروب عديدة . حتى ظهر الاسكندر فدخل معظمها في سيطرته . ثم صارت الى الدولة الرومانية وقسمت الى ولايات اهمها : اخائية وابيريا ومكدونية ودلماتيا وتراقية وميسيا ودلماتيا . وما زالت في نحو ذلك الى ما بعد انقسام المملكة الرومانية الى شرقية وغربية . فكانت في جملة المملكة الشرقية او البيزنتية . ثم توالت عليها احوال مختلفة وظهر الاسلام فلم يستطع المسلمون فتحها في اثناء الدول الاولى — الراشدين والامويين والعباسيين والفاطميين ولا في عهد السلاجقة وغيرهم من الاتراك والاكراد . فلما نشأت الدولة العثمانية حملت عليها فاكتسحتها وفتحتها قطعة قطعة فصارت في عهد السلطان سليمان القانوني ولاية عثمانية تمتد من حدود المجر شمالاً الى بحر الروم جنوباً وظل الجبل الاسود وحده مستقلاً ثم دخل في حوزتها وقد توالت عليه احوال مختلفة

ولما ضعفت احوال العثمانيين نهض اهل شبه جزيرة البلقان يطلبون الاستقلال وهم اول من تجرأ على ذلك من ولايات الدولة لقربهم من الدول النصرانية باوربا فاستقلوا شيئاً فشيئاً فنشأت من ذلك ممالك البلقان المستقلة التي نحن في صددها واليك تاريخ كل واحدة منها مع وصف احوالها الحربية بما يقتضيه المقام من الايجاز

١ — اليونان

لليونان تاريخ قديم يتصل بالعصور الخرافية ولهم مفاخر ليست لسواهم في البلقان . فهم اصحاب الفلسفة والشعر والمنطق . كانوا في اقدم ازمانهم دولاً او قبائل او مدناً يتنازعون ويتغالبون . وقد استعمروا معظم شواطىء البحر المتوسط حتى نازعهم الرومان

على ذلك . ثم غلبوهم على ما في ايديهم فدخلت بلاد اليونان في حوزة الروم ثم صارت في جملة المملكة الرومانية الشرقية . ولما حمل العثمانيون على اوربا وفتحوا شبه جزيرة البلقان كانت بلاد اليونان في جملة ما دخل منها في سلطانهم باواسط القرن السادس عشر للميلاد

خضع اليونان للعثمانيين مرغمين وفي نفوسهم غلٌّ وجعلوا يتحينون الفرص للاستقلال فلما آذنت نواميس الاجتماع بتقهقر الدولة العثمانية كان اليونان اول من حاول خلع نير الطاعة من امم البلقان فنالوا استقلالهم الحقيقي سنة ١٨٢٩ بعد جهاد طويل وحروب استغرقت سبع سنين اشتركت فيها مصر بعمارة ارسلها محمد علي باشا تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا الى المورة سنة ١٨٢١ ولكن الدول تضافرت على نصرة اليونان بمعاهدة لندن سنة ١٨٢٧ فانتهت تلك الحروب بمعاهدة ادرنه سنة ١٨٢٩ واعترفت تركيا باستقلال اليونان فاصبحت هذه الدولة مستقلة من ذلك الحين

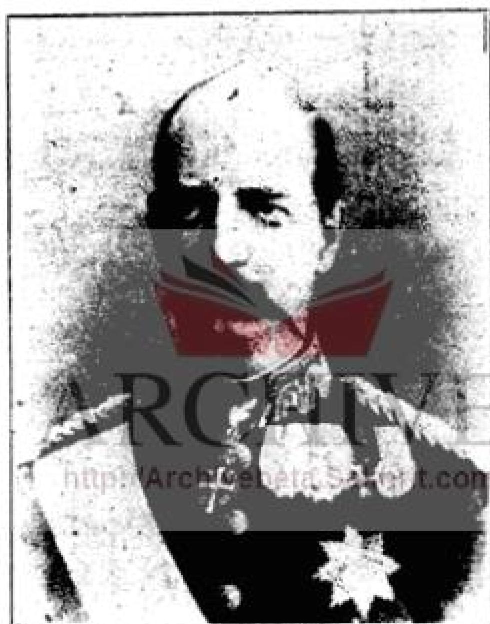
فتنبهت فيها مطامع اجدادها وتذكرت مجد اسلافها فتوجهت آمالها الى استرجاع ذلك الملك لانها تعدُّ نفسها بقية الدولة البيزنتية التي غصبها العثمانيون على سلطانها وملكوا عاصمتها الكبرى (الاستانة) . فاليونان ما برحوا منذ استقلوا وهم يترقبون الفرص التماساً لهذه الغاية فحاربوا الدولة سنة ١٨٩٧ ولم يفلحوا وهم اليوم يمالئون البلغار والصرب والجبليين لهذه الغاية

قوة اليونان الحربية

التجنيد في بلاد اليونان اجباري وعمومي تحق الجندية على كل يوناني دخل في السنة الحادية والعشرين من عمره ويبقى في خدمة الجندية ٣٦ سنة تقسم الى درجات : فالسنتان الاوليان للتمرين تحت السلاح . تليها ١١ سنة في الرديف الاول و٩ سنين في الرديف الثاني . ثم ينتقل الى الحرس المحلي (المستحفظ) سبع سنين تليها سبع أخرى وقد تحوَّر هذه الشروط حسب الاحوال من تأجيل او اعفاء او غير ذلك

ويتألف الجند اليوناني من ثلاثة طوابير او ألوية يقسم كل منها الى فرق وبلوكات وبطاريات جملتها كلها ٣٠٠٠٠ مقاتل في حال السلم و٥٠٠٠٠ في حال الحرب منها فرقة المدفعية مؤلفة من ثماني بطاريات وفرقة الفرسان من ست بلوكات ثم فرقة المهندسين . وعندهم ايضاً ثماني بطاريات جبلية — ذلك هو تقدير القوات اليونانية الى آخر السنة الماضية . وسلاحها من الطرز الجديد فالبنادق من طرز مانليشر والمدافع من طرز شنيدر وكانت ميزانية الحربية للسنة الماضية نحو ١٠٠٠٠٠ جنيه

اما البحرية فؤلفة من ثلاث مدرعات محمول كل منها ٥٠٠٠ طن وهي هيدرا وسبانسي وبسارا . عليها ثلاثة مدافع قطر قنابلها عشرة قراريط ونصف . وخمسة قطرها ستة قراريط . وبعض المدافع الصغرى . لكنها اوصت على بعض المدمرات من الطرز الحديث منذ بضع سنوات وعندها ١٩ سفينة طوربيدية ليست ذات بال . وقد بنت نسافة اسمها افيروف بايطاليا سنة ١٩١٠ وزنها ١٠٠٠٠ طن واستعانت في العام الماضي في اصلاح بحريتها باستخدام مستشار انكليزي . وابتاعت بالامس بعض الطرادات استعداداً لهذه الحرب



جورج الاول ملك اليونان

وملك اليونان اليوم جورج الاول بن كريستيان ملك الدنمارك السابق ولد سنة ١٨٤٥ وتولى الملك سنة ١٨٦٣ فهو الآن في السابعة والستين من عمره يتولى الحكومة بواسطة النواب وهم مجلس واحد مؤلف من ٢٣٥ عضواً تنتخبهم الامة لاربع سنوات وعمر النائب يجب ان يكون ٣٠ سنة فاكثر

عدد سكان اليونان ٢٦٣١٩٥٢ نفس اكثرهم من الروم الارثوذكس . والمذهب الارثوذكسي مذهب الحكومة الرسمي . وهم تابعون رسمياً من حيث الدين الى البطريرك القسطنطيني لكنها تابعية اسمية . واما فعلاً فان المسائل الدينية تجري في بلاد اليونان على ايدي مجلس يسمى سينودوس مؤلف من متروبوليت اثينا وسائر الاساقفة . وعاصمة اليونان اثينا

٢ — بلغاريا والبلغاريون

البلغاريون امة قديمة وقد يتبادر الى الاذهان انهم يونانيو الجنس لمجاورتهم اليونان اوانهم سلاف لقربهم من الروس . لكنهم بالحقيقة لا من هؤلاء ولا من هؤلاء وانما هم صنف من « الفين » واصلهم من المغول مثل سكان المجر (هونجاريا) واهل لابلاندا وفنلاندا . وكانوا قبل نزوحهم الى الروملي يقطنون جهات قازان على ضفاف نهر فولكا في روسيا اوربا . ونهر فولكا المذكور يصب في بحر قزوين على شواطىء استراخان . واقام البلغاريون هناك قروناً متوالية ثم نزحوا جنوباً غربيًا حتى نزلوا بلاد البلقان في القرن السابع للميلاد حوالي ظهور الاسلام . واقاموا هناك وتكاثروا واشتدوا ولم يكد يدخل القرن العاشر حتى اصبحوا دولة شديدة البطش خافتها دولة الروم البيزنتية وسائر جيرانها . وملك البلغار يومئذ سيمون وهو من اعظم ملوكهم . وهم يذكرون فضله خصوصاً في تأييد النصرانية وتعزيز شأنها . وكانت قد دخلت بلغاريا سنة ٨٦٢ م فايدها ونشط العلم واهله وتوفي سنة ٩٢٧ م وبموته اخذت دولة البلغار في التقهقر . فافتتحها الروسيون واستولوا عليها ثم عادت فاستقلت في القرن الحادي عشر . ثم دخلت في حوزة الروم وصارت جزءا من المملكة الرومانية الشرقية . ثم عادت فاستقلت ثالثة في اواخر القرن الثاني عشر واتسعت سلطتها . حتى اذا كانت سنة ١٣٨٢ فتحها العثمانيون وما زالت في حوزتهم الى سنة ١٨٧٨ فصارت امارة ممتازة بمقتضى معاهدة برلين . ثم حاربوا السرب سنة ١٨٨٥ وغلبوهم . ثم اغتنموا فرصة اخرى واعلنوا استقلالهم التام . وسموا اميرهم ملكاً سنة ١٩٠٨ نعني الملك فرديناند .

وفرديناند المذكور اصغر ابناء البرنس اوغسطس اوف سكس كوبرج وغوطا . وامه من اسرة البوربون ولد سنة ١٨٦١ وانتخب اميراً لبلغاريا سنة ١٨٨٧ باجماع الامة . وكان قد خدم في الجند النمساوي مدة وله املاك واسعة في المجر . وهو كثير الشبه بوالدته من حيث ظواهره فانه بوربوني القامة والطلعة

وبلغاريا الآن يدخل فيها الروملي الشرقي واقعة بين البحر الاسود والسرب ومكدونيا ورومانيا . مساحتها مع الروملي الشرقي ٣٧٠٨٠ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٤٠٣٥٦٢٣ نفساً . عاصمتها صوفيا عدد سكانها ١٠٢٧٦٩ نفساً . جنديتها منظمة على آخر طرز والتجنيد فيها عام واجباري الا المسلمين فانهم يعفون من الجندية بدفعة

البدل . يبدأ التجنيد من سن العشرين . المدة الاولى سنتان في المشاة وثلاث سنوات في الفرق الاخرى و ١٨ سنة رديف في المشاة و١٦ في سواهم . ويجوز طلب الرديف للتمرين على السلاح ثلاثة اسابيع في العام . ثم يصير الجندي البلغاري الى طبقة المستحفظين يبقى فيها اربع او خمس سنوات وجملة الخدمة العسكرية ٢٦ سنة



فرديناند الاول ملك البلغار

ويتألف جند المشاة البلغاري من ٣٦ طابوراً وثلاثة طوابير مدفعية كل منها مؤلف من ست بطاريات . وعندهم طابور من الفرسان

ومجموع القوات العسكرية في ايام السلم نحو ٦٠٠٠٠ مقاتل اما في حال الحرب فتبلغ الى ٢٣٥٠٠٠ ويقال ان الجند البلغاري مدرب على الحركات العسكرية احسن تدريب وبنادقه من طرز مانليشر ومدافعه من طرز شنيدر المتقدم ذكرهما

وعندهم بطاريات جبلية عددها الآن ١٢ بطارية عليها مدافع كروب وقد بلغت ميزانيتها الحربية للعام الماضي ١٥٩١٠٠٠ جنيه

٣ - السرب

والسرب مساحتها نحو ١٨٦٥٠ ميلاً مربعاً . يحدها النمسا من الشمال والفلاخ والبلغار من الشرق والبانيا من الجنوب والبوسنه من الغرب . عدد سكانها ٢٠٢٥ ٦٨٨ ٢ نفساً وهم سلافيو الاصل تنصروا سنة ٦٤٠ م . وكانت بلاد السرب في اوائل ادوارها جزءاً من المملكة اليونانية يحكمها امراء من اهلها . وفي سنة ١٠٤٠ م استقلت بقيادة امير منهم اسمه استيفان بويسطام وتولى حكمها ابنه ميخائيل وهو اول ملوكها . وما زالت مستقلة حتى فتحها السلطان مراد الثاني سنة ١٣٨٩ م فقضت في حوزة العثمانيين اربعة قرون وبضعة عشر عاماً حاولت في اثنائها التملص من تلك السلطة فلم تفلح حتى ظهر فيها باواخر القرن الثامن عشر رجل من زعماء اللصوص يسمى جورج الاسود (قاراجورجفيتش) وكان ذا بطش شديد دعا السربيين الى الثورة فنهضوا تحت لوائه وفازوا بالاستقلال سنة ١٨٠٥ وسموه حامي ذمار السرب والآخذ بثارها . ولكن سلطانه لم يدم لان العثمانيين حاربوه واعادوا البلاد الى حوزتهم سنة ١٨١٤ بعد مذبحة هائلة وفر جورج الى روسيا . ثم عاد السربيون الى الثورة سنة ١٨١٥ بقيادة رجل من رعاة الخنازير اسمه ميلوش اوبرنوفيتش ارتقى بعزمه واقتداره حتى رأس حزب الاستقلال وحارب العثمانيين ١٤ سنة فمنحه الباب العالي سنة ١٨٢٩ نوعاً من الاستقلال واقره اميراً على السرب . وفي السنة التالية جعل الحكومة ارثاً في نسله . وفي سنة ١٨٥٦ دخلت السرب في حماية الدول بمقتضى معاهدة باريس مع التوسع في استقلالها . وفي سنة ١٨٧٨ استقلت تمام الاستقلال

وملك السرب الآن بطرس الاول ابن اسكندر قاراجورجفتش . تولى الملك سنة ١٩٠٣ وحكومته دستورية مثل سائر الحكومات المتقدم ذكرها تجري فيها الاحكام على يد مجلس النواب

والجندية فيها اجبارية وعمومية ايضاً . يتجند الشاب وهو في الحادية والعشرين من عمره ولا يزال في الخدمة الى سن ٤٤ والجندية عندهم ثلاث طبقات (١) الجند العامل ورديفه (٢) رديف تحت الطلب (٣) المستحفظ . يتنقل فيها الجندي تدريجاً مثل سائر الاجناد

ويقسم الجند السربي الى خمسة طوابير يقسم كل منها الى فرق ومنها فرقة المدفعية مؤلفة من تسع بطاريات كل منها اربعة مدافع وفرقة كبرى من الفرسان ومجموع المقاتلين



بطرس الاول ملك الصرب

في حال السلم لا يزيد على ٣٦,٠٠٠ مقاتل . اما في حال الحرب فيبلغ ١١٠,٠٠٠ جندي واذا اضيف اليها الرديف تحت الطلب بلغ المجموع كله ١٧٥٠٠٠ مقاتل . وميزانية الحربية عندهم نحو ١٠٦٠٠٠٠ جنيه وليس للصرب بحرية لانها لا تتصل بالبحر . عاصمتها بلغراد عدد سكانها ٨٤٢٣٥ نفساً

٤ — الجبل الاسود

هو بلاد جبلية وعرة لذلك كان اهلها اشداء تعودوا الشقاء . مساحته نحو ٣٦٣٠ ميلاً مربعاً . واقع بين البانيا ونوفي بازار والبوسنة والبحر الادرياتيكي . عدد سكانه نحو ٢٥٠٠٠٠ نفس اكثرهم من الروم الانوذكس وفيهم ١٠٠٠٠ كاثوليكي و ١٤٠٠٠ مسلم . عاصمته مدينة ستنجه (أو ستينيه) سكانها ٤٥٠٠ نفس . ومن مدنه بودغوريتزا سكانها ١٠٠٠٠ نفس ودولشينو وزيتواري . واكثر سكانها فلاحون ورعاة وهم من الجنس السلافي

والجبل الاسود امارة مستقلة منذ القدم ولم يستطع العثمانيون فتحها الا بعد فتح القسطنطينية بثلاثة ارباع القرن على يد السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٢٦

لكنهم لم يخضعوا اهله ولا استفادوا من ذلك الفتح بسبب وعورة ذلك الجبل وشدة باس اهله في الدفاع عن استقلالهم غير ما ينفخ فيهم من الدسائس السياسية . لم يمض زمن طويل على ذلك الفتح حتى جاهر الجبليون بالعصيان فخلعوا النير التركي وولوا عليهم اسقفاً منهم اسمهُ دانيلو بتروفتش سنة ١٦٩٧ تولى السيادة الدينية والسياسية معاً وهم يسمون صاحب هذا المنصب « ولاديكا » وتحالف مع الروس واستبد اعقابهُ في تلك الامارة دينيًّا وسياسياً حتى تولاها بطرس بتروفتش الثاني المتوفى سنة ١٨٥١



نقولا الاول ملك الجبل الاسود

وكان حكيماً عاقلاً وشاعراً اديباً فخلفهُ ابن اخيه دانيلو الاول فتنازل عن السلطة الدينية ولقب نفسهُ « غوسبودار » اي امير بدلاً من « ولاديكا » وكانت تركيا تعد الجبل الاسود في جملة ولاياتها . وكان امراؤهُ يعترفون بتلك السيادة اسماً فاراد دانيلو التخلص منها فطلب الى روسيا ان تعترف باستقلاله وتمرد على الدولة وشهر عليها حرباً فحاصره العثمانيون سنة ١٨٥٢ بقيادة عمر باشا القائد العثماني الشهير فاظهر الجبليون السكينة فارتد عنهم سنة ١٨٥٣ ثم عادوا الى العصيان فحاربهم العثمانيون سنة ١٨٥٨ ثم ملَّ الجبليون استبداد اميرهم دانيلو فقاموا عليه وقتلوه سنة ١٨٦٠ فخلفه ابن اخيه نقولا فسعى سعي عمه لكنه اضطر الى الاعتراف بسيادة تركيا سنة ١٨٦٢ ثم عادوا الى التمرد وانتشبت بينه وبين الدولة حروب انتهت باستقلال الجبل الاسود رسميا

سنة ١٨٧٨ بمعاهدة برلين . ثم تعدلت حدود الجبل المعينة في تلك المعاهدة سنة ١٩٠٩

وامير الجبل الآن البرنس نقولا الاول ولد سنة ١٨٤١ فهو الآن في الثانية والسبعين من عمره تثقف في تريستا وباريس . وتولى امارة الجبل سنة ١٨٦٠ خلفاً لعمه دانيلو الاول . ونال لقب « ملك » سنة ١٩١٠ بعد ان احتفلوا بيوبيله الخمسيني لمرور خمسين سنة منذ تولى ذلك الجبل . تزوج سنة توليه العرش ورزق اولاداً كثيرين اكبر الذكور منهم ولي العهد دانيلو اسكندر ولد سنة ١٨٧١

اختلف النقادون في وصف هذا الرجل لكن الاكثر على انه اعظم ملوك البلقان وهو دقيق الاحساس وفيه ميل الى الشعر والادب . لكنه كتوم لا يسهل على الناس معرفة دقائق فكره يساير روسيا لانها تساعده لكنه لا يعد نفسه صنيعتها بل هو يخاف مطامعها . يقبل هديتها من البنادق والذخائر لكنه لا يثق بها وهذا تصرفه مع سائر الملوك الذين يخطبون مودته ويطمعون بجبله . وهذه سياسته الآن مع زملائه القائمين على الدولة العثمانية اليوم

جندية الجبل الاسود

قد علمت ان سكان جبل الاسود لا يزيدون على عدد سكان الاسكندرية فماذا عسى ان تكون جنديتهم ؟ انها قليلة لكنهم اشداء وقد تجدد نظامهم سنة ١٩١٠ وكل شاب بلغ الثامنة عشرة من عمره استحق الانتظام في الجندية حتى يدرك الثانية والستين فمدة الخدمة عندهم ٤٥ سنة . منها سنتان تحت التمرين و٣٣ سنة في الخدمة وعشر سنين في الرديف . وينقسم الجنود عندهم الى طبقتين بالنظر الى قوامهم البدنية : الطبقة الاولى تشتمل على الشبان الاقوياء الابدان الذين لهم صبر على التعب والشقاء وهم المحاربون . والثانية تشتمل على الذين في ابدانهم ضعف فهؤلاء يستخدمون في نقل معدات الحرب والخدمة في المستشفيات العسكرية ونحوها . اما الرجال الذين لا يدخلون الجندية بسبب نقص او عاهة فانهم يدفعون غرامة يختلف قدرها باختلاف احوالهم

والجند عندهم مؤلف من اربعة طوابير لا يزيد مجموع رجالها على ٥٠٠٠٠ مقاتل في حال الحرب . وعندهم ثماني بطاريات قدمها القيصر للامير نقولا . وسلاح المشاة من الطرز الروسي . واما المدافع فانها من طرز مكسيم ويقال بالاجمال ان جند هذا الجبل لم يبلغ حد النظام المطلوب لكنه يتفانى في الدفاع عن وطنه

٥ — رومانيا

واقعة في اقصى شبه جزيرة البلقان بين بلغاريا من الجنوب والسرب والمجر من الغرب والبحر الاسود من الشرق والمجر وروسيا من الشمال — وكانت قديماً تقسم الى مملكتين الفلاخ وملدافيا . ثم اتحدتا وسميتا رومانيا سنة ١٨٥٩ واعترف الباب العالي بذلك سنة ١٨٦١

كانت رومانيا في جملة البلاد البلقانية التي دخلت في حوزة العثمانيين بالفتح . ثم طالبت بالاستقلال ونالته رويداً رويداً وتم لها ذلك بمعاهدة برلين سنة ١٨٧٨ — اول حكامها بعد اتحادها الكولونيل كوزا انتخبته الامة حاكماً ولقبوه غوسبودار على الفلاخ وملدافيا سنة ١٨٥٩ وسموه البرنس الكسندرو جوان . ثم حدثت ثورة سنة ١٨٦٦ اضطر بها الى التنازل فاختاروا البرنس كارل الاول بدلاً منه وهو ملكها حتى الآن



كارل الاول ملك رومانيا

وحكومة رومانيا دستورية والنواب مجلسان مجلس الامة اعضاؤه ١٨٣ ومجلس الشيوخ ١٢٠ عضواً . عدد سكان رومانيا نحو ٧٠٠٠٠٠٠ اكثرهم من الرومانيين وهم بقية الامة الرومانية ويتكلمون فرعاً من اللغة اللاتينية وعددهم نحو ٦٠٠٠٠٠٠

نفس والباقي من الاجانب عاصمتها بخارست سكانها ٠٠٠ ٣٠٠ نفس

الجندية فيها اجبارية وعمومية وقد حورت تحويراً كثيراً سنة ١٩٠٨ وادخلت فيها تغيرات هامة . وبموجب ذلك كل شاب بلغ التاسعة عشرة يدخل في التمرين العسكري الى سن ٢١ ثم يخدم سنتين في الجندية تحت السلاح المشاة و٣ لغيرهم . ثم ٤ سنوات اوخمس في الرديف الاول . ثم عشر سنين في الرديف الثاني . ثم يصير الى المستحفظ وسنه ٣٨ سنة فيبقى فيه ٤ سنوات فيتم ٢١ سنة خدمة . والجند مؤلف من خمسة طوابير مشاة وطابورين من الفرسان . وطوابير المشاة كل منها مؤلف من فرقتين يلحق بكل فرقة كوكبة من الفرسان . وعدد الجند كله في حال السلم نحو ٠٠٠ ٩٠ مقاتل ويبلغ بحال الحرب الى ضعفي ذلك . وميزانية الجندية عندهم ٠٠٠ ٥٦٧ ٢ جنيه . وبحرية رومانيا تشبه بحرية بلغاريا

الجندية العثمانية

ذكرنا جندية الدولة العثمانية في مثل هذا الاوان من العام الماضي عند تعدي الايطاليان على طرابلس الغرب واليك خلاصة ذلك :

يقسم الجند العثماني الى فرق تسمى فيالق واحدها فيلق واسمه في التركية «اوردو» وقد عربوه «عرضي» فالفيلق او العرضي مؤلف من فرق وآلايات وطوابير وبلوكات وغيرها . ويؤلف الجند العثماني من سبعة فيالق مفرقة في المملكة العثمانية على هذه الصورة

الفيلق الاول مقره في الاستانة والاناطول
» الثاني » » سلانيك
» الثالث » » مكدونية
» الرابع » » ارمينيا
» الخامس » » سوريا
» السادس » » بغداد
» السابع » » اليمن

وهناك جند خارج الفيالق في الحجاز وغيرها

ويختلف عدد الفرق والآلايات والطوابير في كل فيلق عن سواه ويختلف عدد الانفار في كل منها . ولكن مجموع جند هذه الفرق في حال السلم يبلغ ٠٠٠ ٣٦٥ مقاتل يضاف اليها ست فرق من الفرسان عدد رجالها ٠٠٠ ٢٧ فارس . وفرقة الفرسان

الحميدية ١٦٠٠٠ غير النظامي وغير ذلك . فيبلغ مجموع ما عند الدولة العثمانية من الجند في حال السلم ٤٢٠٠٠٠ مقاتل . واما الرديف تحت الطلب فعدده ٣٧٥٠٠٠ مقاتل يجردون عند الحاجة . فضلاً عن المستحفظ وعدده نحو ٩٠٠٠٠ وغير الفرق المقيمة في القلاع من المهندسين ونحوهم وعددهم ٣٥٠٠٠ فجملة ما تجرده الدولة العثمانية في حال الحرب يجتمع على هذه الصورة :

عدد	
٣٦٥٠٠٠	جند نظامي اعتيادي
٢٧٠٠٠	ست فرق الفرسان
١٦٠٠٠	الفرسان الحميدية
٣٧٥٠٠٠	الرديف
٩٠٠٠٠	المستحفظ
٣٥٠٠٠	الجند المقيم في الحصون
٩٠٨٠٠٠	الجملة

اما قواتها البحرية فهي الآن تحت التجديد والتنظيم على ايدي اميرالية من الانكليز فقلبوا نظامها وجعلوه على آخر طرز . وهاك ما بلغت اليه القوات البحرية :

عدد	
١١	دوارع حربية كبرى
١	دارعة كبيرة تحت البناء
٣	طرادات
٧	مدمرات جديدة اوصت عليها في المانيا وغيرها
٤	نسافات طوربيد كبيرة
٨	مدمرات صغرى
١٤	نسافات طوربيدية صغرى
٤٨	

وللجند العثماني شهرة فائقة في الشجاعة والصبر على الحرب من قديم الزمان . وقد زاده الدستور دربة ونبغ فيه من القواد جماعة نفاخر بهم سائر الامم . مثل شوكت باشا وناظم باشا وعبد الله باشا والغازي مختار باشا وابنه وهادي باشا وانور بك ونيازي بك

وليس بين الدول الناهضة على الدولة الآن دولة يحسب لها حساب الا بلغاريا واليونان . والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء

سرُّ الحياة

اكتشاف عظيم الاهمية

« اخبرني عما في الخلية الواحدة من الاسرار اخبرك عن غيب السماوات والارض »

ان بين بيت المعري :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

والرأي المشهور القائل باستقلال الحياة والنفس عن المادة بوناً شاسعاً ومجالاً واسعاً للبحث والتأويل . وقد ذهب المفكرون في اصل الحياة مذاهب شتى وتخبطوا ايما تخبط . ولم يبن ابو العلاء رأيه على درس علمي وانما هي فكرة خطرت له — كما خطرت لغيره من قبل — بمجرد النظر الى الكائنات فهي من قبيل الآراء الفلسفية النظرية وليست استنتاجاً علمياً . وقد ظلت مشكلة الحياة وامثالها في قبضة الفلاسفة النظريين دون العلماء البحاثين الى القرن الماضي . وهي اولى ان تسلم لهؤلاء ليدرسوها تحت الميكروسكوب ويدققوا فحصها ويقيموا التجارب لاجلها . ولكن الانسان اسهل عليه ان يدون خاطراً خطر له في تعليل الحياة من ان يقضي ليله ونهاره في معالجة الحيوانات والنباتات ينتقل في درسها من الاجسام ذات الخلية الواحدة الى الاشجار الكبيرة والوحوش الضارية

على ان العلم الصحيح يبدأ بجمع الحقائق وتدوين الملاحظات والتجارب ثم يستخرج منها قواعد عامة وقوانين شاملة . وعلم الحياة لا يزال طفلاً في مهده وان يكن قد تقدم تقدماً سريعاً في السنين الاخيرة فما هو الا ابن القرن الماضي . والفضل في وضعه على اساس متين يرجع الى داروين — ذلك الرجل الذي اتخذ الاخلاص في ابحاثه شعاراً فقضى حياته يلاحظ ويدرس ويجرب فجمع حقائق مكنته من تعليل اصل الكائنات الحية تعليلاً يرتاح اليه العقل . لان من يحقق النظر في عالمي النبات والحيوان ويبحث فيهما بحثاً مجرداً عن كل غاية يترجح له في برهة قصيرة وجود صلة

بين انواعها المختلفة ويتعذر عليه التسليم باستقلال كل منها عن سواه . وان مذهب النشوء والارتقاء يتدرج شيئاً فشيئاً من مقام النظريات الى مقام الحقائق الثابتة بفضل داروين ومن اقتفى اثره من البحاثين الذين وقفوا حياتهم لخدمة العلم — على ان هذا المذهب اقتصر على النظر في علاقة الانواع وتتبعها الى اصلها ولكنه لم يبحث في ماهية ذلك الاصل

ضع تحت الميكروسكوب نقطة من ماء مستنقع وارقبها فتجد احياء صغيرة تتحرك وهذه الاحياء ذات خلية واحدة تقوم بكل الوظائف الحيوية من غذاء وتناسل وحركة وغير ذلك . خذ ايضاً ورقة نبات قص منها قطعة رقيقة وافحصها تحت الميكروسكوب فتجدها مركبة من خلايا متلاصقة وترى مثل ذلك اذا فحصت قطعة من نسيج حيواني كالجلد مثلاً . ومجمل القول ان الكائنات الحية على اشكالها مجموع خلايا . فالخلية الواحدة ابسط مظاهر الحياة وهي سر الاسرار الغامضة

ماهية الحياة

ولا بأس من ايراد آراء العلماء في ماهية الحياة واشهر تلك الآراء اليوم ثلاثة وكانت ثلاثة منذ الفي سنة لان الافكار الفلسفية التي ليست مبنية على المشاهدة والبحث والاختبار لم يطرأ عليها تغير يستحق الذكر منذ ايام فلاسفة اليونان . وانما التغير حصل في العلوم الاختبارية المبنية على جمع الحقائق وتنظيمها واستخراج القواعد العامة منها . ان الكون في نظر العموم قسمان جماد وحياة وفوقهما النفس وقواها المختلفة . فكان العالم مركب من ثلاثة اصول : المادة والحياة والعقل فالى هذه الاقسام وعلاقاتها بعضها ببعض يرجع الخلاف بين اصحاب الآراء الثلاثة . فمنهم من يقولون بوحدتها وخضوعها للنواميس الطبيعية على السواء ، ومنهم من لا يفرقون بين الحياة والنفس فيقسمون العالم الى قسمين مادة وغير مادة . ومنهم من يميزون بين الثلاثة المادة والحياة والعقل فكل منها في نظرهم جوهر مستقل :

اولاً — الماديون (materialist) او الموحدون (monist) وهم لا يعرفون حداً فاصلاً بين الجماد والحياة والعقل بل يقولون بخضوعها كلها للقوى الكيمية والمادية .

وهو فكر قديم تطور اطواراً مختلفة وطرأ عليه تغيرات شتى ولكن مآله واحد وهو ارجاع كل ما في الكون الى المادة . فالمظاهر التي نسميها حياة او نفس ليست في نظرهم الا مادة منظمة بشكل مخصوص وحركة مخصوصة

ثانياً — القائلون بوجود جوهر غير المادة مستقر في النبات والحيوان ويعبرون عنه بالروح او النفس وهو علة اعمالها الحيوية دون القوى الكيمية والمادية (animist) وهو اقدم تعليل خطر للانسان الاول بعد ان ادهشه الفرق العظيم بين الجسم الحي وغير الحي: الاول كالبيت المأهول والثاني كالبناء المهجور فخطر له ان الساكن فيه شخص آخر يشبه الاول يظهر اذا تعرض للشمس وهو خياله ويراه اذا نظر في الماء وهو شبحه فيه . وهكذا فعل في تعليل سائر المخلوقات الحية . ذلك هو المذهب الثاني في ابسط صوره . وقد تغير في القرن الماضي تغيراً مهماً على ايدي الطبيب ستاهل فقال ان في الجسم الحي نفساً عاقلة تديره بلا واسطة فتجعل القلب يخفق والعضلات تنكمش وتنبسط والغدد تفرز وهلم جراً

ثالثاً — المذهب الحيوي القائل بان الحياة غير المادة وغير النفس (vitalism) وهو قديم وقد نشأ في القرن الماضي المذهب الحيوي الجديد (neo-vitalism) وزعماؤه يرون الفرق بين المادة والحياة قليلاً فيقبلون التعاليل الكيمية والمادية ولكنهم يعتقدون بالفرق بين الحياة والنفس كما كان يعتقد فيثاغورس وارسطوطاليس فقد ميزا بين القوة المفكرة والروح التي تقوم بوظائف الحياة وتدير الجسم كما يدير الربان السفينة

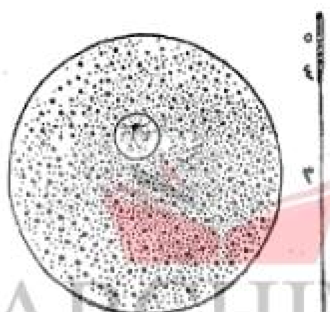
وقد جرب الاستاذ جاك لويب مدير الابحاث الحيوية في معهد روكفلر العلمي تجارب عديدة في السنين الاخيرة ادهشت العلماء لغرابتها وتفردها في بابها وهي تتعلق بالتناسل واسبابه رأينا ان نقول كلمة عنها مع مقدمة في التناسل وتكوّن الجنين لا تخلو من فائدة

تكوين الجنين

بديهيٌّ ان يعرف كل واحد شيئاً عن تاريخ شخصه وتكوّن ذاتيته والادوار التي مرَّ بها مذ كان خلية واحدة الى ان صار انساناً كاملاً — ومع ذلك فقليلون هم الذين

يعرفون عن انفسهم قدر ما يعرفون عن ثيابهم وجيوبهم . ولم يبحث العلماء في هذا الموضوع بحثاً وافياً قبل القرن الماضي فكأن اقرب شيء الى الانسان آخر ما يهتم بمعرفته

واول ما يجب ان يعلمه الانسان هو انه نشأ من خلية واحدة مثل سائر الحيوانات والنباتات وان هذه الخلية قسمت شطرين فصارت خليتين وانقسمت هذه ايضاً وهلم جرًّا حتى يتكون الجسم باكمله . والخلية الاصلية هي البيضة والبيض لايتكون منهُ الجنين عادة الابالتلقيح اي بان تمتزج مادة الذكورة بالبقعة الجرثومية بالبيضة . وهي سنة التناسل في عالمي النبات والحيوان



تجد في الشكل بيضة دودة الارض وبجانبها مادة الذكورة او الخلية الجرثومية وهو مثال يمكنك من ان تقيس عليه سائر الحيوانات — وقبل ان يمتزجا يطرأ على البيضة بعض التغيير استعداداً لقبول الخلية الجرثومية ويستمر التغير فيها بعد دخولها ثم تنقسم شطرين فاربعة الخ .... ثم تتميز الخلايا بعضها عن بعض فتكوّن الاعضاء المختلفة — ذلك هو ابسط ما يقال في التناسل وقد اقتصرنا عليه لاعتقادنا ان الشرح لا يفيد ان لم يقرن بالفحص العلمي — وتكوُّن الجنين في الانسان لا يختلف في مبدأه الاساسي عن تكوّن جنين الدودة فهو مثلها يحتاج الى امتزاج البيضة بالخلية الجرثومية ويمر بادوار تشبه ادوار الدودة ولكنها اكثر تركيباً

الاكتشاف

والاكتشاف الذي نحن في صدده مؤداه الاستغناء عن الخلية الجرثومية في تكوين الجنين والاستعاضة عنها بمواد كيماوية . وقد اطلعنا على خطاب القاه الاستاذ

لويب يشرح فيه عمله فرأينا ان نقتطف منه ما يأتي قال :

« هل يمكننا ان نعلل مظاهر الحياة تعليلاً مبنياً على مبادئ الكيمياء والفلسفة الطبيعية دون سواها ؟ اول من اشتغل في هذا السبيل العالمان لافوازيه ولابلاس فقد شرعا يبرهنان سنة ١٧٨٠ ان كمية الحرارة في جسم الانسان تعادل حرارة الشمعة اذا كانت كمية الحامض الكربونيك المتصاعدة من الاثنين واحدة . واقتفى خطواتهما كثيرون . ولاشك ان تعليل الحياة على المبادئ الطبيعية يقلب نظام الهيئة الاجتماعية رأساً على عقب ويستلزم تغيير القوانين والشرائع ووضع اساس جديد لحياة الفرد والجماعة

« ومن المعلوم ان البيضة لا تمو ما لم تدخلها الخلية الجرثومية فما هو تأثيرها عليها وكيف تجعلها تمو ؟ كان الجواب على هذا السؤال منذ بضع عشرة سنة مستحيلاً ولكننا توصلنا اليوم الى « تلقيح » البيضة بواسطة مواد كيماوية تقوم مقام الخلية الجرثومية واثبتنا ايضاً ان عمل هذه يشبه عمل تلك

« فبعد دخول الخلية الجرثومية في بيضة التوتيا (قنفذ البحر) يتولد غشاء يحيط بالبيضة يسمى غشاء التلقيح . وقد بحثت في توليد هذا الغشاء بمعالجة البيضة بحامض من الحوامض الآلية ووضعها مدة قصيرة في سائل اشد كثافة من ماء البحر ثم نقلها الى ماء البحر فنمت نمواً طبيعياً . وفعلت مثل ذلك في حيوانات اخرى . وقد ثبت لديَّ ان عمل الخلية الجرثومية يشبه عمل المواد الكيماوية لانها تحوي مادتين احداهما من قبيل الحامض الآلي والاخرى فعلها كفعل السائل الاكثف من ماء البحر

« واذا سئلنا كيف تؤثر هذه المعالجة في نمو البيضة قلنا ان تلقيحها يزيد سرعة التأكسد فيها (أي اتحادها مع الاكسيجين) من اربعة اضعاف الى ستة . وكنت قد وجدت ان نمو البيضة يتوقف اذا امتنع عنها الاكسيجين ولكنها تمو وتتكاثر بوجوده — وكما ان الحياة تتوقف على وجود الاكسيجين فالموت ينشأ عن عدمه »

الخلاصة

اذا فحصنا الخلية فحصاً كيماوياً وجدناها مركبة من مواد اهمها الاكسيجين والهيدروجين والكربون والنيتروجين . ولا نجد حسب الظاهر اثراً لقوة غريبة . ولكن شتان بين المركب الكيماوي والخلية الحية فهذه غير تلك وخصائص الواحدة

بعيدة عن خصائص الاخرى . ولذلك لم يتمكن احد من العلماء حتى الآن من توليد مادة حية . على ان بعضهم يعتقد امكان ذلك ويؤملون ان يأتي يوم يتمكن فيه الانسان من توليد الحياة أو تحويل الجامد الى حي . ولا شك ان اكتشاف الاستاذ جاك لويب فتح مجالاً للبحث والتجربة ومهّد سبيلاً ما برح مظلماً منذ وجد الانسان فعسى ان يأتي بالفائدة المطلوبة ولكننا رغم ما كشفهُ لنا العلم الحديث من اسرار الطبيعة لا نزال بعيدين عن سر الحياة الحقيقي ولله در القائل :

« اخبرني عما في الخلية الواحدة من الاسرار اخبرك عن غيب السماوات والارض »

اميل زيدان



مختار باشا الغازي

كبير قواد الجند العثماني في حرب البلقان

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع)

اولاً فرنسا

٦ — نظام الاجتماع فيها

نظام الاجتماع من حيث اساسه واحدٌ في كل بلد وانما يختلف في تفاصيله باختلاف الاعصر والاقاليم . فالهيئة الاجتماعية في ابسط احوالها مؤلفة من العائلة والحكومة والكنيسة . فاذا ارتقت نشأت فيها المدارس والجمعيات الادبية والشركات الاقتصادية . وتختلف هذه الجماعات في كل بلد باختلاف طبائع اهله ونوع مدنيتهم وسائر احوالهم . فنظام الحكومة يختلف بين الاستبدادي والدستوري والجمهوري . ونظام العائلة في الشرق غير ماهو في الغرب وفي هذا العصر غير ما كان عليه قبله . كانت العائلة عندنا الى اوائل القرن الماضي على شكل الحكم الملكي المطلق — الاب رئيس العائلة يستبد في اهله استبداد السلطان المطلق في رعيته يزوج من شاء بمن شاء ويعهد الى من يريد بما يريد من عمل او سفر او اقامة — لايرون في ذلك غرابة . ثم تعدل هذا النظام بعد دخولنا في المدنية الحديثة فاخذت العائلة تقترب من النظام الدستوري لكنها ما زالت اقرب الى الحكم المطلق ويختلف ذلك باختلاف الامم والاديان

وبناء على ما للاقليم او البيئة من التأثير في ابدان الناس وعقولهم وطبائعهم فاختلاف الاقاليم اوجب اختلاف الامم في كل ذلك . فلننظر في طبائع الامة الفرنساوية على الاجمال

طبائع الفرنساويين

الفرنساوي عامل نشيط يدأب على العمل بحماسة وهمة . ولاسيما اهل الزراعة منهم فانهم قويو الابدان يعملون في حقولهم بنشاط . ولا تجد في فرنسا بقعة تقبل الزراعة غير مزروعة . وكذلك العمال والصناع وسائر طبقات الناس فانهم نشيطون في ذهابهم وايابهم وفي كلامهم واشغالهم وفي اسفارهم — فان احدهم ينزل من القطار ويحمل حقيبته (الشنطة) بيده فاذا كان منزله قريباً سار الى بيته ماشياً لا يرون في ذلك بأساً . على انهم اذا طلبوا غلاماً او رجلاً يحمل لهم الحقيبة في اثناء الطريق لا يجدون . وهي صفة يشترك فيها اهل اوربا كافة . ويتأثر بها الشرقي حالما يطأ تلك القارة . وتقوم في نفسه رغبة في الهمة والنشاط فاذا رجع الى بلده عاد الى طبعه . الا اذا توطن اوربا طويلاً – ومرجع ذلك الى طبيعة الاقليم . والفرنساوي ذكي الفؤاد سريع الخاطر حاضر الذهن فصيحاً خفيف الروح فيه ميل الى الفنون الجميلة وذوق في الصناعة

الجمال

وللفرنساويين ذوق في الجمال لا تضارعهم فيه امة . يظهر ذلك خصوصاً في الباريسيين فانهم قدوة الامم في الازياء على اختلاف اشكالها . ولهم ذوق في توليد الجمال مما لا جمال فيه من نفسه بترتيب اجزائه على شكل لا قاعدة له الا الذوق . وهو على ارقى درجاته في باريس . تجد المرأة القبيحة الخلقة تتزيا بزي يناسبها وتصفف شعرها تصفيفة تناسب ملامح وجهها فتظهر جميلة . ولهم في تصفيف الشعر واختيار شكل البرنيطة ولونها طرق تختلف باختلاف تقاطيع الوجه ولونه وشكل الانف والعينين والجبهة والفم وغير ذلك فيوفقون التصفيفة (التوالت) والبرنيطة على حال الوجه فيظهر جميلاً

ويتبع ذلك ميلهم الى تزويق الحديث فانه من قبيل رغبتهم في الجمال الخارجي . فكما يوفقون بين تصفيفة الشعر وحجم البرنيطة وشكل الوجه حتى يظهر جميلاً فهم ايضاً يحسنون الحديث حتى يلائم ذوق السامع فتنبسط نفسه له . لكنه لا يرى النتيجة دائماً كما كان يتوقعها . فالفرنساوي فيه ميل الى اتقان الظواهر اكثر مما الى اتقان البواطن وهو من قبيل حبه الجمال . ويخالفه الانكليزي في ذلك كما سنبينه في مكانه . ومن قبيل ميلهم الى الجمال واقتدارهم على توليده ما تجده في مخازنهم وشوارعهم من الزخارف التي يراد بها التحسين . اي ان تظهر السلعة المعروضة احسن مما هي . ومن هذا القبيل استخدام المرايا في الواجهات لايهام الناس انها اكبر مما هي . واذا كان الحانوت صغيراً جعلوا جدرانه من المرايا فيظهر اضعاف ما هو

الاقتصاد والترتيب

والفرنساوي مقتصد من فطرته ونرى الاقتصاد ظاهراً على الخصوص في القرى فان اصحاب المزارع الصغرى يعيشون عيشة بسيطة . والفلاح يشتغل وامرأته تشتغل واولاده يشتغلون كل على قدرطاقته وحسب ميله . ولابدَّ لكل منهم ان يقتصد شيئاً من ربحه مهما كان قليلاً فيحتفظ به لنفسه . وهم يستخدمون الفرش البسيط عكس اهل المدن وكذلك ملابسهم . فالفلاح الفرنساوي بسيط في لباسه واخلاقه ومهما يكن من فقره فانك تجده نظيف الثوب نظيف الفراش يأكل على المائدة بالشوكة والسكينة بترتيب ونظافة . فلا تستنكف اذا دخلت بيته من ان تجلس على مقعده وتأكل من طعامه وتشرب من كأسه . وليس كذلك الفلاح المصري . ولا سبيل الى اصلاحه الا بتعليم المرأة وتثقيفها وهي المدبرة لكل ذلك

معرفة الواجب

ومن الخلال الحميدة الشائعة في معظم اوربا ونحن في حاجة اليها « معرفة الواجب » وهي تشمل كل اعمال الانسان . نعني ان يشعر الانسان بما عليه فيؤديه من تلقاء نفسه بدون استحثاث او ارهاب او ترغيب — لو فعل ذلك كل انسان لاستغنى الناس عن الحكومات وابطلت المحاكم . ولكن الناس يتفاوتون في هذا الباب واكثرهم شعوراً بالواجب اقربهم من المدنية والارتقاء . وهو يستلزم الامانة وهي اساس المعاملات واكبر اسباب النجاح — ما اجمل ان يشعر الانسان بما عليه فيؤديه بلا وازع او مراقب . والفرنساويون من اكثر الامم شعوراً به وكذلك الانكليز . وربما ظهر الانكليز اكثر قياماً بالواجب لانهم يعملون كثيراً ويقولون قليلاً . واما الفرنساوي فميله الى زخرف الكلام يظهر اعماله قليلة . لكن الشعور بالواجب قويٌّ في كليهما

ذكرنا في غير هذا المكان ان قومساري الترامواي لا رقيب عليهم (مفتش) وهم لا يسلبون الشركة باستعمال التذكرة مرتين او قبض الثمن بدون اداء التذكرة لان القومساري الفرنساوي او الانكليزي نشأ وقد غرست والدته في ذهنه من طفوليته ان يعرف ما له فلا يطمع بسواه . ولو اراد السائق ان يطمع فان الشعب ارقى من ان يتساهل في هذا الامر لانه تربى تربية راقية وعرف ماله وما ليس له فهو يعلم ان تساهله مع القومساري في امر التذكرة انما هو مشاركة لهُ في السرقة . ولكن كثيرين عندنا يتساهلون في ذلك وبعضهم يحرض القومساري على السرقة . والسبب في ذلك ضعف اخلاق العامة عندنا . وان مثل الترامواي هذا على بساطته يدلُّ على اخلاق العامة

الثقة وقيمة الوقت وصدق المواعيد

ومن قبيل الامانة المبنية على معرفة الواجب وما يترتب عليها من الثقة المتبادلة ان بعض باعة الجرائد في فرنسا وانكلترا يضعون اعداد الجريدة فوق طاولة على الرصيف خارج الحانوت وبجانبها علبة . فمن اراد ان يبتاع جريدة وضع ثمنها في العلبة وتناول الجريدة ولا رقيب عليه . وصاحبها لا يخاف ان يسرقه المارة فيأخذ احدهم الجريدة ولا يدفع الثمن . وقس على ذلك الثقة المتبادلة في سائر الحرف

دخلنا مطعماً في لندن يوم وصولنا من باريس . وبعد الفراغ من الطعام دفعنا لصاحب المطعم ليرة فرنساوية فاعتذر بان النقود الفرنساوية لا تقبل عندهم . ولم يكن عندنا نقود غير فرنساوية . فوقعنا في حيرة واردنا ان نترك الليرة له ريثما نعود وقد بدلنا النقود . فاعاد الليرة لدينا وقال « دعها معك ومتى بدلتها تدفع ما عليك » وكانت هذه اول مرة رأينا فيها الرجل . اليس ذلك من الاخلاق الراقية ؟ ان صاحبها لا يتصور رجلاً عليه حق لا يبادر الى دفعه من تلقاء نفسه . ولا يدل هذا على خلو تلك البلاد من اصحاب الاخلاق الضعيفة ولكنهم اقل مما عندنا . كما اننا لا نعني ضعف الثقة عندنا في كل الطبقات . وانما نريد الاغلبية

ومن جميل ما نحسدهم عليه معرفة قيمة الوقت وهو يتوقف على معرفة الواجب ايضاً فانهم يقسمون اوقاتهم ويفرقونها على اعمالهم فلا يقصرون بما عليهم ولا يضيعون اوقات اصدقائهم بالزيارة الخيبة كما يفعل كثيرون عندنا . فان بعضهم يزورك في ساعة شغلك ولا شغل له ويعلم انك مشغول فلا يختصر زيارته ولا انت تجرأ على الاعتذار منه لئلا تتهم بالفظاظة ولكن هذه العادة آخذة بالزوال من بيننا في الطبقة الراقية

واعتبر ذلك في صدق المواعيد فانه تابع للشعور بالواجب . وهو ينقصنا لكنه آخذ في الشيوع بين المتعلمين

لا يعنيني

ومن الاخلاق الفرنساوية الشائعة في باريس اشتغال كل منهم بنفسه عن سواه فلا يتعرض احد الى شؤون جاره بالاستطلاع او التجسس . وهو من طبائع اهل المدن الكبرى وطبيعي شيوعه في باريس وهي ثالثة مدائن العالم . وتجسس الاخبار والدخول في احوال الآخرين يكثر في القرى الصغيرة لتفرغ اهلها للاحاديث ولانهم مطلعون على عورات جيرانهم ولا يخلون من التحاسد او التباغض . وكلما اتسعت المدينة قلت تلك العادة فيها . ولذلك كان اهل باريس من اكثر الناس بعداً عنها . فان احدهم

يمشي وهمه نفسه ولا يلتفت الى سواه . او يجلس في القهوة ولا يلتفت الى جليسه من هو . وقد يكون بجانبه رجل وامرأة يتغازلان او يتداعبان فلا يهمه ذلك . وهذا ما نعبر عنه بضعف الغيرة ولا يستطيع الشرقي احتماله . اما الفرنساوي فيحتمله ولسان حاله يقول « لا يعنيني »

ولكنه مع ذلك جنوح الى النجدة وفيه اريحية اذا استحثته على منقبة اندفع اليها بكليته ولو جرّه ذلك الى خسارة او حمله مشقة

المفاخرة بالرجال والحرية

ومن سجاياهم انهم يفاخرون برجالهم ويعظمون النابغين منهم . وحيثما مررت بشوارع باريس تجد تماثيل العظماء منصوبة في متصالب الطرق او واجهات القصور او في الساحات العمومية يزيد عددها على مئة وستين تمثالاً كبيراً للقواد والملوك والكتّاب والشعراء والفلاسفة والعلماء . وبينها تماثيل بعض مشاهير الامم الاخرى مثل دانتي شاعر الايطاليان ووشنطون محرر اميركا وشكسبير الشاعر الانكليزي وغريبالدي القائد الايطالي . غير التماثيل الرمزية عن الحرية او الاتحاد او نحوهما . وغير التماثيل المنصوبة في المتاحف والمراسح والمدارس والكنائس والمنازل وهي عديدة جداً . واكثرها شيوعاً تمثال بونابرت على اختلاف اقداره واشكاله . والتماثيل تثير في النفوس الحماسة والميل الى الاقتداء باولئك العظماء . وهي وسيلة حسنة لاستنهاض الهمم واستحثاث القرائح لا مثيل لها عندنا — الا قليلاً

ويمتاز الفرنساويون عن سائر اهل اوربا بالنزوع الى الحرية على اختلاف اوجهها . وقد مرّت اجيال كانوا فيها نصراء الحرية يأخذون بايدي طلابها وينصرونهم بالمال والرجال . واشهر الشواهد على ذلك نصرتهم للاميركان في طلب الاستقلال من سلطة الانكليز . ومن قبيل تعشقهم الحرية مغالاتهم في مطاردة بعض الجماعات الدينية . لكنهم تطرفوا في ذلك حتى خرجوا به الى عكس المراد بالمدنية . ففترت الحماسات الدينية ونزع الناس الى الشك في الدين وآل الامر في بعض الاحوال الى فساد الآداب . لان العامة لاتستغني عن وازع ديني يصلح من آدابها . ومن اكبر اسباب الفساد القاء الشكوك الدينية في اذهان الناس

طعامهم وشرابهم

والفرنساويون يكثرون من اكل اللحوم في طعامهم وهو شأن اكثر سكان اوربا وخصوصاً في البلاد الباردة لاحتياجهم الى المواد اللحمية في مقاومة البرد . ولهذا

السبب ايضاً يكثرون من شرب الخمور وتكاد لا تجد بينهم من لا يشرب الخمر على المائدة رجالاً ونساء واولاداً . وكثيراً ما يجر ذلك الى ادمان المسكر فيكثر المدمنون عندهم ولا سيما في الطبقات السفلى كالعمال والصناع . اما شرب الخمر الاعتيادية فانه عام ولا يشترط ان يكون على المائدة . ولذلك ترى وجوه الفرنساويين مشرقة أو مشربة حمرة — ولا يدل ذلك على الصحة دائماً وقد يدل على المرض . وترى صاحبه يميل الى النعاس بعد الطعام ويظهر ذلك في ساقة المركبات بباريس . لان احدهم اذا لم يكن سائقاً مركبته لا تراه الا نائماً على كرسيه ورأسه متدلٍ على صدره وقد احمرت وجنتاه وانتفخت اوداجه . وحوادث المسكر بمصر على كثرتها قليلة بالنسبة الى تلك البلاد . لكننا نشكو من شيوع الحشيش بمصر رغم منعه رسميًا . على اننا سمعنا بوجوده في باريس ايضاً بامكنة يعرفها طالبوه

بقي علينا النظر في امرين مهمين من نظام الاجتماع عندهم نعني طبقة العامة والمرأة

العامة

ومن قبيل النظام الاجتماعي ان تكون الامة مؤلفة من طبقات ترجع الى طبقتين : الخاصة والعامة ويختلف حال كل منهما باختلاف الامم والاعصر وان تشابها على الاجمال في كل بلد . فالخاصة وهم اهل الوجاهة والثروة يغلب ان يكونوا ممتازين في نفوذهم ومعيشتهم ويكون العامة تابعين لهم في احوالهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على تفاوت في ذلك بتفاوت احوال المدنية وانواعها

فالعامة في التمدن القديم كانوا كما قال الامام علي « همج رعاع اتباع كل ناعق » وقال معاوية انهم « اشباه البهائم ان جاعوا ساموا وان شبعوا ناموا » وهم نحو ذلك في الشرق الى الآن الا في بعض البلاد الراقية . اما في الغرب فقد تغيرت احوالهم حتى اوشكوا ان يقلبوا نظام الاجتماع ولا سيما في الممالك الجمهورية ومنها فرنسا وهو موضوع كلامنا في هذا الباب

العامة في فرنسا

ان العامة في فرنسا يختلفون عن عامتنا بامور كثيرة : منها انهم ارقى تربية واوسع تعلماً فلا تجد فيهم من لا يحسن القراءة والكتابة . وحيثما توجهت ترى البوابين وساقة المركبات وصغار الباعة وخدم المنازل والقهوات حتى مساحي الاحذية يطالعون الجرائد والكتب ويهتمون بالشؤون العامة ويخوضون في السياسة ويتناقشون في حقوق

الاحزاب وينتقدون اعمال الحكومة . والسبب في ذلك « التعليم » فانه عام في كل بلد وقرية فتنبهت الاذهان وتفتحت الاعين وتعلم العامي معنى الاجتماع والاتحاد وخصوصاً بعد الانقلاب الذي جعل كل شيء في ايدي العامة لانهم قلبوا الحكومة واستبدوا في الشرفاء والامراء . فتشكلت الاحزاب من العامة وارتقت نفوسهم . ورافق ذلك كثرة الاختراعات الصناعية التي اغنت اصحاب الاموال (الخاصة) عن كثير من العمال فتضايق العمال وهم من العامة واضطروا الى الاجتماع والاحتجاج والمطالبة وهو الاعتصاب . وساعدهم على ذلك شيوع مذهب الاشتراكية واحتياج النواب الى العامة في التصويت عند الانتخابات النيابية وكل نائب يجتهد في اكتساب رضى القوم في البلد الذي ينوب عنه حتى يصوتوا له . فازداد العامة نفوذاً وطمعاً واكثروا من الاعتصاب حتى اتعبوا اصحاب الاموال وحملوهم خسائر عاد معظمها على الجمهور لانها آلت الى ارتفاع الاسعار

فالحرية التي نالها العامي الفرنساوي صانت حقوقه من جهة لكنها اضرت به وبالامة من جهة اخرى . لان العامي مهما بلغ من ارتقائه لا يبرح قصير الادراك وانما يتدرب على الاجتماع والصياح مع الصائحين فينحاز الى هذا الحزب او ذاك لا عن تفطن وادراك وانما هو يساق بعواطفه ويندفع بما يخطر له حسب المؤثرات الخارجية . والعامي الفرنساوي مدمن للمسكر كما تقدم . اضف الى ذلك حدة مزاجه فاذا ضربت له على وتر حساس كالدين او الوطنية او غيرها اندفع لما تريده منه . فالغلبة لمن يستطيعون استهواء هؤلاء العامة لاغراضهم بالفصاحة او نحوها

والنفوذ الحقيقي للخاصة لانهم اقوى عقولا واكثر وسائل - ذلك هو شأن الجماعات في كل بلد : يختص الخاصة على السيادة او الكسب فيستنصرون العامة بعضهم على بعض بما يستطيعون من الاساليب فينصرونهم وينفذون اغراضهم والعامة يتوهمون انهم يفعلون ذلك من تلقاء انفسهم . مهما بلغ من رقي العامة وحريتهم فالخاصة هم اصحاب السيادة الحقيقية وهم كالاوصياء على العامة يسنون لهم الشرائع ويضعون لهم القوانين ويدبرونهم في شؤونهم السياسية والاجتماعية حتى احوالهم اليومية . فان الحكومة الفرنساوية تهتم بها كثيراً وقد فرضت على العامل ان يرتاح يوماً في الاسبوع فاذا لم يفعل عدَّ مذنباً . واذا كان عمله لا يأذن له بالراحة كخدمة المطاعم والقهوات ونحوها دبرت الحكومة وسيلة تمكنه من الراحة . وذلك أنها أمرت العامل من هؤلاء ان يختار يوماً من الاسبوع يرتاح فيه وعينت من يقوم مقامه في ذلك اليوم ويستولي على

اجرته . وعندهم طائفة من العمال تحت الطلب لهذا الغرض . فبهذه الواسطة يشغلون سبع العمال ويريحون جمهورهم . لكن بعض العمال يشتكون من هذه المعاملة لانها تضيع عليهم سبع دخلهم ولانهم ينفقون في يوم الراحة اكثر من يوم الشغل . وللانكليز عناية مثل هذه او اشد منها في تدبير شؤون العامة سنأتي عليها في مكانها

المرأة في اوربا

كانت المرأة في الاعصر المظلمة باوربا وغيرها مرذولة محتقرة تعدُّ من قبيل المتاع . وكان للرجل احياناً ان يبيع امرأتهُ بالمزاد العمومي . وتفنن الكتّاب والشعراء في هجائها وانتقادها . وتباحث اللاهوتيون طويلاً في « هل للمرأة نفس » وزعموا انها « باب جهنم » و « معمل اسلحة الشياطين وصوتها فحيح الافاعي » وانها « نبال الشيطان » و « سامة كالصل وحقودة كالتنين » وقال الشاعر العربي :

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين

فلما بزغ نور التمدن الحديث وتحولت العلوم والمعارف من النظريات والتقاليد الى الاختبار والدرس كان في جملة ما همهم « المرأة » فادركوا خطارة مركزها في الهيأة الاجتماعية وان النجاح معقود بتعليمها وترقية نفسها . لانها قوام العائلة ومربية الابناء وشريكة الرجل في احوال الحياة . فقدموها وعلموها ورفعوا منزلتها فقامت تطالب بحقوقها . واختلف الكتّاب في مقدار تلك الحقوق لكنهم اتفقوا على احترام المرأة واجلالها حتى مثلوا بها الفضائل والمفاخر . فاذا ارادوا تصوير الحرية مجسمة نحتوا لها تمثال امرأة . وهكذا فعلوا بتمثيل الاتحاد والبلاغة والعمل وغيرها من الفضائل المجردة فانهم يمثلونها بصورة امرأة . والفرنساويون من اكثر الامم احتراماً للمرأة

المرأة الفرنساوية

اخرجوا المرأة من ظلمات الجهالة واطلقوا سراحها واعترفوا بحقوقها وساووها بالرجل ما له وما عليه . فبرزت من خدرها وتعاطت اعمال الرجال وسابقتهم في كثير من اعمالهم لانها اقل اجرة من الرجل فكثر استخدامها في ما تستطيعهُ من المناصب والمهن . فمن النساء عندهم بائعات في المخازن وعاملات في المناجم والمصانع والمعامل وخادمات في المنازل وكاتبات في المتاجر والشركات وفي بيوت التلغراف والتلفون والبريد وحاسبات في المصارف . وقد تعاطين اهم المهن العلمية كالمحاماة والطب والتحرير والشعر والتأليف والوعظ والعمل في معامل الكيمياء والبكتريولوجيا وغير ذلك .

وانشأن الجمعيات العلمية والادبية والاندية الاجتماعية . وألفن الاحزاب السياسية للمطالبة بحقوقهن . وتعاطين كثيراً من الصنائع الحقيرة او المتعبة فمنهن غارسات في الحقول ومنظفات في الشوارع – حتى سوق المركبات فقد شاهدنا واحدة منهن تسوق مركبة بالاجرة في شوارع باريس فادهشنا ذلك فاخبرنا صديق كان معنا ان في باريس ١٢ سائقة مثل هذه

والسبب في نزول المرأة هذه المنزلة عندهم ان الفتاة الفرنساوية تنشأ في منزل والديها كما ينشأ الغلام تتعلم كما يتعلم ويطلب منها ان تكتسب بالشغل كما يتكسب هو . وهي تجالس الرجل وتحادثه وتباحثه في كل موضوع كانها رجل مثله وتسافر للسياحة والاكتشاف وحدها لانرى في ذلك بأساً اوغرابة مما لم نألفه في بلادنا . فان فتاتنا تتعلم اولاتتعلم ثم تمكث في منزل والديها في انتظار نصيبها للزواج وزينتها الحشمة والحياء ولا يخطر لاهلها ان تعمل عملاً . فهي اما ان تتزوج او تبقى عانساً في بيت ابيها ولا تشتغل الا نادراً . واكثر اشتغالها بالتعليم او الخياطة ويندر ان تتعاطى عملاً آخر . ومهما بلغ من حريتها فهي لا تجالس غير معارفها وذوي قرباها

اما الافرنجية فحالما تخرج من المدرسة تمضي الى السوق كما يمضي الشاب فاذا اتاها النصيب تزوجت فيشغلها الزواج عن الارتزاق اكتفاء بعمل زوجها . والا فانها تشتغل هي ايضاً . ولا يخفى ما في ذلك من تضاعف الايدي العاملة في الامة الفرنساوية اي ان العمال من الجنسين نحو ضعفي العمال عندنا بالنسبة الى عدد السكان

والمرأة الفرنساوية في القرى والبلاد الصغيرة مثال الاقتصاد والترتيب والعطف على اولادها والامانة لزوجها وكذلك المرأة في العائلات الراقية من الطبقة الوسطى والعليا . لكن هذه الحرية ادَّت في المدن الكبرى الى تشويه ذلك الجنس اللطيف في طبقة معينة من العامة . وهذا التشويه آخذ في الامتداد ويخشى ان يجرَّ الى انقلاب اجتماعي وخصوصاً في باريس ام المدائن الجميلة

كنا نشكو من جهل الفتاة الشرقية وحجبها ونحسد الفتاة الافرنجية على تعلمها وحريتها فلما رأينا حالها في باريس انقلبت شكوانا وكدنا نرضى بالحجاب والجهل — انهم اساؤا الى ذلك المخلوق اللطيف بتلك الحرية المتطرفة • ارسلوا المرأة الى الاسواق تخالط الشبان وتبايعهم وتساومهم وتعاشرهم وهي ضعيفة حساسة فتعرضت لمفاسد كثيرة . واغراها الشبان بالمال تخدعوها . فلما خرجت من صف الحرائر خدعتهم . ثم آل امرها الى ضياع العمر في الشوارع والازقة لاتجد رزقاً الا بانهواء

الشبان . وفي القاهرة مثال صغير من تلك الطبقة يعرفن ببنات الرصيف . اما هناك فانهنَّ الوف ولا تكاد تخلو منهنَّ حديقة او متنزه او شارع ولا سيما في اثناء الليل ولا حرج عليهنَّ بحجة الحرية الشخصية . والحكومة الفرنساوية تبيح الفحشاء على شروط وضعتها وقوانين سنتها . فاباحت للمتجرين بالاعراض ان يبتنوا المنازل والقصور ويحشدون فيها الغواني اصنافاً والواناً يعرضونهن عرض السلع او الاثاث بلا عيب ولا حياء ولهم سماسرة في ايديهم شهادات من الحكومة تخول لهم معاطاة تلك المهنة . ولهذه الطبقة من المتهتكين مجالس واندية وجرائد وكتب لترويج تلك البضاعة . وليس ذلك جائزاً في انكلترا . ولكن مصر اقتدت فيه بالفرنساويين كما اقتدت بسواه من اسباب تمدنهم . وما كان اجدرنا ان نأخذ الحسن النافع من اسبابه ونعرض عن القبيح الضار

الارساليات المصرية

ومن قبيح هذه الحرية في باريس ان من تلك الشباك الجهنمية كثيراً في حي يعرف بالحي اللاتيني (quartier Latin) فيه اكثر المدارس العالية التي ترسل مصر شبانها ليتلقوا فيها الحقوق او الطب اوغيرها . ولا مندوحة لهم عن الاقامة هناك والتعرض لتلك الاخطار في المراقص والملاعب حيث يختلط الشبان بالشابات . فلا ينجو من ذلك الخطر الا قوي الارادة ثابت العزيمة . ولكن الانسان ضعيف ولاسيما الشاب القادم من بلاد لا يرى فيها المرأة الا محتجبة وهو في بلاده بين اهله ومعارفه يمنعه الخجل من مخالطة غير المحتجبات . اما في باريس وكل شيء فيها مباح فانه يرى الشبان والشابات في الطرق ازواجاً (غير مطهرة) ذكراً وانثى بلا حرج ولا خجل يتداعبون ويتغازلون . ويجد من رفاقه من يغريه على الرذيلة ويحببها اليه باسم الحرية فاذا احجم عيره بالضعف . فهل يلام أولئك الشبان على السقوط ؟ وانما اللوم على الذين يرسلونهم الى تلك المدارس . واذا كان لا بدَّ للحكومة المصرية او الآباء من ارسال ابنائهم الى مدارس فرنسا فمن الخطأ ارسالهم الى باريس وتعريضهم لتلك الاخطار

على ان هذه الطبقة من النساء ليست كلها من اهل تلك العاصمة فان فيهن كثيرات من اهل الارياف الفرنساوية اومن خارج فرنسا . وبعضهن من روسيا والمانيا وغيرهما . ويندر بينهن القادمة الى باريس بقصد العهارة . وانما يفد اكثرهن اليها للارتزاق ببعض المهن فيتعرضن للوقوع في تلك الفخاخ ويعينهن الفقر على الوقوع فيها . لان البائعة في مخزن واجرتها فرنكان او ثلاثة في اليوم تنفقها على الطعام واللباس وانما يقع نظرها كل يوم على عشرات من شبيهاتها في الخلقة او اقل منها جمالا وكل

منهن قد تأبط زندها شاب كساها احسن الاقمشة وزينها باجمل الحلي . فاذا قويت هذه البائعة المسكينة على محاربة الحسد فانها لاتقوى على مدافعة من يتعرض لها من أولئك الشبان الذين يغرونها بالمواعيد العريضة . ويتحببون اليها باطراء جمالها وشكوى الغرام وغير ذلك فتقع في الشراك . ولا يعاشرها ذلك المغرم الا مدة ثم ينتقل الى سواها . فتصبح غير قادرة على العمل في مهنتها الاولى ويهون عليها الارتزاق من امثال ذلك الشاب . واعتبر كيف تكون حالها متى ذهب شبابها وذوى جمالها !

فالعلة الاصلية في شيوع التهتك بباريس انما هو اطلاق سراح الفتاة ومساواتها للرجل وتكليفها الارتزاق مثله واباحة الحكومة للفحشاء رسمياً . وزد على ذلك ان الفتور الديني شائع في فرنسا حتى اصبح شبانها يعدون العهارة ضرباً من التجارة ولا فرق عندهم بين الفحشاء والتمتع بسائر ملاذ الحياة كالطعام والشراب والسماع ونحوها . فيغرون المراة على ذلك فتطيعهم . وليس اقبح من فتور المراة في الدين لانها اقرب الى التقوى من الرجل واكثر تعففها من طريق الدين خوف العقاب . وهي دقيقة الاحساس سريعة التأثر فاذا لم يشتغل قلبها بالتقوى والرهبة من العقاب خيف عليها السقوط اذ ليس لها ما للرجل من قوة الارادة . ومع ذلك فانه اكثر سقوطاً منها لكن الناس لا يعيبون سقوطه كما يعيبون سقوطها . وذلك من جملة مظالم نظام الاجتماع

في شوارع باريس الوف من الفتيات لولا هذه الاسباب لكن امهات وربات عائلات يربين ابناءهن رجال المستقبل على الفضيلة بدلاً من ضياع شبابهن في الرذيلة ويضيع معهن الوف من الشبان بلا عقب . لان هذه الاباحة من اكبر اسباب العقم في فرنسا اذ يمسك الشبان عن الزواج تخلصاً من متاعبه وهمومه واكتفاء بلاذه الوقتية بثمن قليل لا مسئولية بعدها ولا تعب . فلا نبالغ اذا قلنا ان فرنسا بين يدي خطر اجتماعي يهددها ولا تخرج منه الا بعد انقلاب عظيم

بلغ عدد اللقطاء في باريس للعام الماضي ثمانية عشر الفاً لا يعرف آباؤهم فهم من نتاج هذه الرذيلة . من نتاج الافراط في الحرية والفتور في الدين . ان الجهل والحجاب يضران المراة ويؤخران الهيئة الاجتماعية عن اسباب المدنية . لكن الحرية الزائدة مع العلم او بدونه تفسد المجتمع الانساني وتضر بالعائلة . وحال فرنسا الاجتماعي اكبر شاهد على ذلك لان احصاءها يكاد يكون الآن كما كان منذ اربعين سنة . ولم تبق امة الا تضاعف احصاؤها في اثناء هذه المدة

خلقت المرأة أما تدبر العائلة وتربي الاولاد . وتعليمها ضروريٌ للقيام بمهمتها

الطبيعية في الشؤون العائلية . واما تكليفها باعمال الرجال فانه خارج عما خلقت له ـ الا اذا اضطرت اليه لاسباب قهرية . ولكننا نرى بعض كبار العلماء يجيزون لها كل عمل يعمله الرجل وان تتعاطى كل صناعة اومهنة لانها مساوية له . وبعضهم الف كتباً في هذا الموضوع خلاصتها أن المراة يجب ان تعمل كل اعمال الرجال من صناعة او علم او تجارة او زراعة بحجة تضاعف الثروة بتكاثر الايدي في العمل . وهو راي نظري لا ينطبق على حاجة المجتمع الانساني . اذا نزل الرجل والمراة الى السوق من يربي الاطفال ويدبرهم ويعنى باحوالهم ؟ فان قيل ان المراضع والخدم يفعلون ذلك قلنا ان الطفل لا تربيه الا امه . واذا فرضنا قيام الخدم مقامها فالنفقات التي يستلزمها استخدامهم تستغرق ما تكتسبه المراة بالعمل خارج بيتها

ومهما بلغ من ارتقاء الجنس البشري في الاكتشاف والاختراع فانه لا يقوى على قلب نظام الاجتماع — وهذا النظام يقضي على الام ان تربي طفلها بحيث لا يخرج من دائرة عنايتها . وان يكون هو اهم مشاغلها مع تدبير بيتها وليس ذلك بالشيء اليسير . ان القيام بشؤون العائلة لا يقل اهمية عن اعظم عمل من اعمال الرجال في التجارة او السياسة او الصناعة او غيرها

الخلاصة

في مدنية فرنسا وغيرها من مدنيات اوربا حسنات كثيرة يجب علينا اقتباسها والاستفادة منها . ولكن فيها سيئات يجب تجنبها والابتعاد عنها . فالحسنات التي يحسن بنا اقتباسها هي :

١ معرفة الواجب ٢ المحافظة على الوقت وصدق المواعيد
٣ تهذيب اخلاق العامة بالتربية الصحيحة
٤ تعليم المراة وتثقيفها
٥ ترقية التعليم والتوسع في الآداب ٦ العمل والجد

اما ما يجب علينا تجنبه من ادران تلك المدنية فاهمه :

١ الافراط في الحرية واستخدامها في غير موضعها
٢ ما يخالف الحشمة الشرقية . على ان نأخذ من العلم والتربية القدر الملائم لعاداتنا
٣ الفتور في الدين والمجاهرة بالكفر فانه من اسس ذلك الخراب

وسنتكلم عن متاحف فرنسا وآثارها في مايلي

الاكاذيمية العربية

او المجمع العلمي العربي

اقتراح على وزير المعارف

اللغة العربية

اللغة كائن حي خاضع لناموس النشوء والارتقاء تمو بالدثور والتجدد والتحول والتولد على ما تقتضيه الاحوال الاجتماعية والعلمية والسياسية . وللغة العربية تاريخ يؤيد هذه الحقيقة . ولو توفرت لنا اسباب البحث لرأينا لكل لفظ تاريخاً مرَّ به في ادوار يسرٍ وعسر وتقلب بين السعادة والشقاء . وان الوفاً من الالفاظ ماتت واندثرت وقامت الوف اخرى مقامها . ويغلب ان يصيبها ذلك على اثر الانقلابات الاجتماعية أو العلمية أو غيرها فيصيب اللغة تغير يلائم احوال المتكلمين بها . واهم التغيرات التي اصابت لغتنا في عصر التاريخ وقع في صدر الاسلام على اثر الانقلاب الديني بحدوث المعاني الدينية والاجتماعية . يليه تغيير رافق الانقلاب السياسي بانشاء الدولة الاسلامية والحضارة الاسلامية في انحاء العالم العربي . وتغير اقتضاه نقل العلوم من اللغات الاعجمية بما فيها من المصطلحات العلمية . غير ما استلزمه اختلاط العرب بالامم الاخرى من اقتباس الالفاظ والمعاني مما يطول شرحه

وانما نريد الآن التغير الأخير الذي اقتضاه دخولنا في المدنية الحديثة اقتداء بالافرنج . فنقلنا علومهم وفنونهم وقلدناهم في كثير من آدابهم الاجتماعية واحوالهم السياسية والادارية فاقتبسنا معاني كثيرة لانعرف لها الفاظاً عربية تؤديها . فنهج كل كاتب منهجاً في النقل أو التعريب فاختار بعضنا للمعنى الحديث لفظاً يرى انه يؤدي الغرض المطلوب واختار غيره غيره . فاختلفت مختاراتنا وتضاربت حتى اصبح للمعنى الواحد عدة الفاظ على ما تراءى للناقلين . فبعضهم وضع لفظاً من عند نفسه والبعض الآخر استخرجه من كتب العرب القدماء . ومنهم من استبقى اللفظ الاعجمي على حاله . فادى ذلك الى

فوضى الانشاء، وتضليل القرآء، واصبحت اللغة في حاجة الى من ينظر في امرها ويتلافى الخطر الذي يهددها . واليك امثلة من بواعث تلك الحاجة

الالفاظ العلمية : يدخل فيها مصطلحات العلوم الطبيعية وما تفرع منهـا على اختلاف مواضيعها مما حدث أو اتسع في هذا العصر كالطبيعيات والكيمياء والتاريخ الطبيعي والجيولوجيا والفيسيولوجيا . وعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد السياسي والفلسفة الادبية والعقلية وغيرها . فان لكل من هذه العلوم مصطلحات لفظية لمعان حدثت في هذا العصر لم يكن العرب يعرفونها فلم يكن لها الفاظ في لسانهم . أو ربما كان لها الفاظ اهملت بتوالي الاجيال فلا نصل اليها الا بالبحث والتنقيب . وقد اشتغل المترجمون في النهضة الاولى على ايام محمد علي في التنقيب عنها فاستخرجوا كثيراً منهـا ادخلوه في مترجماتهم . وفعل مثل ذلك ايضاً المشتغلون بنقل هذه العلوم في المدرسة الكلية لاميركية في بيروت . ولكنهم اختلفوا في كثير من المصطلحات التي وضعوها للمعاني المتشابهة فاختار هؤلاء لفظاً لهذا المعنى واختار اولئك غيره وكلاهما اتصل اليه بالاجتهاد . فمن مصطلحات علم النبات مثلا :

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري	الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
الفصيلة الخيمية	الصيوانية	الرقص السنجي	الخوريا
الغاب	القصب	حنف القدم	قدم فدعاء
توت	كبش	مغص معوي	قولنج
زر	برعم	الجسم المندمل	الجسم الصلب
عضو التذكير	السداة	عين السمكة	مسمار
الريشة	سويق الجنين	داء الحرقفة	مرض الورك
الشيكوريا	الهندباء	لحمين	كرياتين
جذر كروي	قرم	حمى الدنج	ابو الركب
لفافة طرفية	كويس	غروين	املسين
ذنيب	رجيلة او زند	سيانوز	الزراق
خيط عضو التأنيث	قلم	بشرة مخاطية	ابثيليوم
الشوكران	الكونيوم	طفح جلدي	نفاط

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
خوخ	دراقن
عضو التأنيث	مدقة
برقوق	خوخ
طلع	بلن
توت ارضي	كبش القش
عرق الذهب	ابيكاك
القرنفل العطري	كبش قرنفل
ليفين نباتي	كلوتن

ومن المصطلحات الطبية

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
التسمم الكحولي	هذيان السكارى
الذبان الهندي	الذراح
المستر	الكستوريوم
منّ القيطس	من القاطوس
هربس	قوبا
مدة التفريخ	مدة الحضانة
الم عصبي	نفرالجيا
نتانة الفم	بخر
فقاعة	مجل
التهاب رئوي	ذات الرئة
ضربة الشمس	رعن

ومن مصطلحات الطبيعيات وغيرها

الاصطلاح المصري	الاصطلاح السوري
الجير	الكلس
القوة المركزية	قوة التباعد عن المركز
حلزوني	لولبي
عتلة	مخل
زيغان النور	استقطاب النور

وقس على ذلك سائر المصطلحات التي نقلوها يومئذ . ولا يخفى ما يترتب على هذا الاختلاف من الالتباس . واعتبر ذلك ايضاً في الالفاظ الادارية وفي جملتها مصطلحات الحكومة فان بين مصطلحات الحكومة المصرية والسورية بوناً عظيماً . وامرها مشهور لا يحتاج الى بيان . وهكذا يقال في العلوم الحادثة لهذا العهد وقد اخذ الكتاب في نقلها الى العربية كعلم الاقتصاد السياسي وعلم الاجتماع وعلم النفس (البسيكولوجيا) ونحوها . فهذه لا بد من اختلاف الناقلين في انتقاء الالفاظ المؤدية لتلك المعاني . وبعضها يحتاج الى اعمال الفكرة قبل تعريبه مثل قولهم من مصطلحات علم النفس Subconscious و Subjctive و Objective و Association وقولهم من اصطلاح علم الاجتماع Genetic و Telic و Institution و Régime

المصطلحات السياسية : وناهيك بالمصطلحات السياسية والصحافية التي كثيراً ما يلتبس فيها النقل لعدم الاتفاق على لفظ معين لها . فلم نتفق حتى الآن على لفظ يميز بين Conference و Congress وبين Entente و Alliance وبين Convention و Treaty وبين Souverain و Suzerain وبين Colonie و Dependance

و بين Marine و Sailor وقس على ذلك مصطلحات الجندية البرية والبحرية كقولهم Yeomanry و Militia واسماء السفن الحربية كالطرادة والنسافة والمدمرة ونحوها فان كثيراً منها لا يزال ملتبساً . ومن هذا القبيل المصطلحات المالية والادارية كقولهم Deposit و Crédit و Exchange ونحوها مما لم نتفق على الفاظ عربية تؤديه بلا التباس . وهكذا في سائر المصطلحات العصرية

الالفاظ المولدة : وهناك طائفة من الالفاظ العربية المولدة اقتضاها سير التمدن الحديث ولا نجد بدلاً عنها في اللغة الفصحى مما استعمله العرب قديماً ولا نجدها في كتب اللغة . مثال ذلك لفظ « معجم » بمعنى قاموس فان اصل معناها « انقط بالسواد » ومنه حروف المعجم وهي الحروف المقطعة التي تختص اكثرها بالنقط من بين حروف سائر الامم . فصار معناها بالاستعمال الكتاب المرتبة مواده على احرف الهجاء مثل لفظ « قاموس » وهذه ايضاً ليست اصلية لهذا المعنى فانها وضعت في الاصل اسماً لمعجم الفيروزابادي . واصل معناها البحر او ابعد موضع فيه سمى الفيروزابادي كتابه به لمحيط اتساعه ثم اطلق على كل معجم . وكان العرب يسمون القواميس « كتب اللغة » . وقولهم « الوظيفة » بمعنى المنصب فان هذا اللفظ ليس له هذا المعنى في القاموس . ولكن جماعة من خيرة الكتاب استخدموه له وفي جملتهم ابن خلدون والمقريزي . وقس على ذلك طائفة كبيرة من الالفاظ العربية استعملها الكتاب في اثناء التمدن الاسلامي لمعان جديدة لم يذكرها القاموس فهذه ينبغي ضبطها . واعتبارها مولدة كما فعل علماء اللغة بغيرها من نوعها

فاللغة بهذا الاعتبار في حال من الاضطراب والتشويش لانخرج منها الا اذا بادرنا الى اصلاحها . وهذا العمل لايستطيعه فرد واذا استطاعه فلا يرجى ان يتبعه الكتاب في ما يراه او يذهب اليه . لان كل كاتب مفتون ببنات افكاره فلا بد من جمعية تتولى هذا العمل . وقد شعر ادباء اللغة بهذه الحاجة فالفوا الجمعيات لهذا الغرض منها المجمع العلمي الشرقي في بيروت والمجمع اللغوي العربي بمصر منذ بضع وعشرين سنة . واهتم نادي دار العلوم بهذا الموضوع ايضاً منذ بضع سنوات فقرر الفاظاً ومصطلحات كثيرة لكنها لم تشع على اقلام الكتاب اذ لم يكن لها صفة رسمية . فلابد من تأليف جمعية تكون لها صفة رسمية وهذا ما اردنا اقتراحه على نظارة المعارف المصرية

نظارة المعارف

اما اختصاصنا نظارة المعارف المصرية بهذا الاقتراح فسببه ان مصر كما قلنا مراراً هي مركز العالم العربي ومابرحت ملجأ اللغة العربية من قرون متباعدة وهي التي حافظت على الآداب العربية في اثناء عصر الانحطاط . وهي التي بدأت بالنهضة العربية في اثناء هذا التمدن . واقتدت بها البلاد الاخرى في الشام وغيرها . وهي اليوم ارقى البلاد العربية مدنية وصحافة وأدباً . فبعد ان ضربت الذلة على هذه اللغة اصبحت مصر ملجأها الوحيد للخروج من هذا المأزق . ولا سيما بعد ان أخذ سعادة ناظر المعارف في احياء الآداب العربية . وهو أول من تصدى لذلك من وزراء هذه النظارة كما يتضح لك ما يلي —

توالى على نظارة المعارف بضعة عشر ناظراً اولهم مختار بك أحد المتخرجين في أوربا من زمن محمد علي تولاها سنة ١٨٣٦ وآخرهم هذا العهد حشمت باشا . فالنظارة تأسست منذ ٧٦ سنة تقلبت في اثنائها على اربعة ادوار :

الدور الاول : يبدأ من ولاية محمد علي برئاسة مختار بك المذكور وينتهي في زمن الخديوي اسماعيل . وكانت تلك النظارة تعرف في اثناء ذلك الدور باسم « ديوان المدارس » وكان اعضاؤه من ابناء المصريين والارمن الذين تخرجوا في مدرسة باريس بأمر الحكومة المصرية وبعضهم من الفرنساويين . وكان الغرض الاول من انشاء هذا الديوان التدريس الحربي لاخراج ضباط مصريين . ثم اتسعت دائرة التعليم فانشأوا المدارس المختلفة من ابتدائية وعالية للضباط والموسيقى والمشاة والفرسان والطبجية والبحرية والطب والهندسة والكيمياء والزراعة والالسن وغيرها . وكانت قاعدة التدريس فيها اللغة العربية فنبغ العلماء والاطباء والفوا في كل علم وفن باللغة العربية ولا تزال أمثلة في مؤلفاتهم في المكتبة الخديوية حتى الان

الدور الثاني : يبدأ بنهضة التعليم الثانية في زمن اسماعيل وينتهي بالاحتلال . وفيه تشكل مجلس النظار سنة ١٨٧٧ على الشكل المعروف الان . وتحددت النظارات وفي جملتها « نظارة المعارف » بدلاً من « ديوان المدارس » . وكان اسماعيل رغاباً في انشاء

المدارس فاكثر منها على يد وزيره علي باشا مبارك واتسعت دائرة العلوم والفنون . ثم افضت الولاية الى المغفور له توفيق باشا وفي ايامه حدثت الثورة العرابية التي افضت الى الاحتلال الانكليزي

الدور الثالث : يبدأ بالاحتلال وينتهي بوزارة حشمت باشا الوزير الحالي . وحدث في اثناء هذا الدور تغيرات هامة في التدريس وطرق التعليم اهمها ان التعليم تحول فيها من اللغة العربية الى اللغات الافرنجيـة الانكليزية أو الفرنساوية . وانصرفت العناية من التعليم العالي الى الابتدائي بانشاء الكتاتيب ونحوها . واقفلت الارساليات الى اوربا وابطل التعليم المجاني وقلت العناية بتعليم آداب اللغة العربيـة . فكان لذلك وقع سيء لدى الامة وارتفعت اصوات الجرائد والمجلات تطلب ملافاة ذلك . فاقترحت الجمعية العمومية على الحكومة سنة ١٩٠٧ ان تجعل تعليم العلوم في مدارسها باللغة العربية فاجابها ناظر المعارف يومئذ سعد باشا زغلول يعتذر بتعذر ذلك ويبين افضلية التعليم باللغات الاجنبية بالنظر الى حالة مصر . لكنهُ وعد ان يبذل جهده في اجابة طلبهم . وقد فعل لكنه لم يستطع شيئاً كثيراً

الدور الرابع : وهو الذي نحن فيه يبدأ باسناد هذه النظارة الى حشمت باشا . ويمتاز هذا الدور عما تقدمه بامور اهمها :

١ انهُ جعل التعليم في المدارس المصرية بالعربية في مدرسة الزراعة بالجيزة وفي مدرسة مشتهر المتوسطة التي انشأها . ومدرستي التجارة والمحاسبة . فضلاً عن المدارس الابتدائية والثانوية . فان التعليم فيها اصبح كلهُ في اللغة العربية

٢ انه اعاد قلم الترجمة لتعريب الكتب كما كان في زمن المغفور له محمدعلي باشاوقد ترجم فيالسنتين الماضيتين ١٢ كتاباً في فنون مختلفة

٣ ادخل علوماً جديدة فنية تلائم حال الجمهور من حيث اعمالهم اليومية وارتزاقهم ومن حيث ترقية اخلاقهم وآدابهم

٤ اخذ في احياء آداب اللغة العربية . وهذا لم يتصدَّ لهُ وزير قبله فقرر طبع بعضُ الكتب العربية النادرة واخذ في اصلاح المكتبة الخديوية . وكثيراً ما سمعناه يشكو من حال اللغة العربية واحتياجها الى الاصلاح أو الضبط ولذلك تجاسرنا على عرض هذا الاقتراح عليه

الاقتراح

نقترح على سعادته انشاء مجمع علمي او اكاذيمية تتولى هذا الاصلاح وغيره مما يسهل عليه الطريق الذي يسعى فيه لاحياء الآداب العربية . كما فعلت الدول المتمدنة في اوربا منذ اجيال . ما من دولة متمدنة الا ولها اكاذيمية لهذا الغرض اشهرها الاكاذيمية الفرنساوية التي انشأها ريشليو وزير لويس الرابع عشر في القرن السابع عشر . والأكاذيمية الانكليزية نعني جمعية الآداب الملوكية انشأها الملك جورج الرابع سنة ١٨٢٥ وقد الفوا منها سنة ١٩١٠ لجنة سموها اللجنة الاكاذيمية على نسق الاكاذيمية الفرنساوية . الغرض منها النظر في ما تحتاج اليه اللغة الانكليزية وآدابها من الاصلاح في الانشاء والالفاظ والاخذ بناصر الادباء وتنشيطهم وتقدير الجوائز لمستحق المكافأة منهم وغير ذلك . وهكذا يقال في سائر العالم المتمدن

فنقترح انشاء مجمع أو جمعية أو اكاذيمية الغرض منها اصلاح اللغة العربية وضبط ما دخلها أو يدخلها وما تولد أو يتولد فيها من الالفاظ الحديثة على شكل يعم استعماله في العالم العربي . لاننا نعلم بالاختبار الطويل ان كتاب اللغة العربية في انحاء العالم كله حتى في فارس والهند وغيرها يشعرون بهذه الحاجة . ولذلك فالذي نراه ان تتألف هذه الاكاذيمية من اهل الادب على اختلاف طبقاتهم . بحيث يكون فيها العالم اللغوي والكاتب الصحافي والباحث الطبيعي والطبيب والمؤرخ والشاعر وعارفو اللغات الشرقية وامهات اللغات الافرنجية ولا سيما اليونانية واللاتينية . وان يكون لهذه الجمعية اعضاء مراسلون في اطراف العالم العربي يشتركون في هذا العمل . فيعرضون ما يرون الحاجة ماسة الى اصلاحه أو ادخاله أو تعريبه من الالفاظ أو المعاني أو نحت الالفاظ الجديدة التي يصعب تصريفها مثل تلغراف وتلفون فتشتق لها افعالاً من لفظها يسهل استعمالها ونحو ذلك

والاكاذيمية تنظر في مايعرض عليها من الالفاظ او الاوضاع وتعين اللجان اللازمة لدرسها وتقريرها . ثم تعرض ذلك على الجمعية فما اقرت على استعماله بالاكثرية يعلن في الصحف ويدون في الكتب المدرسية بمصر . وينشر في سائر العالم العربي بواسطة الاعضاء المراسلين . ثم تشتغل بوضع معجم على النسق الحديث بحذف الالفاظ المهملة الضخمة التي حكم عليها ناموس الارتقاء بالدثور واضافة الالفاظ الجديدة من المعرب

او المنقول او المنحوت او المولَّد مما تكون الجمعية قد قررته . وترجع في مواد القاموس الى اصولها التحليلية فتبين اصل كل مادة من اي لغة هو . وتتسع اعمال هذه الاكاذيمية مع الزمان بحيث يكون لها ما للاكاذيميات الافرنجية من تقرير الجوائز المالية او الفخرية او الاخذ بناصر الادباء في نشر آثارهم او غير ذلك مما لا يمكن تعيينه الا ن . اذ من العبث ان نطيل الكلام في موضوع لا يزال في حيز الفكر . فاذا حاز هذا الاقتراح قبولاً عدنا اليه وتوسعنا في درسهِ . ويحسن بالادباء الخوض فيهِ لاستجلائهِ بالبحث والمناقشة والله ولي الامر

حديث مع القمر

او نظرة في الوجود

النور المالئ الفضاء يدفع الفكر البشري الى فوق . والسكون السائد على صفاء الطبيعة يخدّر الجسم فتنطلق الروح من سجنها المادي الى موطنها الحقيقي

تركت الوادي وتسلقت الاكمة لارى تبدد الغيوم امام هبوب النسيم وكيف يتجلى الجمال الطبيعي بعد هدوّ العاصفة

وما عسى ان يجذب الفكر في سكون الليل سوى ملك الليل . اليس مهير هذا البدر في هذا الفضاء يدعو الانسان الى الفكر ؟ هذه ملايين من السنين مرّت ولا نزال نشاهد ما شاهده ابناء القرون الخالية وسيشاهده بعدنا ابناء القرون الآتية ويتساءلون عما نتساءل . اما الحقيقة فواحدة نجهلها وسيجهلونها لان البشر بشرٌ والالهة التي تعرف الحقيقة ذهبت ولن تعود

اجل يا بدر — ان جمال محياك لا يسمح لافكاري ان تبتعد عنك فهل لك ان تكون محدثي الليلة وتسرَّ الي شيئاً جديداً ؟ انت الموحي لمخيلة الشعراء بنات الافكار والفاتح لقريحة المفكرين ابواب التأمل والبحث — لا اعلم . اتحسب طلبي جنوناً لاني مخلوق ضعيف يدبُّ على وجه هذه الارض الواسعة التي تسلطتَ على ابنائها اجيالاً طويلة فكانوا لك عبيداً وكنت لهم إلهاً ؟ فاذا عجزت عن ان تعرّفني حقيقة

نفسي فانا اقص لك كل ما تريد ان تعرفه عن نفسك

كلانا ابناء هذه الارض ايها البدر ويلذ لي ان احادثك كما يحادث الاخ اخاه فاسمع لاشرح لك حقائق يثبتها العلم ويؤيدها البرهان

كان دوران الارض منذ ملايين من السنين اسرع مما هو الآن . فاستطال جانب منها بقوة التباعد عن المركز وانفصل عنها ومساحته خمسة الاف مليون ميل مكعب قذف به الى الفضاء فاخذ يدور حول أمه . واذا شئت ان تدعم الحقيقة بالبرهان فانظر الى مايسمونه الاقيانوس الباسيفكي . واعلم ان ذلك الفراغ الهائل كان مهداً لذلك الابن المنفصل

مرت القرون الطوال واجتازت الارض من عصر الى عصر وطرأت عليها تغييرات ادّت الى تكون جرثومة الحياة بها فنشأت تلك الجرثومة درجات متفاوتة حتى كان منها حيوان تفوّق على سواه بالادراك دعي الانسان

ونقل الينا التاريخ انهُ وجد اولاً في بقاع جميلة مخصبة اسمها بلاد الكلدانيين . وكان هؤلاء اول من رفعوا ابصارهم الى السماء ليبحثوا عما فوق فادهشهم بهاء طلعتك وجمال شعاعك وكنت يومئذ كما انت الان غزالاً تائهاً في فضاء هذا الكون فلم يملكوا انفسهم عن ان يسجدوا امام عظمتك واتخذوك الهاً . وكانت تلك الاجيال عصرك الذهبي اذ كان البشر يخافونك ويقدمون لك الذبائح ويبنون لك الهياكل يمجدون بها قوتك المجهولة . فجرهم ذلك الى عبادة الاجرام السماوية وانت في مقدمتها

وما زال الفلاسفة يخبطون فيك خبط عشواء الى اواخر القرن السادس عشر اذ قام في ارض الرومانيين شيخ اسمه غاليلو فكان اول من ادار تلسكوباً اليك . واخبرنا حقيقة علمية عنك ففضح امرك من ذلك الحين وانكشفت حقيقتك وتغير نظر الناس فيك

ان ذلك الجانب الذي انفصل عن الارض ليعيش مستقلاً عنها هو انت ايها البدر وقد يسمونك بدراً لمبادرتك الشمس بالطلوع كأنك تستعجل المغيب لتظهر للعالم بهاءك . فاذا اشرقت عند مغيبها كنت بدراً وسموا ما يظهر مضيئاً منك لاول ليلة هلالاً . وقد علمنا الآن ان البعد فقط هو الذي يرينا اياك جميلاً باهراً

انك على مئتي الف ميل منا ايها القمر ومع ذلك فنحن نعرف عنك اكثر مما نعرف عن اواسط افريقيا مع قربها منا . نعرف كل تغيير يطرا عليك ونقيس علو جبالك وانخفاض وهادك ونتفحص سهولك الفسيحة فنجدها مجدبة لا ماء فيها .

وقد رأينا وسمك مصوراً بالسينوغراف . ولا يمرُّ يوم لانراك فيه مرسوماً على صفحات المجلات التي يلذها البحث عنك . فاذا انت ايها البدر اكلف الوجه كثير الحزون والاخاديد . ليس فيك مايقرُّ العين او يشرح الصدر. ما انت الا براكين فاغرة افواهها لتقذف ناراً وكبريتاً

وما اطول ايامك ان يومك كاربعة عشر يوماً من ايامنا هل يسكنك اناس مثلنا ؟ من يدري ؟ قد يكون عندك احياء على ادنى الصور والاشكال . وقد تمكن علماء الفلك في هذه الايام الاخيرة من مشاهدة نقط بيضاء عند قطبيك تظهر شتاء وتختفي صيفاً يظنونها ثلجاً . وقد عرف الناس ايام خسوفك من عهد بعيد وهم يتنبئون بها قبل حدوثها . وكانت العامة تظن احمرارك وقت خسوفك دليلاً على خجلك لكنهم عرفوا اليوم انه ناتج عن نورالشمس المار في هواء الارض فينكسر ويصلك بعضه فينيرك بهذا اللون الاحمر

انت تدور حول الارض كما تدور هي حول الشمس فقل لي ايها البدر. الك علاقة بما يطرأ على ارضنا من المد والجزر وتقلبات الهواء ؟ ان كثيرين لا يزالون ينسبون اليك هذه التغييرات. اما العلم الحديث فقد دعانا الى الشك في اكثرها . ان ايام نقصك اكثر من ايام كمالك وهذا دليل واضح على ان الكمال لا يأخذ مجراه الطبيعي مطلقاً

لكن ما لنا ولهذا الحديث ايها البدر . انه حقيقة والحقيقة تؤلم ونحن نتألم منه كل ما يؤلم . فدعني اروي لك شيئاً من آراء العامة فيك . فتشت في خرافات الشرقيين القدماء لعلمي انهم لم يتركوا شيئاً لم يعرفوه فوجدت عجوزاً حنكها الدهر فسألتها ما هذا البدر يا خالتاه ؟ فقالت هو غلام شرير عصى أمه فلعنته ودعت عليه بالتيه كما فعل الله ببني اسرائيل فهو لايزال تائهاً . قلت وما هذه النجمة الصغيرة التي لاتفارقه كيفما توجه نراها مسرعة وراءه ؟ قالت اعلم يا بني ان لكل كائن في الوجود نجماً يحرسه — هكذا كان الاسكندر ونابوليوس قيصر وبوناپرت ولم يسقطوا من سماء مجدهم حتى افل نجم سعدهم فكانت نهاية الامر بهم

فعدت الى الطبيعة ايها البدر فتركت المجتمع وانفردت بنفسي بعيداً عن الناس وانت تجلى بعظمتك فوق البساتين والمروج الخضراء فكدت اسجد امام ذلك المنظر المهيب لو لم يستوقفني صوت تقطعه الزفرات . فالتفت فابصرت تائهاً من بني الانسان اسند ذراعه الى جذع شجرة وهو ينظر اليك بنفس حزينة وفؤاد كانه يشاهد فيك رسم الغي يهوى فيخاطبك قائلاً :

يا ايها القمر الباهي بطلعته هل انت نور الدجى المدعو باقمر

وكان يلوم نفسه على هذا الاستفهام الانكاري فيستدرك قائلاً :

ام انت نور محياها قد انعكست انواره فبدت للعين كالبصر

وقفت وقفة الخشوع اواعي شعور تلك النفس التي آلمها الحب . وتحولت الى الجهة الاخرى وانا اشعر بتأثير ذلك الهدو والسكون فوجدت فتى مستلقياً على ظهره ينظر اليك ويحدق النظر فيك ولم ادر ما كان يجول في خاطره لكني سمعته ينشد :

استر جمالك عنا ايها القمر فما القلوب حديد لا ولا حجر

فنظرت اليك فاذا انت سائر بين طغمات من النجوم لا تحصى كقائد يستعرض جيوشه لا يبالي بتأوهات هؤلاء البشر . ورأيتك تحيط بك غمامتان صغيرتان فتخرج من بينهما كانك برغم حركته حرارة الشمس فاراد البروز من بين الاوراق . وشاهدت غيمة اخرى كانها خافت على وجهك الجميل ان تخدشه انظار الناس فترامت عليك وجعلت نفسها حجاباً لك . ولا عجب فان التحجب من شأن البدور

عدت الى نفسي ايها البدر وجلست كاني احد اولئك العشاق اتأمل وافكر فقلت في نفسي مساكين هؤلاء الشعراء انهم اهل خيال يتصورون الوهم حقيقة . كيف تكون حالهم لو عرفوا ان البدر الذي يحبونه ويعبدونه ويجلسون الساعات الطوال امامه يتغزلون ببهاء طلعته ويشبهون وجهه بوجه من يحبون انما هو ارض جافة وجبال قاحلة لا تنبت عشباً ولا يجري فيها ماء ؟ لكن هؤلاء يجدون سعادة الا باوهامهم وهم مسرورون باعتقاداتهم وان كانت خطأً . وحرام علينا ان نشوش عليهم تلك الاعتقادات والاوهام . يكفي انهم عائشون براحة بال وهدو ضمير . اما نحن التعساء الذين لاح لنا بارق من نور الحقيقة فقد اصبحنا نكره الاوهام لانها لا تطابق عقولنا وبتنا لا نجد سعادة الا في البحث عن الحقيقة ومعرفتها . وخير للمرء ان تكون له بساطة هؤلاء العامة وافكارهم . ان ذلك ادعى الى سعادته من ان يعرف حقائق علمية تزيد في اسباب شقائه

ان هذا الكائن الضعيف الذي تراه يدب على وجه هذه البسيطة لا يزال منذ البدء يفتش عن الحقيقة . لكن ما الذي استطاعه بعد طول البحث ؟ اصغ قليلاً ايها البدر فاحدثك عن هذا الكائن واشرح لك ما اعرفه عن حقائقه

ليست الاكتشافات التي يعثر عليها كل يوم الا معرفة بسيطة تزيد طمعه بحب الدنيا . والعالم لا يصل الى كماله بشخص الانسان . ولو امكن ذلك لوصل على عهد افلاطون

وارسطو ومن تقدمهما . اي كان على وجه هذه البسيطة وهي ذرة سابحة في الفضاء ؟ لنفرض انا انتقلنا بقوة الاختراعات الحديثة الى كرة اخرى صغيرة من كرات هذا الكون . الا نرى ارضنا هذه حقيرة ؟ ان الحقيقة موجودة ولا يمكننا ان نتثبت من وجودها . نحن ننظر الى عقائد الاولين ونعدها خرافات ومن يعلم كيف ينظر ابناء القرن الثلاثين الى ما نسميه حقائق . ايها البدر — ان علة العلل هي عقدة العقد . وبعد ان يجاهد الانسان طويلاً في سبيلها يعتل ويموت معترفاً ان الله اقدم الكائنات وليس له ابتداء

اعد نظرك على القرون التي مرَّ بها الانسان تجد البحث عن حقيقة الحياة فكراً شاغلاً كل عقل وهذا الفكر لايزال في نظراهل القرن العشرين كما كان في نظر اهل القرن الاول — لان في حياة الانسان قوة يجهلها الانسان تفعل كما تشاء وستكون هذه القوة آخر ما يكتشفه الانسان بل هي مجموع كل القوى البشرية ومتى عرف كل القوى فقد وصل الى معرفة تلك القوة

صحيح ان الله لم يوجد شيئاً الا واوجد عقولاً تدركه . لكن ملايين من السنين ستزحف على ارضنا قبل ان توجد تلك العقول . ان شعب اليوم لا يزال كما قال نيوتن عن نفسه « يجمع حصى عن الشاطئ » والطبيعة كما قال سنيكا « لا تكشف اسرارها دفعة واحدة »

حبذا ايها البدر لو امكن ان تنتشر الحقيقة في هذا العالم المظلم انتشار شعاعك في هذا الفضاء الواسع . لكن هذه احلام نتسلى بها مع مرور الاجيال . ولا تغرك مسحة هذه المدنية الجديدة انما هي قشور خارجية حكها قليلاً فيظهر لك الجوهر المخيف يرتفع الانسان بعقله وعلومه ومعارفه وما هي الا لحظة حتى يسقط الى اسفل السافلين . بكرت بالامس مبتعداً عن المجتمع الانساني وقعدت بين يدي البحر لاتمتع بمناظر الطبيعة فوجدت نسراً يحلق في الفضاء ويبسط جناحيه فوق السهول والمروج الخضراء فحسدته وقلت هنيئاً لهذا الطائر . ان جمال الطبيعة الرائق تحت قدميه ولا شك انه يفتش عن نقطة جميلة يهبط اليها . ولكن عجبي كان شديداً ايها البدر لما رأيت ذلك الطائر هبط الى اسفل الوادي يطلب جثة منتنة

هذه هي حالنا ايها البدر . ومع ذلك فلا انكر عليك ان القرن العشرين بهجة القرون تقدم به العالم تقدماً باهراً وعمرت به الارض حتى اصبحت جنةً غناء . لكن ذلك لم يكن الا ليبعدنا عن الحقيقة فيجعل العالم عالماً ماديا محضاً . فترى هؤلاء الناس

يركضون منهمكين باشغالهم واموالهم. ان اعمالهم تأكلهم قبل ان يأكلوا ثمار اعمالهم . فتراهم يزاحمون طيور السماء ويرفعون ابنيتهم في الجو وقد ملأوا الفضاء عمراناً حتى حجبوك ايها القمر عن ابصار العباد . واستعاضوا عن نورك الجميل بانوار الغاز والكهرباء . ان كثيرين في هذه المدن المزدحمة بالسكان لا يعرفون ما هو القمر ولا يبالون به وقد يموتون ولا يبصرونه مرة في حياتهم انهم يبتعدون عن الطبيعة فيقتلون جمال النفس وهو اسمى الظواهر البشرية

ولم يكفهم الفضاء فنزلوا جوف الارض يسكنونه واقلقوا راحة الهوام والديدان . انهم يجربون سكنى القبور وهم احياء . وقد تفننوا في امور معيشتهم الى حدٍّ غريب اما انا فقد سئمت هذه الحياة فخذني اليك لاسكن في كهوف جبالك واعيش بعيداً عن هذا العالم . لعلي احول تربتك الجافة بقوة النشاط والاجتهاد الى ارض مخصبة جميلة

هناك حيث تتلطف قوة الجاذبية يمكنني ان اطير واطوف في فضائك الهادي بكل راحة بال وهدو ضمير لا يؤلمني الماضي ولا يخيفني المستقبل . ومتى حان اجلي اضم نفسي الى ذرات تربتك والتحفك الى الابد

نعم ايها البدر — انت لي احلام الشعراء الذهبية فاصوغ من شعاعك سلماً ارتقي به اليك واجعلك ارضاً جديدة لا دم جديد

(نيويورك) توفيق مفرّج

المرأة الاميركية
وترقية الهيئة الاجتماعية

اصبح للمرأة الافرنجية شأن كبير في اصلاح الهيئة الاجتماعية وترقيتها المادية والادبية . فاخذت تتعاطى شؤون الرجال واوشكت ان تسبقهم في بعضها . وربما امتازت المرأة الاميركية بنشاطها وتفرغها لذلك العمل السامي . فقد انشأت ستة آلاف نادٍ في العالم الجديد تحتوي على مليون عضو والغاية من تلك الاندية ترقية الأمة على العموم بتحسين الصحة العمومية وتربية الاطفال على الطرق الهيجينية وتنظيف الشوارع ومحلات بيع البقول واللحم وانشاء المكاتب والمدارس وغيره

تأسست تلك الاندية منذ بضع وعشرين سنة فقط لكنها اتت بفوائد تستغرق اضعاف هذه المدة . التفت الاعضاء اولاً الى الصحة العمومية فاهتممن بتنظيف

دين روسيا على الدولة العثمانية

﴿ مناوس . البرازيل ﴾ قسطنطين افندي حبيب

كم هو مقدار الدين الباقي لدولة الروس على الدولة العلية من اصل الغرامة الحربية

﴿ الهلال ﴾ كان الباقي من هذه الغرامة سنة ١٨٩٨ مبلغ ٢٤٥١٣٠٠٠ ليرة عثمانية على ان يدفع منها في ١٤ يناير من كل سنة قسط قيمته ٣٥٠٠٠٠ ليرة فالاقساط المدفوعة من تلك السنة الى اليوم ٢٤ قسطاً في ٣٥٠٠٠٠ الجملة ٨٤٠٠٠٠٠ ليرة. فيكون الباقي على الدولة العلية من تلك الغرامة نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ ليرة عثمانية

هل بالطلول

﴿ زحلة . لبنان ﴾ جميل افندي فريجة

من هو ناظم القصيدة المشهورة باليتيمة التي مطلعها :

هل بالطلول لسائل ردُّ ام هل لها بتكلمٍ عهدُ
درس الجديد جديد معهدها فكأنما هي ريطة جرد

﴿ الهلال ﴾ لم نقف على اسمه ولكن يظهر من قصيدته انه من تهامة يدل على ذلك قوله :

ان تتهمي فتهامة وطني او تنجدي ان الهوى نجد

وقد نشرنا هذه القصيدة وسبب نظمها في الهلال صفحة ١٧٠ سنة ١٤

معاهدة الصلح

بين الدولة العلية وايطاليا

التي امضيت في اوشي

المادة الاولى — تتعهد الحكومتان بانهما على أثر توقيع هذا العهد تتخذان في وقت واحد التدابير اللازمة لمنع الحرب وترسلان مندوبين الى محل القتال للتثبت من تنفيذ تلك التدابير

المادة الثانية — تتعهد الحكومتان بان تصدر على أثر توقيع هذا العهد اوامرهما الى ضباطهما وجنودهما وموظفيها الملكيين بالرجوع فالحكومة العثمانية تأمر الضباط

والجنود والموظفين العثمانيين في طرابلس و بنغازي بان يبرحوهما والحكومة الايطالية تأمر الذين في الجزر من جنودها وموظفيها بان يعودوا منها ولكن عودتهم من تلك الجزر لا تكون الا بعد ان يبرح الضباط والجنود والموظفون العثمانيون طرابلس وبنغازي

المادة الثالثة — يتبادل الفريقان الرهائن والاسرى في اقرب ما يمكن من الوقت

المادة الرابعة — تتعهد الحكومة الايطالية بان تصدر العفو التام عن جميع أهالي طرابلس وبنغازي . وتتعهد الحكومة العثمانية بان تعفو عن اهالي الجزر الذين قاتلوا مع الايطاليين أو وقعت عليهم شبه في ممالاة ايطاليا . وانما يستثنى من العفو اصحاب الجرائم المرتكبة ضد الحقوق العمومية . وبناء عليه لا يجوز ان يحاكم احد من اية طبقة كانت او ان يصادر في شخصه او املاكه او حقوقه بسبب ما قام به من اعمال سياسية او حربية او ما ابداه من الآراء في مدة الحرب وجميع الذين سجنوا او نفوا لشيء من ذلك تطلق حريتهم بلا تأخر

المادة الخامسة — ان جميع المعاهدات والاتفاقات من اي نوع او شكل سواء كانت قد عقدت او كانت جارية واوقفت تعود كما كانت قبل الحرب ويعود مركز الحكومتين بعضهما ازاء بعض ومركز جميع رعاياهما كما كان ايضاً

المادة السادسة — تتعهد ايطاليا بأنها تقبل عقد معاهدة مبنية على اساس الحق الاوربي العام اي انها تقبل ان تدع لتركيا كل استقلالها الاقتصادي فتتصرف من الوجهة التجارية والجمركية كما تفعل الدول الاوربية بدون ان تكون مقيدة بالامتيازات القنصلية او غيرها مما هو نافذ في هذا الوقت . على ان مثل هذه المعاهدة لا تعقد بين ايطاليا وتركيا الا بعد ان يعقد مثلها بين الثانية والدول الاخرى

وتتعهد ايطاليا فوق ما تقدم بأن تقبل زيادة الرسوم في الجمارك العثمانية الى ١٥ في المئة من قيمة البضاعة وتقبل ايضاً احتكارات جديدة وزيادات على رسوم البترول وورق السيجاره والثقاب (عود الكبريت) والكحول وورق اللعب بشرط ان تعامل بضائع الدول الاخرى بمثل هذه المعاملة فيما يتعلق بالاحتكار . على انه يلزم ادارة الاحتكار في تركيا ان تستورد بضائع ايطالية بشرط ان يكون ثمنها موافقاً لحالة السوق في وقت الشراء

المادة السابعة — تتعهد الحكومة الايطالية بان تلغي بوسطاتها في البلاد العثمانية حينما تلغي الدول الاخرى التي لها مكاتب بريد بوسطاتها ايضاً

المادة الثامنة — تتعهد ايطاليا منذ الان بانها توافق وتؤيد تركيا حين تطلب

الحكومة العثمانية من الدول الغاء الامتيازات في بلادها واتباع الطريقة الدولية في ذلك

المادة التاسعة — تعيد الحكومة العثمانيــة جميع الايطاليين الذين قضت ظروف الحرب باخراجهم من وظائفهم وتدفع اليهم رواتب المدة التي انقطعوا فيها عن الشغل ولا ينال الضرر احداً من الذين يحق لهم معاش التقاعد بسبب ذاك الانقطاع . وتستخدم الحكومة العثمانية من جهة اخرى نفوذها لدى مصلحة الديون العمومية والبنوك والشركات والسكك الحديدية وغيرها من المعاهد التي يؤثر فيهـا نفوذها لتحملها على معاملة الموظفين الايطاليين بمثل معاملتها لهم

المادة العاشرة — تتعهد الحكومة الايطالية بأن تدفع كل عام الى مصلحة صندوق الديون العمومية لحساب الحكومة العثمانية مبلغاً من المال يساوي متوسط مادفعته اليه ولايتان في كل سنة من السنوات الثلاث التي تقدمت الحرب . ويتفق مندوب عثماني ومندوب ايطالي على هذا المبلغ الذي يجب دفعه . واذا وقع خلاف في هـذا الشأن يحال على لجنة تحكيم يرأسها محكم اول يرجح الاصوات واذا بقي الاتفاق مع ذلك غير ممكن يعين كل فريق من المتعاهدين دولة والدولتان المعينتان تختاران الحكم المرجح للاصوات ويحق لمصلحة الديون العمومية ان تطلب ابدال القسط السنوي المذكور بمبلغ موحد يؤخذ عنه فائدة ٤ في المئة . وتقبل الحكومة الايطالية ان لا تكون قيمة القسط السنوي اقل من مليوني فرنك

المادة الحادية عشر — ينفذ هذا العقد منذ التوقيع عليه (الجريدة)

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ٢ من سنة ١٣ و ١ من سنة ٢ و ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ١ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ و ٤ من سنة ٢٠ فمن كانت لديه هذه الاعداد او بعضهـا يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

وبلغنا ان الحكومة عازمة على تحقيق هذه الامنية . واذا لم تفعل (لا سمح الله) فانها تقضي على آمالنا باحياء هذا الفن في العربية

ولا ذنب للجوق في ذلك لانه باذل اقصى الجهد في التقدم نحو الامام واختيار الروايات المفيدة على ما يلائم اذواق الحضور. وليس هذا بالامر السهل لاختلاف الجمهور عندنا في الذوق والمشرب وتفاوتهم في التربية والمعرفة . ولذلك فاذا اختار اصحاب الجوق رواية ولم يتفق الحضور كافة على استحسانها فليس ذلك ذنباً لهم لانهم لا يدخرون وسعاً في انتقاء ما يظنونه مفيداً ولو كان غريباً على الحضور . كما فعلوا هذا العام فانهم ادخلوا ضرباً من الروايات لم يسبق تمثيله في العربيـة نعني تمثيل روايات تهذيبية باللغة العامية من قلم المرحوم عثمان بك جلال . وهي خطوة حسنة في هذا الفن لان للغة العامية وقعاً في النفس غير وقع اللغة الفصحى . وهم عاملون على انتقاء روايات يمثل احوال العرب ومناقبهم كلفوا بعض الادباء بتأليفها ليكون التمثيل عربيًا من كل وجه عملاً برغبة سمو الامير . وبالجملة ان اصحاب هذا الجوق عاملون على اتقان التمثيل واختيار احسن المواضيع — ولا يجدي ذلك نفعاً ان لم تأخذ الحكومة بايديهم لتتم أمنية سمو الامير اعزه الله باحياء هذا الفن

مطبوعات جديدة

جرائد ومجلات وروزنامات

﴿ الصديق ﴾ مجلة ادبية تاريخية روائية تصدر في الاسكندرية في منتصف كل شهر لمنشئها عبد الحميد افندي سالم بدل اشتراكها ٣٠ غرشاً

﴿ الهلال ﴾ مجلة اسلامية مصورة تصدر باللغة الاوردية في كلكته بالهند مرة في الاسبوع لمديرها ومحررها احمد المكنى بابي الكلام الدهلوي. وهي متقنة الطبع كبيرة الحجم بدل اشتراكها ثماني روبيات في السنة . ونود لو اضاف صاحبها الى اسمها لفظاً آخر يميزها عن مجلتنا كأن يسميها « الهلال الهندي » مثلاً كما سمى الشيخ عبد العزيز جاويش جريدته في الاستانة « الهلال العثماني » وذلك اولى من وقوع الالتباس

﴿ الصحة ﴾ مجلة صحية طبية تصدر في نيويورك مرة بالشهر لمنشئها يوسف افندي بيرودي الصيدلي بدل اشتراكها ريالان اميركيان او عشرة فرنكات

﴿ جراب الحاوي ﴾ جريدة هزلية انتقادية تصدر في بونس ايرس بالارجنتين اسبوعيًا لمحررها سمعان افندي منصور الحاماتي بدل اشتراكها بالخارج ٢٠ فرنكاً

﴿ الشعب ﴾ جريدة جامعة تصدر في عين زحلتا (لبنان) لمنشئها رشيد افندي نخله ومديرها زيدان افندي ضاهر توزع مجاناً

﴿ المنارة ﴾ المرقسية مجلة دينية اسبوعية تصدر في الخرطوم لصاحبها القس مرقس سرجيوس بدل اشتراكها خمسون غرشاً

﴿ النتيجة السنوية ﴾ صدرت الرزنامة السنوية لجمعية النشأة القبطية الارثوذكسية عن سنة ١٦٢٩ للشهداء وهي السنة السادسة عشرة لصدورها

﴿ تقويم طوالع الملوك ﴾ صدر هذا التقويم لسنة ١٣٣١ هجرية لصاحبه السيد محمود الفلكي وهو يطلب من مجلة طوالع الملوك بالقاهرة

كتب في مواضيع مختلفة

﴿ الهدية الفهمية في تذليل صعوبات اللغة الانكليزية ﴾ هو كتاب نفيس يدل اسمه على موضوعه. والناشئة العربية في غاية الافتقار اليه. تأليف محمد افندي فهمي المغربي بنظارة الحربية. جعله قسمين الاول في المصطلحات العمومية لاستعمال الالفاظ حسب موقعها من الجملة . رتب فيه هذه الالفاظ على الابجدية ودل على كل اصطلاح بجملة تدل عليه مع ما يقابله في العربية. والقسم الثاني يشتمل على مصطلحات الحكومة المصرية رتبها حسب النظارات وفروعها. فبدأ بنظارة الحقانية وما يدخل تحتها من اصطلاحات المحاكم الاهلية والمحاكم الشرعية والمحاماة . ثم نظارة الحربية وفروعها كاقسام الجيش وانواع الالبسة والحركات الحربية وادواتها وغير ذلك . فنظارة المعارف واصطلاحاتها حسب الفروع ويدخل فيها مصطلحات العلوم وهذا باب واسع . فنظارة الاشغال فالمالية فالسكك الحديدية والتلغرافات فمصلحة الصحة والسجون وغيرها . والكتاب نحو ٥٠٠ صفحة في ذيلها فهارس للابواب يسهل الاستعمال . فهو لايستغني عنه طالب او اديب في بلد اصبحت اللغة الانكليزية داخلة في كل عمل من اعماله الرسمية وغير الرسمية .فنحث طلاب اللغة الانكليزية على اقتنائه وخصوصاً خدمة الحكومة فانه يغنيهم عن بحث كثير وقد قضى مؤلفه اعواماً عديدة في جمعه وضبطه جزاه الله خيراً وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرين غرشاً واجرة البريد غرشان

﴿ الكفيل بسرعة التحويل ﴾ تأليف محمد افندي امين الديك بمدرسة خليل اغا بمصر يشتمل على جداول لتحويل النقود والموازين والاطوال والسطوح ولتعيين ثمن السبائك الذهبية وثمن المصوغات وارشادات مختلفة وملحق لتعيين ما يختص بالكسور القيراطية للفدان من الثمن وقد وضعه مؤلفه على اسلوب يسهل استعماله

❊ مجالة المتأدب ورسالة لقط الحكمة ❊ هما كتابان في مجلد واحد لصالح افندي حمدي حماد يشتمل الاول على نوادر ووقائع تمثل الفضائل وتهدي الى سبل الرشاد في الادب والحكمة . والثاني مجموع حكم نثرية ومواعظ شعرية منقولة عن قائلها . وفي ذيل كل حكمة او عظة اسم قائلها والكتاب من خيرة كتب الادب وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

❊ حكم النبي محمد ❊ تأليف الفيلسوف تولستوي في اقوال النبي وشيء عن الاسلام واوربا . نقله من الروسية سليم افندي قبعين وهو يطلب من حضرته بمصر

❊ امثال الشرق والغرب ❊ هو مجموع امثال حكمية من اقوال فلاسفة الشرق والغرب مرتبة حسب المواضيع تأليف يوسف افندي توما البستاني وفيه امثال للقدماء والمحدثين في كل موضوع وامثال صينية ومراكشية واقوال الحكماء من الاسكندر ووصايا وعظات مختلفة وهو يطلب من حضرة المؤلف

❊ خريطة الحرب البلقانية ❊ طبع الخواجات صابونجي اخوان المصورون المشهورون خريطة عربية كبيرة للحرب البلقانية الجارية موضحة بالالوان . وهي تطلب من حضراتهم بمصر وثمن الخريطة خمسة غروش

❊ امتيازات الجماعات المسيحية ❊ هو كتاب قانوني شرعي يشتمل على امتيازات المسيحيين في الدولة العثمانية الفه باليونانية الصحافي ستافروس فوتيراس ونقله الى العربية الاستاذ غطاس افندي قندلفت مدير المدرسة الاكليريكية في البلمند بلبنان ظهرت اولاً في مجلة الحوادث بطرابلس ثم نشرت في كتاب على حدة وتطلب من حضرته

❊ روح المصور ❊ هي رواية اخلاقية تأليف جورج هونيه الكاتب الفرنساوي الشهير . نقلها الى العربية الدكتور علي بك البقلي التماساً لبث ما تشتمل عليه من اسباب التهذيب وترقية الاخلاق . وهي تطلب من معربها بمصر

❊ الاسلام والاصلاح ❊ هو تقرير رسمي رفعه السير رنشادر وود قنصل انكلترا في تونس الى ناظر خارجيتها . وقد نقله الى العربية محب الدين افندي الخطيب المحرر في المؤيد ويطلب من حضرته

(مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية) تأليف رفاعه بك الشهير جمع فيه فنوناً عديدة نقلها من العربية والفرنساوية ومما اختبره بنفسه . بينها حقائق كثيرة جزيلة الفائدة . اعيد طبعه في المطبعة الاميرية . ويطلب من محمد بك رفاعة بمصر وثمن النسخة عشرون غرشاً ولطلبة العلم بنصف القيمة

الهلال

الجزء الثالث من السنة الحادية والعشرين

اول دسمبر (ك ١) سنة ١٩١٢ و٢٢ ذي الحجة سنة ١٣٣٠

فتوح العثمانيين

في شبه جزيرة البلقان

في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد

نظراً للحرب الناشبة الآن بين الدولة العثمانية ودول البلقان رأينا ان نأتي على تاريخ استيلاء العثمانيين على تلك البلاد والاسباب التي حملتهم على ذلك اوساعدتهم عليه المقابلة بين تلك الفتوح وهذه الحرب وليتبين للقارئ اختلاف الامم باختلاف الاعصر وتباين الدول بتباين الايام . ونقدم الكلام في بيان حال بلاد البلقان لما حمل العثمانيون عليها

البلقان قبل الفتح العثماني

كانت بلاد البلقان قديماً امارات مستقلة تتنازع وتتحارب . فلما مدت الدولة الرومانية رواقها على العالم المتمدن دخلت هذه البلاد في حوزتها وصارت جزءاً منها . ولما انقسمت تلك الدولة الى قسميها الشرقي والغربي دخلت بلاد البلقان في سيطرة الدولة الرومانية الشرقية التي عرفت بعد ذلك بالدولة البيزنتية نسبة الى عاصمتها بيزانتيوم وهي القسطنطينية

المملكة البيزنتية

كانت المملكة البيزنتية او المملكة الرومانية الشرقية في اول امرها تشتمل على شبه جزيرة البلقان واسيا الصغرى وما بين النهرين والشام وفلسطين ومصر وبرقة وعاصمتها القسطنطينية . واملاكها في البلقان عبارة عما يعرف الآن ببلاد اليونان ومكدونية والبانيا والبلغار والسرب والجبل الاسود والفلاخ وبغدافيا والبوسنة والمجر وجنوبي روسيا اوربا . ولما آذن نظام العمران بتقهقرها اخذت تلك البلاد تنسلخ عنها رويداً رويداً اما بالفتح من الخارج او بالاستقلال من الداخل . كما اصاب الدولة الرومانية الغربية وغيرها من الدول الكبرى في الشرق والغرب — سنة الله في خلقه

نزل عليها الجرمان والسلاف والاوارمن الشمال فاحتلوا جزءاً كبيراً من اعالي البلقان . وهاجمها الفرس من الشرق فافتتحوا ما بين النهرين . ثم اكتسحها العرب من الجنوب ففتحوا الشام وفلسطين ومصر وبرقة . فلم ينقض القرن السابع للميلاد حتى انحصرت المملكة البيزنتية في اسيا الصغرى والقسم الاسفل من جزيرة البلقان المعروف الآن بمكدونية والبانيا وبلاد اليونان . وبقي في حوزتها ايضاً بعض اطراف ايطاليا في صقلية ولمبارديا . بحيث يحدها من الشمال جبال البلقان والبحر الاسود ومن الجنوب البحر المتوسط ومن الشرق جبال طوروس ومن الغرب البحران الادرياتيكي والمتوسط . وخرجت اطراف ايطاليا من حوزتها بعد قليل

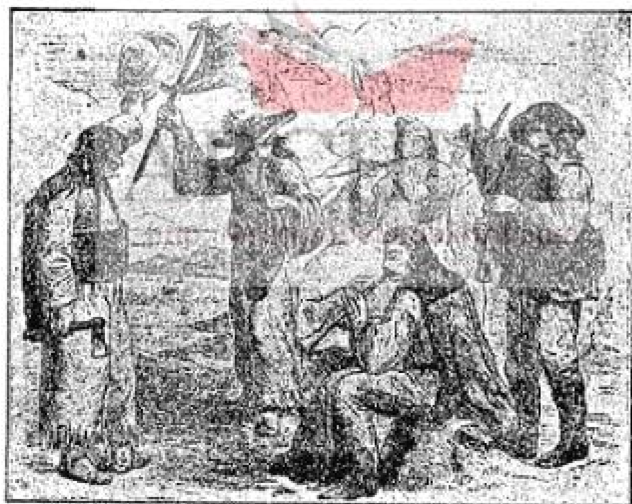
ثم ظهرت الدولة السلجوقية فمدت سلطانها في اسيا الصغرى فاخرجت معظمها من حوزة الروم . فدخل القرن الثالث عشر للميلاد وقد تقلص ظل الروم او الدولة البيزنتية عن كثير من ولاياتها في اسيا الصغرى . فلما نشأت الدولة العثمانية في آخر القرن الثالث عشر كانت المملكة البيزنتية محصورة بين جبال البلقان والبحر المتوسط في ما يعرف الآن بمكدونية والبانيا (وهي البلاد الباقية في حوزة العثمانيين قبل انتشاب هذه الحرب) وبلاد اليونان وقسم من غربي اسيا الصغرى يعرف الآن بولايات ايدين وخداوندكار وخوجلي وقسطموني

فلما نهض العثمانيون لفتح بلاد البلقان لم يحاربوا البيزنتيين فقط بل حاربوا ايضاً من يجاورهم من البلغاريين والسربيين والبوسنيين والمجريين والالبان وغيرهم من الامم التي كانت قد خرجت من سيطرة الروم او انشأت دولاً لنفسها واليك خلاصة احوالها

المجر

واهم تلك الممالك يومئذ المجر او هونغاريا . والمجر قوم من التتر نزلوا ضفاف الدانوب في اوائل القرن العاشر للميلاد وحاربوا الجرمان الذين كانوا هناك ونازعوهم على البلاد فملكوها . وتولى منهم عدة امراء اعظمهم الدوق ارباد توالى الملك في اعقابه . واول من تنصر منهم الدوق جيشا الاول في النصف الاخير من القرن المذكور . واخذ ينشر النصرانية في قومه

ثم تحضر المجر واشتد ساعدهم فاشتغلوا بالفتح فاتسعت مملكتهم وعمرت وبلغت قمة مجدها في عهد لويس الاعظم (من سنة ١٣٤٢ — ١٣٨٢ م) من بيت انجو بنابولي . فدخلت بولندا في حوزتها واصبحت مملكة المجر تمتد جنوباً الى وراء الدانوب وخضعت لها البندقية وادت الجزية



عامة المجر

فلما مات لويس هذا اختلف اصحابه على الملك وتنازعوا على النفوذ وطال تنازعهم وانتشبت الحروب الاهلية ولم تستقر الحال الا على يدي سجسموند الملك (من سنة ١٣٩٢ — ١٤٣٧)

ثم نبغ هونياذس القائد العظيم الذي حارب العثمانيين كما سيجيء فصارت الدولة الى ابنه متياس وكان اهلاً للسلطة فدافع العثمانيين جهده واخذت الدولة بعده بالتقهقر فدخلت كلها في حوزة العثمانيين في اواخر القرن الخامس عشر

البلغار

والبلغار اصلهم من التتر نزحوا من ضواحي بحر قزوين في فرقتين اقامت احداهما على ضفاف الفولكا وهم البلغاريون البيض . ونزلت الاخرى غرباً واستقرت على ضفاف الداتوب سنة ٦٨٠ م ويعرفون بالبلغار السود . واحتك هؤلاء بالاوار والسلاف بجوارهم واندمجوا فيهم . ولذلك فهم لا يعدون من التتر الا اسماً واكثر دمهم سلافي . ودخلت بلغاريا في حوزة الروم وخرجت منها غير مرة آخرها سنة ١١٨٧م فاستقلت وما زالت مستقلة حتى فتحها العثمانيون سنة ١٣٨٩ بعد واقعة قوصوه الآتي ذكرها

ومما يحسن ذكره ان العرب عرفوا البلغاريين من عهد الدولة العباسية في اوائل القرن الرابع للهجرة على يد رحالة مسلم اسمه احمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان رسول الخليفة المقتدر العباسي الى ملك الصقالبة فانه سافر الى بلاد البلغار وذكر ما لاقاه في الطريق اليها وكان ملكها قد بعث الى المقتدر يسأله ان يبعث اليه من يفقهه في الدين ويعرفه شرائع المسلمين ـ وهو يسميه ملك الصقالبة . وهذا مثال من قول الرحالة في وصفه قال « فلما كنا من ملك الصقالبة على مسيرة يوم وليلة وجه لاستقبالنا الملوك الاربعة الذين تحت يديه واخوته واولاده فاستقبلونا ومعهم الخبز واللحم والجاورس وساروا معنا . فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا هو بنفسه فلما رآنا نزل نخر ساجداً شكراً لله وكان في كمه دراهم فنثرها علينا ونصب قباباً فنزلناها وكان وصولنا اليه يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٠ هـ وكانت المسافة من الجرجانية وهي مدينة خوارزم سبعين يوماً فاقمنا الى يوم الاربعاء في القباب التي ضربت لنا حتى اجتمع ملوك ارضه وخواصه ليسمعوا قراءة الكتاب . فلما كان يوم الخميس نشرنا المطردين الذين كانوا معنا واسرجنا الدابة بالسرج الموجه اليه والبسناه السواد وعممناه . واخرجت كتاب الخليفة فقرأته وهو قائم على قدميه ثم قرات كتاب الوزير حامد بن العباس وهو قائم ايضاً وكان بديناً فنثر اصحابه علينا الدراهم . واخرجنا الهدايا وعرضناها عليه ثم خلعنا على امرأته وكانت جالسة الى جانبه ـ وهذه سنتهم ودابهم . ثم وجه الينا فحضرنا قبته وعنده الملوك عن يمينه وامرنا ان نجلس عن يساره واولاده جلوس بين يديه وهو وحده على سرير مغشى بالديباج الرومي . فدعا بالمائدة فقدمت اليه وعليها لحم مشوي فابتدا الملك واخذ سكيناً وقطع لقمة فاكلها وثانية وثالثة . ثم قطع قطعة دفعها الى سوسن الرسول فلما تناولها جاءته مائدة صغيرة فجعلت بين يديه — وكذلك رسمهم لا يمد احد يده اذا اكل حتى يناوله الملك فاذا تناولها جاءته مائدة ثم

قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة . وكذلك حتى قدم الى كل واحد من الذين بين يديه مائدة واكل كل واحد منا من مائدة لا يشاركه فيها احد ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً . فاذا فرغ من الاكل حمل كل واحد منا ما بقي على مائدته الى منزله فلما فرغنا دعا بشراب العسل وهم يسمونه السجو فشرب وشربنا ... »

السرب والبوسنه

والسرب قوم من السلاف نزلوا سربيا فاكتسحوها واخرجوا الاوار منها في القرن السابع ثم دخلت في حوزة الروم ثم خضعت لبلغاريا ثم عادت الى سلطة الروم سنة ١٠١٨ واستقلت سنة ١٠٤٣ وحالفت المجر لمحاربة الروم . ثم صارت دولة قوية وسمي اميرها ملكاً سنة ١٢١٧ وفي اواسط القرن الرابع عشر اشتد ساعدها ففتحت مكدونيا والبانيا وتساليا وقسماً من بلغاريا وسمي ملكها يومئذ « امبراطور السرب واليونان » ولم يطل عزها بذلك فعادت وانقسمت وتقهقرت وانتهت حياتها بدخولها في حوزة العثمانيين على اثر واقعة قوصوه وما يليها



رجل وامرأة من البوسنه

والبوسنه اصلها قبيلة من السلاف ايضاً هاجرت من الشرق في القرن السابع وتوالى عليها امراء منها الى القرن الثالث عشر فدخلت في سلطان المجر ثم السرب ثم استقلت سنة ١٣٧٠ وبلغت قمة مجدها سنة ١٣٧٦ عند انحلال الدولة السربية واوشكت ان تخلفها لولم يداهمها العثمانيون بواقعة قوصوه الشهيرة . ثم اخذت بالخضوع لهم من سنة ١٤٦٢

الروم

اما الروم او البيزنتيون فانتابت دولتهم احوال شتى اهمها انها دخلت في حوزة الصليبيين في حملتهم الرابعة من سنة ١٢٠٤ — ١٢٦١ م وصارت في اثنائها لاتينية او غربية تولاها اولاً الكونت بلدوين قائد الحملة الصليبية الرابعة واقتسم الصليبيون المملكة البيزنتية وتنازعوا على قسمتها لكن سلطتهم لم تدم الا ٥٧ سنة والشعب لا يريدهم . وفي سنة ١٢٦١ غلبهم عليها الامبراطور ميخائيل باليولوغوس صاحب نيس واعاد الدولة الرومانية الشرقية وتوالى اعقابه عليها نحو قرنين نشأت في اثنائها الدولة العثمانيـة وفتحت تلك المملكة كما سيجيء

الدولة العثمانية

نشأت الدولة العثمانية في آخر القرن الثالث عشر للميلاد باسيا الصغرى . وكان القسم الشرقي منها في حوزة السلاجقة والغربي في سلطة الروم كما تقدم . فافتتح عثمان اول سلاطينهم بلاد السلاجقة في الشرق واخذ في فتح القسم الغربي واخراجه من سلطة الروم . وخلفه السلطان اورخان سنة ١٣٢٦ ميلادية وسار على خطواته ففتح بروسة وجعلها عاصمة مملكته وانشأ وجاق الانكشارية . وهو اول من وطئ جنده اوربا من سلاطين آل عثمان . والسبب في ذلك ان كنتا كوزين وصي الامبراطور يوحنا الرابع صاحب القسطنطينية كان رجلاً حازماً قام بالوصاية حق القيام . فوشى بعض الحاسدين به واوغروا صدر الامبراطور وأمه عليه فخلعاه . فغضب وجاهر بمعاداة الدولة والملة . وفي جملة مساعيه انه استنصر الاتراك فنصروه فتغلب على الامبراطور يوحنا وتولى عرش القسطنطينية مكانه وسمى نفسه يوحنا الخامس . فكان ذلك وسيلة لطمع العثمانيين بتلك الدولة الهرمة فوجهوا عنايتهم الى فتحها

واول من نهض لذلك الامير سليمان بن السلطان اورخان . ذكروا انه رأى في الحلم كان شريطاً من الفضة هبط من القمر الى حجره ثم امتد حتى وصل بين اسيا واوربا فتفاءل بذلك خيراً . وبحث عن اقرب نقطتين بين تينك القارتين مما يلي بروسة فاذا هي بوغاز الدردنيل . فاصطنع قاربين من جذوع الشجر شدها بعضها الى بعض بسيور من جلد البقر وركب عليهما مع ٤٠ من اصحابه وقطعوا الدردنيل الى حصن على مرحلة ونصف من غاليبولي اسمه تزيبين هان عليهم فتحه لتجمع الاتربة آكاماً حوله من اقذار الاهلين ومزابلهم . وتقاطر الاتراك بعد ذلك افواجاً . وبعد ثلاثة ايام صارت حامية

ذلك الحصن ٣٠٠٠ عثماني . واتفق بعد برهة حدوث زلزال هدم اسوار غاليبولي وما يليها من الحصون فهان عليهم فتحها كأن الطبيعة اعانتهم عليها . واستبشروا بذلك فاعادوا الاسوار والحصون وجعلوا غاليبولي معسكراً يحشدون فيه الاجناد ويبعثون بها الى داخلية البلاد . لكن سليمان لم يتمتع بثمار هذا الفتح فسقط عن جواده وهو في الصيد فتوفي وتوفي ابوه اورخان بعده حزناً عليه سنة ١٣٦٠ م

فتح ادرنة

فخلفه ابنه الآخر السلطان مراد ويعرف بمراد الاول فاخذ في مواصلة الفتح بأوربا . واهم اعماله انه فتح مدينة اندرينوبولي امنع مدائن المملكة البيزنتية في ذلك العهد وجعلها قصبة ملكه بعد بروسة وسماها « ادرنة » . وبلغ عدد الاسرى من الروم في ذلك الفتح مبلغاً فاحشاً حتى بيع الاسير بـ ١٢٥ اسبراً (غرشاً) وهو السعر الذي صاروا يحاسبون عليه بيت المال في خمسه الذي يخصه من الغنائم

فوقع فتح ادرنة وقعاً سيئاً في اوربا كلها . فاعلن البابا اوربان الخامس يومئذ حرباً صليبية اتحد فيها ملكا البلغار والمجر وامراء السرب والبوسنة والفلاخ لدفع هذا الفاتح الغريب . وجردوا جنودهم الى ادرنة . وقبل وصولهم اليها بيومين باغتهم العثمانيون وهم في حال عربدة ففشلوا وتقهقروا وذهبوا غرقاً في نهر مريتزا سنة ١٣٦٣ وانما نجا ملك المجر (لويس) باعجوبة بعد ان اوشك ان يذهب قتيلاً بحد السيف . وكان قد نذر كنيسة يبنيها للعذراء اذا نجا فوفى نذره

فوقع الرعب في قلوب ملوك البلقان وامرائه . وفي أثناء ذلك عقدت اول معاهدة بين العثمانيين والاوربيين ــ نعني معاهدة جمهورية راغوسة . ولم يكن السلطان مراد يحسن الكتابة لتوقيع اسمه فغمس كفه بالحبر وطبعها في اعلى العقد . ويظن بعضهم ان ذلك هو اصل رسم الطغراء في المكاتبات الرسمية العثمانية . ولكننا بينا في غير هذا المكان ان الطغراء اقدم من ذلك

ولما استقر المقام للسلطان مراد في ادرنة اخذ في تحصينها وتزيينها . فبنى فيها قصراً فخماً وابنية كثيرة . واقام هناك الى سنة ١٣٧١ ثم اضطر للرجوع الى اسيا لبعض الشؤون الدولية لكنهُ ما لبث ان عاد الى اوروبا . وكان قد حاصر ابولونيا بضعة عشر يوماً فصبر اهلها على الحصار . فهمَّ السلطان بالرجوع عنها واذا بجانب من الاسوار يتساقط من نفسه ففتح للعثمانيين ثغرة دخلوا منها الى المدينة ونهبوها . وكانت ابولونيا حصناً منيعاً زاد العثمانيين منعة وجرأة فحملوا على نيسا احدى اربع قلاع من امنع

قلاع المملكة البزنتية وفيها ولد الملك قسطنطين الكبير. فحاصرها السلطان مراد ٢٥ يوماً وفتحها وعاد الى ادرنة ظافراً غانماً. واستقر هناك ستة اعوام لا ينهض لفتح وانما جعل همه اصلاح مملكته وتنظيمها

فخاف جان باليولوغس صاحب القسطنطينية عاقبة ذلك النصر فاستنصر البابا اوربان الخامس. وذهب بنفسه الى رومية واعترف بفساد تعاليم الكنيسة الشرقية ارضاء للبابا فاذنوا له بتقبيل قدمه ويده وفمه وان يقود بغلته باجامها. فوعده البابا بخمس عشرة سفينة و١٥٠٠ فارس والف رام. ولم يجده ذلك نفعاً لان جماعة من مداينيه قبضوا عليه في البندقية وهو راجع الى بلده فاضطر ابنه مانويل ان يبيع كل ما يملكه لينقذ اباه من ذلك الاسر. فلم يرَ باليولوغس بدّاً من استعطاف سلطان العثمانيين فحالما وصل القسطنطينية ارسل ابنه الثالث ثيودور الى السلطان مراد وتقدم اليه ان يدخله في جنده. فرضي السلطان بهذا التنازل وتجدد الصلح

واصاب الملكين على اثر ذلك مصيبة متشابهة لتمرد ابنيهما: اندرونيكوس على ابيه باليولوغس وساوجي على ابيه السلطان مراد. فتعاون الابوان على اخضاع الابنين فظفر مراد بابنه وقتله وقبض الامبراطور على ابنه واكتفى باطفاء عينيه بالخل الغالي

وشعر مانويل ابنه الآخر بثقل وطأة العثمانيين على ابيه فعمل على خلع نيرهم وكان حاكماً على سالونيك فجمع رجالاً اغراهم بالمواعيد اذا ظفروا بالثورة. فاطلع السلطان على مؤامرتهم قبل الشروع بالعمل فجرد جيشاً امره ان يستولي على سالونيك ففر مانويل منها الى الاستانة فخاف ابوه غضب السلطان فلم يقبله فلجأ الى لسبوس وكانت في حوزة الجنويين فاقفلوا ابوابها في وجهه فلم يرَ مندوحة عن المثول بين يدي السلطان واستغفاره فعفا عنه واعاده الى ابيه

واقعة قوصوه

وشغل السلطان بعد ذلك بولاياته الاسيوية فاغتنم البلغاريون والسربيون غيابه وانتقموا لانفسهم بقتل ٢٠٠٠٠ من العثمانيين فاسرع الى البلقان لينتقم من اهله فالتقى الجيشان في سهل قوصوه وجيش السلطان اقل من الجيوش المتحالفة عليه. بدأت المعركة والرياح تسفي الرمال في وجوه العثمانيين وتغشي عيونهم. فضاق السلطان ذرعاً فصاح من اليأس « انصرني اللهم او امتني فاذهب شهيداً » وكأن دعاءه اجيب فتساقطت الامطار وذهب الغبار فاشتد العثمانيون واستبشروا وامر السلطان بالهجوم. وكانت ميسرتهم قد تضعضعت لكن ابنه بيازيد كان يقاتل في الميمنة فاسرع

بفرقة من رجاله انجد بها الميسرة وارجع الفارين ـ وكانت واقعة هائلة . قال المؤرخ سعد الدين «ان ساحة القتال كانت مغطاة بالعمائم والرؤوس كأنها حديقة من السوسن»

والمعركة في ابانها اسرع رجل من اشراف الصربيين الى معسكر العثمانيين حتى اخترق حرس السلطان وهو ينادي انه يحمل امراً يريد ان يسرّه الى السلطان . فأمر بتقريبه فتقدم واكبّ على قدمي السلطان كأنه يريد تقبيلها وطعنه بخنجر في قلبه وسلم نفسه للحرس لايبالي ماذا يفعلون به . فقتلوه شر قتلة . مات السلطان في تلك الواقعة لكن العثمانيين فازوا بها وقبضوا على لازار ملك الصرب وقادوه اسيراً الى خيمة السلطان وهو يلفظ النفس الاخير فأمر باعدامه . فلما سمع لازار الامر بقتله مشى بين يدي الجلاد ثابت الجنان وهو يقول « احمد الله لانه اراني عدوي يموت قبلي مقتولاً بيد بطل باسل من رجالي » جرت هذه المعركة سنة ١٣٨٩ وانتهت بخضوع الصرب والبلغار والمجر واكثر ملوك البلقان وامرائه

تمكن الذل والفساد من الروم

وخلف مراداً ابنه بيازيد فعمد الى اتمام عمل ابيه فبعث الى اتيان بن لازار واجبره على الخضوع له والاعتراف بسلطته على جزية يؤديها من المال والرجال

ولم يبق لدى بيازيد من ينازعه السيادة على البلقان الا صاحب القسطنطينية . وكان اصحابها يتخاصمون على بقية تلك الدولة والسلطان يصالحهم مرة ويباعدهم مرة ويتوسط بينهم اخرى . وكان اندرونيكوس المتقدم ذكره لم يفقد كل بصره بالخل الغالي فكتب الى بيازيد سرًّا يستنصره على ابيه . فاغتنم بيازيد هذه الفرصة ونصره ودخل القسطنطينية بستة آلاف فارس واربعة آلاف راجل قبضوا على جان وابنه مانويل واودعوهما السجن ونصبوا اندرونيكوس على عرش القسطنطينية على ان يؤدي جزية سنوية مقدارها قناطير مقنطرة من الذهب والفضة

لكن الجزية لم تكن تدفع في حينها . وتمكن جان من الفرار فلجأ الى بيازيد وطلب اليه ان يعيده الى ملكه فيدفع اليه الجزية في حينها ويقدم له فوق ذلك ١٢٠٠٠ رجل باسلحتهم الكاملة في كل ربيع . فرضي ورأى ان يستخدم اول جند اتاه من هذا السبيل في اخضاع مدينة الاشهر (فيلدلفيا) وهي المدينة الوحيدة التي كانت باقية للروم في اسيا الصغرى . فذهب الجند وهم من رجال الامبراطور وحاصروا ذلك البلد وهو من مملكته ! فدافعهم اهل البلد وصبروا على الحصار وجاهدوا في الدفاع . فالح الجند اليوناني في التضييق عليهم والامبراطور نفسه اول من اجبرهم على التسليم ومنعهم من الدفاع عن وطنهم

فلما رأى بيازيد ما بلغ من ذل اولئك القوم وتفانيهم في طاعته امرهم ان يفتحوا جزائر الارخبيل اليوناني وقد فعلوا ففتحوا تلك الجزائر باسمه — على ان جان باليولوغس الامبراطور الشيخ كان مع صدوعه بالامر الشاهاني يسعى سرًا في تحصين القسطنطينية خوفاً عليها . ولم يجد الاحجار الكافية للاسوار فهدم بعض الكنائس واستخدم حجارتها في التحصين . وعلم بيازيد بذلك فامره ان يكف عن التحصين وهدده فعظم ذلك على الامبراطور حتى مات حزناً

استنصار الفرنساويين

وكان مانويل في حوزة السلطان ففر الى الاستانة لاستلام عرش ابيه فغضب السلطان من فراره فحاصر القسطنطينية وقطع علائقها مع غيرها فتضايق اهلها . ثم اضطر السلطان ان يبعث جنداً لمحاربة المجر وملكهم سجسموند فتغلب المجريون فعظم ذلك على السلطان فتأهب للانتقام وحمل على المجر . فاحتاط سجسموند للدفاع احتياطاً مزدوجاً : استنجد جيرانه المشتركين معه في النقمة وبعث الى شارل السادس ملك فرنسا يستنصره فنصره . فقطع الدانوب بجيش جرار حتى حاصر نيكوبوليس وهي اول مرة احتك فيها الفرنساويون بالاتراك . وكان الفرنساويون بقيادة كونت دي نافير وهو شاب في الثانية والعشرين من عمره وجيشه نخبة الشبان وانما ينقصهم الحنكة . وقد احتقروا عدوهم فانصرفوا عن الاستعداد الى الملذات . ثم ما لبثوا ان ادركوا قوة ذلك العدو فتحذروا واخترقوا الجند العثماني وقتلوا منه عشرة آلاف راجل وخمسة آلاف فارس . فصاروا الى الاعجاب والاستخفاف ثم وصلوا الى جند ثالث يقوده بيازيد بنفسه وفيه اقوى رجاله فلم يستطع الفرنساويون الوقوف امامه . فتغلب العثمانيون عليهم وابادوهم عن آخرهم واسروا الكونت دي نافير . وكان المجريون في اثناء ذلك واقفين لا يحاربون فذعروا وطلبوا الفرار وتركوا ملكهم وشرذمة من رجاله يدافعون عن انفسهم . فاعجزهم الثبات ولم ينج سجسموند الا بالجهد الكثير فقطع الدانوب بقارب

انتصر العثمانيون في هذه الحرب لكنهم خسروا فيها ٦٠٠٠٠ مقاتل . ولما وقع نظر السلطان على جثثهم في ساحة القتال بكى وامر بقتل الاسرى الذين كانوا في حوزته من الاعداء وعددهم ١٠٠٠٠ رجل . ولم يستبقوا الا الكونت دي نافير وبعض اصحابه طمعاً بالفدية . فافتداهم الامراء المسيحيون بمبلغ ٢٠٠٠٠٠ دوكات . واجتاز العثمانيون بعد هذه المعركة الى ستيريا وهو نفاريا وهم ينهبون ويقتلون ويحرقون . لكنهم لاقوا من الاهلين مقاومة شديدة حملتهم على الاقتصار . وعزم بيازيد على

الرجوع نحو القسطنطينية ليتم فتحها وكانت لا تزال محصورة . فبعث يهدد الامبراطور ويتوعده

واوشك الامبراطور ان يسلم لو لم يشتغل بيازيد عنه بعدو اشدّ وطأة واصعب مراساً جاء يهدد اسيا - نعني تيمورلنك الفاتح المغولي الشهير سليل جنكيز خان . فاضطر بيازيد الى ملاقاته في اسيا . واحتدمت بينهما حروب انتهت بالقبض على بيازيد في قفص من حديد سنة ١٤٠٣ وطرأ على تيمورلنك ما بعثه على الرجوع الى سمرقند فحمل اسيره معه فمات في الطريق بضربة الشمس . فلما بلغ خبر موته الى تيمور قال « انا لله وانا اليه راجعون » واذن ان تنقل جثته الى بروسة . وظل هو سائراً الى بلاده بعد ان قضى سبع سنين يقتل وينهب حتى كسا اسيا الصغرى بالجثث والانقاض

دخل القرن الخامس عشر للميلاد ولم يبق للروم من ممالكهم البيزنتية الا القسطنطينية والمورة . وما لا يعتدّ بهِ من المواقع الاخرى في بلاد اليونان . غير الامارات البلقانية المستقلة التي لم تخضع للعثمانيين بعد مثل البانيا والجبل الاسود . واصبحت المملكة العثمانية يومئذ تشتمل على اسيا الصغرى ومعظم بلاد البلقان

فلما توفي بيازيد وانسحب تيمورلنك تولى محمد بن بيازيد اعالي اسيا الصغرى ووضع اخوه سليمان يده على البلقان وصالح مانويل صاحب القسطنطينية وتزوج ابنة اخيه . واقام اخوهما موسى في بروسة . ثم تنازع الاخوة على السلطة ففاز بها محمد وهو السلطان محمد الاول . فاسرع مانويل وسائر امراء البلقان الى تهنئته والتقرب اليه . وكان ميالاً الى السلم فعقد البندقيون معه صلحاً ودخلت راغوس تحت حمايته فارتاح من قبيل اوربا لكنه تعب من جهة اسيا ولم يرَ بدًّا من تجريد السلاح لتسوية شؤونها

ولما عاد الى اوربا وجد سفن البندقية تصادر السفن العثمانية خلافاً للمعاهدة فبعث عمارة خرجت من الدردنيل وجعلت تطارد سفن البندقيين . فجاء صاحب البندقية بعمارته يطلب مقابلة السلطان ليتفاهما عن سبب هذا الخصام . فلما وصل غاليبولي لقيه الاسطول العثماني ولم يفهم قصده فاطلقوا عليه النبال فاجابهم بالمدافع وانتشبت واقعة سنة ١٤١٦ انتهت بفوز البندقيين . فاستولوا على ٢٧ سفينة عثمانية قتلوا رجالها بين يدي نسائهم واولادهم ونهبوا ما فيها . ومع ذلك فان محمداً رضي بعقد الصلح مع القوم . ولعله فعل ذلك ليتفرغ لاخماد ثورة نشبت في محل آخر

وتوفي السلطان محمد سنة ١٤٢١ بالسكتة فخلفه ابنه مراد الثاني وهو في الثانية

عشرة من العمر . فاستصغره مانويل وطلب اليه تنفيذ عقد زعم انه من السلطان محمد يعهد اليه فيه ان يربي اثنين من ابناء السلطان في قصره . فاجاب السلطان مراد رسول مانويل بقوله «قل لمولاك ان شريعتنا تحظر على المسلمين ان يربوا اولادهم عند الكفار» فأخذ مانويل يسعى في مناواة مراد بالدسائس . فاحب مراد ان ينتقم منه فحمل على القسطنطينية وحاصرها ووعد رجاله بنهبها والاستيلاء على ما فيها مكافاة لجهادهم في فتحها . لكن اهلها تكاتفوا رجالاً ونساء واطفالاً في الدفاع عنها وحدثت ثورة داخلية في اسيا شغلت مراداً عن الفتح فتحول لاخمادها . وحارب حروباً اخرى لا محل لذكرها هنا فاز فيها العثمانيون واعادوا الكرة الى اوربا . فدخل امير السرب وامير يانيا في طاعتهم ودفع لهم صاحب البوسنة جزية ٢٥٠٠٠ دوكات . واخترقوا السرب الى ترنسلفانيا وحاصروا هرمنستاد فقاومهم فيها هونيادس البطل المجري الشهير — وهي المرة الاولى التي لقيهم فيها بساحة الحرب فحملهم على رفع الحصار بعد ان خسروا ٢٠٠٠٠ رجل وطاردهم الى ما وراء الدانوب



هونيادس القائد المجري

فعمد مراد الى الانتقام فجرد حملة ثانية ردها هونيادس على الاعقاب . فذاع خبر انتصاره على العثمانيين بين امراء النصرانية في بلاد البلقان فتقاطروا اليه يطلبون الانضمام تحت لوائه وتوقعوا التخلص من العثمانيين على يده . فتألف منهم جند هائل

يقوده ملك المجر لادسلاس بنفسه فعبروا الدانوب جنوباً وقطعوا جبال البلقان والتقوا بالجند العثماني في سهل بالويس فتغلبوا عليه واضطر السلطان مراد ان يطلب الصلح فاشترطوا تخليه عن بلاد كثيرة كانت في حوزته وعقد معاهدة اقسم فيها مراد بالقرآن ولادسلاس بالانجيل ان يعملا بها

معركة وارنا

فاركن مراد الى الراحة وانصرف الى اللهو وعهد بامور الدولة الى ابنه محمد وسنه ١٤ سنة وانسحب الى يونية ليقضي باقي حياته بالراحة والسكينة . فاغتنم لادسلاس الفرصة لنقض الصلح استناداً على فتوى من البابا اوجين الرابع وحمل بجند عظيم تحت قيادة هونيادس اخترق بلغاريا الى وارنا فحاصرها . وبلغ ذلك مراداً فخرج من ملهاه باربعين الفاً من الرجال الاشداء تحت قيادته واخرج المعاهدة التي نقضها لادسلاس ونشرها على قناة رفعها كالراية ومشى بها الى الحرب . فانتشبت المعركة سنة ١٤٤٤ فقتل ملك المجر ففشل جنده وكر راجعاً القهقرى وهونيادس يحاول جمع شملهم عبثاً . فانكسروا شر انكسار . وكان في جملة القتلى نائب البابا الذي حمل الفتوى بنقض الصلح

ذكروا ان مراداً قال وهو ينظر الى القتلى بعد المعركة « اني لا ارى الا شباناً مضرجين بدمائهم ألم يكن في هذا الجيش احد من الشيوخ ؟ » فاجابه احد رجاله « لو كان بينهم شيوخ لم يرتكبوا هذا الجهل بنقض الصلح » ووضعوا راس لادسلاس في العسل وارسلوه الى بروسة

فتح المورة والبانيا

فتنازل مراد عن الملك لابنه محمد فاحتقر الانكشارية سنه وتمردوا فعاد مراد الى السلطة واخمد الثورة وقاص المتمردين . ثم شغل الانكشارية بحملة جردها على المورة سنة ١٤٤٧ ففتح كورنثية عنوة كما فتح سلانيك وطيبة فسلمت سائر البلاد بلا حرب واصبحوا يؤدون الجزية . وقد اسر منهم ٦٠٠٠٠ مقاتل دخلوا في الرق وبيعوا بيع العبيد

وفي السنة التالية جرد السلطان مراد على البانيا فالتقى هناك بهونيادس مرة اخرى لكن سعد هذا المجري فارقه من واقعة وارنا فانتشب قتال قرب برود دام ثلاثة ايام وفي ختام اليوم الثالث تحول الفلاخ وهم ٨٠٠٠ مقاتل من جند هونيادس وانحازوا الى الجند العثماني . فرجحت كفة العثمانيين بعد ان خسروا ٤٠٠٠ قتيل . ولم يكد العثمانيون ينجون من سيف هونيادس حتى ظهر اسكندر بك القائد الالباني واسمه

الاصلي جورج كستريوت ولد سنة ١٤٠٤ ونشأ في البلاط العثماني واعتنق الاسلام وسمي اسكندر بك



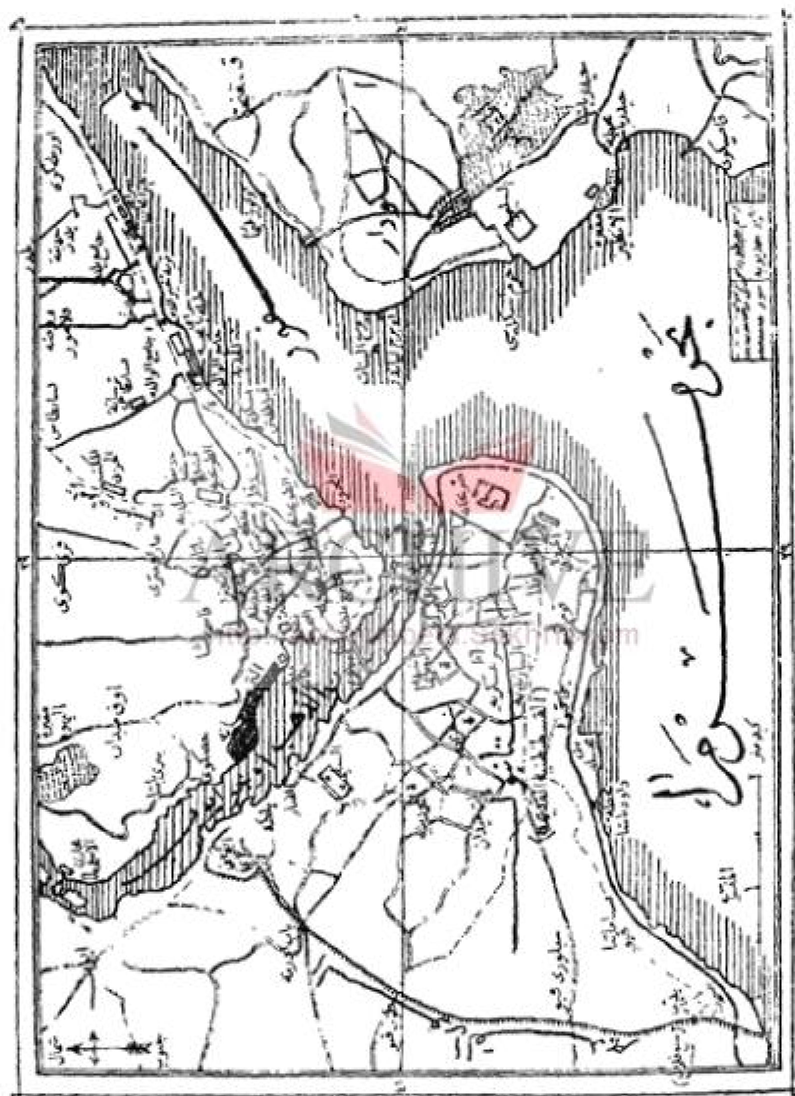
اسكندر بك القائد الالباني

قضى هذا الرجل بضعاً وعشرين سنة وهو يجاهد في سبيل استقلال وطنه فاحب مراد ان يتخلص منه فحاصر كروايا عاصمة ذلك البلد يومئذ سنة ١٤٥٠ وكان اسكندر بك معتصماً مع رجاله في جبل على مرحلتين من كروايا فائتمر معهم على عمل لم يجرا عليه سواه — وذلك انه عزم ان يباغت العثمانيين ليلاً فالبس رجاله قمصاناً بيضاء ليتعارفوا بها في الظلام . ونزلوا على العثمانيين وهم نيام وامعنوا فيهم قتلاً . ولما اصبح الصباح هب العثمانيون مذعورين وقد فشلوا . ويقدرون عدد الذين قتلوا منهم في تلك الليلة بثمانية آلاف . ونظراً لوعورة تلك الارض الجبلية راى السلطان ان يرجع عنها . فعارضه اسكندر بك في طريقه مراراً وحاربه . ولم يصل الجند العثماني الى مأمنه الا بعد ضياع ثلاثة ارباعه : واثر ذلك الانكسار بالسلطان فتوفي وهو في التاسعة والاربعين من عمره بالسكتة في ادرنة

فخلفه ابنه محمد سنة ١٤٥١ وهو محمد الثاني فاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وبفتحها انقضت بقية الدولة البيزانتية وثبت قدم العثمانيين في اوربا ونظراً لاهمية ذلك الفتح لا بأس من بسطه

فتح القسطنطينية

الاستانة الآن ثلاثة اقسام اسكودار في الشرق واستانبول في الغرب وغلطة وبيرا في الشمال . واما في زمن الفتح فلم يكن منها الا استانبول وهي مثلثة الشكل راسها في



خريطة الاستانة

الشرق وقاعدتها في الغرب يحدها قرن الذهب من الشمال وبحر مرمرا من الجنوب وقاعدتها سور منيع موصل بين المائين بما يشبه مدينة الخرطوم . واشهر ما يهمنا

ذكره من اجزائها السور القديم فانه يبتديء في الشمال بايوان سراي وينتهي في الجنوب وراء السبع القلاع وفي وسطه باب اسمه طوب قبواي باب المدفع نسبة الى مدفع نصبه العثمانيون هناك يوم الحصار وكان يسمى هذا الباب قبلاً باب رومانوس . وفي شماليه باب ادرنه وفي جنوبيه باب سيلوري . وترى في طرف استانبول من الشرق بناء يسمى ضربخانة . وفي نحو ذلك المكان كانت سراي امبراطور الروم والى غربيها جامع اياصوفيا وكان قبل الفتح كنيسة على اسم القديسة صوفيا . وترى خارج السور في الشمال الغربي مكاناً اسمه ايوب اصله قبر ايوب الانصاري الذي قتل في حصار القسطنطينية على عهد بني امية

فلما افضى العرش العثماني الى محمد الثاني كان على القسطنطينية الامبراطور قسطنطين دراغوزس بالبولوغس فاتى بنفسه الى ادرنه لتهنئة السلطان محمد فرحب به ووعده بالمحافظة على السلم. لكنه اخذ يتأهب لفتح القسطنطينية بتعبئة الجنود . وفي ٦ افريل سنة ١٤٥٣ حمل عليها بخمسين الف مقاتل بمدافعهم واسلحتهم وعسكر عند اسوار الاستانة وبعث عمارة بحرية مؤلفة من ٤٢٠ سفينة في البوسفور لمحاصرة المدينة بحراً . وفي القسطنطينية يومئذ ١٠٠٠٠٠ نفس فيهم الرجال والنساء والاطفال والرهبان والسوقة . وكان صاحب القسطنطينية الامبراطور رجلاً شجاعاً صادق الغيرة على وطنه فثبت في الدفاع عن عاصمته ثبات الابطال . فلما رأى الجند العثماني محيطاً بمدينته أمر وزيره باحصاء الرجال الذين يستطيعون الدفاع فبلغوا ٤٩٧٠ رجلاً رومياً وما بقي اخلاط لا يعتمد عليهم الا الفين من اهل جينوا يقودهم رجل من اشرافهم اسمه حنا يوستنياني فاوعز الامبراطور الى وزيره ان يكتم ذلك الاحصاء خوفاً من الفشل وامره ان يفرق الاسلحة في الناس ويقيمهم في الحصون والقلاع . اما البحر وخصوصاً المينا في قرن الذهب فقطعوه بسلسلة ضخمة من الحديد توصل بين استانبول وغلطة يتولى حراستها بعض السفن اليونانية والايطالية . واما السور فكان مزدوج البناء ووراءه خندق عمقه مئة قدم يتولى قيادته الامبراطور بنفسه . ومن اسلحة الروم السيوف والنبال والبنادق والمدافع

ولم يكن يخفى على العثمانيين شيء من اخبار الروم وتضعضع احوالهم . اما الامبراطور فصمم ان يبذل ما في وسعه من الدفاع الى آخر نسمة من حياته وضافره على ذلك يوستنياني . وقد اتفق المؤرخون على بسالة هذا الامبراطور وثباته ونشاطه . وكان العثمانيون قد هدموا برجاً من ابراج باب رومانوس بمدفعهم فسقطت انقاضه في

الخندق فملأت بعضه فهان عليهم المرور فوقه فتسلقوا الاسوار فدافعهم الروم دفاعاً حسناً حتى حال الليل بينهما فعاد العثمانيون على امل أن يعيدوا الكرة في الصباح وهم يحسبون الفوز لهم لامحالة . فاصبحوا والخندق قد نظف من الانقاض فعلموا ان الامبراطور لم ينم ليلته وهو يحث رجاله على استخراجها

ثم جاء القسطنطينية مدد من المورة وسائر الارخبيل اليوناني وصقلية في السفن وفيها المؤنة والذخيرة والرجال . فاشتد ازر الروم وثبتوا في الدفاع . ومما زاد المدينة امتناعاً اقفال ميناها عند قرن الذهب بالسلسلة الضخمة مع سهر سفن الروم هناك ليمنعوا دوارع العثمانيين من الدخول فايقن السلطان ان المدينة لا تؤخذ الا اذا هوجمت من البر والبحر معاً

فارتأى السلطان محمد الفاتح رأياً يكاد يعد تنفيذه من المعجزات ـ وذلك انه لما رأى المدينة ممتنعة باسوارها من جهة البر وبدوارعها من البحر وانها لا تؤخذ الا اذا هوجمت من البر والبحر معاً وان دوارعه ممنوعة عن قرن الذهب بالسلسلة الحديدية عزم على نقل عمارته من البوسفور الى قرن الذهب عن طريق البر الى غلطه . ولا يخفى ما يحتاج اليه هذا المشروع من الهمة والاقدام لان المسافة بين مرسى سفنهم في البوسفور والمكان الذي عزموا على نقلها اليه في قرن الذهب نحو ستة اميال . فضلا عن وعورة الطريق وفيها المرتفعات والمنخفضات والغابات من الشجر الغض مما لا يتيسر جر السفن عليه والناس يحملونها . فاقتضت همة هذا الرجل العظيم ان يبني في تلك المسافة طريقاً من الواح الخشب متحاذية يدهن سطحها بالشحم تسهيلاً لانزلاق السفن عليها . وشرعوا في العمل في اول الليل فرفعوا السفن فوق ذلك الطريق وجروها فوق الاخشاب على محادل اذا تدحرجت سهلت انزلاقها فقضوا تلك الليلة في جهاد وهم يحذرون ان تعلم بهم حامية الميناء . فلم يصبح الصباح الا وقد سبحت العمارة العثمانية في قرن الذهب ورجال الحامية لا يعلمون . فلا تسل عما تولى الامبراطور ووزراءه من الفشل لما رأوا عاصمتهم محصورة من البر والبحر معاً

وما زال العثمانيون يطلقون القنابل على الاسوار من الجانبين اربعين يوماً حتى ضاقت المدينة ذرعاً عن تلقي القنابل فانفتقت اسوارها وتهدم كثير من ابراجها وفي جملة ما تهدم منها اربعة ابراج عند باب رومانوس فثار جند الروم على امبراطورهم يطلبون العلوفة والاموال مضاعفة فانتزع آنية الكنائس ودفعها

اليهم . فاختل نظام الجند وقام النزاع بين رؤسائهم حتى تحققوا ان الساعة قد دنت وبات الروم يتخوفون السقوط . الا الامبراطور فانه ما زال ثابتاً في الدفاع يتفقد الاسوار بنفسه

اما العثمانيون فانهم اخذوا يتهيأون للهجوم على المدينة هجوماً نهائياً وعينوا له يوم ٢٩ مايو من تلك السنة (١٤٥٣) فاصدر السلطان امره في مساء ٢٧ منه الى قواده في مجلس جمعهم فيه وبعث المنادين في معسكره براً وبحراً يحثون الجند على الاستعداد والثبات وهدد من يفرُّ منهم بالموت العاجل . ومما قاله لهم « لو كانت لكم اجنحة النسور فانكم لا تستطيعون فراراً » ووعد المجاهدين منهم بمضاعفة الاجور . ومن اقواله « اتركوا لي من المدينة ابنيتها واما الاسرى والاسلاب وخزائن الذهب والفضة وسائر المثمنات فانها لكم مكافأة على حسن جهادكم »

فقضى الجند ليلتهم تلك وطول النهار التالي في الصلاة والوضوء والصوم . واما اهل القسطنطينية فلما ايقنوا بدنو الساعة رفعوا اصواتهم في الصلوات الى الله والتضرع الى القديسين لانقاذهم من ذلك الخطر وتذمروا من عناد الامبراطور واصراره على الدفاع واعراضه عن التسليم ولو موقتاً . وكانوا قد علموا بما اقرَّ عليه العثمانيون من الهجوم في اليوم المعين . فاجتمع اعيان الروم واشرافهم في مساء ٢٨ منه بين يدي الامبراطور وتفاوضوا في ما يهددهم من الخطر العاجل فحاول الامبراطور اقناعهم بما يرجوه من دفع ذلك العدو فلم يصدقوه . على انهم صمموا على الدفاع الى آخر نسمة من حياتهم واخذوا يودعون بعضهم بعضاً متعانقين باكين . ثم سار كل كبير منهم الى مركزه من الاسوار ليدافعوا الدفاع الاخير لا يعبأون بعيالهم ونسائهم . اما الامبراطور فدخل كنيسة ايا صوفيا مع بعض حاشيته فتناولوا القربان المقدس استعداداً للنزوع الى العالم الثاني . ثم دخل قصره فاستراح قليلاً والتمس من رجاله ان يسامحوه عما ربما فرط منه في حقهم ثم ركب جوادهم وطاف مواقع جنده يحرضهم وينشطهم

وفي ٢٩ منه هجم العثمانيون من البر والبحر معاً حتى دنوا من الاسوار والنبال تتساقط عليهم تساقط المطر والقتلى تقع منهم صفوفاً وآكاماً في الخندق . وكانوا اذا سقط منهم جماعة مر الباقون فوق الجثث وهم لا يعبأون فمضت ساعتان مهولتان والروم يدافعون دفاع الابطال وصوت امبراطورهم يرعد كالصاعقة وهو يحرضهم على الثبات لكن الفشل تفشى فيهم لان جنا وستنياني القائد الجنوي اصيب بسهم في احدى عينيه فلم يكد يرى الدم يقطر من عينه حتى انسحب من مكانه يلتمس طبيباً يعالجه فلقيه

الامبراطور نخاف عاقبة انسحابه فصاح فيه قائلاً « ان جرحك طفيف لا يقتضي التخلف عن مركزك ونحن في اشد الخطر فالى اين انت ذاهب ؟ » فاجابه وهو يرتجف « اني ذاهب في الطريق الذي اعده الله لدخول الاتراك » قال ذلك وتحول نحو المدينة من ثغرة فتحت في السور الداخلي فتبعه معظم جند اللاتين ممن جاؤا لنصرة الروم . وكانت الاسوار قد انثلمت في كثير من المواضع فلو دخل العثمانيون منها جميعاً لكان دخولهم قاضياً بخراب القسطنطينية جملة . ولكنهم اجتمعوا عند باب رومانوس وكان اول من تسلقه منهم انكشاري اسمه حسن عظيم الهامة شديد البطش هجم في جماعة من رفاقه والنبال تتساقط عليهم فتبعهم غيرهم واندفعوا جميعاً كالسيل من الثغور التي فتحت في السور الداخلي والروم يدافعونهم حتى اذا ايقنوا بالفشل ارتدوا نحو المدينة . ودخل بعض العثمانيين من جهة باب الفنار ايضاً . ولم يمض الا القليل حتى اصبحت المدينة في قبضتهم بعد ان ارتد عنها غير واحد من كبار الفاتحين



السلطان محمد الفاتح وهو داخل القسطنطينية

اما الامبراطور فلما تحقق دخول العثمانيين عاصمته خلع ارجوانه وانخرط في الجماهير فاصابته نبلة من يد لم يعرفها احد فسقط مدرجاً بدمائه

ودخل السلطان محمد المدينة على جواده ووزراءه وقواده محدقون به حتى وصل كنيسة اياصوفيا فدخلها وصلى فيها فصارت جامعاً من ذلك الحين . وبفتح القسطنطينية تمّ فتح العثمانيين لشبه جزيرة البلقان الا اماكن قليلة فتحوها بعد ذلك على ايدي سلاطينهم العظام ولا سيما السلطان سليمان القانوني (سنة ١٥٢٠—١٥٦٦) فانه فتح رودس وحاصر فينا . والسلطان سليم الثاني فتح قبرص . وغير ذلك مما يطول شرحه

واذا امعنت النظر في فتوح العثمانيين لتلك البلاد تبين لك انها رغم تكرارها وطولها لم تكن راسخة ولا كان خضوع تلك الامم لنير العثمانيين ثابتاً متواصلاً وانما كانوا يذعنون قهراً ريثما يتأهبون لخلع الطاعة . وما زال ذلك شأنهم حتى آذن ناموس الاجتماع بضعف العثمانيين فقامت تلك الامم لمناوأتهم واخذت تخرج من طاعتهم الواحدة بعد الاخرى كما تقدم في الهلال الماضي

انتقال الافكار

والشعور عن بعد

انتقت المدنية الحاضرة والعلم الحديث في وجهتهما المادية . فمدنية اليوم قائمة بالمال ومظاهرها مادية محضة من معامل عظيمة وآلات ضخمة ووسائل للنقل برية وبحرية وغير ذلك . والعلم الحديث يسعى في تحويل قوى الكون كلها الى مادة فالحياة عند فريق من العلماء مادة مركبة بشكل مخصوص وحركة مخصوصة . والظواهر العقلية في نظرهم من عمل الدماغ كما ان اللعاب من عمل الغدد اللعابية

ذلك هو مجرى العلم الحديث لا سيما في القرن الماضي ولعله من قبيل رد الفعل على اثر المباحث النظرية العقيمة والمشاحنات الكلامية الطويلة التي تفرغ لها اهل القرون الوسطى ومن تقدمهم — والعقل البشري كالرقاص اذا تحرك انتقل من جهة الى الاخرى ولا يزال يخطر بين الطرفين وتقصر خطراته حتى يتوازن و يعتدل في دوقفه . فالعلم انتقل في ابحاثه من النظريات المجردة عن اساس ثابت الى المواضيع المادية

المحضة . وقد اخذ اليوم في الاعتدال بين الطرفين — وخير الامور الوسط

ومنذ بضع عشرات من السنين تنبهت افكار العلماء وخصوصاً في انكلترا لظواهر نفسية يتعذر اسنادها الى المادة وحدها كالتنويم المغنطيسي وانتقال الافكار والشعور عن بعد ومناجاة الارواح وغيرها فانشأوا في انكلترا جمعية للبحث في تلك الظواهر والنظر في حقيقة النفس وقواها المختلفة سموها جمعية الابحاث النفسية (Society for Psychical Research) التحق بها طائفة من اعاظم الرجال نخص بالذكر منهم المستر بالفور احد رؤساء الوزارة الانكليزية ترأس الجمعية سنة ١٨٩٣ والمستر غلادستون الشهير والسر وليم كروكس العالم الطبيعي والدكتور والس شريك داروين في مذهب النشوء والارتقاء والسر اوليفر لودج رئيس جامعة برمنجهام اليوم وغيرهم ممن يضيق المقام عن ذكرهم . وانتظم في هذه الجمعية كثيرون من غير الانكليز منهم الاساتذة برجسون وجانيت وريبو من الفرنساويين ووليم جيمس الاميركاني وكلهم من العلماء الثقات . ولا نريد بسرد هذه الاسماء البرهان على صحة آراء اصحابها وانما اردنا بيان مكان هذا البحث من الاهمية

على ان بعض العلماء هزأوا بهذه المواضيع واخرجوها من دائرة العلم الصحيح . حتى ادعى بعضهم ان البحث فيها تقهقر الى خرافات القرون المظلمة . وتطرف بعض رجال الدين من الجهة الاخرى فزعموا ان هذه الظواهر خارجة عن نواميس الطبيعة وفوق ادراك الانسان فلا يجوز له ان يبحث في ما يعجز عقله عن ادراكه — فهذا الاعتراض يتلاشى من نفسه اذا اوضحنا حقيقة المراد بالنواميس الطبيعية . كثيراً ما نعني بقولنا فوق الطبيعة ما لا ندركه بقوانا العقلية أو ما نعدهُ محالاً بالنظر الى معارفنا . على ان اموراً كثيرة كانت مستحيلة في نظر الاقدمين فاصبحت اليوم حقائق ثابتة . ويكفيك مثالاً على ذلك التلغراف اللاسلكي . فالنواميس الطبيعية تشمل ما في الكون كله ليس فوقها شيء ولا تحتها . حتى ان اللاهوتيين انفسهم قالوا ان « العجائب » لا تضاد السنن الطبيعية وانما تجري على سنن مجهولة . اما العلماء الهازئون بهذه الابحاث فهم من الماديين الذين لايقبلون الا المحسوس . فالحواس الخمس في مذهبهم هي وحدها طرق المعرفة . ولكن ما نسميه « اثيراً » — وقد سلم بوجوده اكثر العلماء

— لا يدرك بالحواس وهم يبنون عليه العلالي والقصور في تعليل الظواهر الطبيعية . وقد قال أحد العلماء « لو ادعى احد القدماء وجود الاثير لاتهموه بالجنون » فلا يجوز حينئذٍ ان نعدَّ ما لا تدركه حواسنا خارجاً عن دائرة العلم

ويعترض آخرون بندور الحوادث المخالفة لما نعرفه من نواميس الطبيعة ويتخذون عدم اختبارهم لها شخصياً حجة لانكارها . على ان كثيراً من الظواهر الطبيعية نادرة الحدوث ولو فكروا قليلاً لرأوا ان اكثر معتقداتهم العلمية ليست مبنية على اختبارهم الشخصي ولكنهم اخذوها عمن وثقوا به من رجال العلم . ألاذا نصدق بوجود مدينة بكين ونحن لم نرها ؟ ومما يجدر ذكره هنا ان احد رؤساء جمعية الابحاث النفسية السر وليم كروكس اشتهر في المباحث الطبيعية وله فيها اكتشافات كثيرة وثق بها العلماء تماماً . فلما انصرف الى المباحث النفسية واكتشف اموراً لا تقل اهمية عن اكتشافاته في العلوم الطبيعية لم يكترث العلماء بها . لكن ذلك لا يخالف ما لهذا الموضوع من الاهمية بالنظر الى ميل الناس الى تعليل الغرائب التي تعرض لهم وهذا ما حملنا على كتابة هذه المقالة

انتقال الافكار

من العاب الصالونات التي راجت رواجاً كبيراً في اوربا — وقد شهدناها في بلادنا ايضاً — لعبة يسميها الافرنج « قراءة الافكار » : يخرج شخص ويضمر له الحاضرون شيئاً يطلب منه عمله كأن يضع يده على كرسي أو يستخرج مخبئاً أو ما شابه ذلك . ثم تربط عيناه بحيث لا يرى شيئاً فيدخل ويده في يد شخص من الحاضرين يعرف الامر المتفق عليه فيقرأ افكاره ويقوده الى المكان المطلوب . هذا ما يحصل حسب الظاهر وحقيقة الامر ان الشخص الثاني هو الذي يقود الاول ولا يشعر . فهو في الظاهر مقود وفي الحقيقة قائد . لانهم يشترطون عليه وهو ممسك بيد المضمر له ان يوجه فكره الى الشيء المضمر فتتحرك عضلاته حركة لا يدركها هو وانما هي نتيجة ذلك التفكير فيقود صاحبه الى الغرض المطلوب وهو لا يشعر . فاللعبة ليس فيها شيء من قراءة الافكار . ولكن هناك حوادث يستحيل تعليلها على المبدأ السابق . مثال ذلك حادثة رواها احد اعضاء جمعية المباحث النفسية جرت له مع ابنة قسيس انكليزي اسمها مود قال :

« وضعت الفتاة في غرفة ملاصقة للغرفة التي كنا فيها لكي لا تعرف شيئاً بواسطة حواسها ثم اخذتُ اكتب اسماء بعض الاشياء الموجودة في البيت وطلبت اليها ان تجلبها لنا بدون ان نذكر اسماءها فكانت النتيجة كما يأتي : اصابت في جلب فرشاة للشعر وكأس نبيذ وبرتقانة ثم اخطأت في جلب شوكة في المرة الاولى واصابت في الثانية . واصابت ايضاً في جلب تفاحة وسكينة وكأس ماء واخطأت في صحن . ثم طلبت منها ان تلفظ اسماء المدن التي كنت اكتبها فاصابت في ستة منها واخطأت في ثلاثة »

وجرب عالمان آخران تجارب اخرى مع هذه الفتاة فطلبا اليها ان تنبئهما عن اوراق لعب كانا يستخرجانها تباعاً فنجحت في عشر مرات من ١٤ مرة

وكان القائمون بهذه التجارب من العلماء المعروفين يتخذون كل الاحتياطات اللازمة لمنع الغش . ولا يمكن نسبة هذا النجاح الى الصدفة لان الصدفة قد تصح مرة في المئة أو المئات من المرات لا في عشر من اربع عشرة مرة . فاذا اخرجنا الصدفة لم يبق الا امكان وجود اتفاق بين المجربين وهذا تنفيه شخصياتهم لانهم في الغالب من ذوي المقامات العالية في عالمي العلم والادب ومشهورون بصدقهم ونزاهتهم

واليك حادثة جرت مع سيدة عرفت بقدرتها على قراءة الافكار : اتوا بمواد حادة الطعم كالفلفل والخل والخردل وجلست السيدة بعيدة عنها مربوطة العينين . واخذ احد الحاضرين يذوق المواد واحدة واحدة وطلبوا منها ان تعين طعم كل مادة كما تشعر به عند وضعها في فم ذلك الرجل . فكانت تذكر طعم هذه المواد بالتتابع . لكنها بعد ان ذكرت الخردل لم تشعر بطعم ما بعده وقالت « ان طعم الخردل لا يزال على لساني لحدته » . في هذه التجارب وامثالها كان الشخص القارىء للافكار في حالته العادية . ولكن الافكار تنتقل ايضاً في اثناء التنويم المغنطيسي واليك البيان :

لحظ المنومون منذ انتشر التنويم المغنطيسي مشاركة في الحس بين المنوِّم والمنوَّم فكتب استاذ في جامعة لندن سنة ١٨٥٠ يقول : « لا يدرك المنوَّم شيئاً مما يطرأ على حواسه وانما يشعر بما يحصل لمنوِّمه . فاذا وضع في فمه الخل مثلاً لا يشعر به ولكن اذا ذاق منوِّمه قليلاً منه شعر به وشكى من حدته . كذلك اذا نزعت شعرة من رأسه فانه لا يشعر بها اما اذا نزعت شعرة من شعر منوِّمه أنَّ وتألم » على ان العلماء لم يعيروا

هذه الامور التقاتهم في ذلك الوقت

قال السر باريت احد رؤساء جمعية المباحث النفسية سابقاً :

« لم انتبه الى حوادث انتقال الافكار قبل سنة ١٨٧٠ وكنت الى ذلك الحين في جملة المشككين في صحتها لكني كنت شديد الميل الى اكتشاف حقيقتها . ودعاني صديق لي في يوم من تلك السنة وعنده احد المنوّمين فاقتنعت من يومئذٍ بصحتها بعد أن توليت التجارب بنفسي ونفيت كل ريب عندي وهذا تفصيل التجارب : اتينا ببعض اولاد القرية واجلسناهم في غرفة واعطينا كلاً منهم ورقة طلبنا اليه ان يحدق نظره فيها فلم يلبثوا على ذلك برهة حتى نام واحد منهم فاكتفيت به وأمررت يدي على جبينه ووجهه فزاد سباته وشرعت أتحقق نومه ففرقت بين جفنيه ولمست حدقته باصبعي فلم تتحرك . ثم وضعت قليلاً من الملح في فمي فابتدرني قائلاً . لماذا تضع الملح في فمي . ثم اكلت قليلاً من السكر فقال « هذا حلو افضل من الاول » واخذت مواد غير الملح والسكر وهو يميزها كلها كانه يأ كلها وقمت بتجارب اخرى دلت على صلة بين المنوّم والمنوَّم مثال ذلك : نومنا فتاة ووضعت ورقة لعب طي كتاب وسألتها اذا كانت ترى شيئاً في الكتاب فقالت . ارى نقطاً حمراء فطلبت ان تعدها فاجابت « انها خمس » وكانت الورقة خمسة الديناري . وفي مرة اخرى كتبنا اعداداً على قطع من الورق وسحبنا منها كما تسحب اوراق اليانصيب فكان المنوَّم يصيب في الغالب فجعلتني هذه الحوادث وغيرها ان اقدم الى « الجمعية البريطانية لتقدم العلوم » مذكرة قلت فيها : ان التجارب التي قمت بها برهنت ان فكرة المنوّم تتولد لها صورة في ذهن المنوَّم تختلف درجة وضوحها ولكنها تردُّ غالباً الى الفكرة الاصلية

الشعور عن بعد

والشعور عن بعد من قبيل انتقال الافكار لكنه يحصل على مسافات بعيدة . ونبدأ منه بحادث جرى بين سيدتين انكليزيتين من اعضاء جمعية المباحث النفسية اسماهما ميلز ورامسدن . اتفقت هاتان السيدتان على ساعة معينة في كل يوم تنصرف الاولى فيها الى ارسال بعض الافكار لصديقتها والثانية تتفرغ لاستقبالها وهما على مسافة ٢٠ ميلاً . واتفقتا ايضاً ان تدون السيدة رامسدن يومياً ما يصل اليها من الافكار التي

ارادت نقلها في دفتر مخصوص مع ذكر احوالها الشخصية وقتئذٍ . فلما يصلها كتاب السيدة رامسدن كانت تكتب محتوياته ازاء مذكراتها الشخصية لاجل المقابلة فكانت المذكرتان في الغالب متفقتين . وكانت السيدة ميلز تستشهد الناس بما تفعله مما تشعر صديقتها به . وقد فحص هذه الاوراق بعض العلماء واقتنعوا بصحتها . ويلاحظ هنا ان التجارب تنجح بالاكثر اذا لم ينتظر النجاح فان زيادة القلق وخوف الفشل يجران الى الفشل

وقد اجرت السيدتان المذكورتان تجارب اخرى على مسافات اطول من ٢٠ ميلاً منها الحادثة التالية : كانت السيدة ميلز يوماً في جمعية المباحث النفسية وبجانبها رجل على عينيه نظارة فخطر لها ان تجعل صديقتها تشعر بصورة النظارة ولما رجعت الى البيت كتبت في دفترها « ٢٧ اكتوبر . النظارات » وارسلت اليها صديقتها تذكرة قالت فيها : « ٢٧ اكتوبر النظارات » وفي مرة اخرى كانت السيدة ميلز ترسم يداً فارادت نقل صورة اليد الى ذهن السيدة رامسدن . فارسلت هذه اليها في اليوم نفسه تذكرة قالت فيها : « ٢٠ نوفمبر رأيت يداً سوداء » . وكانت عند السيدة ميلز وهي ترسم تلك اليد زائرة شهدت رسمها اياها

وكانت السيدة رامسدن مرة في سكوتلاندا وصديقتها في انكلترا في ضيافة واحدة من قريباتها لها ابنة صغيرة تحبها السيدة ميلز ولم تكن السيدة رامسدن تعرفها ففي ٣١ اكتوبر سنة ١٩٠٧ ارسلت هذه من سكوتلاندا الكتاب الآتي :

« اظنكِ تريدين ان ارى فتاة شعرها الاسمر مسترسل على ظهرها ومشدود بشريطة وهي جالسة الى طاولة ويظهر انها منهمكة في العمل ... تقص ورقاً وثيابها بيضاء وعمرها على تخميني يتراوح بين الثانية عشرة والثالثة عشرة » . وهذا الوصف مطابق للحقيقة وقد شهدت ام الفتاة بصحته

ان كل ما ذكرناهُ من قبيل التجارب المقصودة . ولكن هناك حوادث عديدة تحصل عفواً مثال ذلك الكتاب الآتي ارسلته سيدة الى جمعية الابحاث النفسية قالت :

انا ساكنة مع زوجي في شارع لبتن نمرة ١٥ في لندن . كنت في ٧ فبراير سنة ١٨٩١ نائمة بعد الظهر فاستيقظت فجأة كاني اسمع زوجي يئن من الالم فقمت مضطربة لاراه فلم اجده والساعة وقتئذٍ في منتصف الساعة الرابعة . واتى زوجي في الساعة السادسة

واستلفت نظري الى جرح اصابه في جبينه فبادرته قائلة : انا اعلم في أي ساعة جرحت . كان ذلك في منتصف الساعة الرابعة فاني سمعتك تئن . فاجاب « نعم ذلك هو الوقت بالضبط فانني نظرت الى الساعة بعد اصطدامي » والشاهد المذكور اسمه ادناه حضر هذه الحادثة بيني و بين زوجي لويزا هاريسون الشاهد هنري هوتون

وهذا حادث آخر يشبه الاول :

استيقظت الآنسة كنج يوماً وهي تسمع صديقة لها اسمها مس جونس تقول : « تعالي اليَّ ياعزيزتي . انني مريضة جدًّا » فتأثرت من هذا الصوت ونهضت فكتبت كتاباً لصديقتها وكانت على بعد ٢٠٠ ميل منها تخبرها بما جرى لها فاجابتها : « وددت ان اكتم مرضي عنك ولكن الصدفة الغريبة تلجئني الى اخبارك فاني شعرت صباح الاحد بالم شديد حتى توقعت قرب اجلي وكانت صورتك امامي فمددت يدي نحوها وخاطبتها اقول : « تعالي اليَّ ياعزيزتي اني مريضة جدًّا » افليس هذه الصدفة غريبة ؟ »

تعليل انتقال الافكار

هذه امثلة من حوادث قراءة الافكار فكيف نعللها ؟ ان اكتشاف التلغراف اللاسلكي سهل على الناس الاعتقاد بانتقال الافكار وكان يصعب عليهم من قبل تصديق شيء ليس له عندهم ما يقيسون عليه . ولكن هل من تشابه حقيقي بين التلغراف اللاسلكي وانتقال الافكار ؟ من المعلوم ان الاول ينتقل بواسطة تموجات في الاثير فهل هذا الاثير أو غيره ينقل التموجات الصادرة من الدماغ ؟

اذا كان انتقال الافكار يحدث بواسطة تموجات في مادة أو شبه مادة فلا بدَّ من اتباعها قانون التموج العام وهو : ان التموجات تنتشر في دوائر متتابعة فلا بدَّ من ضعفها كلما بعدت بنسبة مربع المسافة أي على بعد ١٠ مرات من مصدر التموجات تضعف قوتها مئة مرة . فانتقال الافكار الى اميال عديدة يلزمه قوة عظيمة وليس هذا هو الواقع فان انتقال الافكار يحصل بدون عناء أو جهاد على اختلاف الابعاد . واذا كانت الامواج تتوقف على قوة المرسل فما القول في محتضر على شفا الموت ينقل شعوره او فكره اميالاً

لهذه الاسباب يعتقد جماعة من العلماء بوجود نفس مستقلة عن الجسد لا نعرف

عنها الا ما نشعر به ونحن مستيقظون . وهم يعتقدون ان قوى النفس بعضها يدرك و بعضها لا يدرك كالنور اذا حللته صار الى الوان مختلفة ترتسم في الطيف الشمسي لا تدرك العين منها الا ما تراه في ذلك الطيف وليس هو كل ما يتألف منه النور بل هنالك الوان لا تتأثر من امواجها العين فلا تراها . والنفس أيضاً قوى لا نعرف منها الا ما ندركه ونحن في يقظة ولكن لها مظاهر أخرى تبدو في اثناء النوم أو التنويم المغنطيسي . وفي انتقال الافكار والجنون وغيرها من الحوادث غير العادية كحوادث تعدد الشخصية ومناجاة الارواح وما شاكل ذلك

وقد انكر كثيرون من العلماء الماديين على علم النفس استقلاله واردوا أن يعتبروه تابعاً لعلم وظائف الاعضاء . فما العقل عندهم الا وظيفة العضو المسمى دماغاً — على أن هذه المباحث فتحت مجالاً للنظر وجعلت لعلم النفس منزلة بين سائر العلوم . وأذا فحصنا الدماغ وجدناه مركباً من خلايا كسائر الانسجة الحيوانية . فمن أين لهذه الخلايا تلك القوى الغريبة التي ما برحت منذ اكتشافها سراً غامضاً يتعذر على الماديين حله مهما تفننوا في تعليله ؟ بل كانت هذه المباحث النفسية اكبر مقاوم المذاهب المادية . على اننا لا نزال نجهل ماهية النفس وعلى العلم اليوم ان يوالي جمع الحقائق حتى يتمكن في المستقبل من تعليل ظواهر النفس

أن مذهب النشوء والارتقاء جميل ومعقول بل هو أفضل تعليل لاصل المخلوقات ونشوئها وأقرب ما يقبله العقل . ولكنهُ لا يعلل الا قليلاً من الغوامض . مثال ذلك عند ما نصعد في سلم الكائنات الحية درجة درجة لا نجد حداً يفصل النفس عن سواها . واذا سألنا المذهب المذكور عن حقيقتها وهل هي اصلية في عالم الحياة أو دخيلة تلعثم وتعذر عليه الجواب

اميل زيدان

يلزم لادارة الهلال

الاعداد الآتية من مجلة الهلال : العدد ٢ من سنة ١٣ و ١ من سنة ٢ و ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ١ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ و ٤ من سنة ٢٠ فمن كانت لديه هذه الاعداد او بعضها يرسلها لادارة الهلال بثمن يتفق عليه

توزيع الاطيان

على الفلاحين

تاريخه في القطر المصري

اهتمت الحكومة المصرية باصلاح الارضين الغامرة في القطر المصري وخصصت مبالغ طائلة لاصلاح نحو مليون فدان من الاطيان . ستوزعها على الفلاحين قطعاً صغيرة لاحيائها واستغلالها

وقد تم في الشهر الماضي اصلاح بقعة في جهة بيله من مديرية الغربية مساحتها ٦٥٠ فداناً قسمتها الى قطع لا يزيد مساحة الواحدة منها على خمسة افدنة واحتفلت بتوزيعها على صغار الفلاحين احتفالاً رأسه اللورد كتشنر عميد انكلترا . الا ٤٠ فداناً اعطيت المديرية لتبني فيها مدرسة زراعية عملية . والغرض من توزيع هذه الاطيان اعانة الفلاحين الفقراء القادرين على اصلاح الارضين البائرة وتوسيع نطاق العمران . وبلغ عدد القطع ١٢٠ وزعوها على ١٢٠ فلاحاً بالقرعة على شروط مذكورة في عقد ايجار او بيع لمصلحة الجانبين . فحواه ان الحكومة تمنح الفلاح هذه القطعة بالايجار ثلاث سنوات باجرة الفدان غرش واحد في السنة وهو يتعهد باصلاحها . فاذا تمكن من ذلك قبل انقضاء السنوات الثلاث جددت له الايجار بعشر سنين اخرى يدفع في اثنائها مئة وخمسة غروش عن الفدان ايجاراً في السنة ومبلغاً اضافيًا يعادل الضريبة التي تقرر على الارض التي من نوع هذه القطعة . فاذا احسن العمل في هذه المدة جددت له الحكومة ايجاراً لباقي حياته باعتبار اجرة الفدان خمسة غروش فضلاً عن المبلغ الاضافي المتقدم ذكره ويلغى العقد بموت الفلاح . وللحكومة ان تجدده لابنائه او غيرهم . واما اذا لم يستطع الفلاح اصلاح الارض في الوقت المعين فتسترجع الحكومة الارض منه

وقد اذكرنا هذا المشروع بامثاله في هذا القطر من عهد المغفور له محمد علي باشا ويلحق ذلك تاريخ تمليك الاطيان المصرية وهذا ما اردنا بيانه في هذه المقالة

الاطيان المصرية قبل محمد علي

يتمتع اصحاب الاطيان اليوم باطيانهم يستغلونها كما يشاؤون ويبيعونها لمن يشاؤون لارقيب عليهم ولامانع يمنعهم وانما يشترط عليهم القيام بما عليهم من الضرائب للحكومة . وليس ذلك قديماً في تاريخ العمران وانما هو من محدثات هذا التمدن — كانت الارض في التمدن القديم ملكاً للسلطان او الحكومة وانما كان الفلاحون يستغلونها ويقومون بما عليها من الاموال ولايمتلكونها اي لا يتصرفون ببيعها

كذلك كان شأن مصر لما فتحها المسلمون فاقروها على ماكانت عليه اي انها ظلت في ايدي الذين يستغلونها من الفلاحين الا الارضين التي كانت لرجال الدولة الذاهبة او لرجل قتل في الحرب . فهذه اجازوا اقطاعها لمن شاؤا على ان يؤدي عشر مالها لبيت المال او اكثر او اقل على ما يتراءى للخليفة . وقد يقطعون بعض البقاع لا يأخذون عليها مالاً . فلما خرجت السلطة من الخلفاء الى السلاطين جعلوا الاقطاع عاماً . واول من فعل ذلك في الاسلام نظام الملك وزير الدولة السلجوقية فانه راى الدولة قد اتسع نطاقها فاحب ان يحفظها بالاقطاع فحولها الى اقطاعات سلمها الى الجند . واقتدى به السلاطين بمصر من عهد الايوبيين . ووصف المقريزي ارض مصر في ايامه (في القرن التاسع للهجرة) فقال انها تقسم الى سبعة اقسام : قسم يجري في ديوان السلطان . وقسم اقطع للامراء والاجناد . وقسم جعل وقفاً محبساً على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى ذراري واقفي تلك الارض . وقسم يقال له الاحباس وهي اراض في ايدي قوم يأكلونها عن قيامهم بمصالح مسجد او نحوه . وقسم صار ملكاً يباع ويشرى ويورث ويوهب لانه مشترى من بيت المال . وقسم لا يزرع للعجز عن زراعته . وقسم لا يشمله ماء النيل فهو قفر

فلما فتح العثمانيون مصر في القرن العاشر للهجرة نزع السلطان سليم من ايدي المماليك ماكان لهم من الارض بوضع اليد او الارث وفرقها في جنده الذي خلفه بمصر وفي المماليك الذين انحازوا اليه وهي البقاع المعروفة بالرزق وتسمى رزقة بلا مال . ثم استبد الامراء المماليك بمصر واستأثروا بالقوة وفسدت الاحكام والارض لا تزال على اجمالها ملك الحكومة وانما يتمتع اصحابها بريعها وللحكومة حصة من ذلك الريع . لكن فساد الاحكام شغل الناس عن الزراعة فقلت الجباية وتعسر جمعها والحكام في ذلك العهد انما يلتمسون السلطة طمعاً بالمال فعمدوا الى طريقة « الالتزام » وهو تضمين الخراج لاناس يتولون جمعه عن الحكومة ويشاركونها في نفوذها . فلم يزيدوا الاهالي الا ضغط

وعسفاً — وذلك ان الحكومة كانت تعرض خراج البلاد بالمزايدة لمن يضمنه من اهل النفوذ فيضمن احدهم بلداً او بضعة بلاد . فاذا وقع عليه المزاد اعطاه كبير امراء المماليك المعروف بشيخ البلد عهداً بذلك يسمونه « تقسيط » ويصحبه بامر يسمونه « فاميك » وهو عبارة عن خطاب من الحكومة الى اهالي البلد الواقع في التزام ذلك الملتزم توصيهم به ان يطيعوا الملتزم ويؤدوا له الخراج . والملتزم يدفع للخزينة في مقابل ذلك مالاً معجلاً ويقوم مقام الحكومة في السيادة والامارة في البلاد الداخلة في التزامه . وله ما عدا ذلك بقعة من الارض يستغلها لنفسه لا يدفع عنها شيئاً تسمى اوسية (جمعها اواسي) وعلى الاهالي ان يحرثوها له ويزرعوها ويحملوا اليه غلتها بلا اجرة . فضلا عن منافع اخرى . وكان الالتزام في بادئ الراي لمدة محدودة ثم جعلوه لمدى العمر فلا ترجع الارض للحكومة الا بعد وفاة الملتزم . فكان الانتفاع بغلة الارض مقسوماً بين الحكومة والملتزمين . والفلاح عبد رق يعمل بقوته ويشقى بعمله

الاطيان المصرية في عهد محمد علي

ذلك كان شأن الارضين لما صارت البلاد الى المغفور له محمد علي باشا فابطل الالتزامات فعادت الاطيان للحكومة واقفل على الملتزمين باب الارتزاق . فرتب لهم رواتب يقبضونها من الحكومة تحت اسم « فايض الالتزام » وترك لكثيرين منهم اواسيهم كما كانت من قبل بشرط ان ينتفعوا بها في اثناء حياتهم ثم تؤول الى الحكومة بعد موتهم

اما الاطيان التي عادت الى الحكومة فاهتم محمد علي باستثمارها بالحرث والزرع وهما يحتاجان الى الرجال . فمسح البلاد سنة ١٨١٨ ولم يدخل في المساحة الا القرى التي كانت تزرع في ذلك العهد وهي لا تزيد على ربع ما يزرع الآن . وفرق جانباً كبيراً من الارض الممسوحة في الفلاحين القادرين على الاستثمار . فاعطى بعضهم ثلاثة افدنة وبعضهم اربعة او خمسة وليس اكثر . فقبل الفلاحون تلك العطايا رغم ارادتهم وهم يفضلون رفضها خوفاً من عجزهم عن تأدية خراجها اذ لم يتعودوا العمل لانفسهم . واعطى جانبا آخر من تلك الارض الى مشايخ البلاد لا يزيد مقداره على اربعة في المئة من مساحتها سموها مسموح المشايخ . وعين لهم رواتب يقبضونها من الحكومة ليساعدوه في تعمير القطر بحمل الفلاحين على العمل . واعطى قطعاً من الارض الممسوحة ايضاً لبعض كبار رجاله مكافأة على بعض الاعمال . وبقيت بقاع كثيرة من البلاد لم تدخل في المساحة ولا يمكن الانتفاع بها الا بعد التعب لبعدها عن النيل فسميت « ابعديات » فوهبها

محمد علي لرجاله المذكورين واشترط عليهم اصلاحها واستثمارها ولم يضرب عليها ضرائب بالكلية . واعطى لاعضاء العائلة الخديوية ابعديات كبيرة تسمى في اصطلاحهم «جفالك» وهي اكبر من الابعديات كثيراً

وكانت الابعديات تعطى بمجرد صدور الامر بذلك للروزنامه من محمد علي وهذا مثال من تلك الاوامر صدر سنة ١٨٢٩ وهو :

« قد احسن الى جوربجي ولي الدين اغا بمائة فدان بلا مال من الاطيان الخرس بناحية شلقان التابعة لمديرية القليوبية . فعند معلوميتكم هذا تبادروا بحسب ما اقتضته ارادتنا بتحرير واعطاء السند اللازم بذلك وقيد الاطيان باسم الاغا المومى اليه »

اما الاطيان الممسوحة التي وزعت في الاهالي فتوالى عليها في عهد محمد علي احوال مختلفة من ثقل الخراج وضرب الضرائب . فضلاً عن ذهاب كثيرين من الاهالي في الحروب لبلاد العرب والسودان والمورة والشام فيطول غيابهم والخراج مفروض على ارضهم فآل الامر الى تراكم المتأخرات عليهم والحكومة في حاجة الى النقود للقيام بمشروعاتها العسكرية وغيرها . فاضطر محمد علي الى نحو ما اضطر اليه المماليك قبله من الالتزام فعهد سنة ١٨٤٠ الى بعض كبراء دولته وامراء مملكته وقواد عساكره ممن اثروا في خلال ذلك من غنائم الحرب وغيرها ان يضمنوا خراج تلك الارض فيدبرون زراعتها ويستغلونها بشرط وفاء ما عليها من المتأخرات وما يستحق عليها من الضرائب الجديدة وتوعدهم باشد العقاب اذا لم يقبلوا وسميت تلك الالتزامات « عهد سنة » والفرق بين العهد والالتزامات ان المتعهد لم يكن له ان يجبر المزارع على دفع ما هو مربوط على قطع الارض التي بيده في دفاتر التاريع ولم يكن للفلاح شأن في الارض التي يستغلها بل هو اشبه باجير عند صاحب العهدة

فلما تولى عباس باشا الاول رأى لاؤلئك المتعهدين نفوذاً خاف منه على سلطانه فاصدر سنة ١٨٥٠ امراً بحل تلك العهد وارجاع الارضين الى اصحابها . ولم ينفذ ذلك الامر نفوذاً تامًا الا بعد زمن . فالارض التي مسحت ووزعت على الاهالي لاستغلالها تأخذ عليها الحكومة ضريبة تعرف بالخراج وتسمى الاطيان الخراجية والابعديات والجفالك الخارجة عن المساحة التي انعم بها محمد علي على الامراء والوجهاء والكبراء لما ضربت عليها العشور عرفت بالاطيان العشورية

على ان بعض اصحاب الاطيان الخراجية تقاعدوا عن استغلالها وعجزوا عن اداء خراجها فاستخرجتها الحكومة من ايديهم وسميت (متروك) وانعمت ببعضها

سنة ١٨٦٧ على العساكر الاتراك الذين انفصلوا من خدمة الجيش بعد الحروب . وانعمت الحكومة ايضاً باطيان اخرى على قبائل العربان المنتشرين حوالي القطر المصري ليزارعوها . وانعمت بمثلها ايضاً لبعض المرفوتين من خدمة الحكومة وغيرهم

وما زال الانعام بالارضين جارياً الى آخر ايام اسماعيل سنة ١٨٧٩ فاصدرت الحكومة قراراً من مجلس النظار ان لا تعطى الاطيان بعد ذلك بطريق الانعام . وظلت الاطيان الخراجية التي في ايدي الاهلين يستغلونها ولا يملكونها حتى اصدرت الحكومة العثمانية ارادة شاهانية بالترخيص للاوربيين بامتلاك الارضين في انحاء المملكة العثمانية الا الحجاز فرات الحكومة المصرية ان تقتدي بها رغبة في الحصول على مال تسدد به ديونها فاصدرت سنة ١٨٧١ لائحة المقابلة وهي ان يدفع ارباب الاطيان اموال ست سنوات عن عموم اطيان القطر المصري وسمت هذا المال « مقابل » او « مقابلة » على ان يدفع دفعة واحدة او على دفعات لا تجاوز ست سنوات . وفي مقابل ذلك يخفض مجموع المال السنوي على الاطيان الى النصف تخفيضاً مؤبداً . ومتى تم دفع المقابلة اصبحت الاطيان ملكاً صحيحاً لاربابها يجوز فيها التوارث والهبة والاسقاط والوصايا والوقف . على ان الدفع لم يتم كله واعترض ذلك حوادث مختلفة لا محل لذكرها هنا انتهت بامر عال سنة ١٨٩١ تحول الملكية الصريحة في الاطيان الخراجية سواء كان اربابها قد اتموا دفع ما عليها من المقابلة او لا

توزيع الاطيان

فترى مما تقدم ان الانعام بالاطيان المصرية تكرر في عهد العائلة الخديوية حتى صدر الامر بمنعه سنه ١٨٧٩ لكنها لم ترَ بدًّا من الرجوع اليه على كيفية رأت فيها خيرًا للبلاد . وكانت قبلاً تهب الاطيان بالانعام للمقربين ونحوهم فاصبحت بعد ذلك تنظر في الهبة لمصلحة الاهلين وتعمير الارض كما فعلت سنة ١٨٨٤ فوهبت بقاعاً لم تسبق مساحتها ولا هي من املاك الميري يسمونها « خارج الزمام » ويدخل فيها البراري وحواجز الجبال والمستنقعات وجعلوها ثلاث درجات (١) البقاع غير المزروعة التي لا يترتب على استغلالها نفقات باهظة فتعفى من الضريبة ثلاث سنوات (٢) البقاع المالحة والمستنقعة التي تقتضي النفقة والمشقة لاستثمارها فتعفى من الضريبة ست سنوات (٣) البراري التي تزيد فيها النفقة والمشقة على ذلك وتعفى عشر سنوات . وبعد انقضاء مدة الاعفاء من الضريبة يربط عليها المال حسب درجتها والاطيان الموهوبة المتقدم ذكرها محصورة في مديريات البحيرة والشرقية والفيوم

ويدخل في ذلك ارض واسعة بمديرية البحيرة مساحتها ٤٩٠٠٠ فدان في براري حوش عيسى والبوطة تألفت لها سنة ١٨٨٦ شركة عُرفت بشركة زرفودا كي . وعرفت الاطيان بعد ذلك بالاطيان النوبارية نسبة الى الترعة النوبارية التي مرت فيها واحيتها . ورغب الناس والحكومة في احياء امثال هذه البقاع فاصدرت الحكومة امراً في سنة ١٨٩٤ فحواه ان من يتعهد بردم مستنقع او بركة او تجفيفها بشروط يقررها مندوبو الحكومة تصير تلك الارض ملكاً له في مقابل ما ينفقه في ذلك السبيل

وقس على ذلك تصريح الحكومة سنة ١٩٠٠ لشركة نيو اجبشن لاصلاح كثبان الرمال والجزر البور الكائنة في مجرى النيل بحيث تجعلها صالحة للزراعة من غير ان تتحمل الحكومة نفقة او تبعة تحت شروط مدونة في الامتياز

وآخر مشروعات الحكومة لاحياء الزراعة المصرية مشروع الامس نعني اهتمام الحكومة بالانفاق من خزينتها على صرف المياه عن المستنقعات حتى تنكشف الارض فتقسمها قطعاً صغيرة توزعها على صغار الفلاحين

وذلك انها قررت اصلاح بقعتين كبيرتين من اطيان القطر المصري تصرف المياه عنهما احداهما في مديرية البحيرة والاخرى في الغربية مساحتهما نحو مليون فدان ستنفق في اصلاحها نحو مليونين ونصف من الجنيهات في اثناء اربع سنوات . وقد شرعت في العمل فتم لها اصلاح ٦٥٠ فداناً في الغربية وزعتها بالشكل الذي تقدم في صدر هذه المقالة . وهذا غير ما كانت تفعله الحكومة من الانعام بالارضين من قبل . ان الانعام على هذه الصورة لم يسبق له مثيل والمراد به خدمة مصلحة الفلاح راساً ولا سبيل الى تزاحم المضاربين

المتحركات الصناعية

مترجمة عن الفرنساوية بتصرف بقلم الخوري جرجس توما كاهن ارثوذكس عكا

في مستشفى براتونو الفرنساوي آنستان تسمى كل منهما مدموازيل كلار (Clair) « ضيا » احداهما ممرضة حقيقية حية من لحم ودم . والثانية شخص يتحرك بالصناعة لكنه كثير الشبه بتلك . مخترعه طبيب المستشفى الخاص المسمى « روبر هاردنر » فالانسة « ضياء » الصناعية امامها طاولة صغيرة عليها ادوات الجراحة يجرها المخترع المذكور الى امام احد اسرة المرضى ويخاطبها قائلاً « ايتها الانسة ضيا اعطيني الملقط »

فتمد الفتاة يدها الصناعية وتأخذ الملقط المطلوب فتسلمه للطبيب . فيقول لها هذا « اعطيني المشراط » فتعطيه اياه بلا تردد كأنها تفهم ما يقول

وهذا الاختراع من ابدع ما في المتحركات الفنية ومدعاة لاعجاب الاطباء والمرضى والممرضات . . وهو بلا شك فخر عظيم للمخترع لم ينسج على منواله حتى الآن . وبهذه المناسبة نذكر لمحة تاريخية عن امثال هذه المتحركات الصناعية خدمة للعلم وتفكهة للقراء :

ما اجمل افكار الاطباء الذين يصرفون كل قواهم لاختراع ما ينفع الانسان فان الدكتور روبر هاردنر طبيب المستشفى المذكور قد اعمل فكرته وانشأ آلة تخلد له ذكراً عاطراً . وبالنسبة لاعجابه بالانسة ضياء ممرضة ذلك المستشفى اراد ان تكون الآلة ممثلة شخصها وطلعتها وحركاتها وقوامها فضلاً عن ملابسها وزيها الجميل . . . وقد اسعده الحظ فنجح في مهمته كل النجاح فاخرج للناس اثراً شاهداً ببراعته وفضله واستعداد المستشفى الانف الذكر وممرضته اللطيفة النشيطة

لم يكتف المخترعون في القرنين السادس عشر والسابع عشر بوضع ساعات كبيرة تعين الساعة واليوم والشهر والسنة بل اضافوا اليها اشخاصاً بصور الملائكة تظهر على برج الساعة الكبير فتنفخ بالابواق (عوض قرع الجرس) نفخاً متواصلاً او تصفق باجنحتها حتى يتوهم الناس ان قد قامت قيامتهم وان الساعة قد اتت

ولم يكن اختراع المتحركات الصناعية محصوراً في القرنين المذكورين وما بعدهما بل كان قبل المسيح بعدة قرون . . قال اولوجال ان ارشيتاس [1] الفيلسوف اليوناني الذي عاش قبل المسيح بنحو ٤٠٠ سنة اخترع حمامة تستطيع ان تطير . ويروي كيكرشر احد نوابغ القرن الخامس عشر انه اخترع ذبابة من الحديد كان اذا افلتها من يده دارت في البيت وتمادت اليه . وقد صنع جان مولر نسراً من الحديد طار امام الامبراطور مكسيمليان يوم دخوله مدينة نورمبرغ باحتفال عظيم في ٧ حزيران (يونيو) سنة ١٤٧٠ . قال احد المؤرخين حدث في نابولي من اعمال ايطاليا حر شديد تولد بسببه ذباب كثير افسد الاطعمة وضايق الناس فصنع الاسقف فيرجيل ذبابة كبيرة من النحاس تمنع دخول الذباب الى المدينة . . . — قال المؤرخ وبقيت ذبابة فيرجيل ثماني سنوات تشتغل في مكانها وفي هذه السنوات الثماني لم يتدنس لحم الاطعمة بذبابة وهذا

(١) ولد هذا الفيلسوف في مدينة تارانت سنة ٤٤٠ ق . م . ومات سنه ٣٦٠ وهو على ما يقال مخترع البرغي والبكرة

من الغرابة بمكان بل هو من المدهشات التي تكاد لا تصدق

ثم ان راهبين احدهما روجر باكون والثاني توماس بونجي اشتغلا سبع سنوات لصنع راس يماثل راس الانسان متكلماً وقد نجحا اخيراً . اما الراهب البير الكبير العالم اللاهوتي الشهير احد فلاسفة الالمان فقد استطاع ان يعمل شخصاً خشبياً متحركاً يقيمه وراء الباب ليفتحه كلما طرقه طارق . فاتفق ان توماس داكين قصد زيارة هذا الراهب في غرفته ولما فتح الباب ورأى وراءه شخصاً صناعياً يرفع له الزلاج استولى عليه الخوف وظن ذلك من صنع الشيطان فرفعه وضرب به الارض فحطمه تحطيماً

ودوسكارت رجل المتحركات اخترع تمثالاً بصورة ابنة سماها « فرانسين » كانت تقضي بعض حاجاته في البيت . . . ولما عزم على السفر بحراً اخذها في صندوق خشبي فانتبه الربان بالصندوق لكثرة محافظة دوسكارت عليه فكسروه فوجدوا فيه ابنة صناعية تشبه البشر بصورتها وحركاتها . . . فاجفل الربان من هذه اللعبة الشيطانية ورماها في البحر

ومما يجدر بنا ذكره ان الاب ميكال اصطنع راسين من النحاس يتكلمان وعرض اختراعه على جمعية العلوم الفرنساوية عام ١٧٨٠ فشهدت بحذقه ومهارته ولما طلب الى الحكومة ان تشتريهما رفضت فاسقط في يده واخذ مطرقة من الحديد وسحق الراسين فلم يبق لنا الا ذكر هذا الاختراع الذي هو جد الاختراع الحالي « الفونوغراف »

على ان فوكانصون يفضل على كثيرين ممن ذكرناهم لانه ادهش العالم بمخترعاته المتحركة وقد انتخب عضواً في جمعية العلوم الباريسية سنة ١٧٨٢ . قيل انه غضب مرة من مدير احد المصانع الحريرية فصنع حماراً صناعيًا يحوك قماشاً من الحرير الملون . اما ما اخترعه هذا المتفنن داهية المتحركات الصناعية فكثير اهمه واشهره ثلاثة (١) الشخص العازف بالمزمار (٢) الضارب الطبل (٣) البطة

فالعازف بالمزمار كان طوله متراً و١٥ سنتيمتراً وهو يستطيع ان يعزف ١٢ لحناً على ان الناظر اليه وقت العزف ويرى حركات اصابعه وشفتيه ولسانه يكاد لا يصدق انه آلة صناعية . وضارب الطبل على الحان شتى تقارب العشرين كان يفتن الناظرين بحركات يديه . اما البطة فهي اغرب مخترعاته لانها كانت تقلد كل حركات الطير .. فتسبح في الماء وتصفق بجناحيها وتأكل وتهضم الطعام وتبرز كما تفعل الطيور الحية مما ادهش باريس وسائر العالم نحو ثلاثة ارباع القرن وبقي سر هذا الاختراع مطويًا لان المخترع قدم اختراعه الى الجمعية العلمية وكشف لاعضائها سر الضاربين بالمزمار والطبل وكتم

سر البطة . . وبعد وفاته لم تلتفت الامبراطورة ماري الى مخترعاته المذكورة فاشتراها مدير احد الملاعب ليعرضها على الناس وطاف بها اوروبا ثم طمست اثارها فلم يعد يعرف عنها شيء الى سنة ١٨٤٠ حيث وجدت البطة وحدها في مستودع احد البيوت القديمة في برلين عاصمة الالمان فاصلحت وارسلت الى باريس وعرضت في القصر فعهدت الجمعية العلمية الى روبر هودين احد العلماء المدققين ان يخترق قلب هذا الاختراع ويكشف الستار عن سر الهضم المدهش . . وهاك ما جاء في تقريره بعد البحث والتدقيق قال :

« اذا قدم لهذه البطة حبوب في وعاء اخذت تأكل منها . فحركة منسرها (منقادها) تسهل دخول الحبوب والماء متتابعة في انبوبة وراء المنسر حتى تستقر في وعاء اشبه بالحويصلة امام البطن . وتمتلىء هذه الحويصلة مرة كل ثلاث اكلات او اربع . . فاذا امتلأت طرحت ما فيها بحركة خفية . اما البراز الذي تخرجه فهو فتات خبز مجبول بالماء وملون بالاخضر يحفظ في مستودع صغير مخفي في جوف البطة فيدفعه دافع من الرصاص فيبرز من المخرج كأنه نتيجة ذلك الطعام

ثم طلب من فوكانصون ان يخترع افعى صناعية تمثل افعى كليوباطرة لتحفظ في خزانة التحف والفنون الجميلة وتستخدم لتمثيل رواية هذه الملكة . فصنعها طبق المرغوب ولدى التمثيل شاهد الجمهور حية تسعى نحو كلوباطرة وهي تصفر صفيراً شديداً رددت قاعة التمثيل صداه حتى دنت منها ولدغتها لدغة قتالة وقعت منها ممثلة هذا الدور كأنها مائتة فاشفق الجمهور على الممثلة وظنوها ماتت حقيقة

وناهيك بالشخص المتحرك اللاعب بالشطرنج الذي حير اوروبا في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر . ومخترعه البارون ولفنجان كامبلان المنغاري . وسبب اختراعه ان احد الثوار البولونيين المسمى القبطان يوررونسكي التقى بفصيلة من جنود كاترينا الثانية ففر منهم مثخناً بالجراح واختبأ في منزل كامبلان صديقه الحميم فاراد هذا ان يخلصه فابعده عن مملكة هذه الامبراطورة القاسية . وكان يوررونسكي من ابرع اللاعبين بالشطرنج فاخترع له كامبلان شخصاً متحركاً خبأ يوررونسكي في داخله واعلن اختراعه شخصاً يلعب بالشطرنج فطار صيته وقصده اللاعبون فقهرهم كلهم حتى ان الامبراطورة كاترينا اجبرت كامبلان على المثول بين يديها مع الشخص المعلوم . . . لتنظره وتلاعبه . . ثم سار الى المانيا ومنها الى كل اوروبا قال احد المولعين بفن المتحركات الصناعية عن هذا الشخص الصناعي انه غالب كل الاحياء البارعين بهذا الفن مدة ثلاثين

عاماً . من جبال اورال الى الاوقيانوس الاتلانتيكي ومن البحر المتوسط الى المانش والبلطيك . كل من كان له المام بفن الشطرنج جرب اللعب مع هذا الشخص وكلهم غلبوا الا رجلاً فرنساوياً تغلب عليه سنة ١٧٨٨ بكل صعوبة . وقد رغب الامبراطور نابوليون بان يراه ويكون شريكاً له في اللعب . ـ فنازله احد الحاضرين ونقل حجراً وضعه في غير موضعه عامداً ليغالطه فرده الشخص الى مكانه فاعاد العمل ثانية فاصلحه له فزاد عليه ثالثة فمد الشخص يده كانه مغتاظ وبعثر كل قطع الطاولة فنهض نابوليون وهو يقهقه ضاحكاً . ولم يلبث سر هذا الاختراع ان ظهر واكتشفت طريقة المرآة الفنية التي كانت داخل الشخص وبها كان يورنسكي يرى كل حركة من الخارج فيجيب عليها بايدي الشخص المتحركة

على ان مخترع نصب الآنسة « ضيا » قد خدم العلم والانسانية خدمة تذكر فضلا عن تخفيفه عناء الخدمة على الممرضات وسيذكره التاريخ بالدهشة والفخر والاعجاب



محمود شوكت باشا

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع)

اولاً — فرنسا

٧ — آثارها

المراد بالآثار عادة ما يخلف عن الامة من الابنية والتماثيل وغيرها من المصنوعات المحسوسة الدالة على عظمتها او مهارتها كالآثار المصرية واليونانية والرومانية. ولكن للامة آثاراً معنوية تتناقلها الامم عنها وتقلدها فيها فيكون لها اثر حي في تمدنها ونظام اجتماعها او علومها وآدابها فيذكرها لها التاريخ. كما نذكر احرف الهجاء للفينيقيين والادب والفلسفة لليونان والشريعة للحمورابيين واليهود والقواعد السياسية والحربية للرومان ونهوض امم الشرق للعرب. فآثار الامة الفرنساوية اما معنوية او محسوسة :

١ — آثار فرنسا المعنوية

فآثار فرنسا المعنوية في هذه المدنية كثيرة منها :

١ً الحرية واستقلال الفكر : ان للفرنساويين الفضل الاول في نشر روح الحرية باوربا وغيرها. وهم قدوة الامم في بث هذه الروح على اثر نهوضهم لخلع نير الملكية والمناداة بالحرية والاخاء والمساواة

٢ً استخدام اللغة الفرنساوية في المخاطبات الرسمية بين الدول المتمدنة. فانهُ من آثار نفوذ الدولة الفرنساوية في العالم المتمدن

٣ً الالفاظ الفرنساوية السياسية والعلمية والادبية في لغات اوربا فانها من ادلة تفوُّق الفرنساويين في هذه الشؤون واقتباس تلك الامم عنها

فضلها على الشرق

٤ً لفرنسا فضل خاص على الشرق الادنى من اوجه كثيرة تظهر آثاره في اخلاق اهله وآدابهم . اذ لم يكن لهم علم باسباب المدنية الحديثة قبل اواخر القرن الثامن عشر اذ حمل عليه بونابرت يريد اكتساحه كما اكتسحه الاسكندر قبله . لكنه لم يأته بالعدة والسلاح فقط بل نقل اليه بذور التمدن واصول المعارف . فارفق حملته الحربية بحملة علمية جمعت نخبة علماء فرنسا في ذلك الحين . لم يوفق بونابرت في فتوحه الشرقية فعاد على اعقابه وظلت تلك البذور كامنة حتى نهض من رجال الشرق من احسن تعهدها وتربيتها فنمت وكان منها ماكان من نهضة مصر والشام . فالسوريون والمصريون والاتراك والفرس لما هموا بهذه المدنية كان معظم تعويلهم في اقتباسها على الامة الفرنساوية . فتعلموا لغتها وترجموا علومها وقلدوها بادابها وعاداتها واخلاقها . كذلك فعل المصريون على يد محمد علي باوائل القرن الماضي فان الاصلاحات التي احيا بها القطر المصري كان اكثر تعويله فيها على الفرنساويين . استخدم جماعة منهم في التعليم والتنظيم . مثل الموسيو جومار المهندس الفرنساوي ارشده في الارساليات العلمية الى فرنسا . والدكتور كلوت بك انشأ له المدرسة الطبية وسليمان باشا (الجنرال سيف) نظم له الجندية ولينان باشا هندس القناطر الخيرية . وهناك عشرات من رجال العلم والادب الفرنساويين استخدمهم محمد علي في نهضته . ونقل كثيراً من الكتب الفرنساوية الى اللغة العربيـة . واقتبس طرق الفرنساويين في المدارس والجندية وفي الزراعة والصناعة وغيرها

واقتدى به خلفاؤه على العرش الخديوي ولاسيما اسماعيل فانه استخدم كثيرين منهم في الادارة والتعليم . واشهرهم ماريت باشا مؤسس المتحف المصري . ولا يزال هذا المتحف في عناية الفرنساويين الى اليوم

والفرنساويون اول من انشأ جريدة بمصر (فرنساوية) وهم اول من اسس مجمعاً علمياً فيها (institut) واول من نقل اليها ادوات الطباعة — نعني المطبعة التي اتى بها بونابرت في حملته وكان يطبع عليها منشوراته واوامره بالعربية . فلما اراد محمد علي ان ينشئ المطبعة الاهلية كانت تلك المطبعة اساساً لعمله

واعتبر ذلك ايضاً في سوريا فان للفرنساويين شأناً خاصاً فيها لانهم دخلوا في شؤونها منذ بضعة قرون ولايزال السوريون حتى الآن يقلدون فرنسا في اسباب هذه المدنية وقد نقلوا اهم آدابها الى العربية . وقلدوا شعراءها وادباءها وبعضهم يعرف عن تاريخ آداب اللغة الفرنساوية اكثر مما يعرف عن آداب اللغة العربية — الا التمثيل فان

مارون النقاش اقتبسه عن الايطاليان لكن من جاء بعده عوَّل في اتقانه على الفرنساويين ولما نهض الاتراك في الاستانة لاقتباس المدنية الحديثة كان اكثر اعتمادهم في نقل الآداب الحديثة على الفرنساويين . فنقلوا عن روسو ومونتسكيو وهوغو وغيرهم . واكثر الافكار الحديثة التي اقتبسها الشرقيون في القرن الماضي اخذوها عن ادباء الفرنساويين

وهكذا فعل الفرس لما اخذوا في نهضتهم باواسط القرن الماضي فان ناصر الدين شاه ارسل سنة ١٨٥٤ اربعين شاباً من ادباء الفرس واهل العصبية الى فرنسا لتلقي العلوم كما فعل محمد علي قبله . وعاد هؤلاء الى بلادهم وعملوا على نشر العلم بانشاء المدارس على اختلاف مواضيعها . وهكذا فعل ايضاً في تنظيم الجند فانه نظمه على النمط الفرنساوي وبعث الى فرنسا ٢٠ ضابطاً تخرجوا فيها على ذلك النظام

٢ — آثار فرنسا البنائية

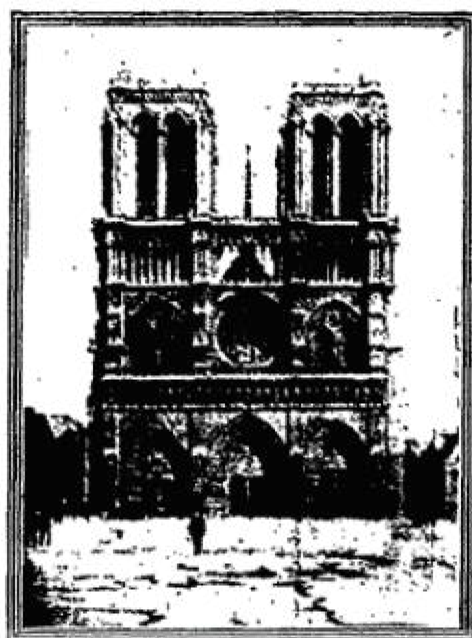
اما الآثار البنائية في فرنسا فانها كثيرة لا يمكن حصرها وانما نقتصر على ما شاهدناه منها في باريس وليون . وهو كثير يدخل فيه القصور والجسور والميادين والكنائس والمراسح والاضرحة نكتفي بفذلكة عامة عنها ونخص بالوصف اهمها

فالكنائس في باريس عديدة تزيد على ٧٠ كنيسة اشهرها نوتردام

نوتردام

هي كنيسة قديمة العهد اعيد بناؤها في النصف الثاني من القرن التاسع للميلاد ثم جددت في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ولم يتم بناؤها الا في منتصف القرن الثالث عشر مع اضافات وتجديدات لحقت بها بعد ذلك . واجمل ما فيها من حيث فن البناء واجهتها تم بناءها سنة ١٢٤٠ بشكلها الذي تراه في الرسم

مساحتها ١٣٠ متراً طولاً في ٤٠ متراً عرضاً و٣٥ متراً علواً قبتها قائمة على ٧٥ سارية كبيرة اكثرها مستدير الشكل رومانيهُ . والمنبر في الصدر قائم على ١٠٨ اعمدة صغيرة متقنة الصنعة والنقش . وفي ارض الكنيسة وجوانبها عدد كبير من الاضرحة للمشاهير ولا سيما اساقفة باريس . واهم ما في هذه الكنيسة مما يهمُّ القراء الاطلاع عليه خزانة تحفها . وهي غرفٌ بنيت سنة ١٨٥٠ فيها تحفٌ اكثرها حديث ليس له اهمية فنية وانما اهميتها بانتسابها الى مهديها . منها كاس مقدس من الذهب اهداه نابوليون الثالث للكنيسة . ومن التحف القديمة صندوق منقوش ينسب للقديس توماس بكت



واجهة كنيسة نوتردام في باريس

على طرز القرن ١٣ ومن الآثار التاريخية الصليب المذهب الذي حمله القديس فنسان دي بول قرب فراش لويس الثالث عشر وهو يحتضر ، والرداء الذي اتشح به نابوليون بونابرت عند تتويجه . ولكنيسة نوتردام برج علوه ٦٩ متراً

كنيسة لافورفير في ليون

ورأينا في ليون كنيسة قديمة العهد تعرف بكنيسة نوتردام دي فورفير يحج اليها الناس من اطراف العالم المسيحي باوربا . قائمة عن تلّ علوه ٢٩٧ متراً يصعدون اليها بترامواي كهربائي يجرّ بالاسلاك الغليظة يرجعون بتاريخ بنائها الى القرن التاسع . ثم تجددت مراراً آخرها في اواخر القرن الماضي . وقد احتفظوا بكثير من البناء القديم . طول الكنيسة من الداخل ٦٦ متراً في عرض ١٩ متراً وانما استلفت نظرنا ما على جدرانها من الصور الكبيرة المرسومة بالفسيفساء طول الواحدة بضعة امتار في مثلها عرضاً مرسومة في الاجيال الوسطى . منها صورة معركة بحرية جرت سنة ١٥٧١ في مضيق لبانت قرب كورنثية بين اسطول السلطان سليم الثاني العثماني واساطيل اسبانيا والبندقية وجنوى ومالطة والبابا بيوس الخامس . وهي معركة شهيرة في تاريخ الدولة العثمانية انتهت بفشل العثمانيين . كانت العمارة العثمانية مولفة من ٣٠٠ دارعة بقيادة القبودان موذن زاده علي باشا . والعمارة المسيحية مولفة من ٧٩ دارعة بقيادة دون

جوان دوتريش و١٢ دارعة للبابيوس بقيادة مارك انطوان كولوناو١١٤ دارعة بقيادة فانيرو البندقي . غير الجند الاسباني . ولما التقى الجيشان في ذلك المضيق تبادلوا اطلاق المدافع فاصيب القبودان العثماني بقنبلة قتلته ففشل جنده . وتوقف العثمانيون عن مواصلة الفتح غرباً كما توقف العرب عن الايغال في اوربا بعد واقعة بواتيه التي غلبهم فيها شارل مارتل قبل ذلك بثمانية قرون

وقد مثل المصور تلك المعركة وفيها سفن الجيشين ومواقعهم حتى انتهت باحتراق سفن العثمانيين . وكل ذلك بالفسيفساء الملونة ولا تزال واضحة مع انها صنعت منذ نيف وثلاثة قرون



معركة مضيق لبانت — منقولة عن كنيسة لافورفير

وهناك صور اخرى مثل هذه تمثل بعض الحوادث الدينية . منها وصول القديس بوثين الى ليون . وبعض تلك الصور كاد يمحى من طول الزمن

قصر الانفاليد في باريس

وفي باريس من التماثيل او الانصاب في الشوارع العمومية عدد كبير ذكرناه في غير هذا المكان . فنكتفي هنا بذكر اهم ضريح يعظمه الفرنساويون ويشاركهم في تعظيمه سائر الامم نعني ضريح نابوليون بونابرت في قصر الانفاليد

وقصر الانفاليد بناء فخيم مؤلف من قاعات عديدة بعضها متاحف للاسلحة التاريخية وبعضها لمعروضات اخرى . اهمها القبة التي تتضمن ضريح نابوليون الاول

سنعود اليها بعد الايجاز في وصف اهم ما يحويه قصر الانفاليد من الآثار والتحف وان كانت هذه من قبيل المتاحف لكننا نذكرها هنا على سبيل الاستطراد

ففي ساحة القصر مدافع تاريخية منها ١٧ مدفعاً من جزائر الغرب عليها كتابة عربية الى احد جانبيها مدفع صيني والى الجانب الآخر مدفع كوشنشيني . غير مدافع نمساوية صبت في فينا بالقرن السابع عشر حملها نابوليون الى باريس سنة ١٨٠٦ ومدفع حمل في معركة سباستبول سنة ١٨٥٦ وغيرها



قبة الانفاليد بباريس وفي داخلها ضريح نابوليون الاول

اما القصر فقد بناه لويس الرابع عشر . بدأ به سنة ١٦٧١ مساحته ١٢٦ ٩٨٥ متراً مربعاً عرض الواجهة ٢١٠ امتار انشيء ليقيم فيه المتقاعدون من الجند الفرنساوي يسع ٧٠٠٠ جندي . وقد تغير الغرض المراد به بعد ذلك . واستخدموا قاعاته للمتاحف العسكرية منها متحف الطبجية والمتحف التاريخي . وفي متحف الطبجية نحو عشرة آلاف قطعة من البنادق والمدافع القديمة والحديثة مرتبة حسب انواعها بينها الاعلام والادراع والخوذ . وفي جملتها اسلحة المانية من اوائل القرن السادس عشر . وبين

الاعلام علم جان دارك . وفيها اسلحة البوربونيين من لويس الرابع عشر فما بعده وبينها سيوف فرنسيس الاول وهنري الثاني وشارل التاسع وغيرهم شيء كثير

وهناك اسلحة شرقية في قاعة خاصة بخزائن يختص كل منها بامة من امم الشرق فيها امثلة من اسلحتها مثل ملقا والهند والصين واليابان والبلقان وسركاسيا ومراكش وتركيا من السيوف والبنادق . بينها بندقية امر نابوليون بصنعها في روتردام على الخصوص لسلطان مراكش . غير كثير من البنادق التركية وبنادق بربرية حملوها من سرقوسة سنة ١٨٠٨ وبنادق عربية وخناجر فارسية . وخزانة خاصة بالاسلحة الاسلامية فيها ادراع عربية على كل منها اسم الله منقوش بالعربية

وقاعات للالبسة الحربية باختلاف الامم الاسيوية والافريقية واصناف الناس بينها المركبة التي نقلوا عليها عظام نابوليون من جزيرة القديسة هيلانة

اما المتحف التاريخي ففيه الاسلحة التي لها قيمة تاريخية في جملتها اربعة من سروج المماليك غنمها الفرنساويون في معركة الاهرام سنة ١٧٩٨ . وسيف نابوليون الاول وقبعته وطبنجته وكبوته ودرع له اخترقتها رصاصة في معركة واترلو . وفي قاعات اخرى تذكارات من حروب الجزائر (سنة ١٨٣٠ — ١٨٥٧) وحروب القرم سنة ١٨٥٤ وحرب ايطاليا سنة ١٨٥٩ والصين سنة ١٨٦٠ والمكسيك سنة ١٨٦٢ وحرب فرنسا وبروسيا سنة ١٨٧٠ كل قاعة لنوع من الآثار . بعضها للثياب والبعض الآخر للاسلحة او الرسوم او الحلي غنمتها من حروبها في المستعمرات بالجزائر ومراكش والصحراء والسينغال والسودان ومداغسكر والهند الصينية وتونكين والصين . بينها رايات من وداي ومجوهرات الحج عمر من النيجر وسيف مرصع لامبراطور انام اخذ منه سنة ١٨٨٥ وغير ذلك

ضريح نابوليون في قصر الانفاليد

هو عبارة عن قبة علوها ١٠٧ امتار تشتمل على ضريح نابوليون وكنيسته . والقبة عليها من الخارج نقوش مذهبة يشرف عليها القادم من بعد . اذا دخلتها وجدت في وسطها ضريح نابليون وبين يديه هيكل الكنيسة . والى جانبي الضريح اضرحة جماعة من قواد لويس الرابع عشر . وبين يدي الكنيسة اربعة مذابح مستديرة يدخل اليها من قناطر سفلية صغيرة فيها اضرحة اعضاء اسرة بونابرت . ولا يستطيع الواقف عند ضريح ذلك الرجل العظيم الا الاعتبار والتأمل في ما انفقه القوم في تعظيم ضريحه وما نصبوا حوله من الاعلام والتماثيل . ان الدهشة تستولي على المتأمل من ميل البشر

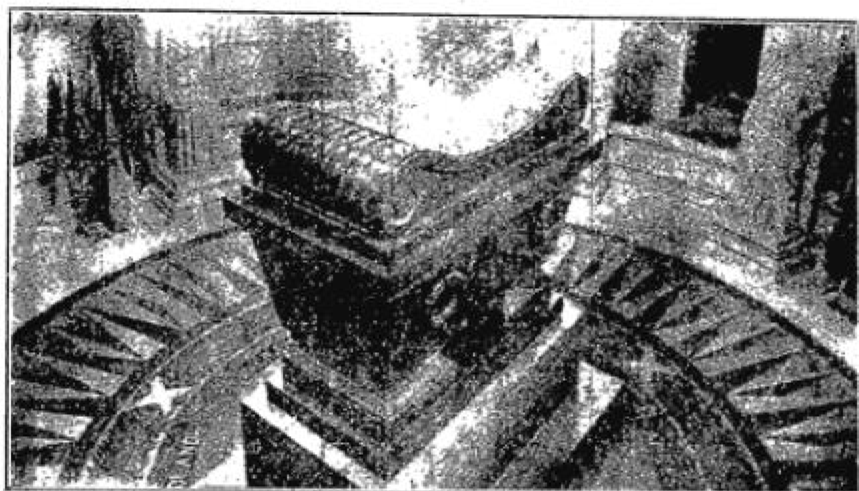
الى تعظيم الفاتحين . لا تقدر وانت واقف بين يدي ضريح هذا النابغة الا الصمت والذهول لما يتجلى على المكان من الوقار كانك ترى بونابرت واقفاً بين قواده ووزرائه وكلهم مطرقون رهبة واجلالاً — وقفنا برهة ونحن نراجع تاريخ صاحب هذا الضريح وتبين لنا انه اكثر القواد طمعاً في السيادة واقدرهم على القيادة واشدهم استهواء



الكنيسة داخل القبة وامامها الضريح

لرجاله حتى كانوا يلقون انفسهم في النار تفانياً في طاعته ولا يبالون . قضى نابوليون اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر وهو يحارب ويجالد فقلب العروش ودوخ الممالك ونثر التيجان وقتل النفوس . وقد مضى على سقوطه قرن ولا يزال العلماء مختلفين في تقديره كان الدهشة لاتزال آخذة بعقولهم . اما الذي نعلمه ولا خلاف فيه فهو ان نحو مليونين من الناس قتلوا في سبيله له اوعليه . وعقب تلك الحمى الاجتماعية ردُّ فعل عاد ببعض النفع للمجتمع البشري لا نظنه يعوض تلك الخسارة

اما الضريح فانه قائم تحت منتصف القبة على قاعدة من الرخام في حجرة من الرخام مستديرة كالحفرة قطرها ١١ متراً وعمقها ستة امتار لاغطاء فوقها . وفي وسط الحجرة



ضريح نابوليون في وسط الحجرة

قبر نابوليون يحتوي على بقاياه التي نقلت من جزيرة القديسة هيلانة سنة ١٨٤٠ وقد بني ذلك الضريح من سنة ١٨٤٣ — سنة ١٨٦١ وطول القبر من الاعلى اربعة امتار في عرض مترين وعلوه اربعة امتار ونصف متر. وهو مؤلف من خمس قطع من البورفير (الرخام السماقي) من فنلاند وعليه نقوش ورسم التاج واسماء المواقع الكبرى التي قاتل فيها نابوليون وهي: ريفولي والاهرام ومارنكو واوسترليتس وبينا وفريدلاند وواغرام وموسكو. وحول الضريح تماثيل منتصبة عددها ١٢ ترمز عن انتصارات نابوليون الكبرى. وعشر نقوش رخامية وست حزم فيها ستون راية مما اكتسبه من اعدائه. وفي داخل قبة الانفاليد كثير من تماثيل العظام كالقواد وغيرهم من اصحاب بونابرت

القصور والمراسح وغيرها

ومن قبيل الآثار في باريس القصور وهي عديدة كقصر الاليزة وقصر اللوفر وسيذكر في الكلام عن المتاحف. وكذلك قصر لوكسمبرج والتروكاديرو والبانتيون وغيرها. ومنها المراسح وهي اربعون مرسحاً وفيها الاوبرا الشهيرة. ومن قبيل الآثار ايضاً منازل العظماء من مشاهيرهم كمنزل اوغست كونت الفيلسوف الشهير ومنازل بلزاك وبيفون وكوفيه وهوغو. وفي كل منها آثار صاحبها من طاولة وسرير ومكتب وقلم وكتاب وغير ذلك. ووصف كل منها يستغرق فصلاً خاصاً وليس ذلك غرضنا هنا. ومنها الميادين او الساحات العمومية وهي نحو ستين ساحة اشهرها ساحة الاوبرا وساحة الربوبليك ولاكونكوردو التروكاديرو والكوكب وغيرها وسنتكلم عن المتاحف في الهلال القادم

صحة العائلة

عوارض التسنين وعلاجها

يولد الطفل وله عشرون سناً مغلقة باكياس عظمية في قاعدة اللثة يكسوها النسيج الخلوي ثم الغشاء المخاطي . وهي مرتكزة في اسناخ الفكين ثم تنمو السن نمواً صاعداً لان جذرها ممدود فلا يزال ينمو حتى ترفع النسيج الخلوي والمخاطي ويظهر في سطح اللثة وهي اسنان اللبن وتدعى الاسنان الزمنية أو الموقتة لانها لا تلبث ان تقع وتقوم مقامها الاسنان الدائمة وعدد الاسنان الزمنية عشرون سناً يختلف زمن ظهورها كما يأتي:

١ قاطعان في الفك السفلي يظهران في الشهر السادس الى ٩
٢ اربع قواطع في الفك العلوي يظهران في الشهر ٨ الى ١٢
٣ قاطعان في الفك السفلي يظهران في الشهر ١٢ الى ١٥
٤ اربعة انياب اثنان لكل فك يظهران في الشهر ١٨ الى ٢٤
٥ اربعة اضراس في كل فك تظهر في الشهر ٢٤ الى ٣٠

وبعبارة اوضح ان الطفل اذا بلغ حولاً كاملاً يجب ان يكون له اثنتا عشرة سنا والبالغ حولين يجب ان يكون له ست عشرة سناً وابن الحولين ونصف الحول يجب ان تكون اسنانه عشرين سناً وهي عدد الوجبة الزمنية التي نحصر كلامنا فيها

مما لاريب فيه ان زمن ظهور هذه الاسنان قابل للتغيير . فالاستاذ هولت عرف ثلاثة اطفال من صلب واحد ولدوا باسنان ظاهرة وذكر اطفالاً من اصلاب متقاربة كان معدل ظهور اول سن فيها في الشهر الثالث والرابع. وقال ان نظام ظهور الاسنان اقرب الى الاعتدال من ازمان ظهورها . على ان الاختلاف في هذا الزمن كثير الحصول واشده وضوحاً في الاطفال البله أو المصابين بنقص في نمو دماغهم . والسن قد تشق اللثة وتظهر بدون عوارض موضعية . ولكن الغالب قبل ظهورها بمدة قصيرة ان يظهر على اللثة احمرار وتورم قد يمتد الى النسيج المخاطي في الفم كله ويصحبه زيادة افراز اللعاب

وانزعاج خفيف في الجسم وهذه العوارض تزول حالما تظهر السن على سطح اللثة

وقد يولد الطفل وله سن أو سنان ظاهرتان كما تقدم وهذا نادر لا يعتد به . وقد تظهر اسنانه في الشهر الثالث او الرابع أو لا تنبت له سن للشهر الثامن عشر . ويكون نموه في الحالات المار ذكرها حسناً . ومن المحتمل ان يكون سبب تأخير ظهور الاسنان في بعض الاطفال بعد بلوغهم السنة الاولى مرض الكساح . والطفل الذي ينمو على لبن امه تظهر اسنانه قبل الذي ينمو على الرضّاعة

ومن الاعتقادات الشائعة من قديم الزمان ان معظم الامراض التي تعرض للاطفال اسبابها الرئيسية التسنين ولذلك نرى الام تشاهد طفلها يموت امامها وهي مغلولة اليدين لا تبدي حركة تساعده بها على المرض الذي يهدد حياته ظناً منها انه بدور التسنين وليس به مرض يدعو الى القلق او الاشفاق . والاستاذ هولت صرح ان خمسة وتسعين بالمائة من الاطفال اسنانهم بريئة مما يصابون به من المرض أو الضعف في طور التسنين . اذ لا يبعد ان تكون اسباب ذلك غير نمو السن وخمسة بالماية من مرضاه فقط تعذر عليه اسناد سبب مرضهم ووقوف نمو اجسامهم الى غير التسنين

والعوارض التي تسبق ظهور الاسنان في الطفل احمرار لثته وتورمها وزيادة افراز لعابه ونفوره من الثدي واضطراب عام واستمرار على البكاء وعدم اكتراثه بالاشياء التي تقدم له والالم يمنعه ان ينام نوماً هادئاً فيصير نومه قليلاً ومتقطعاً وحرارة جسده تزداد درجة ونصف درجة أو اكثر . ويرافق هذه العوارض في بادىء الامر امساك وضعف . وكلها تزول غالباً في اليوم السادس أو السابع اي عندما تظهر السن فيعود الطفل الى ما كان عليه سابقاً من الصحة . وكثيرون من الاطفال لا يشكون الماً ولا انزعاجاً في حال التسنين حتى ان الام تبغت من ظهور السن ولا تشعر به الا بعد ان يمضي على ظهوره ايام . والاسهال الذي يرافق هذه العوارض عادة ناتج عن تحمل معدة الطفل فوق طاقتها في مثل هذه الاحوال فيؤدي ذلك الى سوء الهضم فالقيء فالاسهال

ولما كان الاطفال اكثر تعرضاً للامراض الوافدة وسواها في الزمن الذي ينتظر فيه ظهور الاسنان كان ذلك سبباً كبيراً لرسوخ ذلك الاعتقاد الفاسد في عقول الامهات والآباء بنسبة كل انحراف يصيب الطفل الى التسنين فالى هذه الفئة نكتب هذه المقالة

اذا لحظت في طفلك العوارض التي تقدم ذكرها أو بعضها وهو في الشهر الرابع فما فوق فلا بأس عليك اذا قلت انه دخل في دور التسنين. ولكن يجب ان تنتظري زوالها في بضعة ايام على اثر ظهور الاسنان . واذا ظلت كلها أو بعضها اياماً بعد ظهور الاسنان فاستشيري الطبيب . واذا استمرت العوارض خمسة ايام ولم يظهر في آخرها سن استشيري الطبيب وهو يطالعك على اسباب مرض طفلك . وهو في الارجح غير التسنين فيتدبر بحكمته درء اضراره . واذا ثبت له بعد الكشف والمراقبة الدقيقة ان علة هذه الاعراض التسنين فقط لا يعدم وسيلة في اسعاف السن على الظهور

اما العلاج الذي التمس تنفيذه على يدك يقوم بالشروط الآتية :

١ عندما تلاحظين في طفلك نفوراً من الرضاعة فتشي عن الاسباب التي دعته الى ذلك . فاذا رأيت لثته حمراء قاتمة متورمة ويكثر من ادخال يده بفيه علمت انه دخل في دور التسنين فلا تحاولي اجباره على الرضاعة

٢ انقصي اوقات رضاعته وكميتها الى نصف المعدل الذي كان عليه

٣ اغسلي فمه مراراً بماء البوريك بقطنة تبليها بالمحلول وتجففينها قليلاً قبل استعمالها

٤ اذا ظهر فيه غير النفور من الرضاعة كالقيء والاسهال وازدياد في افراز اللعاب استشيري الطبيب حالاً لان ذلك يدل على فساد دخل في نوع الغذاء أو في كميته أو في الاثنين معاً . وجسد الطفل على شدة تعرضه واستعداده للامراض الوافدة يتغلب عليها ويقاوم الطوارىء المحدقة به ببسالة اذا نشأ على القواعد الصحية فلا التسنين يزعجه ولا الامراض تصادف محلاً يصلح لبث بذورها فيه فترتد عنه بالخيبة والله الواقي

مصر — الدكتور شخاشيري

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

مصر اليوم

L'Egypte d'Aujourd'hui

للكونت قريصاتي

هو كتاب في مصر وزراعتها واحوالها الاقتصادية والسياسية ومصادرها المالية وثروتها العقارية وديونها . الفه بالفرنساوية الكونت قريصاتي مدير البنك الفرنساوي المصري بباريس ضمنه درساً دقيقاً مبنيًا على الاحصاءات والتقارير الرسمية . واوضحه بالخرائط والجداول بالمقابلة بين مصر وسائر الدول . بدأ بتحديد مصر الجغرافي والاقتصادي ووصف النيل ومنابعه والفيضان واسبابه وكيف تكوّن وادي النيل وطبيعة التربة المصرية وخصبها وتحليل مائها . وعقد فصلاً في الاقليم المصري من حيث هوائه وحرارته والفصول الاربعة وتأثير ذلك في الزراعة وبين الحاصلات المصرية بحسب الفصول ونسبة ذلك الى الري وطريقته . واوضح درسه بالجداول ذكر فيها الايام اللازمة لكل غلة حسب الفصول وخلاصة ذلك كما يأتي :

زراعة الشتاء	المدة اللازمة	غلة الفدان بالقرش
القمح	١٨٠ يوماً	٩٠٠
الشعير	١٦٥ «	٨٨٠
الفول	١٣٥ «	٧٥٤
العدس	١٥٠ «	٨٥٥
برسيم (اربع مرات)	٢٩٥ «	١٦٥٠
زراعة الصيف		
قطن	٩ اشهر	١٨٠٠
قصب السكر	سنتان	٣٦٠٠
رز سبعيني	٧٠ يوماً	٦٩٨
« سلطاني	١٨٠ «	١٠٠٧
زراعات متوسطة		
ذرة تركية	١٢٠ يوماً	٥٩٢
« اخرى	١٠٠ «	٥٧٨

وافرد فصلاً للقطن المصري واصله وقال ان الاهتمام بزراعته لم يظهر الا من سنة ١٨٢٠ بعد ان ادخل محمد علي نوعاً منه نقله من الحبشة على يد الموسيو جومل النباتي الفرنساوي وهو القطن المصري الذي عليه المعول في الزراعة المصرية ولم ينجح زرعه في غير مصر مثل نجاحه فيها . وقابل بين غلة القطن المصري وغلة الاميركي فوجد غلة الاول اكثر من ضعفي غلة الثاني . وان غلة القطن المصري البالغة اكثر من ستة ملايين قنطار يصدر اكثر من نصفها الى انكلترا والباقي الى سائر العالم

ثم تكلم عن الفلاح المصري وطبائعه وتصرفه من حيث غلاته وامواله والسبيل الى ترقيته وتربية مواهبه. فهو في نظره قويٌ صبورٌ قنوع لكنه ساذج قصير النظر كثير التمسك بالخرافات فلو تثقف تضاعفت غلة ارضه . وبين كيف تضيع دراهمه وذكر السبيل الى اصلاحه. ثم انتقل الى البحث في ارض مصر بالنسبة الى عدد السكان فاتى على تاريخ ذلك وان سكان مصر على الاحصاء الاخير ١١,٢٨٧,٣٥٩ منهم ٩٢٥٩ ٤٨١ من اهل الريف واحصى اصحاب الاملاك بالنظر الى الفدادين المزروعة. فاذا هي على هذه الصورة :

	عددهم	مساحة املاكهم
اصحاب الاملاك من الوطنيين	١٣٤٩,١١٨	٤٧٦٤ ٥٥٠ فداناً
« « « الاجانب	٦ ٨٨٢	٦٨٢ ٥٠٩ فدادين
اطيان الدومين	١	١٥٥ ١٠٣ «
	١ ٣٥٦ ٠٠١	٥ ٦٠٢ ١٥٩

واثبت بالاحصاء والمقابلة ان القطر المصري من اكثر البلاد ازدحاماً . وقابل بينه وبين اشهر الممالك المتمدنة . فوجد معدل السكان في الكيلو متر الواحد في الولايات المتحدة ١١ نفساً وفي المجر ٧٤ وفي فرنسا نحو ٧٤ نفساً وفي النمسا ٩٥ وفي المانيا ١٢٠ وفي انكلترا ١٣٣ وفي بلجيكا ٢٢٧ نفساً . اما في مصر ففي الكيلو متر نحو ٣٣٦ نفساً . واحصى اصحاب الاطيان الوطنيين والاجانب وقابل بين عددهم سنة ١٨٩٦ وسنة ١٩٠٩ فوجد عددهم جميعاً كان سنة ١٨٩٦ نحو ٧٦٧ ٠٠٠ مالك يملكون نحو ٥ ٠٠٠ ٠٠٠ فدان فصاروا سنة ١٩٠٩ نحو ١٣٥٦ ٠٠٠ يملكون ٥٦٠٠ ٠٠٠ فدان اكثرهم من الوطنيين كما تقدم . ومن هؤلاء ١ ٠٢٧ ٤٢٥ نفساً من اصحاب الخمسة افدنة فما تحتها

وبين في فصل آخر تزايد الميزانية المصرية ونسبتها الى السكان وما يلحق الشخص

الواحد من الضرائب . فوجد ان الشخص كان يلحقه ١١١ غرشاً سنة ١٨٨٠ فصارت ٩٢ غرشاً سنة ١٩٠٩

ودرس الحالة القضائية وافاض في الحالة الاقتصادية ولا سيما التجارة الخارجية وبنى احكامه فيها على الاحصاءات المتتابعة من سنة ١٨٨٦ — ١٩١٠ وخلاصة ذلك ان الوارد كان سنة ١٨٨٦ نحو ٢٣١ ٨٤٨ ٧ جنيهاً فصار ٨٢٦ ٥٥٢ ٢٣ جنيهاً سنة ١٩١٠ والصادر كان ٥٧٣ ١٩٨ ١٠ فاصبح ٤٦١ ٩٤٤ ٢٨ جنيهاً وبلغ مجموع الوارد في تلك المدة ٩٨٤ ٤٦٤ ٣٥٠ والصادر ٨٤٠ ١٣٥ ٤١٦ جنيهاً

ثم بحث في اسباب الازمة المالية بمصر . وهو يرى ان اسبابها اخلاقية اكثر مما هي اقتصادية . وتعليله ان صعود اثمان القطن استلزم ارتفاع اسعار الارضين وتأيد ذلك بعد عقد الاتفاق الانكليزي الفرنساوي سنة ١٩٠٤ لاطمئنان اصحاب الاموال الى احوال مصر السياسية . فرأى الفلاح ثروته تتضاعف في بضعة ايام فتوهم الناس تلك الزيادة تشمل ارض البناء ايضاً . لان قيمة تلك الارض في نظرهم تتوقف على ثروة الامة وزيادة عدد السكان وهما متوفران في ذلك الحين . فظنوا تلك الزيادة لا حدّ لها فتورطوا في المضاربة وانشاء الشركات وتساهلت المصارف بالتسليف فحدثت الازمة

وبحث ايضاً في انواع المزروعات حسب مساحة الارضين فكانت مزارع الذرة مساحتها ٧٤٥ ١٧٩٦ فداناً يليها مزارع القطن وهي ٠٥٥ ٥٩٧ ١ فداناً فالبرسيم ٧٩٣ ٥٣١ ١ فالقمح فالفول فالشعير فالرز فغيرها

وذكر تاريخ مزارع القطن وما تقلب عليها واسباب صعود اثمانها وهبوطها وافاض في وصف الاصلاحات اللازمة لدفع ما يقف في سبيل الزيادة . وفي جملتها الاصلاح الاخلاقي بترقية احوال الفلاح وتعليمه والاكثار من المدارس الزراعية العملية

ثم قدر ثروة مصر العقارية بالقياس على مقدار ما تدفعه من الضرائب فبلغت قيمة الاطيان الزراعية وحدها نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٨٨ جنيه وقيمة ارض البناء نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٧٧ جنيه وجملة ذلك نحو ٦٥٠ مليون جنيه

ونظر في الديون الرهنية بالنسبة الى قيمة الارض المرهونة . وفصل الكلام في ذلك بالجداول والاحصاءات فبلغ دين مصر نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٥٢ جنيه فقابل بينه وبين ديون سواها من الامم المتمدنة فكانت مصر ارفق حالاً من غيرها وهذا جدول يتضمن ديون اشهر الامم بالنسبة الى ثروتها العقارية والارقام تدل على نسبة الدين الى مئة من الثروة :

مصر	٩٫٠٠	في المئة	رومانيا	٢٢٫٠٠	في المئة
اسبانيا	١٠٫٠٠	»	النمسا	٣٧٫٠٠	»
فرنسا	١٠٫٨٠	»	نروج	٣٧٫٠٠	»
ايطاليا	١٦٫٠٠	»	بروسيا	٣٩٫٠٠	»
الولايات المتحدة	١٧٫٠٠	»	روسيا	٤٠٫٠٠	»
المجر	٢٠٫٣٧	»	انكلترا	٥٠٫٠٠	»

فيظهر من ذلك ان مصر اقل الامم المتمدنة ديناً وانكلترا اكثرها ديناً . وقابل بين سكان هذه الممالك وحاصلاتها من الحنطة . وغير ذلك من الجداول المفيدة والابحاث التي تفتقر الى سعة المعرفة والصبر والهمة . فالكتاب فريد في بابه يحسن نقله الى اللغة العربية لتعميم نفعه

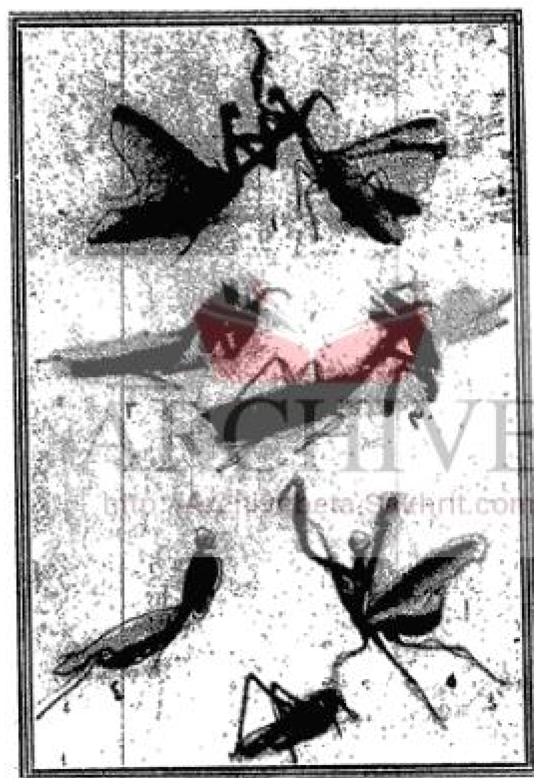
عجائب المخلوقات

طبائع الجنادب

شغل أهل المدائن الكبيرة عن درس العوالم التي دونهم — عوالم الحشرات والحيوانات المنحطة — بمطالب عالمهم الخاص ولوازم مدنيتهم فاصبحوا لا يكترثون بتلك الحشرات ولا يعرفون عنها ما يستحق الذكر . ولو فكرنا في الهوام الصغيرة التي تحوم احولنا لرأينا فيها عادات وغرائز ودوافع وحوائج مثلنا

على ان بعض اهل النظر والبحث ادركوا فائدة درس الحشرات وطبائعها فوجهوا اليها التفاتهم . ونذكر في طليعتهم جان هنري فابر الفرنساوي الذي سماه داروين « الملاحظ اللامثيل له » وقف هذا العالم حياته لهذا الدرس فانصرف اليه منذ العاشرة من عمره وهو اليوم في التسعين . قضى معظم حياته منزوياً في قريته بجنوب فرنسا

بعيداً عن معترك الحياة يقضي يومه في الحقول تارة وفي غرفته أخرى مدوناً ملاحظاته واختباراته . وكانت ثمرة اتعابه كتاباً في عشرة مجلدات ذكر فيه خلاصة ابحاثه واكتشافاته عن طبائع الحشرات والهوام — ان حياة كهذه تكرس لخدمة العلم لجديرة بالاعتبار والاجلال . وقد رأينا ان نلخص من كتاب ذلك العلامة القطعة التالية وهي تختص بطبائع نوع من الجنادب يسميه العامة « جمل اليهود » او « فرس النبي » قال :



الجنادب

يسمي فلاحو فرنسا هذه الحشرة « المتضرع الى الله » وكان يسميها اليونان « النبي » واسمها في علم الحيوان « الجندب المتدين » فقد اتفق العلم والنقل في وصفها بالتدين والخشوع والتنسك . ولكن شتان بين هـذا الوصف والحقيقة ! فان ذلك المخلوق الضعيف المتمسكن في الظاهر انما هو مفترس كاسر لا يقتات الا من الحشرات الحية خلافاً لسائر بني جنسه فهو بينهم كالنمر بين الانعام . ولا شك ان شكله الخارجي يدعو الى العطف لاول وهلة . فهو جميل المنظر حسن الشكل اهيف القد اخضر اللون

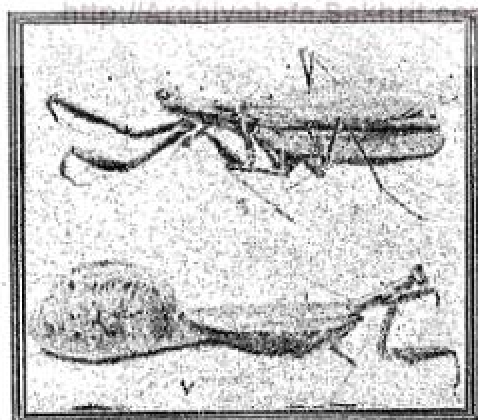
دقيق الاجنحة صغير الرأس لكن له سلاحاً قوياً هو قائمتاه الاماميتان كل منهما مؤلفة من ثلاثة مفاصل تنقسم بها القائمة الى ثلاثة اقسام ينبت في القسمين الاولين شوك مختلف الطول في صف متناسق يجعل القائمتين كالمنشارين . اذا قضي على حشرة ان تقع بينهما اخمدت انفاسها واصبحت عديمة الحراك فيفترسها الجندب كما يظهر في الشكلين ٢ و ٣

والجندب وقت استراحته يطوي القائمتين المذكورتين تحت جسمه (ش ٤) فاذا وقع نظره على حشرة بالقرب منه انقلب ذلك الحيوان الخشوع المتضرع لله الى وحش ضار فيثب من مكانه وثبة دونها وثبة الاسد ويبسط اجنحته ويمد قائمتيه (ش ٥) فتقع الحشرة المسكينة بين يديه ولا مفرّ لها . قال الكاتب : لكي اتمكن من درس طبائع تلك الجنادب بالتدقيق رأيت ان اربيها في غرفتي فوضعت منها زرافات ووحداناً في شبه اجراس من نسيج السلك الرفيع في ارضها طبقة من الرمل أو التراب والحصى الصغيرة وقطع من العود اليابس لادرس طبائعها الشخصية والاجتماعية معاً

والاناث أكبر حجماً من الذكور واقوى بدناً . فان الانثى كانت تفترس كل ما يقع تحت يدها من انواع الحشرات كالجراد والصرصور والذباب والفراش وغيرها مما كنت اضعه في تلك الاجراس بالقرب منها وهاك كيفية هذا الصيد : عندما يقع نظر الجندبة على جرادة مثلاً — وقد تكون الجرادة هذه اقوى منها — تثب فجأة من مكانها وتقف وقفة مخيفة هي خاصة بتلك الحشرة تراها ممثلة في الشكل (٥) كأن الجندبة فارس جرد سيفه ليطلقه على عدوّ متصاغر بين يديه . وقد شعرت اول مرة شهدت ذلك الانقلاب الغريب بدهشة ممزوجة بشيء من الخوف . فبعد ان تفتح الجندبة اجنحتها تخرج صوتاً كالفحيح كانه نفخة الغضب . وتنتصب على قوائمها الاربع الخلفية وترفع قائمتيها الاماميتين كانها تشهر سلاحاً على غنيمتها . تلتزم هذا الموقف برهة وغايتها من ذلك ان توقع الرعب في قلب الجرادة . وهذا ما يحصل فعلاً فان الجرادة تتولاها الدهشة امام ذلك المنظر الفظيع فتجمد في مكانها من الخوف لا تعرف كيف تدافع عن نفسها . وقد تكون اقوى جسماً واشد بطشاً من عدوّها . أليس من الغريب ان الجرادة التي لا تفوقها حشرة في الوثب والطيران ترتعد فرائصها امام الجندبة وتلزم مكانها كانها تسلم نفسها غنيمة باردة حتى يلتهمها الجندب ؟

لا تستغرب ايها القارىء فروسية هذه الحشرة فاليك ما هو افظع من ذلك : وضعت بضع اناث في وعاء واحد ولم تمض برهة حتى رأيت اثنتين منهما اخذتا تتعاركان لسبب لم افهمه وانتهت المعركة بان القوية اكلت الضعيفة بشراهة وتلذذ على ما بدا لي . وكان معهما في ذلك الوعاء حشرات غريبة كانت اولى بالافتراس من بني جنسها . وكثيراً ما ينتهي هذا العراك بانسحاب احد الفريقين مطأطىء الرأس معترفاً بانكساره

واذا وضع ذكر وانثى معاً يبدأ الذكر بمغازلة رفيقته وابداء هيامه وهي لا تتحرك كأنها لا تعبأ به . لكنه بعد برهة يقبل عليها وقد ابدت له علامات الرضى ويبقيان كأنهما جسم واحد مدة ست ساعات يقضيانها بلا حراك . وبعد ان يفترقا مدة لا تجاوز اربع وعشرين ساعة يلتقيان ثانية لكن الانثى هذه المرة لا تستقبل الذكر كزوج هائم بل كغنيمة لذيذة الطعم تأكلها وتولم عليها . وقد خطر لي ان اراقب ما يحصل لذكر ثانٍ اذا وضعته مع الانثى نفسها (بعد ترملها!) فكانت النتيجة عينها فانها الحقت هذا بذاك بعد ان لقحها ومرت من معاشرته فترة من الزمن . وحصل مثل ذلك لثالث ورابع وخامس الخ ... بالتتابع فترملت في اسبوعين سبع مرات . يا له من غرام قتال !



بقي ما هو اغرب من كل ما ذكر : فوجئت يوماً بمنظر ذكر يلقح انثى وهو بلا رأس وبعد التحري وجدت الانثى رافعة رأسها تنهش جسم حبيبها الولهان ولا يزال فيه رمق من الحياة يقضيه في اشباع غرامه (ش ٦) نعم رأيت هذا بعيني ولا ازال دهشاً مما رأيته حتى اليوم . ولله درُّ من قال « ان الحب اقوى من الموت » اه ا . ز .



سعيد الشرتوني

صاحب معجم اقرب الموارد

ولد سنة ١٨٤٨ وتوفي سنة ١٩١٢

فجع عالم الادب في اوغسطس الماضي بوفاة المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني صاحب آخر معجم من معاجم لغة العرب . والمعاجم لا يتصدى لتأليفها الا اصحاب الهمم العالية والعلم الواسع . ومع كثرة اشتغال العرب بلغتهم والفاظها من صدر الاسلام الى الا ن لم يزد عدد ما بين ايدينا مع المعاجم الكبرى على بضعة معاجم اقرب الموارد من جملتها فلا غرو اذا افردنا فصلاً لترجمة المؤلف ووصف معجمه

ولد رحمه الله في شرتون بالشوف من اعمال لبنان سنة ١٨٤٨ من عائلة كسروانية الاصل ونشأ مثل سائر اهل القرى ولم يتعلم لقلة المدارس في ذلك العهد . ولو لم يصبه حادث غريب بعثه على الفرار الى عبيه مقر المرسلين الاميركيين يومئذٍ لقضى حياته مثل سائر اترابه ولم ينبغ ولا كان له ذكر في عالم الادب . ولكنه بفضل تلك البعثة

الدينية ترشح للاشتغال بالعلم . والحادث المشار اليه انه رأى وهو في الثالثة عشرة من عمره فتاة من اهله تتسلق شجرة تين في بستانهم فرشقها بحجر فخافت فسقطت فماتت فخاف العقاب وطلب النجاة فاستقرت قدماه في مدرسة عبيه وقد اخذهُ التعب والجوع والخوف فآواه اصحابها الاميركان وعلموه سنتين . ثم انتقل الى مدرسة سوق الغرب الانكليزية اتم دروسه فيها . ووجه عنايته خصوصاً الى اللغة العربية فانصرف الى درسها فخرج من تلك المدرسة وبيده مهنة يمكنه الارتزاق بها . فطلب للتعليم في مدرسة عين تراز للروم الكاثوليك قضى فيها بضع سنوات قضى مثلها في دمشق الشام وهو يزداد معرفة وشهرة فاستقدمه الآباء اليسوعيون الى بيروت للتعليم في مدرستهم وعلم ايضاً في مدارس اخرى . ورأى اليسوعيون ميله الى اللغة العربية فعهدوا اليه بتصحيح مطبوعاتهم ـ قضى في ذلك بضعاً وعشرين سنة وهو ينقب ويراجع ويحقق فجرَّه ذلك الى مزاولة كتب اللغة العربية وكان قوي الحافظة فوعى الفاظها ومال الى تأليف معجم فيها اقترحه عليه الآباء اليسوعيون

وكان المرحوم بطرس البستاني قد اصدر قاموسه محيط المحيط وتداولته الايدي لسهولة البحث فيه فنسج معجمه على منواله وتحداه في كثير من مواده . لكنه احسن ترتيبه وتبويبه فوضع كل مادة أو ما يشتق منها في صدر السطر بين نجمتين لسهولة التفتيش . وحذف منه الفاظ السوءات وما يلحقها عملاً باشارة اصحاب الاقتراح في تأليفه . وقد ذكر المعاجم التي عول عليها في تأليف معجمه الا محيط المحيط كأنه اعتبره ناقلاً عن سواه من امهات المعاجم . ولكنه لم يصلح ما فيه من الاغلاط المنقولة عن الامهات أو فاتت مؤلف محيط المحيط

صدر اقرب الموارد في مجلدين كبيرين سنة ١٨٨٩ ثم تبين للمؤلف رحمه الله ان معجمه لا يكون وافياً ان لم يلحقه بذيل يتم به عمله فالحقه بذيل طويل في نحو ٤٥٠ صفحة . ضمنهُ ما كان قد اهمله من الكلم الواردة في كتب العرب وما لم يدونه العلماء من الالفاظ واصلح ما وقع في كتابه من الخطأ اللغوي وغيره . وكأنه تعجل في وضع هذا الذيل ايضاً فالحقه بتنبيه واصلاح وتكملة في نحو ١٥٠ صفحة كبيرة . فيظهر من ذلك ان المؤلف لما عمد الى وضع اقرب الموارد لم يكن غرضه تأليف معجم مطول لكنهُ

سبق الى ذلك ببواعث اخرى على انه بذل جهداً كثيراً في تأليفه وله فضل في كثير من مواده . واذا اعيد طبعه وادخلت الاصلاحات في اماكنها واغفلت المواد المهملة التي قضت سنة الاجتماع بموتها وادخلت المصطلحات الجديدة التي تولدت في هذه المدنية مع تصوير ما يعرض من اسماء النبات والحيوان لتمييزها — كان هذا التأليف النفيس اقرب الى حاجة الناشئة من طلاب اللغة

وللمترجم مؤلفات اخرى مدرسية في الادب والانشاء والنحو واللغة مثل كتاب المعين للتلميذ والمعلم في الانشاء ونجدة اليراع في الالفاظ المترادفة وحدائق المنثور والمنظوم ومطالع الاضواء في مناهج الكتاب والشعراء في المعاني والبيان وكتاب في انتقاد غنية الطالب لاحمد فارس الشدياق ومقالات علمية ولغوية واجتماعية في الجرائد والمجلات وكلها مفيدة لكن اسمه سيحيي بمعجمه

وكان رحمه الله ذكياً هماماً قوي الذاكرة صبوراً على العمل . وكان اشتغاله قاصراً على اللغة العربية وعلومها وله المام باللغة الانكليزية لكنهُ لم يتوسع في مطالعة آداب الافرنج ولذلك كان محافظاً في انشائه على اسلوب العرب المسجع مع مراعاة السهولة . على ان اسلوبه يختلف باختلاف المواقف واكثره سهل بسيط . وقد يتوخى التعبيرات الغريبة والالفاظ العويصة في مواقف يرى الجنوح الى العويص فيها اولى

باب الاخبار العلمية

صخرة التنديل

كتب الينا يوسف افندي كريم من سان جوان بارجنتين ان صخرة هائلة تعرف بصخرة التنديل يبلغ وزنها الوفاً من الطنات مرتكزة على نقطة صغيرة على قمة جبل عال تتحرك حركة خفيفة وكانوا يتحققون ذلك بزجاجات يضعونها في الفراغ بجوار نقطة الارتكاز فلا تلبث ان تتحطم . وكثيراً ما كان الناس يتسلون بهذه التجربة . والصخر مع ذلك ثابت في مركزه . ذكروا ان بعض الحكام في اواسط القرن الماضي اراد ان يزيحه من مكانه فاحاطه بامراس غليظة شدها الى عشرات من الثيران

الهلال

الجزء الرابع من السنة الحادية والعشرين

اول يناير (ك ٢) سنة ١٩١٣ و٢٣ محرم سنة ١٣٣١

المؤتمرات الدولية

والمملكة العثمانية

او كيف خرجت الممالك البلقانية من سيادة الدولة العلية

ذكرنا في الهلال الماضي فتوح الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان في القرنين الرابع عشر والخامس عشر. ونظراً لقرب انعقاد المؤتمر الدولي في لندن الآن للبحث في حال المملكة العثمانية بعد حربها مع دول البلقان رأينا ان نأتي على اهم ما تقدمه من المؤتمرات الدولية التي عقدت لمثل هذا الغرض وما ترتب عليها من المعاهدات التي قضت بتقاص ظل الدولة العثمانية عن البلقان وغيرها من القرن السابع عشر حتى الآن

خروج المجر والقرم

بلغت الدولة العثمانية قمة مجدها واوسع سلطانها في زمن السلطان سليمان القانوني باواسط القرن السادس عشر. فكانت مملكة بعيدة الاطراف تحدها من الشمال ممالك النمسا وبولونيا وروسيا. ومن الجنوب بحر العرب والحبشة والسودان. ومن الشرق اذربيجان ولورستان. ومن الغرب البحر الادرياتيكي والبحر المتوسط والصحراء الكبرى. فكانت اعلامها تخفق في اسيا واوربا وافريقيا على الاناطول وارمينيا

وجورجيا وما بين النهرين والعراق وسوريا وجزيرة العرب ووادي النيل وبرقة وطرابلس الغرب وشبه جزيرة البلقان ـ وتشتمل هذه الجزيرة يومئذ على بلاد المجر والفلاق والبغدان وبلغاريا والبوسنة والسرب والبانيا والروملي او مكدونية وبلاد اليونان . وكانت اعلامها تخفق ايضاً في شمالي البحر الاسود على بلاد القرم وما يجاورها وشركاسيا وقوقاسيا وما يليها . ويدخل في هذه المملكة من البحور البحر الاسود وبحر مرمرا وبحر ايجي والبحر المتوسط والبحر الاحمر وخليج فارس

ففي القرن السابع عشر أفاقت اوربا من سباتها . ورأت امتداد الدولة العثمانية في اوربا تخافتها على ممالكها . ولاسيما جيرانها نعني النمسا وروسيا فاخذت كل منهما تسعى في مناوأتها وتقليص ظلها . فطمعت النمسا في المجروطمعت روسيا في ما يجاورها من البلاد بينها وبين البحر الاسود . واستعانتا على اغراضهما بالتحريض والدسائس والتضامن مع الدول الاخرى . فظافرت النمسا بمرادها بمعاهدة دولية عقدت في كارلوفتس سنة ١٦٩٩ بين الدولة العلية والدول المتحالفة عليها يومئذ وهي النمسا وروسيا وبولندا والبندقية . وبمقتضى هذه المعاهدة خرجت المجر من سيادة الدولة العلية وصارت تابعة للنمسا . واما الروس فظفروا بمرادهم سنة ١٧٧٤ بمعاهدة أبرمت بين روسيا والعثمانيين في قينارجة تنازلت فيها الدولة العلية عن بلاد القرم للروسيين . ثم حاربوها بالاتحاد مع النمسا حرباً خسر فيها العثمانيون ٢٠٠٠٠٠ نفس . واجهز الروسيون على ما بقي من شواطىء البحر الاسود الشمالية بمعاهدة الاستانة التي عقدت سنة ١٧٨٤ وغيرها

فلما ذاقت هاتان الدولتان لذة الفوز على العثمانيين وكانتا تحسبانها لا تُغلب زادت مطامعهما فيها ووافقهما سائر دول اوروبا على اخراج العثمانيين من اوروبا بالكلية . واخذوا يتحدثون بالمسألة الشرقية لكنهم تركوا تلك المهمة للروس والنمساويين فتحالفتا واخذتا في تحريض السرب وغيرها على النهوض . فنهضوا وكانت الحرب سجالاً والنزاع متواصلاً عدة سنين انتهت بمعاهدة بلغراد سنة ١٧٣٩ ثم معاهدة زشتوي سنة ١٧٩١ فبخارست سنة ١٨١٢ نال بها الفلاق والبغدان والسرب بعض الامتيازات . ودخلت بساريا في حوزة الروس مع اماكن أخرى عند مصب الدانوب

اسباب الضعف

وكانت هذه المعاهدات تمهيداً لسلخ تلك البلاد وغيرها من ممالك البلقان عن الدولة العثمانية باواسط القرن التاسع عشر بعد ان تخلصت اوربا في اوائله من بونابرت وحروبه . فوجهت عنايتها الى المسألة الشرقية ولا سيما بعد ان رأت ضعف الدولة

العثمانية وفساد امورها لاضطراب داخليتها واختلال جنديتها . وقد ذهب ما كان لها من الهيبة في زمن السلاطين الفاتحين . فاخذت تلك الدول تستحث امارات البلقان على الثورة بحجة ما ينالها من الظلم - وهي الى اوائل القرن التاسع عشر لا تزال خاضعة للعثمانيين وقد تمكن التباغض بينها وبينهم لسبب التباعد الجنسي والاختلاف الديني . وكان الاتراك قد اخضعوا امم البلقان وملكوا رقابهم بالقوة والبطش لكنهم لم يملكوا قلوبهم . فما زال هؤلاء منذ خضوعهم يعدون سلطان العثمانيين عليهم موقتاً . ويتوقعون خلع نيرهم عاجلاً او آجلاً والدول الاوربية تساعدهم على تحقيق هذه الامنية بطرق مختلفة . كان التنافر الجنسي وحده كافياً للتباغض بين العثمانيين الاتراك وبين رعاياهم الرومان والسرب والبلغار واليونان ولكل منهم لسان لا يفهمه التركي ولا هم يفهمون لسانه . فكيف اذا اضفت اليه التباعد الديني . ساد الاتراك هناك بضعة قرون ولم يمتزجوا بتلك الامم لغة ولا ديناً وظلت هذه الامم محافظة على لغاتها واديانها والدول النصرانية تشد ازرها وتنفخ في اوداجها . فلا غرابة في خروجها بل الغرابة ان تستطيع الدولة العثمانية حفظ تلك السلطة عليها ثلاثة قرون متوالية والحروب فيها متواصلة

قد علمت ان اسبق دول اوربا الى الاهتمام بالمسألة الشرقية وتحريض الامم البلقانية على العثمانيين روسيا والنمسا . وقد تحالفتا في اواخر القرن الثامن عشر على تقسيمها لاشتراك الروس مع تلك الامم في الجنس والدين واحتكاك النمسا لها بالجوار وحاجتها الى شاطىء تتصل منه الى الشرق . ثم انتبهت سائر دول اوربا في اوائل القرن التاسع عشر الى موقع المملكة العثمانية بالنظر الى المواصلات بين اوربا وآسيا . والدول يومئذ قد نهضت للتوسع في التجارة او الاستعمار . واكثرهن سعياً في هذا السبيل انكلترا بسبب املاكها في الهند وفرنسا تأييداً لحقوقها على مسيحيي الشرق . فاصبحت الدولة العثمانية قذى في حلق اوربا واصبح هم الاوربيين التخلص منها وصار الغرض من المسألة الشرقية حلّ المملكة العثمانيـة واستقلال الممالك البلقانية . فلا غرابة اذا رأيناها تنصر كل ناهض عليها

استقلال اليونان ومعاهدة ادرنة

وكان اول الناهضين من تلك الامم في القرن التاسع عشر اليونان (من سنة ١٨٢٠ - ١٨٢٩) وهم اكثر الدول البلقانية نقمة على العثمانيين لانهم ذوو مجد سابق سلبهم اياه الاتراك . وما زالوا في اثناء خضوعهم لهم يتذمرون ويتململون حتى تثقفوا واستنارت عقولهم بالعلم في اوائل القرن المذكور . فتنبهت فيهم الحاسة الوطنية وتعلموا الاجتماع

والاتحاد وهم امة واحدة تجمعها لغة واحدة ودين واحد . فتكاتفوا والفوا جمعية سياسية سموها « ايبسيلانتي » تعاهدوا فيها ان يبذلوا ارواحهم في سبيل انقاذ وطنهم من الاتراك

نهضوا للثورة سنة ١٨٢٠ واستنصروا الروس فلم ينصروهم ولادخلوا في شؤونهم . فثبت اليونان في حرب العثمانيين سبع سنين وانكلترا تمدهم بالمال والمتطوعون يفدون عليهم من سائر الانحاء . وكانت حرباً شديدة تخللتها المذابح والحرائق . لكن اليونان انقسموا في ما بينهم فرجحت كفة الاتراك واستنصروا محمد علي باشا والي مصر فامدهم بعمارة وجند بقيادة ابنه ابراهيم . فغلب اليونان في ميسولونجي واسقط في ايديهم . وكادوا يذهبون ضياعاً فقامت انكلترا وفرنسا وروسيا لنصرتهم فانفذت اساطيلها الى شواطئ المورة . ولم يكن غرضها الحرب وانما ارادت ارهاب المصريين واسطولهم . فلم يخف ابراهيم فجرت واقعة بحرية انكسرت فيها العمارة المصرية في نافارين سنة ١٨٢٧ واحتل الفرنساويون المورة . واغتنم الروس الفرصة فشهروا الحرب على العثمانيين (من سنة ١٨٢٨–١٨٢٩) وا كتسحوا بلادها من الشمال . ففتحوا ادرنه وما بعدها حتى وصلت طلائعهم الى الاستانة . فاضطر السلطان الى عقد معاهدة ادرنة القاضية باستقلال اليونان الا قسمها الشمالي وان تنال السرب ورومانيا استقلالاً ادارياً تحت رعاية العثمانيين . فاكتسبت روسيا بسبب ذلك نفوذاً على البلقانيين

ويلي معاهدة ادرنة مؤتمر لندن بشأن مصر سنة ١٨٤١ وقد ابرم معاهدة قضت بمنح مصر استقلالاً ادارياً مع توارث الملك في الاسرة المحمدية العلوية . وكان مؤتمر لندن مؤلفاً من سفراء انكلترا والنمسا وبروسيا وروسيا فقرروا قراراً بشأن توارث الحكومة المصرية في الاسرة المحمدية العلوية بعثوا به الى الباب العالي وعليه صدر الخط الهمايوني بامتيازات مصر المعلومة في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ ولا نطيل القول فيها لان غرضنا هنا الكلام عن امارات البلقان بنوع خاص

حرب القرم ومؤتمر باريس

ويلي ذلك مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ بعد حرب القرم وفيه ابرمت المعاهدة بين روسيا والدولة العثمانية . وسبب تلك الحرب ان انكلترا اخذت جانب العثمانيين وتعمدت احياء دولتهم فاتخذت نفوذها وصداقتها وسيلة لتحسين احوالهم فحملت رشيد باشا وزير السلطان عبد المجيد في اوائل حكمه على اصدار منشور بمعنى التسوية بين الرعايا العثمانيين . وتحسنت احوال الدولة فانتظمت الجندية وانشئ البنك العثماني على النسق

الاوربي . فانتعش العثمانيون وظهر على الدولة رونق الحياة فاستاءت روسيا لانها كانت تسعى في تنفيذ وصية بطرس الاكبر من الاجهاز على ذلك « الرجل المريض » وهي لا تتوقع له شفاء . وكانت قد بذلت جهدها في تحريض انكلترا على اقتسام تلك الغنيمة ولم تفز فعزمت على القيام بهذا العمل وحدها . فطلبت من السلطان سنة ١٨٥٣ حق حماية المسيحيين الارثوذكس في تركيا فلم يجبها . فجردت جندها وحملت على المملكة العثمانية فاحتلت رومانيا فغضبت انكلترا . وكان امبراطور فرنسا (نابوليون الثالث) يومئذ متغيراً على قيصر الروس لاسباب مذهبية تتعلق بالقبر المقدس بين اليونان واللاتين فوافق انكلترا على مغاضبته . فاتحدت الدولتان على نصرة العثمانيين وجرت حرب القرم وحاصرت هذه الدول الثلاث حصون سباستبول سنةً وفيها معظم قوة الروس البحرية وبعد عناء شديد فتحوها . ولكن الروسيين كانوا قد اخلوها وتمكنوا من الانسحاب واحراق الاسطول

وتوفي القيصر نقولا في اثناء الحرب وخلفه القيصر اسكندر الثاني وعقد مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ وفيه سفراء تركيا وانكلترا وروسيا وفرنسا وسردينيا فابرم معاهدة تقضي بالمحافظة على سلامة المملكة العثمانية مع حياد البحر الاسود بحيث لا يكون لروسيا الحق باسطول حربي فيه . واطلاق حرية التجارة في الدانوب واستقلال رومانيا الاداري

مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨

هو اهم المؤتمرات بالنظر الى المملكة العثمانية لانه فصل في أمور طال زمن الجدال فيها وبحث في المسألة الشرقية مطولاً . وسبب عقده ان الروس عادوا الى مسألة المملكة العثمانية واقتسامها والانتقام منها فعادوا الى التشكي وانتهى ذلك باشهار الحرب سنة ١٨٧٧ وكانت الدول التي نصرت العثمانيين في حرب القرم قد اوعزت اليهم ان يجروا الاصلاح في المملكة واصدر السلطان عبد المجيد سنة ١٨٥٦ خط كلخانة المساوي بين المسيحيين والمسلمين . ولكن تلك المساواة لم يمكن اخراجها الى حيز العمل فضعفت حجة الانكليز والفرنساويين في الدفاع عن سلامة الدولة العثمانية . فلما غلبت فرنسا سنة ١٨٧٠ في حربها مع بروسيا اغتنمت روسيا الفرصة وطلبت اعادة النظر في معاهدة باريس وتنقيحها وان يؤذن لها بانشاء عمارة في البحر الاسود . وكان مسيحيو البلقان قد عادوا الى الشكوى من معاملة العثمانيين فنشطتهم روسيا وزعمت أنها ناصرة لهم في تنفيذ الاصلاحات المتفق عليها وشهرت الحرب على تركيا . وظلت انكلترا وفرنسا على الحياد . فثبت العثمانيون

ثباتاً لم يكن يتوقعه منهم اعداؤهم . وانقسم جند الروس الى شطرين أحدهما شرقي نزل على ارمينيا والآخر غربي هبط على بلغاريا . وكلا الجندين قاسى عذاباً شديداً من المقاومة . فانتهى الاول الى القارص ووقف الثاني عند بلافنا وفيها عثمان باشا الغازي . فدافع عنها دفاعاً طار ذكره في الآفاق . ولكن البلدين سلما اخيراً فتقدم الجند الروسي حتى هدد الاستانة . لكنه وقف هناك لان الدول تصدت له وحالت دون دخوله الاستانة . وعقدت معاهدة في سان استفانو في مارس سنة ١٨٧٨ بين الروس والعثمانيين لم تقبل الدول بها واشار بسمارك بعقد مؤتمر دولي . فعقد في برلين في تلك السنة تحت رئاسته وقرر معاهدة برلين الشهيرة . وهي تقضي باستقلال رومانيا وسربيا والجبل الاسود استقلالاً تاماً وان تكون بلغاريا ولاية ممتازة تحت رعاية الدولة العثمانية . ولم يبق للباب العالي من ولايات البلقان الا الروملي ومكدونيا والبانيا . وقضت المعاهدة ايضاً ان تحتل النمسا البوسنة والهرسك وان تضاف تساليا الى اليونان . وكانت انكلترا نصيرة تركيا في هذا المؤتمر ايضاً فنالت جزيرة قبرص

خلاصة معاهدة برلين

وتتألف معاهدة برلين من ٦٤ مادة . الاثنتا عشرة الاولى منها تختص بامارة البلغار والشروط التي تم الاتفاق عليها بشأنها وبيان حدودها بالتدقيق . والمادة ١٣ الى ٢٢ بشأن ولاية الروملي الشرقي وحدودها وشروطها . والمادتان ٢٣ و ٢٤ تشتملان على تعهد الباب العالي باجراء النظامات في جزيرة كريت وانه اذا وقع اختلاف بينه وبين اليونان تتوسط الدول في حسمه . والمادة ٢٥ عهد بها الى النمسا ان تتولى ادارة البوسنة والهرسك وان تبقى يني بازار للدولة . والمادة ٢٦ الى ٣٣ تبين اعتراف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود على شروط مدونة هناك مع وصف حدوده الجغرافية وما ينضم اليه من البلاد وشروط التجنيد والديون

وفي المادة ٣٤ الى ٤٢ الاعتراف باستقلال امارة السرب وحدودها وما يشترط عليها من حيث سكانها وعدم التمييز بين الجنسيات والاعتقادات . وهذا الشرط تكرر عند الكلام عن استقلال كل ولاية . وكذلك من حيث المشروعات التي كانت الدولة آخذة بها قبل الحرب كالسكك الحديدية ونحوها

المادة ٤٣ الى ٥٧ تختص باستقلال رومانيا وبيان حدودها واشتراط عدم التمييز بين الرعايا في الدين او الجنس وغير ذلك . ومن حيث وضع الضرائب وان لها الحق بعقد اتفاقات مع الدول الاخرى لتسوية مسألة الامتيازات ونحوها . ومن حيث

المشروعات التي شرع بها قبل الحرب وعن نهر الطونة والسفر فيه وشروطه

المادتان ٥٨ و ٥٩ تتضمنان تسليم الباب العالي لروسيا بلاد اردهان والقارص وباطوم ومرساها في اسيا الصغرى وجميع البلاد بين التخوم الروسية والعثمانية القديمة

المادة ٦٠ تتعهد روسيا فيها بارجاع اودية شغراد ومدينة بيازيد الى تركيا وارجاع قطور الى مملكة ايران . المادة ٦١ تعهد فيها الباب العالي باجراء الاصلاحات في ارمينيا

المادة ٦٢ الى ٦٤ تعهد فيها باطلاق حرية الاديان وعدم التمييز بينها في المعاملات الادارية او القضائية وغير ذلك . ثم الامضاءات . وقد نشرنا صورة مؤتمر برلين في صدر هذا الهلال . وهذه اسماء النواب الذين تألف المؤتمر منهم :

نواب الدول في مؤتمر برلين

عن تركيا : تيودوري باشا ناظر النافعة ومحمد علي باشا سرعسكر وسعد الله بك سفيرها في المانيا

عن انكلترا : دزرائيلي رئيس وزارتها والماركيز سالسبوري ناظر الخارجية واللورد رسل سفيرها في المانيا

عن المانيا : بسمارك رئيس الوزارة ودوبولوي مستشار الداخلية والبرنس هوهنلو سفيرها بفرنسا

عن النمسا : الكونت اندراسي الوزير الخاص والكونت كارولي سفيرها في المانيا والبارون دي هايمولي سفيرها بايطاليا

عن فرنسا : هنري وادنطون وزير الخارجية والكونت دي صال فاليه سفيرها بالمانيا وفيلكس دسيرز ناظر الخارجية

عن ايطاليا : الكونت كورتي وزير الخارجية ودولوني سفيرها بالمانيا

عن روسيا : البرنس غورتشاكوف وزير الخارجية والكونت دوشوفالوف سفيرها في انكلترا ودوبريل سفيرها بالمانيا

بعد معاهدة برلين

وهذه المعاهدة مع طولها وتفصيلها لم تكن كافية لاستتباب الامن في البلقان لان الدول التي استفادت من هذا المؤتمر زادت طمعاً وشراهة . فالنمسا اصبحت باحتلال البوسنة والهرسك ذات شأن في جزيرة البلقان واصبح همها مناظرة روسيا على نفوذها في بلغاريا والسرب وطمعت ايضاً في سلانيك . وايطاليا استفادت من استقلال جارها الجبل الاسود فطمعت بالبانيا واصبحت تنظر الى النمسا بعين الحذر . أما المانيا تخلفت

انكلترا وفرنسا في الانتفاع من تركيا . واصبحت من سنة ١٨٩٠ صاحبة النفوذ الاكبر في الاستانة . واصبح امبراطورها صديق السلطان عبد الحميد وناصره . وصارت مصالح الالمانيين تقدم على سواها . واشهر مشروعاتهم التي نالوها بفضل تلك الصداقة سكة حديد بغداد

واما الممالك البلقانية الجديدة فقد اخذتها هزة النصر واكثرها حديثة النعمة في الاستقلال فاخذت تطلب المزيد . كانت رومانيا تشمل الفلاق والبغدان مع نوع من الاستقلال الاداري وامراؤها مسيحيون . وفي سنة ١٨٦١ اتحدت الامارتان رغم الدولة العلية وسائر الدول وصارتا دولة واحدة يحكمها امير واحد . ثم استقلت استقلالاً تاماً سنة ١٨٧٨ . واعتبر ذلك في السرب ايضاً فان تاريخها عبارة عن سلسلة ثورات وحروب . وما زالت حتى نالت استقلالها النهائي سنة ١٨٧٨

اما البلغار فان معاهدة برلين جعلتها امارة مستقلة تحت رعاية الدولة تدفع لها جزية سنوية . في سنة ١٨٨٥ ضمت الروملي الشرقي اليها وصارتا دولة واحدة خافتها السرب او حسدتها فحاربتها . وفي سنة ١٨٨٦ حدثت ثورة اهلية في البلغار طرد فيها اميرها وخلفه فردينان الملك الحالي وله مطمع في مكدونية لان اهلها اكثرهم بلغاريون وهو ما بعثه على محالفة جيرانه اليوم لهذا الغرض . واما اليونان فاستقلت سنة ١٨٢٩ وما زالت طامعة بما يجاورها او ينتمي اليها من الامم او البلاد ولا سيما تساليا وكريت وبعض مكدونية فنالت تساليا سنة ١٨٨١ . ثم حاربت العثمانيين سنة ١٨٩٧ انتصاراً لكريت فغلبوها لكن الدول تداخلت والزمت الدولة العثمانية ان تعترف باستقلال كريد الاداري

ولما اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ تنبهت الامم العثمانية واغتنم الطامعون منهم اشتغال الدولة بشؤونها الداخلية . فاعلن البلغاريون استقلالهم التام وضمت النمسا البوسنة والهرسك اليها ضماً تاماً . فاصاب التوازن البلقاني اختلال جرّ الى الحرب الجارية الآن وقد اتحدت فيها بلغاريا والسرب واليونان والجبل الاسود لمحاربة الدولة العثمانية والنصر حتى الآن في جانب الجيش المتحد لانهم يكتسحون بلاداً اهلها شركاؤهم في اللغة والدين . ففتح البلغاريون مصطفى باشا وقرق كليسة وحاصروا ادرنة ووصلوا الى جتالجة . واحتل اليونان سلانيك وحاصروا يانينا . واحتل السرب نوفي بازار واسكوب ومناستير وغيرها . واحتل الجبليون برانة وتوزي وحاصروا شقودرة . وقد تقررت هدنة للنظر في عقد الصلح واجتمع مندوبو الدولة العثمانية والدول البلقانية في لندن لهذه الغاية . وسيعقد بعد ذلك مؤتمر دولي لتسوية سائر المسائل العثمانية

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ماقبله)

اولاً — فرنسا

٨ — متاحفها

المتاحف او مستودعات التحف والآثار لمنفعة الجمهور من مستحدثات هذا التمدن اتخذته الامم الراقية وسيلة لتوسيع معارف الناس وترقية نفوسهم . ولا نظنه بهذا المعنى يتعدى القرن الماضي . على ان الملوك والامراء كانوا قبل ذلك يختزنون التحف في قصورهم للتفاخر بها . ويعد من هذا القبيل متحف الملك احشويرش وهيكل افسس ودلفي واثينا وقصور البطالسة في الاسكندرية

متاحف الفاطميين

وكان للعرب حظ وافر من هذه المتاحف لم يقتصروا فيها على جمع التحف الثمينة لكنهم اضافوا اليها كثيراً من الآثار التاريخية والصناعية . نعني متاحف الفاطميين بالقاهرة منذ نحو ثمانمائة سنة . وكانوا يسمونها الخزائن كخزانة الجوهر وخزائن الاسلحة والفرش والامتعة والبنود . وقد يظن لاول وهلة انها من قبيل مخازن اللوازمات الحربية ونحوها . لكننا عددناها من المتاحف لما كانت تشتمل عليه من التحف التاريخية المنسوبة لاصحابها من الخلفاء او الامراء . كالكؤوس البادزهر التي عليها اسم هارون الرشيد . وبيت هارون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس . وحصير الذهب الذي يظن انه جليت عليه بوران بنت الحسن بن سهل للمأمون وزنه ١٨ رطلاً . ورقعة للشطرنج والنرد احجارها من الجوهر والذهب والفضة . وكان في خزائن الفرش مقطع من الحرير الازرق التستري القرقوبي

غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر الوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله في سنة ٣٥٣ هـ وفيه صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وانهارها ومسالكها شبه الخريطة . وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر وعلى كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب أو الفضة أو الحرير وكتب في اخره « مما امر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله واشهاراً لمعالم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليه أثنان وعشرون الف دينار » . وبيت ارمني احمر منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثيل له ولا قيمة صار الى تاج الملوك . وصار اليه ايضاً بساط خسرواني دفع اليه فيه الف دينار فامتنع من بيعه

وكان في خزانة السلاح درع المعز لدين الله وسيف الحسين بن علي ودرقة حمزة بن عبد المطلب وسيف جعفر الصادق . وكان عندهم في خزائن اخرى منديل القائم بامر الله العباسي وغير ذلك . وناهيك بالجواهر والحلي الثمينة مما لم يعهد له مثيل عند غيرهم . هذه كلها ذهبت بالفتن في أثناء الدولة الفاطمية . وما بقي ذهب بذهاب الدولة

على ان هذه المتاحف كانت مقفلة لا يدخلها غير اصحابها فلا نفع للناس منها وكذلك ما كان من هذا القبيل في الاجيال الوسطى باوربا . واقدم من انشأ المتاحف باوربا وفيها الآثار الصناعية والعلمية والتاريخية كوسمو الاعظم في فلورنسا بالقرن السادس عشر للميلاد . اي بعد ذهاب الدولة الفاطمية ببضعة قرون يليه متحف البابا ليون العاشر في الفاتيكان في ذلك القرن . والايطاليان اسبق دول أوربا الى هذه المنقبة مثل سبقهم الى انشاء المدارس العلمية وهي ايضاً مما اقتبسوه عن العرب . واقتدت بهم سائر أمم أوربا . فاخذ الامراء والملوك يجمعون التحف والمصنوعات ونحوها في خزائن بلا ترتيب ولا غرض معين غير التفاخر بها . ولم تتحول الغاية من جمعها الى منفعة الجمهور الا في القرن الماضي . وفي باريس من هذه المتاحف عدد كبير سنأتي على وصف اهمها وبيان ما شاهدناه فيها مما يهمّ قراء الهلال

متاحف باريس

في باريس نحو اربعين متحفاً يمكن جمعها تحت عدة رؤوس حسب الغرض منها او ما تحويه من الآثار او التحف . منها متاحف عامة فيها كل انواع التحف من المصنوعات على اختلاف فنونها ومن الآثار التاريخية والفنون الجميلة وغيرها اهمها متحف اللوفر . ومنها متاحف فنية يراد بها تنشيط الفنون الجميلة كالرسم والحفر والتصوير مثل متحف لوكسنبرج . ومتاحف حربية لعرض الاساحة ونحوها كالمتحف العسكري

في قصر الانفاليد وقد تقدم ذكره . ومتاحف علمية او هي معارض لعرض المجاميع الجيولوجية والتشريحية والحيوانية والنباتية ونحوها . ومتاحف دينية يراد بها الاحتفاظ بالآثار الدينية الكنائسية كمتحف جيمي . ومتاحف تاريخية وغيرها . غير المتاحف الخصوصية التي تقدمت الاشارة اليها بين الآثار مما ينسب الى اصحابه من المشاهير في منازلهم كمنزل هوغو واوغست كونت وغيرهما . ولنبدأ بوصف ما شاهدناه في اهم متاحف باريس

متحف اللوفر

تاريخه

هو افخم متاحف باريس واهمها من حيث بنائه وما حواه من التحف . ولانشائه تاريخ يطول بنا ايراده وانما يقال بالاجمال ان اسمه مشتق من اسم غابة كانت هناك لصيد الذئاب اسمها لوبار واسم الذئب في لسانهم « لوب » فسمي المكان « لوبرا » ثم لوفر . ويقال ان اصل ذلك البناء قلعة بناها فيليب اوغست في اوائل القرن الثالث



جانب من ظاهر قصر اللوفر

عشر في جملة سور باريس . ثم اتخذها شارل الخامس مستودعاً لذخائره وكتبه وجعلها منزلاً لائقاً بالملوك . لكن ذلك البناء لم يبقَ منه شيءٌ وانما بقي ما بناه فرنسوا الاول سنة ١٥٤٦ واتصل العمل بعده على عهد هنري الثاني (١٥٤٧ — ١٥٥٩) ومن خلفه . وفي جملتهم كاترين مديتشي ارملة هنري المذكور واولادها . وهنري الرابع وغيرهم . ولم يتم بناء هذا القصر الا في زمن نابوليون الاول فانه امر سنة ١٨٠٥ بترميمه كله واتم ذلك نابوليون الثالث . فاتسع القصر اتساعاً لا يضاهيه فيه قصر من قصور

العالم فان مساحته التي عليها البناء نحو ١٩٨٠٠٠ متر مربع اي ثلاثة اضعاف مساحة قصر الفاتيكان . وينقسم الى قسمين رئيسيين اللوفر القديم واللوفر الحديث منه جزء تشغله نظارة المالية . وفي ساحة القصر حدائق نصبوا التماثيل في اركانها — فيبدأ الزائر يهتم بذخائر اللوفر قبل دخوله فضلاً عما يشاهده من فخامة البناء واتقان صنعه

اما الذخائر والتحف التي يتضمنها ذلك القصر فهي مفرقة في طبقاته حسب انواعها ومواضيعها . ففي الطبقة الارضية الآثار الرخامية ونحوها مما يثقل حمله . ومن جملتها الآثار الاسيوية والمصرية ومنحوتات الاجيال الوسطى واوائل النهضة الى هذا العصر . وفي الطبقة الاولى فوق الارضية معارض الصور الزيتية وسائر الفنون الجميلة من منحوتات ومسبوكات ومن سائر المصنوعات الثمينة قديمة وحديثة . وفي الطبقة الثانية معرض التصوير ايضاً ومعرض البحرية . وفي الاجنحة وغيرها معروضات اخرى

اما تاريخ اتخاذ قصر اللوفر متحفاً فيرجع الى القرن السادس عشر بعد نهضة التمدن الحديث بدأ الملوك بوضع بعض التحف او المصنوعات الجميلة واكثرها من ايطاليا . ولكنه لم يجتمع فيه ما يستحق الذكر الا في زمن نابوليون الاول وقد جاء جنده بالغنائم من ايطاليا وغيرها وفيها الذخائر الكثيرة اضيفت الى ذلك المتحف . وما زالت تجتمع التحف فيه حتى صار الى ما هو عليه الآن ويعد من اعظم متاحف العالم . وهو لسعته لو اراد الانسان ان يطوف غرفه ماشياً لاقتضى لذلك ساعتين على الاقل فكيف لدرس ما فيه او وصفه ؟ ولذلك فانا سنقتصر على ما يهم القراء منه

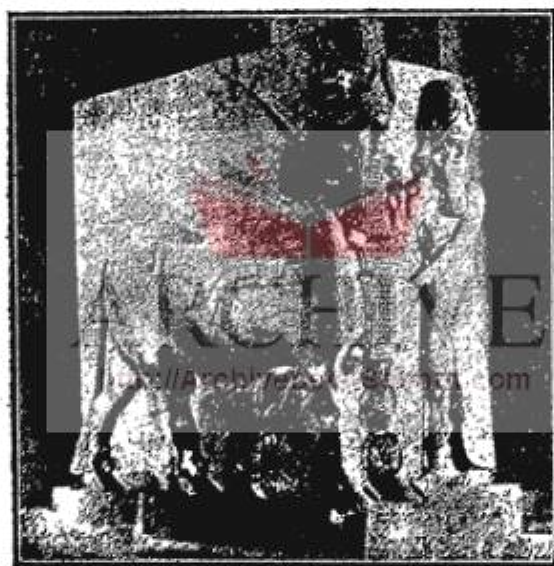
المنحوتات

في متحف الرخاميات القديمة في الطبقة الارضية من البناء ٣٠٠٠ قطعة مفرقة في قاعات عديدة نذكر منها على الخصوص قاعة الآثار الافريقية وفيها آثار شمالي افريقيا مصر وقرطاجة وتونس والجزائر . وقاعة الآثار الرومانية واليونانية على اختلاف الاعصر والمواضيع من تماثيل الاشخاص والوقائع صناعتها تدهش المتأمل . منها تمثال شاب جالس وهو عار ينزع شوكة من اخمص قدمه ملامحه واضحة لدرجة غريبة . ومنحوتات تمثل عادات الرومان واليونان من جملتها رجل عاد من الصيد فنزع رداءه وعلقه على غصن شجرة وعلق صيده بجانبه واخذ يلاعب كلابه بارنب من صيده يوهمها انه يدفعه اليها ثم يرجعه . وتمثال آخر لرجل اخذ يلبس نعاله وهو يشدّ سيورها . غير عادات الرقص والموسيقى وتماثيل العظماء او الرموز الدينية او الميثولوجية بينها تمثال فينوس ميلو ويعدونه اتقن تماثيل اللوفر وقد تغزل به الشعراء والكتاب

منذ القديم . واعجبوا بإتقان صنعه رغم نقص ذراعيه . وهو تمثال الزهرة حملوه من ميلوس . وفي بعض القاعات تمثال نصفي لاسكندر المكدوني الكبير ورأس هوميروس وتمثال ابولون وديانا وباخوس ورمز عن التيبر بديع الصنع

المنحوتات الشرقية

وقسم الآثار الاسيوية منها قاعة لاشور فيها الثوران الاشوريان الضخمان مما ينصبه الاشوريون بيبان الهياكل كما ينصب المصريون ابا الهول . والثور الاشوري رأسه رأس انسان رمز عن العقل وله قوائم الثور واجنحة النسر دلالة على القوة . وهناك كثير من القراميد الاشورية عليها الكتابة المسمارية باللغة الاشورية



الثور الاشوري

ومن جملة تلك الآثار انقاض بلاد السوس وفي جملتها مسلة حمورابي الشهيرة وعليها شريعته منقوشة بالحرف المسماري . وقد ذكرنا ترجمتها في السنة ١٣ من الهلال . وهي اقدم ما وصلنا من الشرائع المدونة (نحو سنة ٢٢٥٠ ق م) ومسلة نرام سين ملك اكاد (سنة ٣٧٥٠ ق م) وعليها صورة ذلك الملك يطارد اعداءه . والملك منيشتوسو ومسلته (نحو ٤٠٠٠ سنة ق م) وغير ذلك

وفي قاعة الآثار الفينيقية عدة نواويس فينيقية من الرخام الاسود والابيض تشبه النواويس المصرية — بينها ناووس اشمونا صر ملك صيدا عليه كتابة فينيقية هي اطول ما وجدوه من الكتابة على النواويس . وقاعة للآثار الفينيقية القبرسية فيها شيء من

المصنوعات القديمة كالتماثيل والاعمدة والاقداح . وقاعة الآثار الاسرائيلية استلفت انتباهنا فيها على الخصوص مسلة ميشا ملك مواب في القرن التاسع قبل الميلاد وعليها كتابة موابية تصف حروب هذا الملك مع اليهود . وهي اقدم الآثار الكتابية الابجدية التي وقفوا عليها حتى الآن

وقاعة الآثار المصرية ويعدُّ ما فيها من الآثار المصرية من اهم ما في المتاحف الاوربية من نوعها . في جملتها تمثال ابي الهول عظيم الحجم يستلفت الانتباه عند مدخل القاعة . وهناك ضريح تاهو من صنع العائلة الخامسة والعشرين المصرية وهو اتقن ما صنع في ذلك العصر . وتمثال سيتي الثاني وسبك حوتب . ومثال (نسخة) لمنطقة الابراج المصرية التي وجدوها في دندرة . وتمثال رعمسيس الثاني . وقاعة خاصة لمكتشفات ماريت باشا في السرابيوم بمصر وتمثال العجل ابيس

ومتحف القرون الوسطى وبدء النهضة الاخيرة فيه من التماثيل والمنحوتات المتقنة ما يدهش المتأمل اكثرها تماثيل نصرانية . منها قاعة ميشال آنج النحات الايطالي الشهير بينها تمثال رخامي لاميرين مغلولين يقال لهما العبدان صنعهما ميشال آنج في اوائل القرن السادس عشر ليوضعا على ضريح البابا جول الثاني في رومية يريد أن يمثل بهما الفضيلة مقيدة . وتمثال شارل الخامس ملك فرنسا (توفي سنة ١٣٨٠) وتمثال امرأته جان دي بوربون وغير ذلك من التماثيل المتقنة . وهناك قاعات عديدة للمنحوتات الحديثة يضيق المقام عن ذكرها فضلاً عن وصفها

معارض الصور

وفي الطبقة الاولى من اللوفر معارض الصور الزيتية وغيرها مما يستحيل الافاضة فيه . ولا يقدر الكاتب على وصف ما في صوره من دقة الصنع ما لم ينقل الصور نفسها وهي تزيد على ٣٠٠٠ صورة يختلف حجمها من بضعة امتار طولا الى اقل من متر. وكلها لمشاهير المصورين على اختلاف الاعصر والبلاد والامم . ويعدُّ هذا المعرض اغنى معرض من نوعه في متاحف العالم واهمها . وفيه طائفة من اتقن ما صوره الايطاليون والهولنديون والفرنساويون وغيرهم . ومجموعة مدهشة من الصور الزيتية على القماش . ولصور رفائيل مجموعة حسنة مرتبة حسب تدرجه في اتقان هذه الصناعة وفي جملتها صورة القديس جورجيوس يقتل التنين وصورة الملاك ميخائيل وغيرهما

ومن صور المصورين الاسبانيين شيء كثير نقلت من اشبيلية ومدريد فيها صورة الطفل مرغريت رسم فيلاسكس . وهناك صورٌ من احسن ما صنعه الاسبانيون

والهولنديون ولاسيما جان فانديك الشهير ورامبران وفرنسال ومن المعروضات الالمانية لهولبين وغيره . وللانكليز في هذا المعرض ٣٥٠ صورة بعضها لويلس وكونستابل وبونتن وربنولد وغيرهم وغير ذلك مما يعجز القلم عن وصفه . ونعترف بعجزنا عن وصف ما ألم بنا من الدهشة عند وقوفنا امام هذه المصنوعات البديعة . ولم يدهشنا اتقانها اقل مما ادهشتنا كثرتها . فان قاعة واحدة منها طولها ٣٧٥ متراً جدرانها مغطاة بالصور الزيتية المتفاوتة الاقدار والاشكال متراحمة صفوفاً بعضها فوق بعض . وفي جملة هذه الصور صورة جوكوندة الشهيرة التي سرقت بالامس وشاع امرها

وبالاجمال فان تلك الصور بعضها يمثل المشاهير من الرجال او النساء . والبعض الآخر يمثل العادات كمجلس طرب بين اهل القرى في القرن السابع عشر . وولادة امير . وفتاة عائدة من المدرسة . ومأتم دفن . وبيع اللحوم . اوالحوادث التاريخية كموت سنيك . وموت شرويل . وضرب موسى الصخرة بعصاه . والعذارى الثلاث . وصلب المسيح . وتمثيل الفردوس . ومحاكمة دانيال . او المناظر الطبيعية كتأثير الثلج في الطبيعة . ومقاتلة الذئاب . واسد هاجم على جواد . وصورة الفجر . او الميثولوجيا مثل هركيل وفينوس وادونيس . ومنها صور طولها عدة امتار تغطي جدار الغرفة كله . ومن اسماء المصورين روبن وفراغونار وربنول ومانيه وريغو وروبستي ودلتيتورتو وجوردانو وشمباني وسنيدر ولارجليار وفان لو وفانديك ورفائيل وواتو وكوربت ومابر وغيرهم كثيرون

والرسوم التي تمثل العادات الشرقية في هذا المعرض قليلة منها صورة تمثل استقبال سفير بندقي جاء القاهرة بملابسه الرسمية في القرن السادس عشر . رسمها بليني طولها ثلاثة امتار بمترين

وهناك قاعات عديدة كل منها تختص بمصور شهير جمعت مصوراته معاً وتسمى القاعة باسمه مثل قاعة فانديك وقاعة روبنسن وقاعة فرانس هال وغيرهم . وغير القاعات المنسوبة الى البلاد كقاعة الايطاليين وقاعة الهولانديين والفرنساويين . والمراد بها بيان ما تمتاز به كل امة من التفنن بالتصوير لفائدة طلاب هذه الصناعة من التلاميذ او الغواة وللفن الفرنساوي عدة قاعات حسب الاعصر كل قرن على حدة الى القرن التاسع عشر

معارض المصوغات والمجوهرات

وفي هذه الطبقة من اللوفر قاعة كبيرة يسمونها قاعة ابولون هي اجمل قاعات المتحف من حيث بنائها وزخرفها . وقد وضعوا حول جدرانها اجمل الاثاث من زمن

لويس الرابع عشر. واقاموا في وسطها مواقف او خزائن (فترينات) وضعوا فيها من المجوهرات والمصوغات أثمن ما في اوربا . منها ابريق من اليشب الاسمر صنع القرن السادس عشر . وابريق او مزهرية من اليشب الشرقي عليه ميناء في غاية الجمال . وابريق من اليشب . وفي فترينة اخرى مجموع مصوغات من عصر النهضة الايطالية وجواهر مصوغة في شكل قبة . وكؤوس من الجماشب عليها ميناء او بلا ميناء . ومصوغات من صنع فرنسا وايطاليا . وادوات كنائسية من العصر القوطي بينها كؤوس من البلور وأطباق من الذهب منزلة بالميناء صنع البندقية . وعلبة فيها ذراع شارلمان صنع المانيا في القرن الثاني عشر . وكأس للقديس لويس عربي الشكل عليه نقوش دينية ويعرف بكاس عماد القديس لويس . وغير ذلك من الادوات المقدسة والكنائسية يطول بنا ذكرها نكتفي منها بالمجوهرات الملوكية . واول ما استلفت نظرنا منها الماسة تسمى « ريجان »



كأس عماد القديس لويس

هي اجمل الماسة معروفة وزنها ١٣٩ قيراطاً ابتاعها فيليب اورليان سنة ١٧١٧ وتقدر قيمتها اليوم بخمسة عشر مليون فرنك . وبجانبها الماسة تسمى مازارين لونها هورتنسي بينهما ياقوتة كبيرة اسمها « كوت ديبريطاني » والى اليسار عقد من اللؤلؤ امامه سيف شارل العاشر مرصع بالجواهر الثمينة على غمده الحرف الاول من اسم نابوليون . وهناك مثال لتاج لويس الخامس عشر عليه أمثلة من مجوهراته . وبجانبه تاج نابوليون الاول صنع سنة ١٨٠٤ تقليداً لتاج شارلمان احجاره قديمة . وبينهما لوح تاريخي لذكرى صلح تيشن سنة ١٧٧٩ صنع المانيا . وامامه ساعة امير الجزائر اخذت منه سنة ١٨٣٠ وبروش إكارين دي مديتشي من الالماس. وقس على ذلك عشرات من القطع الثمينة المصوغة

بالذهب او الفضة والمرصعة بانواع الحجارة الكريمة من قديم وحديث صنع فرنسا او اسبانيا اوغيرهما من القرن الحادي عشر فما بعده بينها اوسمة ومداليونات مختلفة الاشكال

وبجانبها قاعة اسمها قاعة المصوغات فيها المصوغات القديمة قبل النهضة الاخيرة (انتيكا) بينها خوذة غالية من الحديد الموشى بالميناء من زمن الرومان. وعقد اتروسكي وفضيات وجدت في بوسكوريال قرب بمباي هي ٢٤ قطعة من الصناعة اليونانية الاسكندرية. بعضها لا يزال كأنه صنع بالامس وعدد كبير من الخواتم اليونانية والرومانية والاقراط الاتروسكية وقطع مصوغة وجدوها في ازمير وغير ذلك. وفي قاعة اخرى صورة زيتية كبيرة تمثل بونابرت في زيارته المطعونين بيافا (سوريا)

وهناك قاعة خاصة بمصنوعات قديمة من البرونز وجدوها في انقاض اليونان وغيرها من الامم الاوربية القديمة وقاعات كل منها خاصة بملك من ملوك فرنسا فيها رياشه وادواته. احداها للويس الرابع عشر واخرى للخامس عشر فالسادس عشر. وكل منها تحوي ما يستغرق وصفه عدة صفحات. ومعرض للرسوم فيه ٥٠٠٠٠ رسم من اقدار مختلفة وضروب متنوعة. وآخر لمصنوعات الاجيال الوسطى وقاعة لتحف اهداها روتشيلد للوفر تقدر قيمتها بعشرين مليون فرنك وتعرف باسمه

مصنوعات شرقية

وقاعة خاصة بالقيشاني الشرقي فيها قطع صنع دمشق في القرن السادس عشر وأخرى من القاهرة وعلبة عليها نقش باللغة العربية يقرأ «المغيرة» يظن انهُ ابن عبد الرحمن الناصر صاحب قرطبة نحو سنة ٩٦٧ م ومصابيح للمساجد. وكأس عليه اسم ابو المظفر يوسف الايوبي سلطان حلب سنة ١٢٣٦—١٢٦٠ م

ومعرض التحف الاسيوية منها قاعة السوس وبلاد الكلدان وبابل وفينيقية. اهم ما فيها مسلة فينيقية للاله سلمان واخرى آرامية تعرف بمسلة تيماء ببلاد العرب. والمثلة كثيرة من زجاج فينيقي ومصوغات فارسية قديمة وعقود من الذهب وقطع نقود وجدت في ضريح من البرونز من القرن الرابع قبل الميلاد. ونقود بيزانتية ومصوغات سلوقية وتماثيل اشورية من عصر سرجون الاول بينها خريطة مجسمة لتوموليس في بلاد السوس (سوزيانا) مثلت فيها الاودية والجبال. وقاعة اخرى للتحف الفارسية القديمة وفيها قطع بنائية من زمن ارتاكزرسيس. ومعارض لادوات الحداد والمآتم المصرية وللآلهة المصرية يراد بها الميثولوجيا المصرية. ومعارض للصناعة القديمة في ممالك التمدن القديم ولا سيما بلاد اليونان

وفي قصر اللوفر جناح خاص بمعروضات الشرق الاقصى مما وهبه الفضلاء لخدمة الجمهور وكل قاعة باسم مهديها بعضه للصين او اليابان او فارس ولاسيما السوس (سوزيانا) مما يطول بنا شرحه . وشاهدنا عند مدخل اللوفر قاعة فيها قطع من جدران فينيقية مصورة بالفسيفساء عثر عليها رينان سنة ١٨٦٣ في كنيسة القديس خريستفورس قرب صور (سوريا) عليها رسوم حيوانات من ارانب وطيور واسود وبقر واسماك . منها قطعة على الارض طولها ١٢ متراً . ومثلها سبع قطع تختلف حجماً ورسماً . وضريح من رخام لكاهن قرطاجي وقطع عليها نقوش حمات من قرطاجة وغيرها

وفي اللوفر من المصنوعات الجميلة المدهشة الابسطة او الستائر (غوبلين) المنسوجة بالصور تجلل الجدران من القرن الخامس عشر فما بعده وهي ثمينة وتمثل صوراً تاريخية

المكتبة الاهلية

المكتبة الاهلية الفرنساوية من اهم مكاتب العالم . ولا نريد الافاضة في وصفها هنا وانما اردنا الاشارة اليها اجمالاً لذكر ما شاهدناه في معرض الاوسمة بجانبها . بناء المكتبة عظيم فخيم لا يزال العمل جارياً في توسعته ليشغل نحو ١٦٥٠٠ متر مربع . ويقال في تاريخ خزن الكتب فيها ان الكرولنجيين كانوا يعتنون بجمع الكتب الخطية



عرب على افراسهم يستخدمون النار اليونانية نقلاً عن مسودة خطية في المكتبة الاهلية بباريس

وكان للويس التاسع المتوفى سنة ١٢٧٠ مكتبة خصوصية . وكذلك شارل الخامس ولويس الثاني عشر . لكن هذا الاخير يعد مؤسساً للمكتبة التي نحن في صددها في اوائل القرن السادس عشر . واشتغل خلفاؤه في توسيعها وحشد الكتب وغير الكتب فيها حتى صارت الى ما هي عليه الآن . وهي اربعة اقسام كبرى : ١ المطبوعات والخرائط ٢ المسودات الخطية ٣ الرسوم ٤ الاوسمة والتحف القديمة . وفيها قاعة للمطالعة واسعة جدًا . في قسم الرسوم نحو ٢٥٠٠٠٠٠ قطعة محفوظة في نحو

١٤٥٠٠ مجلد و ٤٠٠٠ خريطة . وفي قسم المسودات الخطية ١٠٢٠٠٠ كتاب

وعلى بعض المسودات العربية في هذه المكتبة صور مرسومة من القرون الوسطى منها صورة على مسودة قديمة تمثل فرسان من العرب على افراسهم يستخدمون النار اليونانية

وفي المكتبة معرض للمخطوطات والمطبوعات النادرة بينها خطوط العلماء المشاهير وتواقيعهم بايديهم منهم رابلي وفيلون وراسين وروسو

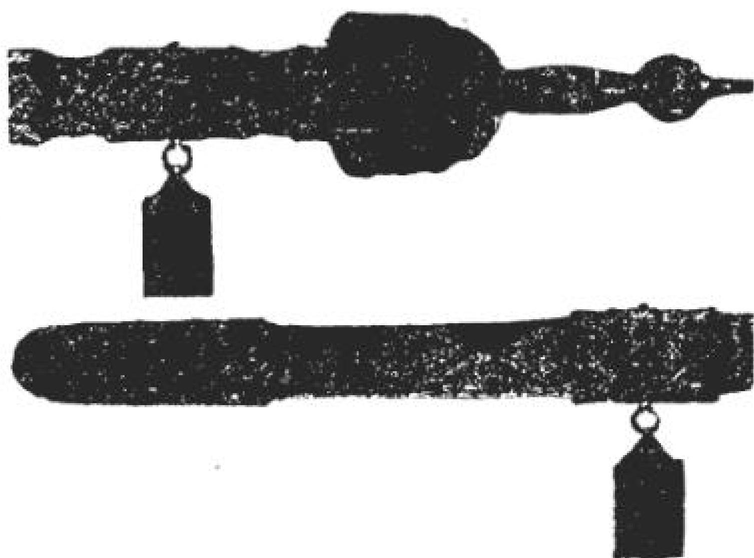
معرض الاوسمة

هو من جملة بناية المكتبة وله باب خاص من الخارج . سمي كذلك لما فيه من ضروب الاوسمة والنياشين يزيد عددها على ١٥٠٠٠٠ قطعة . ولكن فيه تحفاً كثيرة هامة بعضها مصري منها منطقة البروج التي عثروا عليها في دندرة ويرجع تاريخها الى العصر الروماني . ومنها خزائن فيها تحف ثمينة تاريخية مثل ترس شيبيون بما عليه من النقوش الميثولوجية

أثران عربيان

واهمها شاهدناه هناك مايهم قراء الهلال أثران عربيان تتوق نفس كل عربي الى رؤيتهما

اولاً : سيف ابي عبد الله محمد بن علي صاحب غرناطة آخر ملوك العرب في الاندلس الذي غلبه الاسبان في اواخر القرن الخامس عشر للميلاد (سنة ٨٩٢هـ)



سيف ابي عبد الله محمد بن علي صاحب غرناطة

موضوع في خزانة مع تحف أخرى . فوقفنا عنده برهة وراجعنا تاريخ صاحبه وكيف انقضت دولة العرب من اوربا بانقضائه

ثانياً : هدية هرون الرشيد لشارلمان ملك فرنسا . من المشهور على اقلام الكتاب نقلاً عن كتبة الافرنج ان الرشيد اهدى شارلمان المذكور ساعة دقاقة هي اقدم ساعة في اوربا مع هدايا اخرى . ولم نجد ذكراً لهذه الهدية في كتب العرب القدماء وكنا نتوقع ان نعثر عليها في متاحف اوربا . وقد بحثنا بحثاً دقيقاً في المتاحف التي ترددنا اليها في الصيف الماضي بفرنسا وانكلترا وسويسرا فلم نقف لهذه الساعة على أثر ولا ندري اذا كانت موجودة في بعض المتاحف الاخرى



حجر من رقعة شطرنج اهداها الرشيد الى شارلمان

لكننا عثرنا في متحف الاوسمة الذي نحن في صدده على حجر شطرنج كبير الحجم يمثل فيلاً عليه راكب . وقد عرفوهُ بانه بقية رقعة شطرنج اهداها هرون الرشيد الى شارلمان وقد رسمناها في الشكل لزيادة الايضاح

متحف لوكسنبرج

هو متحف فني في قصر لوكسنبرج والقصر من افخم قصور باريس . بني بامر ماري دي مديتشي ارملة هنري الرابع في اوائل القرن السابع عشر . واجهته الرئيسية طولها



قصر لوكسنبرج

٩٠ متراً . وقد رمم مراراً وخصوصاً سنة ١٨٠٤ بامر نابوليون الاول . وجعله مقرًّا لمجلس الشيوخ وجعله غيره لغيرهم لكن نابوليون الثالث اعاده لهم . واقام في هذا القصر كثيرون من الامراء والاميرات وخصص جانب منه لعرض التحف الفنية كما عرضت تحف اللوفر لكن بعض الزائرين يزور القصر لحضور جلسات المجلس باذن خاص . وفي قاعة الاجتماع ٣٠٠ كرسي للشيوخ و٨٠٠ للحضور

وانما يهمنا من هذا المتحف ما حواه من المصنوعات الفنية حفراً او نحتاً او تصويراً . وتقسم تحفهُ الى التماثيل والصور . وفيه طائفة حسنة من السجاد او الأستار المصورة بالنسيج مما يدهش الناظر . ومن العبث ان نحاول وصف ما هنالك لاسباب تقدم بيانها وانما نكتفي بالاشارة الى بعض ما يهمُّ القراء معرفة وجوده

فمن المنحوتات ما يمثل بعض الحوادث التاريخية كتمثيل هاجر واسماعيل صنع النحات ايزلين كما يتوقع ان يكون حالهما من وصف التوراة لهما . وقتل قايين لاخيه هابيل . وتماثيل عظماء اليونان والرومان وغيرهم . منها تمثال داود النبي عارياً وفي يده سيف . وقد استوقف خاطرنا تمثال امرأة عربية تطرز على المنسج . ومنها طائفة تمثل

الفضائل او الاخلاق او العواطف كالحرية والفرح والتقوى والحنو والحزن والتألم والخوف والسذاجة والمكر والخبث . او تمثل بعض العادات منها فرس عربي وصاحبه بجانبه . وزنجي سوداني عليه عمامة وشملة . وجهه أسود اما العمامة والشملة فمن الرخام المعرق اللون يوهم الناظر انه قماش منسوج

وعلى كل تمثال اسم صانعه وفيهم نخبة من النحاتين المعاصرين منهم مولين وديبوا ومارسيه وكورديه وايزلين وردين ودلابلانش وادراك ولاكورنيه وبويش وبداسو وهانو وغيرهم

اما الصور فانها تشغل عدة قاعات جدرانها مكسوة بالصور على اختلاف اقدارها مما يزيد طوله على ستة امتار الى اقل من نصف متر . ومن الصور الكبرى صورة في صدر القاعة الاولى تمثل قايين مهاجراً مع اهله وقد قوضوا خيامهم وساقوا انعامهم بالوانها واشكالها . وصورة واقعة تاريخية في مراكش فاز فيها السلطان وساق الاعداء اليه امواتاً واحياء . وصورة ايوب يتضرع لله . وصورة اليعازر قائماً من الموت . وغير ذلك ما يعد بالمئات وكل صورة يقتضي لوصفها عدة صفحات وكلها لاشهر المصورين من معظم الامم . في جملتهم ليفي وبوغورو وويرتس وديلوني وكورمون صاحب صورة قايين وهابيل وجرفكس وريبو وبونا صاحب صورة داود . وبازياس ورولنسن وكونستان صاحب صورة موقعة مراكش . وهيبر وجيروم وغيرهم

اما السجاجيد او الستائر المعروفة عندهم باسم غوبلين فانها عديدة اكثرها مبسوط على جدران قاعات المنحوتات يزيد عددها على بضع عشرة ستارة قد رسموا عليها بالنسيج صوراً تاريخية او مجالس سياسية . في جملتها صورة لويس الرابع عشر في مجلسه ونحو ذلك . وهي من صنع القرون المتأخرة

متحف كلوني

هو في قصر اشبه بالاديار منه بالقصور . بني في الاجيال الاولى للنصرانية يرجع في اصل بنائه الى أواخر القرن الثالث للميلاد ولم يبق من هذا البناء الا غرف الحمام . ثم صار في القرن الرابع عشر تابعاً لدير كلوني فبنى الرهبان على انقاضه مسكناً لهم على الطرز القوطي . تم بناؤه سنة ١٤٩٠ على يد الرئيس جاك دامبواز وقد حافظ على شكله . وسكنته ماري ملكة انكلترا ثالثة ازواج لويس الثاني عشر التي تسمى الملكة البيضاء وغيرها . ولما حدثت الثورة الفرنساوية اصبح البناء ملك الامة . وفي سنة ١٨٣٣ جعله

العالم الأثري اسكندر سومرار مستودعاً لتحفه واكثرها من مصنوعات الاجيال الوسطى واوائل النهضة ثم صار بعد موته للحكومة

والتحف المشار اليها من اجمل المصنوعات القديمة من كل نوع يزيد عددها على ١١٠٠٠ قطعة فيها كثير من الادوات الكنائسية والمنسوجات الدقيقة بينها ضروب من التطريز والتخريم بعضه يشبه كثيراً مما يستحدثه اصحاب الازياء الجديدة في باريس. ولعل هؤلاء قبل ان يستنبطوا زيا جديداً من المنسوجات أو المطرزات يطلعون على ما في هذا المتحف وامثاله من الازياء القديمة ويستخرجون من مجموعها زياً جديداً. ومما شاهدناه من التحف ستارة (غوبلين) عليها صورة اصلها لرفائيل

وفيه قاعة للقيشاني واشباهه تدهش المتأمل اكثرها فيها من فرنسا واسبانيا وايطاليا. وفيها خزائن مملوءة بمصنوعات البندقية من الزجاج والاطباق عليها رسوم بديعة. ورأينا على بعضها صورة شمشون ودليلة. وعلى طبق آخر رسم يونون وايزيس. وعلى غيره ولادة باخوس. وقيشاني اسباني عربي من القرن الرابع عشر فما بعده. وغيره صنع رودس



تاج ركسيفونتس من ملوك الويسيقوط

وقاعة الادوات اليهودية فيها المفروشات والمسودات والنقود والمصوغات. وطائفة حسنة من المصنوعات العاجية والبرونزية. ورأينا من المصوغات تسعة تيجان من الذهب عثروا عليها بين سنة ١٨٥٨ و ١٨٦٠ قرب طايطلة باسبانيا اكبرها مرصع باللؤلؤ والزفير الشرقي وغيرهما من الحجارة الكريمة مرتبة بشكل حروف افرنجية ترمز عن اسم ركسيفونتس من ملوك الويسيقوط (من سنة ٦٤٩ — ٦٧٢ م). ورقعة شطرنج حجارتها من البلور المعدني صنع المانيا في القرن الخامس عشر. وهناك طائفة من انواع الاسطرلاب والبوصلة والساعات من القرن السادس عشر والسابع عشر

متحف غريفه

هو متحف خاص من نوعه. فيه تماثيل من الشمع لمشاهير الرجال المعاصرين وغيرهم بملابسهم

وازيائهم . وقد اتقن صنعها حتى يصعب على الزائر ان يميز بين التماثيل المنصوبة منها والوقوف من الزائرين . وفي جملة التماثيل المشار اليها طائفة من رجال فرنسا وغيرهم مثل روشفور وكوكلين وجول كلارسي وموريس بارس وكليانسو وغيرهم . بين وقوف على انفراد او ازواج وجماعات كأنهم يتحادثون او يلعبون . وقد مثلوا مواقف تاريخية مشهورة مثل عائلة لويس السادس عشر لما بلغها خبر الثورة وقد دخل الغوغاء عليهم . وروبسبير ودانتون وديمولين . وبيلي . ولافيت . ولويس السادس عشر في سجنه . ومحكمة الثورة الفرنسانية وفيها القضاة . ومدام رولان ساعة المحاكمة . لا ينقص احد منها غير النطق والحركة وميرابو في موقف الخطابة . والقبض على شارلوط كوردي . ونابوليون وجوزفين يسمعان الموسيقى . وهما في موقف آخر مع مداموزيل اوغيه . ولويس نابوليون ومرات مع جمهور من السيدات . ونابوليون ساعة موته في جزيرة القديسة هيلانه وغير ذلك . وكل جماعة في غرفة فيها الرياش والالبسة والادوات كما كانت في وقت الحادثة مما يدهش الناظرين



مأتم المسيحيين في القرون الاولى سرًّا تحت الارض

وفي الطبقة السفلى امكنة كالدهاليز والسراديب مثلوا بها احوال النصرانية في اوائل احوالها يوم كان المسيحيون يتكتمون بصلواتهم وطقوسهم وما كانوا يقاسونه من العذاب والاضطهاد . نقلنا منها صورة مأتم والقوم وقوف حول الميت يصلون عليه ويخافون الخروج به . لا يقدر الزائر لتلك الاماكن الا التنشع لما يظهر في ملامح

اولئك المسيحيين من التقوى والخشوع وصدق الاعتقاد

ورأينا في جملة التماثيل تمثال جان دارك على جوادها باسلحتها وبيدها العلم وقد وقف بجانبها حارسان من رجالها . ومجلس البابا بيوس العاشر في كنيسة سكستين وقد جلس على عرشه وبين يديه الكردينالية بين جالس وواقف وجاثٍ . وبالجملة فان متحف غريفن هذا من مدهشات الصناعة . وهناك متاحف اخرى في باريس يضيق المكان عن ذكرها نشير منها الى متحف جيمي وهو من المتاحف الدينية وفيه الآثار الدينية على اختلاف اشكالها باختلاف الامم القديمة والحديثة

مخاطبة طفل

من قصيدة لخليل افندي المطران هنأ بها بعض اصدقائه بمولود جديد

اسمع شكاتي فهي ان لم تفد — حالاً ففيها النفع مستقبلا
كان لنا مجدٌ نزلنا به — من السماوات العلى منزلا
وكان لا ينكر منا اذا — قلنا غداة الفخر نحن الاولى
وكان منا كل ذي مرة — ان صال فرداً كسر الجحفلا

الى ان قال — إنا نرجي جيلكم كله — ان يترَ المجد ولا يخملا
فمن دعا يومئذ واجدٌ — فينا عديدَ الخير مستكملا

الى ان قال — أي نجل َ يحيى كنْ اذا حققوا — آمالنا ندبهم المفضلا
بالعلم والحزم اعتضدْ واعتددْ — لتغدوَ الارشدَ والامثلا
انا معدوك ليوم به — تكون ذاك السيد الموئلا
في ذلك العهد وقد صرت في — اترابك الامكنَ والارجلا
تذكر الطفل الذي كنتهُ — وحاشِ ذاك الخلق ان يبدلا
اذ كنت في مهدك لا تتقي — لو أن طوداً راسخاً زلزلا
ولا تراعي طاغياً قادراً — ولا تحابي بطلاً مبطلا
ولا تني بالسؤل حتى ترى — محققاً ما عزَّ ان يسألا
وتجهل الاثم بأنواعه — كما ترى العفة ان تجهلا
عظائم الدنيا تحبُ الفتى — في اكثر الاخلاق مستطفلا

الاخلاق

ماهيتها علمياً وتهذيبها عملياً

« ان الانسان اعظم ما في العالم
وأعظم ما في الانسان الاخلاق الراقية »

الشرق اجمالاً في حاجة الى الاصلاح والترميم في كل مظاهره الحيوية من صنائع وفنون وعلوم وآداب . ولكن الاصلاح الاعظم الذي يتوقف عليه كل اصلاح يتعلق بالنفوس لا بما يطرأ عليها . بالجوهر لا بالعرض . فان حاجتنا الكبرى التي ليس فوقها حاجة انما هي الى رجال صحيحي العقول والابدان . الى فئة تميز الحق من الباطل ولا تخشى به لومة لائم . وبكلمة واحدة اننا نحتاج الى رجال يستحقون ان يسموا رجالا . فاذا حصلنا على نفر من هؤلاء فقد نلنا كل ما نرجوه من اصلاح وترميم . فالزراعة والصناعة والتجارة والعائلة والمدارس والعلوم والفنون وسائر مظاهر الحياة القومية انما هي تابعة لحالة الافراد . فتكون في تقدم أو تقهقر حسب اخلاقهم وآدابهم .

اقوال العظماء في الاخلاق

يعتقد كثيرون من العلماء « ان غاية التربية القصوى انما هي تكوين خلق الطالب » وقد ادرك المصلحون في كل زمان ومكان اهمية الاخلاق فقال احدهم « ان الانسان اعظم ما في العالم واعظم ما في الانسان الاخلاق الراقية » وقال آخر « الخلق الحميد كالماس يؤثر على اي حجر آخر » . وقال بتشر الكاتب الاميركي « على المرء ان يفكر في ما عنده من الاخلاق قبل ان يفكر في ما لديه من المال لانه اذا استوفى الاول فقد نال الثاني واحوال المرء تابعة لمبادئه » وقال سمايلز « ان التاريخ برهان ثابت على ان قوة الامة تتوقف على اخلاق افرادها » وقد عبر شاعر الامير عن هذا الفكر بقوله :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت   فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

وقال الهلال « المرء باخلاقه لا بذكائه » وننقل من كتاب « نشوء الامم » للعلامة جوستاف لوبون القطعة الآتية تأييداً لما ذكر :

« ان تأثير الاخلاق في حياة الامم عظيم جداً بالنظر الى تأثير الذكاء . كان الرومان مثلاً في ايام انحطاطهم اشدّ ذكاء منهم في ايام نشأتهم لكنهم بتوالي الازمان اضاعوا اخلاق اسلافهم التي تشيد عليها مجد رومية كالثبات والهمة والتفاني في الدفاع عن الوطن واحترام القوانين فاضاعو دولتهم . ان مثل هذه الاخلاق يجعل ٦٠ الف انكليزي يسودون على ٢٥٠ مليوناً من الهنود . وفي هؤلاء من هم أكثر ذكاء واحد ذهناً من الانكليز . فاخلاق الانكليز هي التي جعلتهم اوسع الامم استعماراً واقواهم شوكة . فعلى الاخلاق لا على الذكاء تتوقف حياة الهيئة الاجتماعية وبها تقوم الاديان والممالك » ويقال في الدولة العربية وغيرها من الدول نفس ما قيل في الدولة الرومانية

وقد قام في اثناء نهضتنا الادبية الحاضرة جماعة من الكتاب والخطباء يصيحون الاخلاق ! الاخلاق ! فكيف نحصل على الاخلاق الحميدة والمبادىء القويمة ؟ ونحن باسطون في ما يلي ماهية الاخلاق ومنشأها علمياً وطرق تهذيبها عمليا في العائلة وفي المدرسة

ماهية الخلق بسيكولوجيا

خُلق المرء مجموع خلاله العقلية والادبية . وهي تتأتى عن العادة فكما تتكيف القفافيز والاحذية على شكل اليد أو الرجل بالاستعمال وان تشابهت اشكالها قبل استعمالها كذلك القوى العقلية والادبية اذا استخدمت في طرق مخصوصة وعلى اساليب معينة تعودتها وصارت تلك الطرق والاساليب ملازمة لصاحب تلك القوى وجزءاً من حياته لا ينفصل عنها وتظهر عفواً في كل حركاته وسكناته . والعمل ما لم يصدر عفواً بلا اجتهاد واعمال الفكرة لا يعدُّ خلقاً . وانما يشترط فيه ان يتكرر مراراً حتى يصير ملكة فيقال له حينئذ خلق

هذا هو المعنى العام للخلق او الاخلاق يطلق على الممدوح والمذموم منها وقد يراد بها الخلق الحسن فاذا قلنا « فلان ذو اخلاق » نعني انه ذو اخلاق حميدة كقوة الارادة

والصدق والامانة وحب الوطن وما شاكل ذلك . وهو المفهوم عادة منها لا سيما عند الافرنج . ولكلمة character عندهم معنى لا تؤديه كلمة خلق او اخلاق عندنا

وقد ميز الفيلسوف كانت بين :

١ خلق الانسان الطبيعي وهو ما تمنحه اياه الطبيعة

٢ خلقه الادبي وهو الذي يتخلق به بارادته

وقد قسم الاستاذ ديوي الاميركي الاخلاق الحميدة في الافراد الى ثلاثة مجاميع يرجع كل مجموع منها الى قوة من هذه القوى : الادراك والعواطف والارادة

فالاخلاق المتعلقة بالادراك هي التي يميز بها الانسان الامور بعضها عن بعض وينزلها منزلتها الحقيقية

ولا يكفي ان يدرك الانسان الحقائق المجردة بل يجب ان ينظر الى وجهتها العلمية وما ينتج عنها وامكان تأثيرها في حياته

والاخلاق المتعلقة بالعواطف هي التي تجعل الانسان حساساً يشعر بقيمة الامور بالبداهة فيحب الحسن منها ويكره القبيح . ولا يمكن فصل العواطف عن المعرفة المجردة فهما مرتبطتان في حياة الانسان . حتى الحقائق النظرية لا بد لاكتشافها من عاطفة تحض الانسان على الاستطلاع كلذة المثابرة على الدرس والتنقيب . ومحبة الحقيقة التي تبنى عليها كل العلوم ليست الا عاطفة

والاخلاق المختصة بالارادة اهمها الاندفاع والصبر والثبات في تنفيذ الاعمال . وقد امتازت المدنية الحاضرة بالاهمية التي تعلقها على الاعمال دون الاقوال

منشأ الاخلاق

ينشأ خلق المرء عن ثلاثة مصادر : الوراثة والبيئة والارادة

اولاً الوراثة : ان الطفل عبارة عن نتاج اسلافه وهو على العموم اكثر مشابهة لاقربهم اليه . فلوالديه المكان الاول ثم والدي والديه وهلمّ جرّا

وقد صوروا ناموس الوراثة بالشكل التالي وهو يبين تأثير الاسلاف في تكوين الطفل كما يأتي :

الوالدان	الجدود	.... الخ
الاب	اب	
	ام	
الام	اب	
	ام	

اي انا اذامثلنا مجموع الشخص بمربع فنصفه من الوالدين ربع من الاب وربع من الام . ونصف الباقي أي ربع المجموع من والدي والديه وهم أربعة . فلكل والد ابٌ وام ونصف الباقي أي ثمن المجموع لوالدي هؤلاء وهم ثمانية اشخاص وهلم جرًا . يقل تأثير الاسلاف كما رجعنا الى خلف . وقد تخلُّ هذه القاعدة أحياناً فيأخذ الولد من بعض اجداده اكثر مما يأخذ عن ابويه

والطفل لا يرث الطباع نفسها وانما يرث استعداداً لها فتنمو بالاستعمال وتزول بالاهمال . ففي الطفل مجموع قوى كامنة يمكن جعلها فضائل أو رذائل بالتربية

ثانياً البيئة : أي ما يحيط بالمرء من المؤثرات الخارجية فانها تأخذ في التأثير على الطفل من ساعة ولادته وهي نوعان : مادية كالارض والطقس والهواء والبناء وما شاكل ذلك . وادبية كالاصدقاء والرفاق والمعلمين ونحوهم . وللرفاق عموماً تأثيرٌ عظيم على الاخلاق . قال سبنسر « المرء يشبه عشراءه اكثر مما يشبه والديه » ومما يدلُّ على تأثير البيئة تشابه طباع اهل الطبقة الواحدة او المهنة الواحدة واختلافهم عن اهل الطبقات الاخرى الذين تحيط بهم بيئات أخرى . فكأن الاخلاق تنتقل من الشخص الى صاحبه . وقد قيل في المثل الفرنساوي « اخبرني من هم رفاقك فاخبرك من انت » وقد قيل ايضاً « لاخلاق المرء ظلٌ يقع على اخلاق اصحابه كما يقع ظل جسمه على اجسامهم »

ثالثاً الارادة : ليس للمرء ان يختار اسلافه و بيئته فهما مقدران له . ولكن يمكنه بقوة ارادته ان يبرم وينقض ما اورثه اياه والداه او ما اكتسبه من بيئته . لا شك في

ان تأثير الوراثة والمحيط على الاخلاق عظيم جداً ولكن الانسان بجده واجتهاده قادر على مقاومته عند الاقتضاء . ومهما يكن من طيب اخلاق الآباء ومن حسن الاحوال التي نشأ فيها لا بد من تداخل ارادته ومصادقتها على ما منح من الطباع والعادات . فلها القول الفصل الذي يتوقف عليه مستقبل المرء . والطريق الوحيد الى اكتساب خلق جديد انما هو « العادة » اي تكرار العمل . فلا يكفي ان نريد الحصول عليه بل يجب ان نستخدم الارادة في تعويد النفس تكرار الخلق المطلوب حتى يصبح ملكة

والارادة قابلة للتقوية لا سيما في الطفولية بان يعوّد المربون الطفل على الثبات في اعماله والسعي في امور معينة يريد بلوغها . على انها لا تصير ارادة شخصية الا بعد ان يغادر الشاب بيته حيث تتوقف اخلاقه بالاكثر على ارادة اهله فتصبح ولا مقوّم لها غير ارادته

تهذيب الاخلاق

عرفنا ماهية الاخلاق ومصدرها فما هي الطرق المؤدية الى ترقيتها وتحسينها ؟ ان اخلاق المرء من قبيل الكائنات الحية تنمو بالغذاء والتمرين فغذاؤها الافكار وتمرينها معترك الدهر . ولما كان الطعام لا يغذي ما لم يمثله البدن ويصير جزءاً من مادته فكذلك يجب ان يكون غذاء العقول من الافكار التي استعد الشخص لهضمها . فقد يفيد الفكر عينه فريقاً من الناس ويضر فريقاً آخر . كما ان المادة الواحدة قد تكون سماً او دسماً حسب الحيوان الذي يأخذها وحالته الجسدية

والغذاء وحده لا يكفي بل يجب ان يقرن بالعمل والحركة فمعترك الحياة محك الاخلاق ومسرحها وكلما اشتدت احوال المرء وتعقدت نمت اخلاقه ووضحت . حتى تتخذ وجهة معينة فاما ان يستسلم للاهواء والعواصف او يكون صخراً ثابتاً لا تهزه الرياح ولا يعبأ بالزلازل والرعود

واول ما يشترط للحصول على اخلاق حميدة ان يكون الآباء صحيحي العقول والاجساد ـ وقد افاض الكتاب في الكلام على حقوق الانسان من حرية ومساواة ونحوها ولكنهم اغفلوا اعظم حق له وهو ان يكون صحيحاً عند ولادته . فهذا حق شرعي لكل مخلوق . ويا لجرم الآباء الذين ينسون واجبهم من هذا القبيل

ويبدأ الطفل من ساعة ولادته ان يخضع لاوامر والديه وقد يدري بها ويفهمها أولا يدري . وفي امكان الوالدين ان يبثوا في اولادهم الاخلاق الحميدة ويقلعوا منهم البذور الضارة . ولهذه الغاية عليهم :

١ ان يكيفوا المحيط الادبي حسب ما يعتقدونه صواباً فيقربوا الى الطفل الامور الفاضلة ويبعدوا عنهُ الباطلة

٢ ان يربوا فيه عادات مفيدة واهمها تقدير حقيقة الامور من الوجهة الادبية

٣ ان يضعوا نصب عينيه مثالاً كاملاً يتبعه (ideal)

٤ ان يغذوا عقله بالافكار المفيدة

٥ ان يمرنوا قواه الادبية في الحياة اليومية بغير ان يتجاوزوا في تجربتهِ حدَّ الامان لئلا يُغلب على امره . ولا ان يحجزوه عن العالم لئلا تضعف ارادته .

٦ ان يقيسوا سجايا اولادهم ويزنوها فيعرفوا القويَّ منهما والضعيف فيناسبوا بينهما

٧ ان يمرنوا ارادة ابنائهم ليعتادوا خوض المصاعب بجسارة

٨ ان يلقوا عليهم النصائح ويرشدوهم لسلوك الطريق المستقيم مع بيان اسباب الامور ونتائجها

وبعد ان يغادر الطفل بيته يقع تحت سيطرة المعلم في المدرسة . والمعلمون نائبون عن الآباء يقومون بنفس الواجبات المفروضة على الوالدين — والمدرسة في الحقيقة مكان يستعدُّ فيهِ الطالب لمستقبل حياته . فيجب ان تكون صورة مصغرة للعالم يتعود فيها ماسيلاقيه عند خروجه منها . هذا هو الغرض من التعليم في الهيئة الاجتماعية وبعض المدارس لا تقوم به حق القيام فتمثل العالم للاولاد بشكل مشوَّه او تريهم عالماً لا يشبه العالم الحقيقي فاذا تركوا المدرسة ودخلوا العالم فشلوا

ويعتقد قوم ان آداب السلوك يجب ان تلقى على التلاميذ دروساً في اوقات معينة كل يوم . نعم . لا بأس بذلك . ولكن بث الاخلاق في التلميذ لا يأتى من الكتب بل من شخصية المعلم قبل كل شيء لانهُ في نظر التلميذ مستكملٌ كل علم وخلق حميد يقتدي بهِ بكل حركة من حركاتهِ فعليه ان يكون قدوة حسنة في المحافظة على الوقت

وفي الصدق والنشاط والاجتهاد ونحو ذلك . ان كثرة النصائح والمواعظ لا تجدي نفعاً ما لم تقترن بالسلوك الشخصي فهو ابلغ واعظ . ويعوّل بعض الاساتذة على القصاص في تقويم اخلاق التلاميذ . وللقصاص تأثير طفيف على الاولاد قد يمنعهم عن الرذيلة ولكن لا يلبث ان يزول المانع حتى يعود الممنوع . فكل المؤثرات الخارجية من ارهاب وتذنيب وقتية الفعل . ولا يتغير خلق الطفل ما لم يشعر في داخله بنتائج اعماله ويعرف حقيقة الواجب عليه

فشخص المعلم في المدرسة اهم العوامل في تغيير اخلاق التلاميذ . وقد اغفل الشرق هذا الامر فاصبح تعليم الصغار من المهن المحتقرة لا يقبل عليها الا من اقفلت في وجهه ابواب الرزق . ولا يخفى ان من تلك المدارس الصغيرة وعلى يدي ذلك المعلم الحقير ينشأ رجال الغد وفي قبضة المعلمين مستقبل الامة فلا ترموا باولادكم في ايدي معلمين لا يعرفون قيمة الاخلاق انكم تعرضونهم لاقتباس الاخلاق الذميمة والطباع الدنيئة . ويجب ان تضعوا نصب اعينكم هذه الحقيقة البسيطة وهي ان على المدرسة تتوقف سعادة الاولاد وحياة الامة

واخيراً بعد الاهل والمعلمين يترك المرء لنفسه فيشعر انه حر وان اعماله تتوقف على اختياره الشخصي . ولا شك ان الارادة اهم مكونات الخلق فهي التي تضعه في شكله النهائي اذ مهما سعى الآباء والمعلمون في ترقية اخلاق الابناء وتزيينهم بالفضائل فاذا لم يكن لهم ارادة تمكنهم من المثابرة على الخطة التي رسمت لهم فعبثاً ذهب التعب . ان العامل الباقي للانسان في سائر حياته انما هو الارادة الشخصية بلا جدال

وقد انكر فريق من العلماء حرية الارادة على الانسان ولكن مهما بلغت تعاليلهم من الصحة فنحن نشعر — ولا ريب في هذا الشعور — اننا احرار في اختيار المسلك الذي يحلو لنا . بل نشعر فوق ذلك اذا حدنا عن الخطة التي نعتقدها صواباً بتوبيخ الضمير . هذه حقائق لا سبيل الى انكارها فلئن كانت حرية الارادة وهماً من الاوهام فنحن نشعر بوجودها وكفى

اميل زيدان

نظام الاجتماع

وهل يمكن قلبه

(حمص سوريا) حنا افندي خباز

قرأت في رحلتكم بالهلال الماضي عند كلامكم عن احوال فرنسا الاجتماعية قولكم «ومهما بلغ من ارتقاء الجنس البشري في الاكتشاف والاختراع فانه لا يقوى على قلب نظام الاجتماع» ثم قلتم «وهذا النظام يقضي على الام ان تربي طفلها بحيث لا يخرج عن دائرة عنايتها» فترى انكم قدستم نظام الاجتماع بحيث لا يقبل الاصلاح ولا التبديل. ولا اعلم السبب في ذلك فهل بنيتم قولكم على اختباراتكم الشخصية اني لست من المريدين قلب ذلك النظام لكنني أرى النظام الاجتماعي كغيره من الملابسات الانسانية والفلسفات الفكرية عرضة للتغير جريا على ناموس التحول الذي جرى مجراه في الاكوان اردنا ذلك ام لم نرده. فاذا كان هذا الناموس ذهب كل مذهب في الهيئات البشرية والعمران واللغات والاديان والسياسات والنبات والحيوان والاجرام السماوية لماذا لا يذهب هذا المذهب في نظام الاجتماع اعني ما الموجب لاستثناء نظام الاجتماع من حكم هذا القانون النافذ الذي لم تحل دونه جهالات الاقدمين ولا تعصبات المحدثين ولا نقائص الطبع ولا معاثر الوضع. بل نراه كالسيل المنهمر لا يبقي ولا يذر. فنرجو الافادة عن ذلك صريحاً

﴿الهلال﴾ اجبنا على مثل هذا السؤال في السنة الماضية جواباً مختصراً ظنناه كافياً لبيان حقيقة ما نريده من رأينا في نظام الاجتماع. وقد تكررت علينا الاسئلة في معنى سؤال حضرة المقترح. فرأينا ان نبسط الكلام في هذا الموضوع دفعاً للالتباس ونجعل اساس بحثنا ناموس التحول او الارتقاء كما فعل حضرته فنقول:

ما هو المراد بنظام الاجتماع

نريد بنظام الاجتماع الشكل الذي بلغت اليه الهيئة الاجتماعية في نظامها الحالي. والامم على اختلاف الاعصر والاجيال ترجع فيه الى قواعد متشابهة فيها كلها. فالامة تتألف هيئتها الاجتماعية من عوامل او قواعد نشأت فيها بطبيعة العمران ترجع الى ستة: العائلة والامة والدولة والكنيسة والآداب الاجتماعية والمدرسة. نشأت كل منها تدريجاً من ابسط احوال الانسان وارتقت بارتقائه وتفرعت وتنوعت على مقتضيات الاحوال لكنها لا تزال في اساسها نحو ما كانت عليه في اول ادوارها. ولا يزال الغرض منها كما كان في اول نشأتها

فالعائلة: هي اصل النظام الاجتماعي. كانت في همجية الانسان تتألف من الام

وطفلها حتى يبلغ اشدّه فيتركها كما تفعل سائر الحيوانات . ولكن طول مكثه في حضانتها جعله يألفها ويميل اليها والى ما قد يعاصره من الاخوة على تفاوت اعمارهم وهي « العائلة » على مبدأ الامومة تتألف من الام وابنائها وابناء بناتها . ولم يكن يعد من العائلة غير الاخوة والاخوات والاخوال وابناء البنات . ثم مست الحاجة الى التعاون في طلب الرزق وصارت الرئاسة الى الرجل فالتمس الاستعانة بابنائه فضلاً عن اخوته فتحول نظام العائلة من الامومة الى الابوة . ووضعت الشرائع بتوالي الاجيال حسب الحاجة . واقتضت طبيعة المعاش ان تمكث المرأة في المنزل ويخرج الرجل لطلب الرزق لانه اطلق سراحاً منها . وتكفلت هي بتربية الابناء لانهم احوج اليها في طفوليتهم للرضاعة وغيرها . واستلزم ذلك وضع شروط الزواج وحقوق الابناء واختلف ذلك باختلاف طبائع الامم

والامة : نريد بها اهل البلد الواحد او الاقليم الواحد الذين يشتركون في العادات والاخلاق ويتبادلون المنافع ويتعاونون على المعاش . كان الغرض منها في اقدم احوال الانسان التعاون على الصيد . والصيد يومئذ اهم مصادر المعاش . فكانوا اذا عادوا من صيد اقتسموه . ويدخل في معنى الصيد ايضاً الغزو فالغنائم وفيها الاسرى كانوا يقتسمونها . ثم رأوا استبقاء الاسرى للخدمة فاستعبدوهم وصاروا يستخدمونهم في مرافق الحياة . فينبغ القوي ويندثر الضعيف . وتقلبت احوال الامة بين البداوة والحضارة وهي تنمو وترتقي وتتفرع حتى تكونت فيها الطبقات المختلفة من العمال وارباب الاموال والصناع وغيرهم

والحكومة او الدولة : بدأت عند اول خلاف وقع بين اهل البلد الواحد على اثر صيد او غزو . فكانوا اذا اختلفوا في قسمة الصيد او الغنيمة فزعوا في الحكومة الى اقواهم ليفصل في الخلاف بينهم وهو واحد منهم يغلب ان يكون اكبرهم سناً . فتولدت حكومة الشيوخ او الآباء وصار الحكم الى الشيخ او الامير . وتنوقلت احكام الامراء للقياس عليها او العمل بها في الاحوال المتشابهة . ثم جمعت تلك الاختبارات والتقاليد بتوالي الاجيال بعد تعديلها او تكملتها وصار اصحابها طبقة ممتازة تفرغوا لذلك العمل وهي « الحكومة او الدولة » ولها ادوار تتباين بتباين اخلاق الامم واميالها وسائر احوالها . ثم تفرعت الحكومة الى طبقات بعضها للسلطة الرئيسية وغيرها للحرب وأخرى للتشريع وتقلبت السلطة بين ثيوقراطية وملكية وجمهورية وديموقراطية وارستوقراطية وغيرها بمقتضى طبيعة العمران وناموس النشوء والارتقاء

والكنيسة : نعني بها العامل الديني في نظام الاجتماع . وهي قديمة ايضاً . واصلها الاجتماعي على رأي اصحاب النشوء يرجع الى ضعف الانسان واتساع تصوره وخوفه من الظواهر الطبيعية التي لا يعرف اسبابها ولا سيما الموت فانه اقدم ما ازعجه من احوال الحياة . لانه يفضي به الى العدم وهو يحب البقاء . فلجأ الى الاقوياء عقلا يستغيث بهم ويستفتيهم في ما يجهله وهم يفتونه بما يرضيه او يقنعه ويتخذون ذلك وسيلة للسيادة او التكسب . فنشأت طائفة الكهان والسحرة من قديم الزمان . وكانت في اول ادوارها مختلطة بطبقة الحكام وقد يكون الرئيس حاكماً وكاهناً معاً

ولما ارتقى الانسان ارتقت تصوراته من حيث الدين وتكيفت آلهته وتنوعت الادعية والصلوات والاعتقادات بتنوع طبائع الامم واختلاف البيئة وسائر الاحوال . حتى تعددت الاديان وتنازعت . ثم ظهرت الاديان الالهية ولكل منها طبقات من الكهان ودعاة الدين وضروب من الطقوس والمعتقدات كما هو معلوم

والآداب الاجتماعية : يدخل فيها ما يتبادله افراد الامة الواحدة من الاعتبارات الادبية المبنية على الشعور والمتعلقة بالاخلاق . لان الامة لما اجتمعت ولم تر بداً من التعاون في احوال الحياة اضطرت الى تقرير ما ترى فيه نفعاً لمجموعها وصيانة لاعراضها مع ما تقتضيه طبائع الامم من التفاوت في الاحكام . وهي ما يعرف بالآداب الاجتماعية او القواعد الادبية . وهي قائمة في الاصل على العادات القومية . ثم صارت قواعد متبعة لا تخلو منها أمة

والمدرسة : يراد بها التعليم والتربية على الاجمال . وهي في اول ادوار العمران عبارة عن توارث الاختبارات وتحويلها مع الزمان الى قواعد كلية تطابق حاجات الامة واعتقادها — وهي العلوم في اول نشأتها . وكان للخرافات سلطة عظمى ودخل كبير فيها . وتقلبت العلوم على ادوار مختلفة قبل التاريخ وبعده في الدول الشرقية القديمة بمصر وبابل واشور الى اليونان فالرومان فالعرب فالتمدن الحديث . واختلفت باختلاف الاعصر مما يطول شرحه

علة هذا النظام الاصلية

هذه اهم قواعد الاجتماع نشأت بحكم الطبع جرياً على ناموس الارتقاء . وقد يظهر بعضها لاول وهلة من نتاج المدنية او الحكومة او انها حدثت بالتواطؤ . ولكنك عند اعمال الفكرة تجدها من ثمار مذهب النشوء . لانها مبنية على غرائز في الانسان استلزمت هذه القواعد فتولدت بطبيعة العمران

وجد الانسان ضعيف البدن حاد الذهن واسع الحيلة . ولولا ذلك لانقرض عن وجه الارض لعجزه عن مقاومة العناصر والطوارئ من برد او حر او خطر . كما انقرض غيره من انواع الحيوان البائدة لهذا السبب عينه . لكنه استخدم حيلته العقلية في دفع الطوارئ ومقاومـة العناصر . فاقتات بلحوم الحيوانات واكتسى جلودها وحاك شعورها . واكل ثمار الاشجار واستظل باغصانها . ثم بنى المنازل وتعاون بالتفاهم على الاجتماع في طلب المعاش واستثمار الارض . فلما امن الجوع لذَّت له الحياة وتولدت فيه المطامع واصبح همه المطالب السامية (Ideal) . فتكونت طبقة من الاقوياء اصحاب المطامع لا يلذ لهم الا التفوق على اقرانهم او السيادة على سواهم . والتمسوا اعجاب الآخرين بهم وهي « الشهرة » كأنهم رأوا الحياة قصيرة بالنسبة الى مطالبهم فاعتاضوا عن طولها بالتماس الشهرة لانها عبارة عن « اتساع » الحياة . فمن يعيش عشر سنين لا يعرفه الا مئة شخص كالذي يعيش سنة ومعارفه الف شخص

فحب الشهرة او التفوق او التماس السيادة مع وجود الحيلة العقلية ادى الى تنازع البقاء واصبحت الحياة ميدان نزاع وحروب بين اصحاب المطامع اما بالسيف او بالقلم او بالدهاء . فانقسم الناس الى قبائل وعشائر او أمم ودول وتحاربوا وتناظروا . واقتضى تناظرهم احتكاك الافكار فنمت الغرائز وشحذت القرائح ونشأت اكثر القواعد الاجتماعية التي تقدم ذكرها

اما الضعفاء من الناس الذين غلبهم القوي فهم يطلبون طول البقاء مثله لكنهم يعجزون عن نيله بالشهرة ولا يتيسر لهم التمتع بملاذ الحياة كلها مثل أولئك . فرأوا في الاعتقادات الدينية اكبر تعزية لهم فتمسكوا بها كما سلمها اليهم الكهان او من جرى مجراهم . وتمسك بها سواهم من الاقوياء ايضاً لانها اكبر معز لهم في احوال ضيقهم . وقس على ذلك سائر مقتضيات نظام الاجتماع فانها نشأت بحكم ناموس الارتقاء العام

هل يمكن قلب هذا النظام

قد رأيت ان القواعد الاجتماعية انما تولدت وارتقت جرياً على سنة الارتقاء مجاراة لغرائز الانسان . فهي كالقضاء المبرم لا يمكن تبديلها . ولكن الامة لا تخلو من الناقمين على نظامها الاجتماعي ولا سيما في احوال فساده واختلال أموره فقالوا بابداله . وقد حاول بعضهم ذلك منذ القدم فاخفقوا لانهم يعملون على مقاومة المجاري الطبيعية . اعتبر ذلك في كل ما حدث من الانقلابات السياسية والاجتماعية والدينية . وهي كثيرة من اقدم ازمان التاريخ الى الآن لم يستطع واحد منها قلب قاعدة من قواعد الاجتماع .

فالانقلابات السياسية التي يراد بها قلب الدولة لم ينتج عنها الا ابدال حكومة بحكومة او تحويل نظام الى نظام: من الملكي المطلق الى المقيد او الى الجمهوري — والدولة لا تزال باقية

والانقلابات الدينية اراد بها اصحابها ابدال دين بدين. ولكن الغالب ان يتحول الدين الجديد بتوالي الاعوام ويتنوع حتى يلائم اخلاق الامة التي انتشر فيها . لان الناس لا يقبلون الدين الجديد ان لم يلائم اخلاقهم وعاداتهم . ولذلك نرى في الاديان الالهية كثيراً من العقائد والطقوس الوثنية التي كانت قبلها

واعتبر ذلك في الانقلابات الاجتماعية وغيرها فان الامة لا تترك آدابها وعاداتها لتتخذ آداباً وعادات جديدة . لكنها اما ترفضها أو تعدلها حتى تلائم اخلاقها وحاجاتها . وقس على ذلك سائر ما حاول الناس ادخاله من المبادىء الاجتماعية الجديدة فانك لا تجد دليلاً واحداً على ان قاعدة جديدة حلت محل قاعدة قديمة . وانما تبقى وتنتشر بالاندماج في ما كان قبلها . كأن نظام الاجتماع سيل جارف اذا عارضه معارض ابتلعه وساقه في مجراه

ومن هذا القبيل ايضاً المبادئ الاشتراكية . كان المراد بها في اول ظهورها أن تحل محل النظام الحالي لكنها ما زالت تتنوع وتتعدل حتى اصبح الغرض منها اصلاح ما فسد من هذا النظام فيأخذ منها ما يلائمه وهو في مجراه . كما كان شأن سائر التغييرات التي أريد ادخالها فيه من اول عهد التاريخ الى الآن

فالسبب الرئيسي في ثبات النظام المذكور انه مبنيٌّ على غرائز الناس الخلقية لا على عقولهم . اي انهم سيقوا اليه باخلاقهم وغرائزهم لا بعلومهم وفلسفتهم . والغرائز البشرية لا تزال كما كانت من اقدم ازمنة التاريخ . هذه حكم فتاحوتب الحكيم المصري منذ نحو ستين قرناً . وشريعة حمورابي التي دونت منذ نحو ٤٣٠٠ سنة . واشعار ايوب الصديق منذ نحو ٤٠٠٠ سنة . وهذه الياذة هوميروس وأمثال سليمان منذ نحو ٣٠٠٠ سنة . وغيرها من الآداب القديمة التي تصف الآداب وتعبر عن الاخلاق اذا طالعتها لا تجد بين اخلاق تلك الامم واخلاق هذا الزمان فرقاً يذكر رغم الفرق العظيم بين علومهم وعلومنا

والاخلاق تتوارث في الاعقاب وفيها ما اضافه اليها الاسلاف من الاعتقادات والعادات . فالشخص الواحد منا نتاج العوامل الطبيعية قروناً متطاولة . وقد رسخت القواعد الاجتماعية في خاطره بتوالي الادهار . والامة مؤلفة من الافراد وحظها من الارتقاء يتوقف على اخلاقهم لا على ذكائهم ولا على علومهم . لان العلوم قد

تنضج وتزهو والامة في حال الانحطاط . والذكاء قد يكون في الامة المحكومة المذلولة . واما الاخلاق الراقية فلا تكون الا في عز الدولة وابان سلطانها وعليهما يتوقف حال الاجتماع

على اننا رأينا حضرة المقترح يرجو قلب نظام الاجتماع بواسطة ناموس التحول او الارتقاء . وقد تبين مما تقدم ان هذا النظام انما هو من ثمار ذلك الناموس . وزد على ذلك ان ناموس الارتقاء يقضي على الاحياء وما يتبعها مما يدخل في سلطانه ان تستمر في النمو والتفرع . والنمو كما لا يخفى اضافة عناصر جديدة الى الجسم الحي فيمثلها وتصير جزءاً منه ويذهب ما اندثر من الانسجة القديمة . والجسم باقٍ في طبعه وشكله . وهذا هو الواقع في نظام الاجتماع كما رأيت من الامثلة التي اشرنا اليها في كلامنا عن الانقلابات السياسية او الدينية او الاجتماعية . فالآراء الجديدة او العوامل الطارئة انما كانت تضاف الى ما عند الامة فتنوعهُ وتندمج فيه ولا تقوم مقامه . والتفرع معناه ان يتولد من الكائن كائنٌ آخر من نوعه مع بعض التغير في ظواهره ويبقى محافظاً على الاصل المتفرع عنهُ . كما حدث في ما يراه اصحاب النشوء من تولد انواع الحيوان . فهي مهما تباعدت ظواهرها مؤلفة من اعضاء متشابهة ان لم يكن في شكلها فبوظائفها من الحشرات الى الانسان — كلها تتغذى وتتنفس وتتناسل على نسق واحد ولغرض واحد

وقلب نظام الاجتماع يقتضي ان تتخذ الامم قواعد غير التي ذكرناها . اي ان تستبدل العائلة والدولة والكنيسة بما يقوم مقامها مع بقاء المجتمع الانساني . وهذا ما نراه بعيداً للاسباب التي قدمناها

ولا نعلم ما هي القواعد التي يرى اصحاب قلب نظام الاجتماع ان تقوم مقام النظام الحالي وان كنا نتنسم من أقوال بعضهم انهم يرمون الى هدم السلطات السياسية والاستغناء عن المراجع الدينية والمساواة بين طبقات الهيئة الاجتماعية بقواعد او نظامات وضعوها لهذه الغاية . من ذلك ما ذهب اليه أفلاطون منذ بضعة وعشرين قرناً فانه قال بانشاء نظام اجتماعي جمهوري يسمى جمهورية افلاطون وهي ان يؤخذ الاولاد وهم اطفال فيبعدون عن آبائهم ويربون في محل خاص تحت عناية « حكومة » مؤلفة من الفلاسفة تتولى تربية الرعايا وزواجهم وتعين عدد مواليدهم والمهن التي يتعاطونها في شبابهم مع المحافظة على المساواة في احوالهم . وكذلك الاناث فانها تربيهن كما تربي الذكور لا تحرمهن من مطامع الرجال . وان يعيش الرجال والنساء معاً ويكون الكل شركاء في النساء والاموال لا فرق بين الغني والفقير لانها تساويهم في المعاملة

والتربية . والجمهورية المشار اليها مهما كانت صغيرة تقسم الى شطرين يقيم في احدهما الاغنياء وفي الآخر الفقراء فاذا طرأت حرب اتحدتا على العدو. وقد يقسم الشعب الى طبقات حسب مهنته وتربيته مع تساويهم بالحقوق والواجبات لافرق بين فقيرهم وغنيهم

وقس عليها « اوتوبيا » التي مثلها السير توماس مور في اوائل القرن الخامس عشر بمدينة فرض وجودها في جزيرة اسمها أوتوبيـا زعم ان اميركوس اكتشفها ووصف له معيشة اهلها وانهم متمتعون بالسعادة الكاملة ليس لاحدهم ملك خاص بل يشتغلون معاً بلا أجر معين والحكومة (أو ما يقوم مقامها) تتولى سد حاجتهم بنظام مضبوط لا يعوزه نقض وكل عمل عمومي في تلك الجزيرة يحصل بالانتخاب بين أهلها يتناول الناس طعامهم معاً على موائد مشتركة والثروة فيها محرومة على الافراد

وكذلك « اونيدا » التي قال بها جون نويس في اواسط القرن التاسع عشر واساس تعاليمه ان الناس أخوة لاينبغي أن تتفاضلوا في شيء . فانشأ مدينة أهلها بضع مئات يعيشون عيشة العائلة الواحدة وهم شركاء في كل شيء حتى الاولاد فانهم للجماعة فيُحِبوا تربيتهم أحسن تربية أدباً وصحة . وكتب الاستاذ كولدون سميث بعد زيارة هذه الجمهورية يقول « ان الاولاد فيهـا صحاح الابدان حسان الوجوه يربون على طرق صحية لا مثيل لها وعلى أحسن أسلوب بالتغذية واللعب واللبس والوقاية من الامراض والعاهات ولا يسمح للوالدات أن يعطين أولادهن شيئاً من الحلويات التي تثقل المعدة وتفسد الهضم » وقد عاشت هذه الجمهورية بضع وثلاثين سنة كانت في أثنائها مقصد المتفرجين وعظمت ثروتها وكثرت أموالها المشتركة واراد مؤسسها نويس حلها لانه انشأها ليبرهن للملأ امكان هذا المشروع — أو لعله خاف سقوطها فحوّلها ١٨٨٠ الى شركة سماها شركة طائفة أونيدة

ويدخل في ذلك ما ارتآه فوريه وغيره من الاشتراكيين من تنظيم الامة على شكل صناعي . وهؤلاء جميعاً انما عمدوا الى القول بقلب نظام الاجتماع نظراً لما شاهدوه من فساد الهيئة الاجتماعية في ازمانهم فارادوا اصلاحها وبالغوا في مرادهم فذهبوا الى الطرف الآخر — كما يحدث عادة في مثل هذه الحـال — وطلبوا قلب ذلك النظام اوابداله فاخفقوا . ولو التمسوا اصلاحه مع المحافظة على نظامه كما يطلب المعتدلون من الاشتراكيين في هذه الايام لكان عملهم أقرب الى النجاح

فترى مما تقدم اننا لم ننكر على هذا النظام دخول الاصلاح فيه . وانما انكرنا قلبه او ابداله بسواه

انتقال الافكار والنفس

رأي الدكتور شميل

تكرّم عليّ الدكتور شميل بالكتاب التالي :

عزيزي اميل زيدان

يسرني ان اراك غصناً نضيراً لدوحة ابيك . ويسرُّني ان ارى بك ميلاً خاصاً الى العلوم الطبيعية وفلسفتها كما تدلني مباحثك . ولكني الحظ عليك تكلفاً كما دفعك الاستقراء الى أبعد مما تريد فيصير كلامك مبهماً بعد ان كان بغاية الوضوح كأنك تحاول الترقيع حينئذٍ لمحظور فتتلعثم ثم تزعم ان العلم الطبيعي هو المتلعثم كأنك تريد ان تذكّر القارىء بأنَّ هنالك علماً آخر لا يتلعثم ولا يتعذر عليه الجواب . والقارىء في غنى عن هذا التذكير بل عن هذا العلم كله

فان سمعت مني واردت ان لا تحرج وان تخدم العلم خدمة حقيقية لا يشوبها اختلاط ولا تكدر صفاءه بادخال المبادىء المتناقضة عليه . وكنت لا تحبُّ ان تبلغ فيه الحدَّ الذي يفرضه عليك اهجر الخطة التي يعوّل عليها الكتاب الشرقيون خاصة في الادب والعلم حتى الساعة وهي المزج بين العلم والمذاهب في الخلق ولا يلزم في نشر العلم غير ذلك - الا اذا كان الغرض منه الانحياز الى احد الجانبين بالنفي او الاثبات وحينئذ يلزم ان يكونا صريحين

نعم يجوز التردُّد ولا يحظر على الباحث ان يقف موقف السائل ولكن هذا لا يجيز له ان يرتد حالاً الى الضدّ ليقيم من الضعف قوَّة وقد يكون هذا الضعف غير حقيقي عن نظر محدود في الجزئيات كما يظهر لنا جليا لو ردَّت الاشياء الى أصولها الكبرى الكلية . وانه لأفضل بكثير ان يبقى هذا التردد في نفس الباحث من جعله ذريعة للعبث بالصحيح حتى يقوم عنده اليقين مقام الشك فيثّ الشيء حينئذ بالصراحة التامة ان شاء

واياك ثم اياك ان تقدم على أي علم كان بمبادىء سابقة مقرَّرة وقضايا مسلمة

بقصد ان تؤيدها او تنفي سواها بها فان ضرر ذلك عظيم جداً على العلم . فالعلم صعب وبسيط معاً . بسيط اذا اقدمت عليه بالبساطة وقررت الاشياء فيه كما هي . وصعب للغاية اذا أقدمت عليه وانت متشبع بالمبادىء المختلفة

وكأنك فهمتني . فانا لا ادعوك الى جانب دون آخر بل الى تثبيت قدمك في الجانب النافع المفيد . واذا كان ليس للعلم الطبيعي غير فضل ربط الكائنات من أدناها الى أعلاها برباط واحد بسيط لحصر قوى الانسان في دائرة واحدة وتخليصه من مفاعيل المبادىء المتعددة التي لا تقع تحت رابط والتي بنى عليها حتى الساعة علومه ونظاماته وكل شيء آخر موضوع لكفى . وهو كل سر العلوم الطبيعية وسر تقدمها . فكل ما هو معلوم لنا اليوم وكل ما هو منتظر منها غداً لا يخرج عن ناموس هذا السرّ فكان العلم الطبيعي اليوم في سره العظيم وفي كلياته الكبرى شيء مقرَّر ناضج لا يحتاج الى اكتشاف سرّ آخر . وما الاكتشافات والاختراعات المنتظرة الا تبسط في العمل وتوسُّع في العلم . ولذلك لا يجوز المتبحر ان يقول ان الغوامض الطبيعية الباقية كثيرة بمعنى انها غوامض خارجة عن قياس هذا السرّ المعلوم اليوم

أقول ذلك تنشيطاً لك لا تثبيطاً لأني رأيت فيك من حسن الاستعداد الى صحيح العلم وصحة الحكم ما حبب لي مخاطبتك لا لقصد المناقشة بل على سبيل النصيحة وانت في سنّ كله نشاط وآمال والمستقبل اليوم لك واقبل سلام مولَع

مصر ٥ دسمبر سنة ١٩١٢ الدكتور

شبلي شميل

ولما كنت شديد الرغبة في استقصاء الظواهر النفسية الغامضة كالتنويم المغنطيسي وانتقال الافكار وغيرها كتبت الى الدكتور الفاضل مستفهماً عن تعليل تلك الظواهر بمبادىء العلوم الطبيعية التي يعتقد نضجها فاجابني بكتاب قال فيه :

« انا بقولي لك ان العلوم الطبيعية نضجت لا اريد ان اقول انهم وصلوا فيها الى كل ما يرجى منها أو انه لا يعرض لنا فيها أمورٌ لم نهتد الى كيفية تعليلها على وجه خاص لا يقبل اختلاف نظر او خروجاً فيها عنها . وانما اردت ان اقول ان كل ما في الطبيعة من جماد ونبات وحيوان حتى الانسان وافعال العقل الذي هو « افراز » لغدّة

الدماغ الطبيعي — اذا جاز لنا مثل هذا التعبير المتساهل فيه فيزيولوجياً — هي جميعها خاضعة لنفس النواميس الطبيعية البسيطة المقررة كالجاذبية والحرارة والنور الخ. أي انها تسير في كل افعالها على وتيرة واحدة فلا الامراض العصبية ولا الاحكام العقلية ولا قراءة الافكار عن بعد ولا الشعور عن بعد مع غرابتها الظاهرة خارجة عن الخضوع لنواميس معلومة لا تخرج عن سنن الطبيعة نفسها. وبقولي ذلك لم اقصد الا انا وقفنا على السرّ الاعظم الذي يربط الاكوان بعضها ببعض من ادناها الى اعلاها أي على وحدة القوة التي هي سبب تحولاتها المختلفة. واني اوجه نظرك على نوع خاص في قراءة الافكار والادراك عن بعد الى ما جاء من هذا القبيل في مقدمتي الثانية وفي « اختلاط ذهن هستيري » في الشفاء وفي مقالة « مناجاة الاحلام وقرع الاوهام » في الجزء الثاني من المجموعة مما يلزم منه ان يكون ما نراه غريباً خاضعاً للقياس. واذا كنا لسنا فيه دائماً كذلك فلحوائل طبيعية فينا وحولنا » (انتهى)

اشكر للدكتور شميل عنايته بما كتب. وما كنت لاقدم على تذييل كتابته بشيء من عندي لعلمي اني لست في المرتبة التي تجيز لي مناقشته وهو من قهارمة هذه الابحاث واول من جاهر برأيه في هذه المواضيع باللغة العربية. ولكنني احب ايضاح رأيي الذي نشرته وايقاف القاريء على اختلاف الآراء في هذا الموضوع — واني باسط اوجه الاتفاق والاختلاف بيننا بكل صراحة وبساطة:

اسلم مع الدكتور شميل ان من يتصدى للابحاث العلمية يجب ان يترك المبادىء السابقة المقررة والقضايا المسلمة التي ورثها عن آبائه أو اقتبسها من محيطه. وقد قلت ذلك مراراً في المقالات القليلة التي كتبتها في الهلال لاني اكره التسليم الاعمى بدون تفكير

واوافقه في ان النواميس الطبيعية ينبغي ان تشمل ما في الكون من جماد ونبات وحيوان لا شيء فوقها أو تحتها أو خارجاً عنها. لان الانسان المفكر لا يقدر ان يتخيل نواميس متناقضة في عالم واحد

واسلم ايضاً بفضل العلم الطبيعي في ربط الكائنات من ادناها الى ارقاها وفي تحسين احوال الجنس البشري. وان اكتشافات القرون الاخيرة واختراعاتها المدهشة من ثماره

واعتقد كذلك ان مذهب النشوء والارتقاء أفضل تعليل — بل هو التعليل

الوحيد المعقول حتى الآن لاصل الكائنات وبيان صلاتها

واقول اخيراً بعلاقة الظواهر النفسية باعمال الدماغ . اي ان احوال العقل من تفكير وشعور وتخيل وغير ذلك يقابلها احوال مخصوصة في الدماغ

قد يظن القارىء بعد ما تقدم انهُ لم يبق وجه للخلاف بيني وبين حضرة الدكتور. والحقيقة ان الموافق على المبادىء المتقدم ذكرها لا يتحتم عليه ان ينكر كل شيء غير المادة وظواهرها لان مجال البحث لا يزال واسعاً . فالذي يقول ان طالب العلم يجب ان يترك ما علق في ذهنه من مبادىء مقررة بدون اثبات قد يرجع الى بعض تلك المبادىء اذا تحقق صحتها . ومن يسلم بوحدة النواميس الطبيعية وشمولها ما في الكون قد يعترف بجهله بعض تلك النواميس . والذي يعترف بفضل العلوم الطبيعية كالطبيعيات والكيمياء وعلوم الحياة وبصحة مبادئها لا يجوز له ان ينفي مبادىء العلوم الاخرى اذا كانت مبنية على احكام العقل . فاعتقادنا علاقة الدماغ باعمال العقل لا يعني حتماً ان تلك الاعمال « يفرزها » الدماغ كما تفرز الغدد اللعابية اللعاب . ولا شك في ان كثيرين من العلماء اليوم مع قبولهم تلك المبادىء لا يرجعون بكل شيء الى المادة وحدها . ولكنه الخلاف في نظري يرجع الى هذا السؤال :

« ما هو مقدار السنن الطبيعية التي كشفت لنا بالنسبة الى ما لا يزال غامضاً منها ؟»

يرى الدكتور شميل ان العلم الطبيعي قد احاط بنواميس الكون الرئيسية ولا محل لنواميس غيرها . فالمبادىء المقررة اليوم هي في نظره كافية لتعليل كل الظواهر التي تبدو لنا . وبما ان مذهب النشوء والارتقاء هو اهم المبادىء الطبيعية المتعلقة بعالم الاحياء فكل الظواهر التي تبدو فيه — ومنها التنويم المغنطيسي وانتقال الافكار وما شاكلها — يجب ان تطبق عليه وتعلل به لانها لا تخرج عن كونها احوال مخصوصة من الدماغ مهما يكن من غرابتها وصعوبة ادراكها بهذا الشكل . انهُ يبحث في هذه الظواهر وهو يعتقد ان لا بدَّ من تعليلها بالعلوم الطبيعية اذ لا محل عنده لنواميس غير نواميسها المعروفة

ولكن لماذا هذا القيد ؟ لماذا يحتم حضرة الدكتور ان يعلل تلك الظواهر بالمبادىء القليلة التي نعرفها ؟ قد يصعب على الناس عادة قبول امر جديد لا علاقة له بما الفوه أو علموه . ولكن العالم الباحث يستعد لقبول كل غريب جديد . والا فهو داخل في

جملة الذين يطلبون العلم لاثبات بعض المبادىء المقررة في ذهنهم . وضع الدكتور شميل اساساً لآرائه وابحاثه ان مبادىء العلم الطبيعي المعروفة كافية لتعليل غوامض الكون فيجب ان يدخل تحتها كل معلوم ومجهول . اليست هذه طريقة القدماء في الانتقال من القواعد العامة المقررة الى الحوادث الخاصة المفردة لتطبيقها عليها (deduction) ؟ مع ان فضل العلم الحديث يرجع الى جمع الحقائق المتفرقة وترتيبها واستخراج القوانين العامة منها (induction)

هذه هي الطريقة الفضلى لتعليل الظواهر النفسية الغريبة . وقد ذكرت ذلك في المقالة الاخيرة عن انتقال الافكار حيث قلت : « اننا لا نزال نجهل ماهية النفس وعلى العلم اليوم ان يوالي جمع الحقائق حتى يتمكن في المستقبل من تعليل تلك الظواهر »

قد يقول الدكتور ان التسليم بوجود نفس يضاد ما نعرفه من العلوم الطبيعية ولذا يجب رفضها بتاتاً

ولكن لننظر في ذلك من الوجهة المادية نفسها : يعتقد الماديون ان العالم كان خلواً من الحياة ثم نشأت الحياة فيه من المادة . افلايجوز ان يأتي وقت تنشأ فيه من الحياة قوة جديدة « نسميها النفس » والفرق بين المادة والحياة أكبر من الفرق بين الحياة والنفس

لا اعني بكلامي هذا اثبات وجود النفس وانما اريد ان العلم في الوقت الحاضر قاصر عن اثبات ذلك أو نفيه . وان كان كثيرون من العلماء يجزمون بوجودها كما يجزم آخرون بعدم وجودها . ولكن غرضي ان وجود نفس (ولا اعني بها شيئاً معيناً محدوداً) لا يناقض العلم وان هناك مجالاً واسعاً للبحث والاستقصاء

واملي بعد ما تقدم ان يعذرني القراء اذا اظهرت تردداً أو شكاً في مسائل غامضة كالتي تصديت للكتابة فيها . اذ لا نعرف حقائق مقررة ثابتة سوى الحوادث المفردة (facts) فهي يقينية وليس كذلك تعاليلها . فالباحث يجمع حوادث متفرقة لا ريب عنده فيها بحد ذاتها فاذا اراد ربطها واستخراج قانون شامل يعللها به فتعليله قبل الاخذ والرد . ويزيد رجحان تعليله كلما كثرت الحوادث المؤيدة له . وقد لا يبلغ درجة اليقين ابداً . فمبادىء العلم الطبيعي بعضها بلغ درجة من الرجحان تقرب من اليقين ولكن كثيراً منها لا يزال قابلاً للنقض

وقد لحظ عليّ الدكتور شميل ابهاماً بعد ان كنت واضحاً صريحاً فلم يكن ذلك مني مجاملة للرأي العام لاني اضن بالعلم ان يكون العوبة في ايدي مدونيه . ولكنني لا ارى بدًّا من التردد عند ما انتقل من بسط الحقائق الثابتة الى تعليلها فلا اقدر ان اكون دائماً « صريحاً نفياً أو اثباتاً » ولكنني الجأ احياناً الى الشك والاقرار بالعجز واقول بكل اخلاص « لا ادري » . وحسبي عذراً على ذلك اني لست أول تائه في اسرار هذا الكون العجيب اميل زيدان

عشرة آلاف كلمة على بيضة

كتب الينا رصيفنا علي بك ناصر الدين صاحب جريدة الصفاء التي تصدر في لبنان عن شاب مجتهد اسمه نسيب افندي سعد زين الدين اللبناني كتب نحو عشرة آلاف كلمة على سطح بيضة بخط متقن توشك العين المجردة ان تقرأه . واركز البيضة على لولب يدار في كرة من الزجاج . واللولب مغروس في ظهر نسر من البرونز باسط جناحيه وواقف على شمعدان من مادة تشبه الحجر المجزع . وتشمل تلك الكتابة على ما لا يسعه الأعدة صفحات . فعلى قمة البيضة الطغراء السلطانية ثم تمهيد في ما بعث الكاتب على كتابة هذا الاثر يزيد على عشرة اسطر بقطع الهلال . ثم فاصلة وبعدها مواد القانون الاساسي كلها باللغة التركية ثم هذا المواد في اللغة العربية . فتاريخ اعلان الدستور للمرة الاولى والثانية . وفقر مسهبة بين الكاتب فيها ما يعنيه بوضع تلك البيضة على قوادم النسر تدخل في بضعة اسطر . تليها قصيدتان لرئيس تحرير الصفاء في الدستور والجيش العثماني ابياتهما ٥٩ بيتاً . ثم تاريخ كتابة هذا الاثر وخريطة الممالك المحروسة واسماء امهات المدن العثمانية

ومما يستحق الاعتبار ان الكاتب لم يستعن بالمكبرات في كتابته . ومع ذلك فالاحرف كثيرة الوضوح حتى حلقات العين والهاء والواو فضلاً عن نظافة الفراغ بين السطور أو الجمل . وللكاتب آثار كتابية غير هذه تستوقف الخاطر فانه كتب مرة ٦١ كلمة على حبة أرز ونال بذلك الجائزة الاولى من معرض زحلة منذ بضع سنين . فهو مفطور على الدقة اليدوية ولو أتيح له تربية هذه الموهبة في بعض الصنائع الدقيقة لكان من النابغين . ولا مجال لهذه المواهب الا في أوربا

صحة العائلة

زمن الفطام

يعطف الطير على فراخه عطف الام على طفلها فينقطع الى اسعافها واسعادها لا يبالي بالمشاق ولا يكترث بالاخطار التي يتعرض لها في سبيل غذائها . يلتقط حبوب الحقل ويعود بها الى وكره حيث يوزعها على صغاره بالسواء

ويهبط على عين ماء فيأخذ منها ما يستطيع اخذه ليبرد به حرّها . وقد يقع هدفاً لسهم يقضي عليه وهو في جهاده الشريف او يكتب له البقاء فيظل مثابراً على تأدية ما نسميه نحن بالواجب الى ان يأتي الزمن الذي تصبح به صغاره قادرة على اعالة نفسها فيمسك عن اسعافها وتغدو هي مسؤلة من ذلك الوقت عن اشباع جوفها واطفاء غليلها . والحاجة تدفعها الى المخاطرة فتنشر اجنحتها وتطير مع امها سعياً وراء الرزق حتى تصيبه . لاعيب ولا شائبة في نظام هذا الحي الصغير في تربية اطفاله وقد انارت الطبيعة بصيرته فتعلم العطف على صغاره وادرك الواجب عليه نحوها فقام به خير قيام بغير أن ينتحل المعاذير فيعهد بتربيتها لسواه أو يتركها وشأنها للتقادير . كان يجلب لها الطعام ويساعدها على مضغه وهي صغيرة فلما نما ريشها واشتد ساعدها اجبرها على الخروج من اكنافها بامساكه عن جلب قوتها الضروري لحياتها فطارت لتقع على قوت تتناوله وماء تطفئ ظمأها به

ان هذه العناية بالصغار قد اغفلها عدد كبير من الامهات . فالمثريات منهن تتخلين عن اطفالهن الى المرضعات فلا يعرفن عنهم شيئاً — ولا هن امهات يتأثرن لكلامنا . والمتوسطات فئتان فئة مالت الى الاقتداء بالمثريات وفئة اقتدت بالفقيرات . وهؤلاء اقرب الى الامومة الصادقة لكنهن ابعد عن الحقيقة الواجبة . فالام من هذه الطائفة اعمتها المحبة لطفلها واضلها العطف عليه عن تفهم ما يجب عليها نحوه فساءت اليه وهي لا تدري . اشركته بطعامها وهو في الشهر الثاني أو الثالث من عمره . وتساهلت معه في ارضاع ثديها وقد بلغ السنة الثالثة أو الرابعة . اعرف غلاماً بلغ السادسة وهو لا يزال يكب على صدر امه كانه في الشهر السادس . ان معدل وفيات الاطفال في السنة الاولى أكثر

عدداً منها في السنة الثانية . واكثر من الاثنين في الاشهر الثلاثة الاولى واسباب ذلك كله الاخلال في نظام تغذيتهم وقصر نظر في كيفية انتقالهم من لبن الثدي الى غيره من الغذاء حسب ما يقتضيه الحال والسن

يفطم الطفل عن الثدي تدريجاً لا دفعة واحدة مراعاة لصحته وصحة الام معاً . والفطام فجأة يقود أحياناً الى تلبك المعدة وسوء الهضم . ولا ينتظر حدوث هذه النتيجة الاَّ في ظروف خاصة مثل ان يعطى المفطوم لبن غير ممزوج بالقدر اللازم من الماء أو طعام لا قبل لمعدته بهضمه . وتجنب الفطام في فصل الصيف افضل ولكن اضراره لا توازي الاضرار الناجمة عن الاستمرار في ارضاعه من الثدي بعد الوقت المناسب . ومعظم الامهات يرضعن اطفالهن سنتين أو اكثر وبعضهن يقتصرن على ارضاع اطفالهن بضعة اشهر فقط لما يعتريهن من الضعف والسقم في زمن الرضاعة . على ان القاعدة الصحية للطفل وللام ان يتدرج الطفل الداخل في الشهر التاسع الى الفطام باستبدال وجبة من لبن امه بالرضاعة وفيها لبن البقر على نسبة النصف لبن والنصف ماء مع كمية قليلة من السكر في كل اربع وعشرين ساعة في الاسبوع الاول . اما في الاسبوع الثاني والثالث فيعطى وجبتين من الرضاعة في كل اربع وعشرين ساعة . وفي الشهر الحادي عشر يقلل قدر الماء الى ثلث كمية اللبن وتزاد الوجبات الى ان يبلغ الحول

ويلاحظ غالباً على الاطفال في هذا الزمن وقوف نموهم بدون سبب واضح . ولا يظهر لنا ذلك الا بالميزان لعدم وجود عوارض مرضية ظاهرة . فاذا تأكدنا نقص وزن جسده فالفطام فجأة مفضل في هذه الظروف على الأخذ به تدرجاً . والاستاذ هولت ذكر حادثة عن طفل خسر ثلاث ليبرات بمدة قصيرة وكان عمره ستة اشهر فقط . ولم يصحب هذا الهبوط عوارض مرض من الامراض فمنعه عن الثدي وفي بضعة اسابيع استعاد ما كان قد خسره من الوزن وظل نموه مستمراً . وظهر بعد ذلك ان امه كانت حاملاً

والفطام فجأة يحسن في ظروف كثيرة ولا سيما في اثناء الامراض التي قد تنتاب الام كالتيفويد والتهاب الرئتين أو داء السل أو التهاب الثدي ونحوها . والشائع بين امهاتنا اذا اصيب أحد الثديين بالتهاب كان الثدي الملتهب نصيب الطفل . فيلتزم بالتقامه لتخفيف التهابه . وتكتفي الام بهذا العلاج حتى يتبين لها علاج اصلح . والمفطوم عن الثدي ينتقل الى الرضاعة فينطبق عليه نظام سائر المغتذين بهذه الآلة

ويجب عند مباشرة الارضاع بها ان تكون كمية اللبن والماء متعادلة كما قدمنا . وقد يصعب على الام في البدء ان تعود طفلها على غير لبنها . ولكن الجوع الذي اخرج فراخ الطير من اكنانها يساعدها على اقناعه بقبول الرضاعة والتسليم لمشيئتها ومتى الف الطفل غير لبن امه يطبخ له من انواع الدقيق مثل الفوصفتين أو الاروروت بقليل من اللبن والماء وجبةً في كل اربع وعشرين ساعة لمدة اسبوع . وتزاد الوجبة وكميتها في الاسبوع الثاني مع تقليل الرضاعة بالنسبة للزيادة الداخلة على طعامه من الدقيق . وعلى هذا المنوال يقطع الطفل الرضيع مدة الفطام بلا عناء أو مشقة

وفطام من عاش على الرضاعة يبدأ عندما يبلغ الشهر الثالث عشر ويتناول غذاءه في الشهر الخامس عشر من الفنجان ولا بأس من ارضاعه مرة في المساء

واليك نظام تغذية الطفل من الشهر ١٢ الى ١٤

(١) الساعة السادسة ونصف صباحاً : لبن ٦ الى ٧ اواق طبية ممزوجة باوقيتين الى ثلاث اواق طبية من ماء الشعير او الرز

(٢) الساعة التاسعة صباحاً : عصير البرتقال ٢ الى ٣ اواق

(٣) الساعة العاشرة صباحاً : لبن جزءان وجزء من ماء الشعير أو الرز أو الاوتميل من ١٠ الى ١٢ اوقية

(٤) الساعة الثانية بعد الظهر : عصير لحم خروف اوقية واحدة الى اوقيتين . وبياض البيض المسلوق قليل الاستواء . وبعد مدة يعطى بيضة كاملة ولبن يضاف الى مثله نصفه من ماء الرز ٤ الى ٦ أواق

(٥) الساعة السادسة : مثل وجبة الساعة العاشرة صباحاً

(٦) الساعة العاشرة مساء : وجبة الساعة السادسة ونصف صباحاً . ولا يجوز أعطاء الطفل بين الوجبة والاخرى غير الماء القراح

نظام تغذية الطفل من الشهر ١٤ الى ١٨

(١) في الساعة السادسة ونصف صباحاً : لبن ٨ الى ١٠ أواق

(٢) الساعة التاسعة صباحاً : عصير الفاكهة ٣ أواق

(٣) الساعة العاشرة صباحاً : ملعقة كبيرة وبعد بضعة ايام تزاد الى ثلاث ملاعق من الاوتميل أو الاروروت أو الفوصفتين يطبخ ثلاث ساعات ويضاف ثلاث أواق من لبن القشطة وملح . واذا لم توجد القشطة يعوض عنها بزيادة كمية اللبن عن ثلاث أواق مع زيادة الدقيق وبسكويت

(٤) الساعة الثانية بعد الظهر : عصير لحم الخروف أوقيتان وبيضة برشت وملعقة رز مطبوخة جيداً ومرق دجاج أربع أواق

(٥) الساعة السادسة بعد الظهر: ثلاث ملاعق كبيرة من الارروت أوالفوصفتين تطبخ نصف ساعة يضاف اليها لبن وملح بكمية كافية

(٦) الساعة العاشرة مساء : لبن ٨ أواق الى ١٠ أواق

ومن الشهر ١٨ الى ٢٤ يتدرج الطفل الى الطعام الجامد ويقلل كمية اللبن مع المحافظة الشديدة على الاوقات التي اعتاد أن يتناول طعامه فيها . أما الطفل الذي نشأ على الثدي والرضاعة فزمن فطامه يبدأ في الشهر العاشر ويمشي عليه نظام المفطوم عن الثدي الى ان يبلغ الحول . ثم يعامل على الطريقة التي تقدم بيانها . والام الفاضلة تبرهن لنا صدق عطفها على ولدها باحترامها القواعد الصحية في تربيته . اما اللثم والضم والتقبيل وحدها فلا تبعد عنه علة ولا تشفي لنا غلة

(نخل) الدكتور اندراوس شخاشيري

حكيم كرنتينة نخل

باب الأخبار العلمية

﴿ انقراض الفيل والاسد ﴾ كان الفيل الافريقي منتشراً في صقلية وأسبانيا وانقرض منهما قبل زمن التاريخ . وكان في زمن الفينيقيين لايزال كثيراً في شمالي أفريقيا يسرح أسراباً وقطعاناً في رباط . ثم طارده القرطاجيون والرومان فنز الى أواسط أفريقيا . فلا يوجد الآن في شمالي بحيرة تشاد ولا جنوبي كلاهاري . حتى هناك فانه قليل الا في الغابات البعيدة عن مطامع المستعمرين . ولا يلبث أن ينقرض ان لم يلتفت الانسان الى تربيته والاحتفاظ بنسله . وتكون علة انقراضه احرازه مالا يمكن للانسان الحصول عليه الا بعد قتله ليزين به موائده ومقاعده . ولهذا السبب كان الاسد أصبر على البقاء منه لكنه آخذ بالتناقص . كان في زمن هيرودوتس كثيراً في بلاد اليونان وظل الى أيام العرب منتشراً في فلسطين وحوران . وقد تقلص ظله عن الهند ولم يبق له أثر في غير العراق العجمي . وانقرض في أوربا وشمالي أفريقيا وجنوبها ولم يبق الا بين

ذلك النقص : كانت نسبتها في الالف ١٧.٩ فصارت ١٩.٦ اي ان عدد الوفيات كان ٧٠٣ ٧٧٧ فاصبح ٩٨٣ ٧٧٦ نفساً ويعتقد الكاتب ان سبب قلة المواليد تحريض العامة على الاكتفاء بالنسل القليل من وجه اقتصادي وليس عن عجز جنسي في الامة كما ظن بعضهم . وبحث عن سبب كثرة الوفيات فلم يجد لها سبباً سياسياً ولا صحياً ولا دينياً ولم يتقرر عنده السبب الحقيقي . ولكنه يعلق اهمية كبرى على نقص المواليد وزيادة الوفيات خلافاً لسائر الامم المتمدنة . فان الروس مواليدهم في الالف ٤٤.٨ ووفياتهم ٣١.٧ والبلغار مواليدهم ٤٢ ووفياتهم ٢٣ فهم من أسرع الامم نمواً . والرومانيون مواليدهم ٤١ ووفياتهم ٢٤ والسرب مواليدهم ٣٩ ووفياتهم ٢٩ والنمسا مواليدها ٣٣.٥ ووفياتها ٢٢.٨ وقس على ذلك

﴿ اضخم امرأة في العالم ﴾ توفيت امرأة في مونتريال كندا وزنها ٧٨٠ رطلاً اقتضى لوضعها في الضريح ان تنقل بالآلات الرافعة وابى اصحاب عربات الدفن نقلها

مطبوعات جديدة

﴿ طبقات الامم ﴾ تأليف القاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي . وهو من الكتب النادرة التي تعرَّض فيها كتبة العرب لوصف علوم الامم . نحو كتاب الفهرست لكنه اوجز منه وعلى اسلوب آخر . يبحث في العلوم عند الهند والفرس والكلدان واليونان والروم والمصريين والعرب والاندلسيين وبني اسرائيل . وقد اقتبس منه ابو الفرج الملطي وابن ابي أصيبعة وحاجي خلفة وغيرهم . وكانت النسخ الباقية الى الآن نادرة منها اثنتان في المتحف البريطاني واخرى في ليدن . ووقف الاب لويس شيخو اليسوعي على نسخة عند بعض الوراقين فنشرها تباعاً في مجلة المشرق ثم في كتاب على حدة وبذل جهده في ضبطها وذيلها بمقابلات بين هذه النسخة ونسخ المتحف البريطاني واصلاحات وخمسة فهارس للمواضيع واعلام الرجال واعلام الشعوب والمذاهب والامكنة والبلدان واسماء الكتب وجملة ذلك نحو ١٥٠ صفحة . فنثني على الاب شيخو لما يبذله من العناية في خدمة آداب اللغة العربية بما يؤلفه او ينشره جزاه الله خيراً

﴿ Les Barmacides ﴾ هو كتاب في تاريخ البرامكة واحوالهم الفه في اللغة الفرنساوية المستشرق الفرنساوي لوسيان بوفا معولاً فيه على المآخذ التاريخية

العربية والفارسية . صدّر الكتاب باسماء الكتب التي عوّل عليها ثم افاض في اصل البرامكة من عهد المجوسية وفصل الكلام في اسلامهم واعمالهم من برمك فخالد فيحيى فالفضل وجعفر . واسباب سقوطهم وما نجم عن ذلك . وذيل الكتاب بما يروى عن البرامكة من الاحاديث والقصص والتعليلات عن اصل اسم برمك . وقائمة باسماء الكتب الافرنجية التي بحثت في البرامكة وفهرس ابجدي . وهو اوفى كتاب في تاريخ هذه الاسرة مبني على بحث ونظر ويطلب من مطبعة لرو بباريس وهذا عنوانها :

Ernest Leroux, 28 Rue Bonaparte, Paris (VI)

❊ التشريح الجراحي والعلاج الجراحي ❊ للدكتور محمد افندي عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب فضل خاص على آداب اللغة العربية بما ينقله اليها من الكتب الطبية بعد ان تقاعد ارباب الاقلام عن ذلك بسبب اهمال هذه اللغة في المدارس الطبية بمصر والشام . فقد مرَّ على تعليم الطب باللغات الاجنبية في هذه المدارس بضع وعشرون سنة لم يظهر في أثنائها الا كتب قليلة لبعض النطاسيين من محبي هذا اللسان . والدكتور محمد افندي عبد الحميد من اكثرهم عملاً في هذا السبيل . فانه اصدر عدة كتب في مواضيع طبية مختلفة ذكرنا بعضها في الهلال . وبين ايدينا الآن كتابان احدهما في « التشريح الجراحي » لمؤلفيه تريفس وارثر كيث ترجم الجزء الاول منه ودقق في النقل واتقان الرسوم التشريحية الملونة في ٢٦٠ صفحة . والثاني « العلاج الجراحي » تأليف وليم روز والبرت كارلس صدر الجزء الاول من الترجمة العربية مزيناً بالرسوم هو يبحث في البكتريولوجيا والعدوى والمناعة والالتهاب وفحص الدم والتقرح والغنغرينا . والكتابان متقنا الطبع يطلبان من مكتبة الهلال وثمن كل منهما ١٠ غروش والبريد غرش

❊ New Practical Grammar ❊ هو كتاب في الانكليزية لتعليم اللغة العربية الدارجة بمصر . تأليف سقراط سبيرو بك صاحب القاموسين الانكليزي العربي والعربي الانكليزي لهذه اللغة . وقد وضعه على نسق خاص لتسهيل تعلم اللغة المصرية الدارجة لعارفي اللغة الانكليزية . ويمتاز بتصوير الالفاظ العربية باحرف افرنجية وايراد الامثلة والتمارين . ويطلب من محل لوزاك وشركاهم في لندن وهذا عنوانه :

Luzac & Co., 46 Great Russel St. London W. C.

❊ وصايا الوطن العشر ❊ تأليف اميل فاكه احد اعضاء المجمع العلمي الفرنساوي . وقد نقلها الى العربية ابراهيم افندي سليم نجار الكاتب المعروف خدمة

للناشئة العثمانية . لان مؤلفه حلل فيه حب الوطن وعلاقة المرء به تحليلاً علمياً كانه كيماوي يحلل مادة بين يديه . وهو يطلب من مكتبة الهلال وادارة المقطم وثمن النسخة خمسة غروش والبريد نصف غرش

﴿ Succes in English Composition ﴾ هو كتاب تعليمي لطلاب اللغة الانكليزية تأليف محمد افندي خيرت من متخرجي مدرسة الحقوق الخديوية وناظر مدرسة بنها وعباس افندي عبد الفتاح استاذ اللغة الانكليزية فيها . وهو يشتمل على فوائد لفظية ومعنوية مقسم الى دروس لها تمارين تلائم طلاب هذه اللغة من ابناء هذا القطر

﴿ دروس الفقه ﴾ ان لمحيي الدين افندي الخياط الكاتب المعروف في بيروت عناية خاصة في تأليف الكتب المدرسية في المواضيع الهامة . وقد ذكرنا مؤلفاته المدرسية في التاريخ الاسلامي والصرف والنحو . وبين يدينا كتابه في دروس الفقه وهو يشتمل على ثلاثة فصول في ٣٤ درساً فصل فيها عقائد الاسلام واحكام العبادات على الطريقتين العقلية والنقلية مع السهولة والدقة ويطلب من المكتبة الاهلية في بيروت

﴿ روزنامة سيدة التلة وتقويمها ﴾ صدرت روزنامة سيدة التلة وتقويمها لسنة ١٩١٣ بقلم الاب افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني وتطلبان منه في دير القمر لبنان

﴿ تذكار اليوبيل ﴾ كتاب وضعه رزق الله افندي نعمة الله عبود في سيادة المطران اثناسيوس عطا الله متروبوليت حمص وتوابعها للروم الارثوذكس بمناسبة مرور ٢٥ سنة منذ تولى مطرانيــة حمص . ضمنه تاريخ ابرشية حمص وترجمة سيادة المطران واعماله ومشاريعه الخيرية وحفلة يوبيله وما قدم له من الهدايا والتهاني . والحق يقال ان افضال سيادته العمرانية في بلاد حمص على الخصوص واثار همته وغيرته في نفوس الطائفة الارثوذكسية على العموم اشهر من ان تعرف . فانه قدوة الرؤساء في السهر على مصلحة الرعية من الوجهة الاجتماعية التعليمية بانشاء المدارس والجمعيات والجرائد . وبث روح النشاط وتربية النفوس وتهذيب الاخلاق . وقد عرفنا ذلك فيه منذ انشأنا الهلال ولا يزال مثابراً عليه الى الآن . فهو جدير باحتفاء رعيته وغيرهم من ابناء الوطن السوري . وبين ادباء الناشئة السورية طائفة حسنة من ثمار غرسه جزاه الله خيراً

﴿ الدين والاسلام او الدعوة الاسلامية ﴾ صدرت الطبعة الثانية من الجزء الاول لهذا الكتاب بقلم محمد افندي الحسيني آل كاشف الغطا النجفي . ويشتمل على سوانح في الاسلام وابحاث في اثبات الصانع ومزايا العدل ومباحث في القضاء والقدر وغير ذلك ويطلب من مطبعة العرفان بصيدا (سوريا) وثمن الجزء ١٢ غرشاً

الهلال

الجزء الخامس من السنة الحادية والعشرين

اول فبراير (شباط) سنة ١٩١٣ و٢٤ صفر سنة ١٣٣١

جبل لبنان

تاريخه ونظاماته

وأحواله السياسية والاجتماعية والاقتصادية

نظراً لتحدث الناس في نظام لبنان بمناسبة تجديد متصرفه ومنحه بعض المطاليب رأينا ان نبسط للقراء اصل ذلك النظام وماهيته مع فذلكة تاريخية لما تقدمه من الاحوال وما يرجى له من الخير اذا اعطى ما يطلبه

حدوده وسطحه

اختلفت حدود لبنان باختلاف الاعصر . كان هذا الاسم قديماً يشمل لبنان المعروف الآن وما يحيط به من السهول او المدن في الجهات الاربع مع جبل برجل الذي كان يقيم فيه الاسماعيلية في الشمال ويعرف بجبل النصيرية . فكان يراد بلبنان في ذلك العهد جزيرة ارواد وسهل طرطوس وقضاء حصن الاكراد وسنجق حماه وعكار والزاوية والضنية وطرابلس والكورة وبشري والقويطع والبترون وجبيل والمنيطرة والفتوح وكسروان والقاطع والمتن وساحل بيروت والمغرب والشحار والجرد

والمقاصف والعرقوب والشوف واقليم الخروب وجزين وزحلة واقليم التفاح وصيدا وجبل الريحان وشومار وصور وعكا وبلاد الشقيف وبلاد البشارة وصفد ومرجعيون والحولة ووادي التيم والبقاع وبعلبك وحمص وجبل القلمون ووادي بردى ودمشق والغوطة ووادي العجم واقليم البلان والجيدور . ويشتمل ذلك الان على ولاية بيروت ومعظم ولاية سوريا وبعض ولاية حلب ومتصرفية القدس فضلاً عن الجبل نفسه

ثم تقاص ظله شيئاً فشيئاً حتى انحصر بلبنان نفسه . وهو لبنانان الشرقي والغربي وبينهما سهل البقاع وما يليه شمالاً الى حمص وجنوباً الى وادي التيم وحاصبيا

ثم انحصر في لبنان الغربي وخرج الشرقي والبقاع من حدوده فاصبح محصوراً بين متصرفية طرابلس من الشمال ومتصرفية صيدا من الجنوب . وبين البقاع او ولاية سوريا من الشرق والبحر المتوسط من الغرب . لا يزيد طوله من الشمال الى الجنوب على مئة ميل في عرض نحو اربعين ميلاً . ولا تزيد مساحته على ٥٧٤٠ كيلومتراً مربعاً اكثرها جبال جرداء

واختلف عدد سكانه طبعاً باختلاف الاعصر واختلاف تلك الحدود . فكان اللبنانيون قديماً اكثر من عشرة ملايين نفس واخذوا يتناقصون حتى اصبحوا لا يزيدون على نصف مليون

وبعد ان كان جبلهم يعول بضعة ملايين من الناس عجز عن اعالة بعض المليون فاضطر اهله الى المهاجرة يلتمسون الرزق واصبح اللبناني مضرب الامثال في علو الهمة والنشاط والضرب في الارض الى اربعة اقطار العالم

فاللبنانيون منتشرون الآن في اوربا واميركا وفي افريقيا واوستراليا وزيلاندا وفي الشرق الاقصى الى الصين واليابان وجزائر المحيط فضلاً عن الشرق الادنى والمغرب الاقصى . وهم مثال العمل بهمة واخلاص ولذلك كان النجاح رفيقهم حيثما حلوا وفي اي عمل تعاطوه في الادب أو الصناعة او التجارة أو الادارة . وأرى جماعة كبيرة منهم في مصر واوربا واميركا وصاروا يعدون من كبار التجار واصحاب المعامل . واقتنوا الارضين واستثمروها حتى اصبحت ثروة بعضهم تقدر باموال لبنان كلها . ومع ذلك فهم كثيرو الحنو الى اوطانهم يجاهدون في سبيل حريته واستقلاله بالاموال والاقلام . وبين المطالبين بحقوق لبنان اليوم جماعة كبيرة من اللبنانيين المقيمين في مصر واوربا واميركا يؤلفون الوفود وينشئون المقالات ويبذلون الاموال في هذا السبيل

تاريخ لبنان

لبنان قديم وتاريخه طويل يضيق عنه هذا المكان فنقتصر على اجمال يفي بالغرض المراد من هذه المقالة فنذكر اولاً اصول اهل لبنان ثم تاريخه حسب العصور

اصول اللبنانيين وتاريخ لبنان الى الفتح الاسلامي

اقدم الامم اللبنانية التي ادركها التاريخ : (١) الفينيقيون : عمروا لبنان وسوريا في نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وقد خلفوا فيه آثاراً لا تزال ناطقة بذكائهم وعلو همتهم . وهم مخترعو الاحرف الهجائية التي تفرعت عنها الكتابات المشهورة في العالم المتمدن كله . ومنها نقوش كثيرة على صخوره وآثاره في جبيل وصيدا وصور وعلى النواويس والقبور في المتاحف وغيرها

(٢) الاراميون : وقد توطنوا سوريا ولبنان من أقدم ازمنة التاريخ ومن فروعهم السريان والكلدان . واكثر اسماء القرى اللبنانية والمدن لا تزال محفوظة بلسانهم الى الآن

(٣) الحثيون : كانوا أمة ضخمة عثروا على آثارها في جهات حمص وزنجرلي وغيرهما حاربهم المصريون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وكانوا يقيمون في سوريا ولبنان وآسيا الصغرى

(٤) العرب : نزل العرب لبنان وسوريا من أقدم أزمنة التاريخ . وانشأوا فيه دولاً قديمة وتوالى نزولهم فيه لاسباب مختلفة أكثرها طلب التحضر أو الفتح أو لمجرد الالتجاء أشهرها قدومهم للفتح في صدر الاسلام وانتقالهم اليه من ذلك الحين قبائل وبطوناً وعشائر . ثم أصبح لبنان مباء للنازحين ومأمناً للخائفين في الاجيال الاسلامية الوسطى بعد اكتساح المغول واستبداد دول الاعاجم أو هجوم الفاتحين . فاذا وصل الفاتح الى حوران او الشام وخاف أهلها على أنفسهم لجأوا الى لبنان . وآخر نزحاتهم الكبرى في ايام السلطان سليم لما جاء لفتح سوريا (سنة ١٥١٦) فان كثيرين من عرب حوران نزلوا غربي لبنان وجنوبيه واليهم ينتسب اكثر العائلات الارثوذكسية هناك

(٥) المصريون : فتحوا سوريا في القرن الرابع عشر ولم يختلطوا باللبنانيين لكنهم حكموا لبنان وكانت لهم علائق سياسية استدلوا عليها من بردي وجدوه في تل العمارنة فيه مخابرات من امراء صور وصيدا وبيروت وغيرها تدل على خضوعهم لفرعون . ومن آثار المصريين في لبنان نقوش هيروغليفية على ضفة نهر الكلب تقدم فيها القرابين للاله فتاح . وتمثال مصري يمثل فرعوناً يقرب القرابين لرع اله الشمس وآخر

مع الاله عمون . مما أمر بنقشه رعمسيس الثاني فاتح سوريا يصف بها غزواته

(٦) الاشوريون : وهؤلاء قلما اختلطوا بالاهلين لكنهم فتحوا لبنان في القرن الثاني عشر والقرن الثامن قبل الميلاد وغيرهما وخلفوا آثاراً منقوشة عند نهر الكلب

(٧) الفرس : فتحوا سوريا ونزل بعضهم هناك على أثر الاشوريين ولم يطل مقامهم

(٨) اليونان : فتحوا سوريا على يد الاسكندر المكدوني وانشأوا فيها دولة السلوقيين وتكاثر نزوح اليونانيين الى سوريا من ذلك الحين ونزل جماعة منهم في لبنان ومن آثارهم نقوش يونانية في اماكن كثيرة

(٩) الرومان : فتحوا سوريا في القرن الاول قبل الميلاد وحكموها وقد تقدم لبنان في عهدهم تقدماً حسناً . وخلفوا فيه آثاراً كثيرة من الهياكل والقصور عليها النقوش والكتابات على عادتهم في آثارهم حيثما حلوا . يكفي قلعة بعلبك وقد وصفناها في السنة ١٩ من الهلال . وعمروا القرى وغرسوا الكروم وانشأوا الطرق الثابتة بالاحجار الضخمة

تلك هي اشهر الامم التي اختلطت باللبنانيين قبل الفتح الاسلامي . اما بعد الفتح فقد نزح اليهم الترك والشركس وغيرهما من الامم التي أيقظها الاسلام . على ان نزوح العرب واليونان ظل متواصلا بعد الاسلام ولا يزال حتى الآن

تاريخ لبنان بعد الفتح الاسلامي

ان الفتوح الاسلامية هزت اعصاب العالم وغيرت حظوظ الامم . فرفعت اقواماً وحطت آخرين وايقظت أمم الشرق من رقدتها فتنبهت القرائح وعمد الناس الى المهاجرة أو الفتح . فتمازجت الاصول وتصادمت المطامع فنشأت دول جديدة وتشكلت أمم جديدة . وكان للبنان حظ وافر من ذلك الاختلاط بمن نزح اليه من العشائر والقبائل أو غيرهم أو نشأ فيه من أصحاب المطامع . فاصبح أهله طبقتين (١) الخاصة أو الحكام أصحاب الامر والنهي وهم العشائر (٢) العامة أهل الحرث والخدمة . واستقلت تلك العشائر بالسلطة كل عشيرة في أقليم يتوارث الحكم عليه كبارها من الامراء أو المشائخ وفيهم النصارى والدروز والمسلمون . وكثيراً ما تنازعت تلك العشائر وتخاصمت . وأهم حوادث لبنان بعد الاسلام عبارة عن أخبار التنازع بين امرائها بتوسط الدول المعاصرة أو بدون توسطها مما يطول شرحه . وحباً بالاختصار والايضاح نقسم العشائر التي حكمت لبنان كله أو بعضه الى قسمين كبيرين : الامراء والمشائخ وفيهم النصارى (الموارنة) والدروز والمسلمون . وهذا جدول لاسماء تلك العشائر واجناسها وانسابها واوائل ظهورها في التاريخ

اشهر عشائر لبنان التي ظهرت بعد الاسلام

الامراء

(النصارى)

١ المردة ظهروا نحو سنة ٦٥٠م
٢ بنو شهاب (عرب) سنة ٦٣٣ م
٣ « اللمع « ١٦٥٠ م

(الدروز)

٤ بنو تنوخ القيسية (عرب) ٨٢٢ م
٥ « اليمنية « ١٦٣٠
٦ « بنو ارسلان « ٧٥٩

(المسلمون)

٧ بنو معن (عرب) ١١١٩
٨ « عساف (تركمان) ١٣٠٧
٩ « سيفا (اكراد) ١٥٢٨
١٠ سكان راس نحاش « ١٥٥٨

المشائخ

(النصارى)

١ بنو الخازن (لبنانيون) ١٥٤٥
٢ « حبيش « ١٥١٥
٣ « الظاهر « ١٧٦٠
٤ « الصالح « ١٧١١
٥ « الدحداح « ١٧٠٠
٦ « ابي صعب « ١٦٠٠

(الدروز)

٧ بنو جنبلاط (اكراد) ١٥٧٢
٨ « العماد (الموصل) ١٦٦٠
٩ « نكد (عرب) ١٧١١
١٠ « تلحوق « ١٦١٠
١١ « عبد الملك « ١٧١١

(المسلمون)

١٢ بنو حماد (عجم) ١٤٨٨
١٣ « آل حصن الدين (حلب) ١٣٨٣

تلك هي العشائر التي تولت السيادة في لبنان يضاف اليها طبقة من العشائر تعرف بالمقدمين إشهرهم بنو الشدياق ظهروا سنة ١٥٧٤ م غير البيوتات من اهل الثروة والنفوذ ممن لم يحكموا

واكثر هذه العشائر كانت سيادتهم محصورة في مقاطعات من لبنان . على ان بعضها تمكنت من اخضاع سائر العشائر او معظمها وتولت الامارة العامة بامر من السلطان أو الملك صاحب الشام او بدونه . فنكتفي هنا بالاشارة الى العشائر أو الولاة الذين تمكنوا من السيادة الرسمية على لبنان . ونقسم ذلك الى ادوار الاول من الفتح العربي في صدر الاسلام الى الفتح العثماني سنة ١٥١٦ والثاني من الفتح العثماني الى استقلال لبنان الاداري سنة ١٨٦١ والثالث من استقلاله المذكور الى الآن

١ ـ تاريخ لبنان من الفتح العربي في صدر الاسلام الى الفتح العثماني سنة ١٥١٦

لم يخضع لبنان للعرب خضوعاً تاماً مدة طويلة ولا عني العرب باخضاعه لما في ذلك من المشقة بلا جدوى فظل مستقلاً بنفسه فعلاً وان دخل بالاسم في سيطرة الدول التي تولت سوريا بعد الفتح الاسلامي . كان معدوداً من المملكة الاموية الى سنة ١٣٢هـ ثم لمملكة العباسية فالطولونية فالاخشيدية فالفاطمية فالسلاجقة فالاتابكة فالايوبية فالسلاطين المماليك الى الفتح العثماني . لكنه كان خاضعاً بالفعل لامارات تنازعت السيادة فيه اهمها ثلاث وهي : (١) المردة (٢) التنوخيون (٣) بنو عساف التركمان . ولم يكن سلطانهم عاماً على لبنان كله الا نادراً

المردة

فالمردة اختلف المؤرخون في حقيقتهم والارجح انهم قوم انزلهم الروم لبنان في اواسط القرن السابع للميلاد لمشاغلة العرب ورد هجماتهم عن سوريا . وكانوا يقيمون في شمالي لبنان فيهم كالجند المأجور . ذكروا انهم كانوا عند قدومهم ١٣ ٠٠٠ مقاتل غير الاولاد والنساء يشتغلون باستثمار الارض فاذا مست الحاجة الى حرب تجندوا لها . اما اصلهم فيقال انهم من ارمينيا أو اسيا الصغرى ولهم امراء توارثوا الملك ذكرهم صاحب اخبار الاعيان في جبل لبنان . ولهم مع العرب وقائع مختلفة وخلفوا آثاراً بنائية من القلاع ونحوها وتوالت السيادة فيهم الى زمن الصليبيين فكانوا اعواناً للافرنج في حروبهم وحاربوا جنود السلاطين السلجوقية والايوبية والمماليك مراراً . والمظنون انهم ظلوا حاكمين الى القرن الثامن عشر ثم انقرضوا

التنوخيون

والتنوخيون ويعرفون بامراء الغرب عربٌ ينتسبون الى ابن ماء السماء صاحب الحيرة . جاء بطن منهم بعد الاسلام فقطن البادية بين حلب ومعرة النعمان ثم رحل منهم جماعة الى غربي لبنان في اوائل القرن التاسع للميلاد فراراً من استبداد والي حلب واميرهم اسمه تنوخ ايضاً اقام في حصن سرحمور . واول من ظهر بالسيادة منهم رسمياً بحتر بن علي في زمن مجير الدين سلطان دمشق من الاتابكة البورية سنة ١١٤٧ فكتب الى بحتر ان يبقى على الرسوم المستمرة في القرى المنسوبة اليه في الغرب وحذره من

الخلاف فهو تثبيت له على الامارة وان كان في غنى عن تثبيته لكن السلاطين يفعلون ذلك للاستعانة بهؤلاء الامراء عند الحاجة الى الحرب . ثم صارت سلطنته دمشق الى نور الدين الشهير وقد ناهضه الافرنج فكان من جملة مساعيه في دفعهم انه عهد الى كرامة بن بحتر المكنى زهر الدولة سنة ١١٦٠ م بولاية القنيطرة وجليايا في البقاع والظهر الاحمر في وادي التيم وبرجا والمعاصر الفوقية والدامور وشارون ومجدل بعنا وغيرها وعين له علائف لاربعين فارساً . فابلى كرامة بلاء حسناً في محاربة الافرنج فنقموا عليه . وبعد وفاته احتالوا على اولاده فدعاهم صاحب بيروت الافرنجي الى وليمة وقتلهم وحمل رجاله على حصن سرحمور فنهبوه وهرب من كان فيه من التنوخيين . وانما نجا منهم غلام اسمه حجي صارت الامارة اليه . فلما جاء صلاح الدين الايوبي وفتح بيروت ولاه مكان ابيه واقطعه بلاداً كثيرة . وظل هذا واعقابه انصاراً للايوبيين والسلاطين المماليك . واشتهر غير واحد منهم بالشجاعة والدهاء وحاربوا الافرنج وغيرهم . وانقسم التنوخيون في اثناء ذلك الى حزبين يعرفان بالقيسية واليمنية وكان حكام لبنان الذين ذكرناهم من القيسية . لكن طائفة منهم انفردت عنهم في اول القرن الرابع عشر عرفت باليمنية من زعمائها علم الدين بن سليمان تبرأ من تنوخ القيسية وحضر حصار بغداد مع السلطان مراد سنة ١٦٣٨ م فانعم عليه بولاية الشوف وتوالى الحكم في بعض اعقابه الى اوائل القرن الثامن عشر فانقرضوا . أما القيسية فذهبت دولتهم سنة ١٦٣٣

بنو عساف

وأما الامراء من بني عساف التركمان فاول امرهم يبدأ من سلطنة الملك الناصر محمد سنة ١٣٠٧م من السلاطين المماليك البحرية . وكان اولئك الامراء يقيمون في الكورة فامرهم السلطان المذكور أن ينزلوا ساحل كسروان ليحافظوا عليه من الافرنج . وكان دركهم من حدود انطلياس الى مغارة الاسد وجسر المعاملتين . فكانوا لا يؤذنون لاحد ان يمر على جسر نهر الكلب الا اذا كان معه ورقة الجواز من الوالي أو من أمراء الغرب التنوخية المتقدم ذكرهم . وكانت منازلهم في انطلياس وحراستهم في نهر الكلب الى برج جونيه . وقد جددوا عمائر وبساتين وجنائن في عين طورا وفي سنة ١٣٤٥ أمرهم الامير يلبغا الاتابكي ان يسكنوا بيروت مع العساكر الشامية للمحافظة عليها فلما جاء السلطان سليم العثماني سنة ١٥١٥ لفتح الشام وجرت الواقعة بينه وبين قنصو الغوري في مرج دابق مال الامير عساف التركماني الى العثمانيين . فلما تم الفتح للسلطان

سليم بمصر ولاه كسروان وبلاد جبيل . وسنة ١٥١٨ توفي عساف فخلفه ابنه الامير حسن . ثم قامت الخصومة بين اعقابهم على الامارة وانتهى امرهم اخيراً على يد يوسف باشا سيفا الكردي في عكار سنة ١٥٩٠ ولم يطل سلطان آل سيفا هؤلاء فانتهت امارتهم في أواسط القرن السابع عشر

٢ — تاريخ لبنان من الفتح العثماني سنة ١٥١٦ الى استقلاله الاداري سنة ١٨٦١

لما قدم السلطان سليم لفتح سوريا كان في لبنان امارات عديدة من العشائر المتقدم ذكرها وأهمها يومئذ الامراء التنوخيون في الغرب وعليهم زعيمان أحدهما الامير جمال الدين من حزب اليمنية وآخر من حزب القيسية . والامير عساف التركماني في كسروان والامير فخر الدين المعني في ما بين ذلك . فانحازوا جميعاً الى العثمانيين الا التنوخيين القيسيين فانهم ظلوا على ولاء المماليك المصريين . فلما تم الفتح للسلطان سليم بعث الى الامراء الذين نصروه فاعجبه الامير فخر الدين المعني وفتن بفصاحته وأحبه ولقبه بسلطان البر وولاه الشوف . وهو الامير فخر الدين الاول تمييزاً له عن فخر الدين الثاني او الكبير الآتي ذكره . وولى الامير جمال الدين اليمني الغرب . وجعل الامير عساف التركماني على بلاد جبيل وكسروان . وكانت لبنان في أشد الاضطراب بسبب الفتن قبيل الفتح فعدُّوا قدوم العثمانيين فرجاً وراحة . واستتبت الاحوال وتغلب الامراء المعنيون على سواهم حتى صارت الامور اكثرها اليهم وهم أقدم العشائر التي عمت سلطتهم على لبنان بعد الفتح العثماني

الامراء المعنيون

يتصل نسبهم بربيعة بن نزار من عدنان ويقال لهم الايوبيون أيضاً نسبة الى ايوب بعض أجدادهم . رحلوا الى لبنان في زمن لا يعرف أوله لكنهم تكاثروا وكانوا عوناً للمسلمين على الافرنج في أثناء الحروب الصليبية . وقد حاربوا مع المسلمين في البقاع وانطاكية والسواحل وحاربوا من عاصرهم من الامراء التنوخيين وغيرهم . ولم يظهروا وتتأيد سيادتهم الا بعد الفتح العثماني . وأولهم الامير فخر الدين الأول وكان شجاعاً فلم يمض يسير حتى اصبح لبنان كله من حدود طرابلس الى ضواحي يافا خاضعاً له فتوفي سنة ١٥٤٤ وخلفه ابنه قرقماز . واتفق سنة ١٥٨٤ ان اموالاً كانت مرسلة الى السلطان العثماني مرت بلبنان فنهبت في جون عكار فوقعت التهمة على آل سيفا الاكراد المتقدم ذكرهم لانهم في تلك الناحية . فبعث ابراهيم باشا والي مصر يومئذ الى الامير قرقماز المعني ان يبحث عن الناهبين وأرسل جنداً عظيماً لمقاصة المذنبين وهدَّد قرقماز .

نخاف وفرّ الى جزين وتوفي هناك وله ولدان صغيران أحدهما يسمى فخر الدين أيضاً فاحتضنهما خالهما الامير سيف الدين التنوخي ورباهما . ولما هدأت الاحوال وشب فخر الدين صارت الامارة اليه على بلاد الشوف واشتهر بالدهاء والبسالة وحارب آل سيفا وتغلب عليهم مراراً وهو فخر الدين الثاني او الكبير وفي ايامه امتدت امارة لبنان جنوباً الى حدود العريش وشمالاً الى حدود حلب وسميت عربستان

وكانت طرابلس قد صارت ولاية عثمانية عليها وال اسمه علي باشا جنبلاط تمتد ولايته الى حلب حدثته نفسه بالاستقلال فحاربته الدولة وظفرت به . وكان الامير فخرالدين قد عرف بصداقته فخاف على مركزه واسترضى الوزير بهدية فرضي . وانعم على ولده بسنجقية بيروت وصيدا وغزير . فاخذ اعوانه يسعون فيه عند الدولة وانه يتحصن للخروج عليها . وكان قد تعرف في بيروت الى بعض أهل البندقية وهم يومئذ اصحاب التجارة في الشرق . فلما تحقق الخطر المحدق به من الدولة جمع أمراءه ورجاله واستشارهم في الامر فعلم انهم لا ينصرونه عليها . فاضطر الى الفرار بحراً الى أوربا في سفن البنادقة . وكان قد عرف آل مديتشي أمراء فلورنسا فنزل عندهم فاكرموا وفادته وانزلوه في ليفورنو. وكان لنزول ذلك الامير العربي هناك تأثير كبير وكثرت الاقاويل في أمره. واغتنم الطامعون بالفتح وجوده هناك وأرادوا الاستعانة به على مناوأة الدولة وهو لا يجيبهم . وتسابقوا الى اكرامه فدعاه ملك الاسبان لزيارته فزاره وأقام عنده سنة ثم عاد الى توسكانا وقد تاقت نفسه الى الاوطان فاستأذن في الرجوع اليها ورجع بعد غياب خمسة أعوام

وكان الامراء الشهابيون قد استتب لهم الامر في وادي التيم وهم حلفاء الامير فخر الدين فحاربتهم جنود الشام سنة ١٦٣٢ فاستنجدوه فانجدهم وانتصروا على جنود الدولة . فعمدت الدولة الى قهره بمساعدة آل سيفا الاكراد فهاجموه براً وبحراً فانهزم المعنيون من بيروت وصيدا . وتكررت المحاربات في نحو هذا المعنى فانتهى الامر بتغلب الدولة فقتلت الامير فخر الدين وأولاده وفاز آل سيفا وأخذ نفوذ المعنيين بالزوال . واهتمت الدولة بمناهضة الشهابيين والمعنيين جميعاً وساعدها أعداؤهما من العشائر اللبنانية وانتهت المناهضة بفرار الشهابيين من وادي التيم فدخلت هذه البلاد في ولاية الشام وصارت سنجقية . وتوفي الامير أحمد المعني آخر آل معن سنة ١٦٧٩

فلما انقرضت هذه الاسرة اجتمع مشائخ لبنان من المقاطعات السبع وتشاوروا في من يتولى حكومتهم . فقر رأيهم على أن يصير الامر الى بني شهاب وأولهم الامير بشير الشهابي (الاول) وهو أول من حكم لبنان من الشهابيين

الامراء الشهابيون

والشهابيون اشهر العشائر اللبنانية يرجعون بنسبهم الى مالك بن الحارث الملقب شهاب من قبيلة مرة بن كعب من قريش . وكان مالك وابوه في جملة الحملة التي انفذها ابو بكر سنة ٦٣٣ م تحت لواء ابي عبيدة لفتح الشام فحاربوا في اجنادين واليرموك ومرج الصفر . ثم حاصروا دمشق فقتل الحارث في اثناء الفتح . واقام ابنه مالك في حوران بامر الامام عمر بن الخطاب مع عشيرته واهله . ويقال في سبب تلقب مالك هذا بشهاب ان امه كانت من ذرية شهاب بن عبدالله بن الحرث بن زهرة القرشي فقيل لذريته بنو شهاب . وتوالت الامارة في اعقابه ولهم مواقع في التاريخ لا محل لها هنا . وقد رأيت انهم كانوا حكاماً في وادي التيم واضطروا اخيراً للفرار منها الى لبنان . فلما انقرضت دولة آل معن انتقلت امارة الجبل اليهم واولهم الامير بشير المتقدم ذكره لانه ابن اخت الامير احمد المعني . وكان الامير بشير عادلاً مات سنة ١٧٠٧ فخلفه الامير حيدر

وكان اهل الجبل يومئذ حزبين يعرفان بالقيسية واليمنية كما تقدم فاضعف حزب اليمنية . ثم انقسم الجبل الى حزبين آخرين يعرفان بالجنبلاطية واليزبكية واستحكمت العداوة بين هاتين الفرقتين فصار الجبل لا يخلو من حروب بينهما . وكان هناك حزب ثالث يقال لهم النكدية على الحياد ينحازون الى احد الحزبين حسب الحاجة . ومع ذلك فالامير حيدر تسلط عليهم جميعاً

ولهذا الامير حروب مع المتاولة والامراء اليمنيين مشهورة . وفي ايامه انقرض اليمنيون وخلفهم بنو اللمع لان الامير حيدر قدمهم وولاهم المقاطعات . وقدم ايضاً آل نكد وآل تلحوق ومنحها لقب شيخ فصاروا من المشائخ . وللامير حيدر اخبار كثيرة وتوفي سنة ١٧٣٢ فخلفه ابنه الامير ملحم وحارب المتاولة وغيرهم مراراً فوقعت هيبته في قلوب الناس

وتوالت امارة لبنان في بني شهاب . وكانت لبنان في عرف الدولة عبارة عن سنجق الشوف التابع لايالة صيدا وهو يشتمل على سبع مقاطعات : الشوف والمناصف والعرقوب والجرد والمتن والشحار والغرب . وفي كل مقاطعة عشيرة تحكم فيه فكان في الشوف بنو جنبلاط وفي المناصف بنو ابي نكد وفي العرقوب الاعلى بنو العبد وفي العرقوب الادنى بنو العماد وفي الجرد بنو عبد الملك وفي المتن بنو اللمع وفي الغرب الاعلى بنو تلحوق وفي الغرب الادنى بنو ارسلان . وكان كل منهم متصرفاً في مقاطعته وهذه العشائر كلهم دروز وبسبب استيلائهم على هذه البلاد اطلق عليها اسم بلاد الدروز .

وربما قبل جبل الدروز . ثم ان بني ابي اللمع تنصروا بعد ذلك

وكانت المقاطعات الداخلة في حكومة الجبل في الجانب الغربي من لبنان اقليم الخروب واقليم التفاح واقليم جزين . وفي الجانب القبلي جبل الريحان مع البقاع وفي الجانب الشمالي كسروان والفتوح وبلاد جبيل وبلاد البترون وجبة المنيطرة وجبة بشري والكورة والزاوية . فالجانب الغربي يتصرف فيه المشائخ . اما الجانب القبلي وبلاد جبيل والبترون فيتصرف فيها الامير الشهابي رأساً . ينصب المأمورين ويرسلهم اليها . واما كسروان فكان يحكم فيه مشائخ بني الخازن وجبة المنيطرة مشائخ بني حماده والكوره الفوقانية مشائخ بني العازار والزاوية مشائخ بني الظاهر



الامير بشير الشهابي الكبير

وانتهت امارة لبنان في آخر القرن الثامن عشر الى الامير بشير الثاني المعروف بالكبير (حكم من سنة ١٧٨٨ — ١٨٤٠) وقد ترجمناه في كتابنا « تراجم مشاهير الشرق » وفي أواخر ايامه حمل ابراهيم باشا بن محمد علي على الشام وفتحها وكان الامير بشير نصيراً له على الدولة . واوشك ابراهيم ان يفتح الاستانة وينشيء سلطنة اسلامية كبرى فوقفت الدول في وجهه واضطرته الى الانسحاب من الشام سنة ١٨٤٠ بعد ان تولاها تسع سنين . ونفي الامير بشير الى الاستانة وانتهى اجله خارج وطنه

اما لبنان فصارت الامارة فيه الى الامير بشير قاسم (الثالث) ووقعت بينه وبين الدروز نفرة أفضت الى تآمرهم عليه وحاصروه في دير القمر سنة ١٨٤١ فحدثت فتنة عرفت بالحركة الاولى . واخذت الدولة تسعى في اخضاع لبنان لشوكتها مثل سائر

ولاياتها . فبعثت مندوباً كاشفهم في الامر على ان يتولى الجبل والٍ من رجال الدولة . فابى النصارى ان يتولاهم غير الشهابيين . واما الدروز فقبلوا فولت عليهم عمر باشا الشهير سنة ١٨٤٢ فاحسن السياسة مع النصارى وقدمهم فنقم الدروز عليه ومعهم بعض المسيحيين . وعادوا فطالبوا تعيين احد الشهابيين حاكماً واشترطوا شروطاً اخرى واستخدموا القوة ففازوا اولاً ثم استعد عمر باشا وحاربهم وفتك فيهم

وتوالت الفتن بعد ذلك وقد انقسم اللبنانيون فيما بينهم الى احزاب تجتمع تحت حزبين كبيرين : النصارى والدروز . فجرت بينهما حرب اهلية سنة ١٨٥٥ تعرف بالحركة الثانية . وبعد خمس سنوات حدثت الحركة الاخيرة المعروفة بحادثة ستين لانها جرت سنة ١٨٦٠ رافقتها المذابح في دمشق وحاصبيا ولبنان وجرت فيها الدماء مما تقشعر له الابدان . وكانت الخسارة معظمها على المسيحيين . ويقدر عدد قتلاهم باحد عشر الف نفس . فبعثت الدولة فؤاد باشا الصدر الاعظم لمقاصة المذنبين فاعدم جماعة من وجهاء الشام ونفى آخرين

٣ ــ لبنان بعد استقلاله الاداري

من سنة ١٨٦١ ــ الآن

وكانت فرنسا تعد نصيرة المسيحيين في الشرق فقصدت للاخذ بناصرهم بعد هذه المذابح فارسلت ٧٠٠٠ جندي برضى الدول وجاءت لجنة دولية تنوب عن فرنسا وانكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا وبحثت في ماجرى . فآلت تلك المفاوضة الى جعل لبنان امارة (متصرفية) مستقلة بادارتها تحت رعاية الدولة العثمانية وحماية تلك الدول بشروط وضعوها وصادقت الدولة عليها عرفت بنظام لبنان (في ٩ يونيو سنة ١٨٦١) هذا نصه :

نظام لبنان

١ يتولى ادارة جبل لبنان متصرف مسيحي تنصبه الدولة العلية ويكون مرجعه الباب العلي رأساً وهو يتحمل العزل وتعهد اليه كل حقوق القوة الاجرائية وعليه ان يتوفر على حفظ الراحة والنظام في الجبل كله وان يحصل التكاليف وبحسب الرخصة التي ينالها من لدن الحضرة الشاهانية ينصب تحت عهدته مأموري الادارة المحلية ويقلد الحكام القضاء ويعقد المجلس الكبير ويتولى رئاسته وينفذ الاعلامات القانونية الصادرة عن المحاكم ماعدا الامور التي ستذكر في المادة ٩ وكل عنصر من عناصر شعب الجبل يمثله لدى المتصرف وكيل يعينه الكبراء والوجهاء في كل طائفة

٢ ينبغي ان يكون للجبل كله مجلس ادارة كبير يؤلف من اثني عشر عضواً وهم : اثنان مارونيان واثنان درزيان واثنان من الروم الكاثوليك واثنان من الروم الارثوذكس واثنان من المتاولة واثنان من المسلمين . ويكلف هذا المجلس بتوزيع التكاليف والبحث في ادارة عوائد

الجبل ونفقاته وبيان آرائه الشورية في المسائل التي يعرضها عليه المتصرف كلها

٣ يقسم الجبل الى ست مقاطعات ادارية وهي : اولاً الكورة مع الجهة التحتية وقطع الارض المجاورة الآهلة بأقوام على مذهب الروم الارثوذكس ما عدا بلدة القلمون الكائنة على ساحل البحر ومعظم سكانها من المسلمين ثانياً الجهة الشمالية من لبنان ما عدا الكورة حتى نهر الكلب . ثالثاً زحلة وما يتبعها من الارض . رابعاً المتن ومعه ساحل النصارى واراضي القاطع وصاليما . خامساً الارض الكائنة في جنوبي طريق الشام وبيروت حتى جزين . سادسا جزين واقليم التفاح . ويكون في كل من هذه المقاطعات مأمور اداري يعينه المتصرف ويختار من الطائفة الغالبة سواء بعدد نفوسها او باهمية املاكها

٤ يجب ان يكون في كل مقاطعة مجلس ادارة محلي مؤلف من ثلاثة اعضاء الى ستة يمثل عناصر الشعب ومصالح الاملاك في المقاطعة ويجب ان يلتئم هذا المجلس مرة في السنة برئاسة مدير المقاطعة وبدعوة منه . وعليه ان ينظر قبل كل شيء في الامور القضائية الادارية ويسمع مطالب الاهلين ويؤدي المعلومات الاحصائية اللازمة لتوزيع التكاليف في المقاطعة. ويعطي رأيه الشوري في كل المسائل المتعلقة بالمنافع المحلية

٥ تقسم المقاطعات الى نواح على نمط قريب المشاكلة من تقسيم الاقاليم القديمة ولا يكون فيها على قدر الامكان الا جماعات موحدة الجنس من السكان . وتقسم النواحي الى جماعات تتألف من ٥٠٠ رجل على الاقل ويكون في كل ناحية مأمور يعينه المتصرف بانهاء مدير المقاطعة ويرأس كل جماعة او قرية شيخ ينتخبه الاهلون ويعينه المتصرف وفي الجماعات او القرى المختلطة يكون لكل عنصر كافي العدد من الشعب شيخ خاص لا شأن له الا مع ابناء مذهبه

٦ قد تقرر امر المساواة بين الجميع امام القانون والغاء كل امتيازات الاعيان ولا سيما امتيازات اصحاب المقاطعات

٧ يكون في كل ناحية قاضي صلح لكل طائفة ومجلس قضائي ابتدائي في كل مقاطعة يؤلف من اثني عشر عضواً بنسبة اثنين لكل طائفة من الطوائف الست المذكورة في المادة الثانية ويضاف اليهم عضو من المذهب البروتستانتي او الاسرائيلي كلما كان لاحد من هذه المذاهب مصلحة او دعوى وتكون رئاسة المجالس القضائية لكل من اعضائها بدوره كل ثلاثة اشهر

٨ لقضاة الصلح ان يحكموا في الدعاوي التي لا تتجاوز قدرها ٥٠٠ قرش حكماً غير مستأنف . واما الدعاوي المتجاوز قدرها ٥٠٠ فهي من صلاحية المحاكم الابتدائية على انه لو عرضت امور مختلطة وهي الدعاوي الواقعة بين اشخاص مختلفي المذاهب فمهما كانت قيمتها يجب عرضها لدى المحاكم الابتدائية الا اذا اتفق الفريقان على الرضى بصلاحية قاضي الصلح الذي على مذهب المدعى عليه ثم انه تبعاً للمبدأ يجب الحكم في كل دعوى باتفاق الآراء بين اعضاء المجلس . الا انه اذا كانت كل الفرق الداخلة في الدعوى تابعة لمذهب واحد فلهم ان يردوا الحاكم لاختلاف مذهبه غير ان الحكام المردودين من هذا الوجه لا بد من حضورهم المحاكمة

٩ تقتضي المحاكمة في الدعاوي الجزائية ان تكون على ثلاث درجات وهي ان ينظر في دعوى القباحة (المخالفة) قضاة الصلح وفي الجنح والجرائم المحاكم الابتدائية وفي الجنايات مجلس المحاكمة الكبير واما اعلامات الحكم الصادرة عن هذا المجلس فلا يمكن وضعها موضع التنفيذ ما لم تكمل المعاملات الجارية بها العادة في سائر الممالك المحروسة الشاهانية

١٠ كل دعوى تجارية ترفع لمحكمة التجارة في بيروت وكل دعوى ولو مدنية بين واحد

من ذوي التابعية الاجنبية او احد الداخلين في حماية اجنبيــة وبين آخر من اهل الجبــل ترفع الى المحكمة المذكورة

١١ كل اعضاء المحاكم ومجالس الادارة بلا استثناء وقضاة الصلح ايضاً ينتخبهم ويعينهم رؤساء طوائفهم بالاتفاق مع كبراء الطائفة وتنصيبهم الحكومة . واما اشخاص المجالس الادارية فيجدد انتخاب نصفهم كل سنة ويجوز تجديد الانتخاب للذين انتهت مدتهم

١٢ يجب ان يكون الحكام او القضاة باجمعهم موظفين وان اقدم احدهم على ارتكاب الرشوة او تبين بالتحقيق انه آتٍ ما لا يليق بصفة مأموريتــه فهو مستحق للعزل بل مستوجب للتأديب ايضا على قدر ذنبه

١٣ يجب في المجالس القضائية او المحاكم على الاطلاق ان تكون المرافعة علنية وان يعهد ضبط الدعوى الى كاتب مخصوص . وما عدا ذلك فاما كان هذا الكاتب مأموراً باتخاذ سجل لقيود الصكوك المختصة ببيع الاملاك الثابتة او العقار فلا يعمل بهذه الصكوك ما لم تقيــد على اصولها في السجل المذكور

١٤ ان المتهمين من اهل جبل لبنان بارتكاب الجرائم في غير الوية فرجع الدعوى عليهم هو اللواء الواقع فيه الجرم وكذا مرتكبو الجرم من اهالي سائر الالوية داخل نطاق جبل لبنان ينبغي ان تجري محاكمتهم والحكم عليهم بدعاوي جرائمهم في جبــل لبنان وبناء على ذلك فان المجترمين في جبل لبنان سواء كانوا من اهاليه الوطنيين او من نزلائه المعدودين من اهل ديار اخرى اذا فروا الى لواء آخر فكما ان على ضابطه ان يسلمهم بمقتضى الاشعار الوارد من قبل ادارة جبل لبنان ويسلمهم اليها كذلك على ادارة الجبل ان تقبض على الفارين اليه من المجرمين في احد الالوية لبنانيين كانوا او غير لبنانيين وتدفعهم الى اللواء المذكور بموجب اشعار ضابطه . ومأمورو الادارة الذين يتسامحون في اجراء الاوامر الصادرة باسترجاع امثال هؤلاء المتهمين الى المحاكم المنوطة بها دعاويهم او الذين يجيزون تأخيرات لا تكون اثبات بيانها على اسباب شرعية فتجري عليهم المجازاة بمقتضى القانون كسائر الذين يوارون ويخفون امثال هؤلاء المتهمين عن الحكومة . والحاصل ان العلاقات اللازم اجراؤها بين ادارة جبل لبنان والالوية المجاورة لها تكون كالمواصلات الجارية والمتخذة دستوراً للعمل بين سائر السناجق في ممالك الدولة العلية

١٥ ان سبيل المتصرف الى اقرار الراحة وانفاذ القوانين في الازمنــة العادية انما يكون بواسطة فرقة من الضابطة مجموعة من الاهلين بحسبان سبعة نفر تخميناً على كل الف من النفوس . ويجب نسخ سلك الحوالية وابطال نزول الضبطية على البيوت والاعتياض عن ذلك باسباب اكراهية كاشتياق المحكوم عليه الى السجن . فبناء على ذلك يمنع مأمورو الضبطية بقيد التأديبات الشديدة ان يصادروا اهل البلاد بشيء من الاجرة نقداً كان او عيناً ويجعل للضبطية ملبس رسمي او ازياء مميزة لهم في خدمتهم وان تبقى طرق بيروت والشام وصيدا وطرابلس تحت محافظة العساكر الشاهانية الى ان يصدق المتصرف على ان جند الضبطية صاروا اكفاء لاتمام جميع الوظائف المحمولة عليهم في الازمنة العادية وهذا العسكر يكون لدى المتصرف وبادارته . وللمتصرف ان يطلب من الحكومة العسكرية في سوريا الامداد بالجنود المنظمة في الاحوال غير العادية اذا دعت الضرورة بعد ان يستشير مجلس الادارة الكبير في ذلك . ويلزم الضابط المعين بالذات لرئاسة هذا العسكر ان ينظر مع المتصرف في تقرير التدابير الواجب اتخاذها وهو (اي الضابط الموما اليه) وان كان مختاراً ومستقلاً بامور العسكر المختصة كاجراء الحركات والنظامات الجندية الا ان عليه مدة وجوده

في الجبل ان يلزم معيية المتصرف ويجري العمل تحت عهدته . وفي حال اعلان المتصرف لرئيس العسكر وافادته رسمياً ان قد زال السبب الذي من اجله ورد العسكر الى الجبل يجب اخراجه منه

١٦ ان الدولة العلية تحافظ على حقها المعلوم بتحصيل مال الجبل الاميري المعين الآن ٣٥٠٠ كيس وذلك على يد المتصرف . على انه يجوز ابلاغ هذا القدر الى سبعة الاف كيس عند الامكان بحيث ان المال المتحصل يخصص بادئ بدء بادارة الجبل ونفقات منافعه العمومية فاذا فضل منه شيء رُدَّ الفاضل الى الخزينة . واذا اقتضت شدة الضرورة الى تحسين مجرى الادارة مزيداً على التكاليف المعينة فيرجع في تسوية المزيد الى الخزينة الجليلة ولكن من المقرر ان السلطنة السنية لاتقوم باداء مصاريف المنشآت العمومية وسائر النفقات غير العادية مالم يتقدم قبولها وتصديقها عليها

١٧ يجب تعجيل الشروع في احصاء نفوس اهل الجبل محلاً محلاً وملةً ملةً ومسح جميع الاراضي المزروعة تقرر واتفق عليه في بيرا في ٩ حزيران سنة ١٨٦١

(الامضاءات) : عالي — ه. بلور — لا فلت — بروكش اوستين — غوازلابانوف

وقد حصل بعض التعديل في هذا النظام بعد صدوره فتقرر ان لا يكون المتصرف الا من المذهب اللاتيني وان تكون مدته خمس سنوات يجوز تجديدها وجعلت مقاطعات الجبل سبعاً . وتعينت البلاد التي ينتخب منها اعضاء مجلس الادارة وتنظم الانتخاب وشروطه مع تعديل احوال الجندية واصلاح المحاكم وامتياز الرهبنات في ما بين رجالها من الدعاوي وغير ذلك . وقد صدر نظام شامل للاصل والتعديل سنة ١٨٦٤ في ١٨ مادة

على انك اذا تدبرت هذا النظام رأيته مبنياً على التقسيم الديني فهو لا يوافق روح هذا العصر فضلاً عن ابهامه ونقصه . ولذلك نهض اللبنانيون من بضع عشرة سنة يطلبون تعديله وبينوا مطالبهم بتقارير عديدة رفعوها الى الدولة العثمانية وسائر الدول . ولم يسمع صوتهم الا بالامس على اثر الحرب البلقانية فاعلنت الدولة انها منحت اللبنانيين مطالبهم . ولما ظهرت تلك المطالب لم يجدوا فيها شيئاً يستحق الذكر وخلاصتها : « ان المتصرف لا يجوز له الحكم على أحد أعضاء مجلس الادارة الا بموافقة المجلس بعد التحقيق . وأن يشترك المتصرف والمجلس في تقرير الميزانية . وأن تنظر المحاكم اللبنانية في الدعاوي التجارية من الدرجتين الاولى والثانية اذا كان اصحابها كلهم لبنانيين . وأن يتألف الجند اللبناني من ١٢٠٠ جندي . وان تمسح الأراضي وتحصى الانفس وتعدل الضرائب . وان ترسو البواخر في مرفأي جونيه والنبي يونس بناء على رغبة الحكومة الفرنساوية » وقد تقررت هذه المواد في ٢٣ دسمبر سنة ١٩١٢ مع تعيين المتصرف الجديد بتواقيع الباب العالي ونواب الدول الموقعة على نظام لبنان . وليست هذه المواد كل ما يطلبه لكنهم استبشروا بالاستجابة وتوسموا الحصول على المطالب الاخرى ومن اهمها ان يلحق البقاع بالجبل

ولاة لبنان بعد استقلاله

وتوالى على الجبل منذ وضع نظامه الجديد حتى الآن ثمانية متصرفين لكل منهم شأن خاص وقد أدخل بعضهم شيئاً من التعديل في أحواله : اولهم داود باشا من سنة ٨٦١ — ١٨٦٨ وهو أرمني الاصل . وفي أيامه حدثت فتنة يوسف بك كرم الاهدني . وكان فؤاد باشا لما جاء للبحث عن سبب المذابح علم أن يوسف كرم له يد في حماية الذين نجوا من المذابح وانه ذو سطوة ومعه ٣٠ الف نسمة من أهل جونيه . فعهد اليه بقائمقامية النصارى . فلما تولى داود باشا قدم يوسف كرم استعفاءه من منصبه وأبدى ملاحظات أغضبت الباشا فاسمع يوسف كرم ما لا يرضيه فانتشبت بسبب ذلك فتنة جرت فيها حروب عديدة انتهت بتداخل الدولة وخروج يوسف



يوسف بك كرم

كرم من سوريا الى فرنسا . ثم انتقل الى تونس وتوفي في ديار الغربة ونقلت جثته الى لبنان . وكان شجاعاً باسلاً لا يزال أهل سوريا يمثلون بشجاعته الى الآن

ورأت الدولة من الجهة الاخرى أن داود باشا ينزع الى الاستقلال بلبنان فعزلته

تخلفه فرنكو باشا الحلبي اللاتيني من سنة ١٨٦٨ — ١٨٧٣ وفي أيامه تم سلخ البقاع عن لبنان وألحق بولاية سوريا . وكان البقاع داخلاً في حكومة لبنان من زمن بني معن وبني شهاب الى حادثة ستين فلما سنت الدول نظام لبنان المتقدم ذكره لم تذكر البقاع في حدوده ولكن المفهوم أن جانباً منه كان معدوداً من لبنان الى نهر الليطاني شرقاً ونهر القاسمية جنوباً . فاراد داود باشا ان يوسع دائرة لبنان بضم وادي التيم ومرج عيون وبيروت اليه وسعى في ذلك فاتهمته الدولة وعزلته وصارت تنظر الى امارة لبنان بعين الحذر . وأخذت في التضييق من مساحتها كلما سنحت الفرصة فسلخت البقاع كله منها وجعلته قائمقامية تابعة لولاية سوريا في زمن فرنكو باشا . ولا يزال كذلك حتى الآن

فانسلاخ البقاع عن لبنان حرم اللبنانيين من أخصب موارد الثروة . ولم يبق لطلاب العلى منهم الا وظائف الحكومة أو المهاجرة . فأدى ذلك الى مهاجرة اللبنانيين . ثم تولى رستم باشا الايطالي اللاتيني سنة ١٨٧٣ وكان حازماً شديداً في الحق وفي أيامه أبطلت الاعانة التي كان على الدولة ان تدفعها لصندوق لبنان كما هو مبين في النظام فازداد لبنان فقراً . وجعل رستم باشا ديدنه مقاومة نفوذ الاكليروس



رستم باشا

فاغضبهم وظلوا غاضبين عليه الى آخر ايامه . لكنه كان عادلاً وقد ضرب على أيدي اصحاب الرشوة وابطل الدالة والوساطة . وجاء بعده واصه باشا الالباني اللاتيني سنة ١٨٨٣ وفي ايامه شاعت الرشوة شيوعاً لم يسبق له مثيل . فاختلت الاحكام وتطرق الفساد الى الاخلاق وضاقت سبل الرزق وتضاعفت المهاجرة في ايامه الى اميركا وغيرها . ويقال ان عدد الذين هاجروا في مدة ولايته نحو سبعين الف نفس . وخلفه سنة ١٨٩٢ نعوم باشا الحلبي اللاتيني فحكم لبنان عشر سنوات وضرب رسوماً أثقلت عاتق اللبنانيين . وكانت الرشوة قد تأصلت في عهد سلفه فلم يقدر على ابطالها . وخلفه مظفر باشا البولوني اللاتيني سنة ١٩٠٢ وهو مصمم على اصلاح ما أفسد خلفاؤه لكنه لم

يحسن الاسلوب . اخذ بناصر الشعب فاباح انشاء الجمعيات التي تبث روح الحرية الشخصية ومناهضة رؤساء الاديان . فاغضب الاكليروس وسائر الزعماء واشتد الامر حتى خيف من ثورة أهلية فوافته المنية سنة ١٩٠٧ ففضت الخلاف . فغادر لبنان وقد ضعفت فيه سيادة الزعماء ولم ينضج الرأي العام فاصبحت الاحوال فوضى . وخلفه يوسف فرنكو باشا الذي خاع بالامس وفي ايامه أعلن الدستور العثماني فظهر منه في اثنائه ضعف انتقده العارفون . وخلفه في الشهر الماضي قيومجيان باشا المتصرف الحالي ومعه ما وافقت الدولة على منحه للبنان من المطالب كما تقدم . وسنتكلم عن احوال لبنان الاجتماعية والاقتصادية فيزداد تاريخه وضوحاً

التربية والهيئة الاجتماعية [1]

او فلسفة التربية

ينشأ الطفل جاهلاً نفسه ومحيطه ولولا من يعينه على معرفتهما لبقي كالانسان الاول من حيث خضوعه لقوى الطبيعة وخوفه منها واستنباطه الوسائل لمقاومة اعدائه وغير ذلك مما تقتضيه الحيوانية . فهو لا يحفظ اختباراته لنفسه فقط لكنه يلقنها لاولاده ويعلمهم ما اكتسبه بنفسه أو ورثه عن آبائه — وما زالت تلك الاختبارات تتراكم منذ وجوده . ومجموعها نسميه « المدنية »

والتربية في اعم معانيها اعداد الطفل ليعيش في المحيط الذي وجد فيه . فتختلف التربية باختلاف المحيط فلا يعامل الزنجي في التربية معاملة الاوربي لان ما يقتضيه محيط الأول غير ما يقتضيه محيط الثاني . فالفرد يأخذ بواسطة والديه ومعلميه ما اكتسبته أمته من العلوم والمعارف ليصير شريكاً لها في مدنيتها وعضواً عاملاً في حياتها

والتربية تستغرق جزءاً مهماً من حياة الفرد ففي السنوات الثلاث الاولى ينصرف الطفل الى تربية جسمه وتنظيم حركاته . ومن الثالثة الى السادسة والعشرين فما بعدها يتلقن اختبارات امته ومعلوماتها فيشاركها شيئاً فشيئاً في حياتها الادبية — ونعني بالحياة الادبية مجموع العلاقات التي يشترك فيها افراد الامة من مصالح واعمال وآمال

(١) ملخصة من كتاب فلسفة التربية لهورن

كيف يعدّ الطفل للعيش في محيطه

من الحقائق المقررة في علم الحياة ان الجنين يمرّ في اثناء تكونه بالادوار التي مر فيها جنسه في أثناء نشوئه وارتقائه . فالجنين البشري مثلاً يمثل الانواع التي نشأ عنها بالتتابع – وكذلك التربية فانها تعيد في الطفل تاريخ امته العقلي فتطلعه شيئاً فشيئاً على اختباراتها واكتشافاتها وسائر معلوماتها حتى يصير اهلاً لمعاشرة اهله وسائر بني وطنه – ان الانسان جزء من مجموع لا حياة له بدونه . فحياة المجموع لا تقوم بالتناسل الجسدي فقط بل بالتناسل العقلي ايضاً . فكما ان الطفل يرث من آبائه لحماً ودماً كذلك يجب ان يرث مابلغوا اليه من ثمار عقولهم . فعمل التربية – باوسع معانيه – اعداد الفرد لمحيطه الادبي وموضوعنا هذا – اي علاقة التربية بالهيئة الاجتماعية – يقتضي النظر في ثلاثة مباحث :

١ً ممَّ يتكون المحيط الادبي

٢ً تأثير التربية في الهيأة الاجتماعية

٣ً النتائج العملية من هذا البحث . وانبحث . في كل منها على حدة

اولاً – ممَّ يتكون المحيط الادبي

قوى الانسان العاقلة تنقسم الى عواطف وادراك وارادة : فهو يشعر بعواطفه ويعلم بقوة ادراكه ويعمل بارادته . ولكل من هذه القوى طائفة من الظواهر الادبية . منها ما يشعر به ومنها مايدرك ويعلم ومنها ما يراد ويعمل . فالتربية الصحيحة ترمي الى ثلاثة امور اساسية تقابل قوى الانسان المذكورة وهي :

اولاً – حب الجمال وكره القبح وهو من قبيل العواطف

ثانياً – ادراك الحقيقة وتجنب الوهم وهو متعلق بالادراك

ثالثاً – العمل بالفضيلة وترك الرذيلة وهو من شؤون الارادة

فلى هذا الثالوث – ثالوث الحقيقة والفضيلة والجمال – تمشى الانسانية الراقية وعلى دعائمه يبنى الكمال البشري . فغاية العلوم على اختلاف اشكالها ادراك « الحقيقة » ومرمى الفنون على اختلاف صورها « الشعور بالجمال وتصويره » واقصى الغايات في اعمال الامم والاشخاص « الفضيلة » واليك جدول يوضح ما يتألف منه المحيط الادبي :

- العلوم
  - العلوم المادية
    - العلوم غير الحيوية
      - الطبيعيات
      - طبقات الارض والمعادن
      - الجغرافيا
      - الكيمياء
      - الفلك
    - العلوم الحيوية
      - علم الحياة (النبات والحيوان)
      - الفيسيولوجيا
      - التشريح
      - علم الانسان (الانثروبولوجيا)
      - طبقات الامم (الأتنولوجيا)
      - الاجتماع
      - الاقتصاد
  - العلوم العقلية
    - علم النفس (البسيكولوجيا)
    - المنطق
    - ما وراء المادة (المتافيزيك)
    - الفلسفة الادبية
    - الرياضيات
    - اللغة
- الفنون
  - الهندسة
  - الحفر
  - التصوير
  - الموسيقى
  - الأدب
  - الدين
- الثمار العمرانية
  - الدستور
  - الحقوق
  - السلوك
  - التاريخ (وهو تدوين الأعمال)

العلوم

فالعلوم هي نتاج العقل البشري في فهم الظواهر المادية والعقلية التي يعيش الانسان في وسطها — ومرماها ادراك حقيقة الواقع . والعالم كما يعرفه الانسان مركب من جوهرين المادة والروح فالعلوم قسمان علوم طبيعية وعلوم عقلية أو نفسية : ينظر الانسان اولاً الى الخارج فيشاهد المادة وظواهرها ثم يعكس نظره على نفسه فيرى العقل وقواه . والمادة نوعان : عضوية أي حية وهي ما ترابطت اجزاؤه ترابطاً تاماً بحيث تتوقف حياة المجموع على حياة اجزائه كالحيوانات والنباتات . وغير حية وهي ما لم تترابط اجزاؤه كانواع الجماد فاذا انفصل جزء من المجموع لا يضر بسائره – وليس كذلك الكائنات الحية

وقد بحث الانسان اولاً بخواص المادة فنشأ علم الطبيعة . ثم علم طبقات الارض فالمعادن فالجغرافيا والكيمياء والفلك . ثم بحث في الكائنات الحية فتولد علما النبات والحيوان وتبعهما علم وظائف الاعضاء (الفيسيولوجيا) والتشريح أي تركيب الاعضاء واشكالها . وعلم الانسان وعلم طبقات الامم وعلما الاجتماع والاقتصاد . وبعد ان عرف شيئاً عن العالم الخارجي رجع الى نفسه فدرسها بحد ذاتها وهو علم النفس . ثم بالنظر الى ظواهرها واعمالها فتولدت الفلسفة والمنطق وعلوم اللغة والرياضيات وغيرها

على ان الانسان لا يكتفي بجمع الحقائق ولكنه يلتمس الاستفادة منها وتطبيقها على اعماله . بل هو يبدأ اولاً بالعمل ليعيش لان الحياة متقدمة على كل شيء ثم يفكر في تعليل عمله واستخراج القواعد العامة ليستفيد منها في المستقبل . فلكل علم من العلوم مهنة تبنى عليه . فالطبيعيات اساس الهندسة الميكانيكية . وعلماء الجيولوجيا والمعادن يطبقان علمياً في المناجم . والكيمياء تدخل في اكثر الصنائع . والفلك والجغرافيا لا غنى عنهما في الملاحة والسياحة . والتشريح والفيسيولوجيا اساس التطبيب . ولا بد من العلوم الاجتماعية في تنظيم الدول وحفظ السلام . والفلسفة الادبية غايتها تحسين العلائق بين الناس . وعلم النحو يرمي الى ضبط الانشاء وهلمّ جرّا

ولنشر العلوم فوائد عديدة : اولها واهمها انها ترشد المتعلم الى الحقائق الاساسية المتعلقة بما يكتنفه من الناس والاشياء فيعرف كيف يتدبرها . وهناك فوائد اخرى خاصة – خذ مثلاً العلوم المادية فانها تمرن قوى الملاحظة والاستنتاج وتسهل الانتقال من العام الى الخاص ومن الخاص الى العام وتساعد على ترتيب الافكار وتنظيمها وتنزيل الحوادث في منازلها . وانظر الى العلوم العقلية فهي تعرف الانسان بنفسه وقواه وترشده الى كيفية استخراج الحقيقة وتحثه على البحث في مبدأ الكائنات

ومرجعها . وتجعله على بينة من اخلاق الناس وطباعهم وتفهمه ماهية الفضيلة والجمال ليحبهما ويعمل بهما

الفنون

والفنون نتاج العواطف . وهي على اشكالها ترجع الى تمثيل الجمال باكمل صوره . والجمال هو ما ترتاح اليه النفس من تناسب في الاجزاء يؤدي معنى أو يمثل صفة كمالية في المجموع . أو كما قال الرومان الفن هواستخراج معنى كلي من عدة معان جزئية . والفنون الاساسية خمسة : هندسة البناء والحفر والتصوير والموسيقى والادب وغايتها كلها تمثيل الجمال فقط الا هندسة البناء فانها تعود على الانسان بفائدة حسية

وقد اضافوا الدين الى الفنون لانه واياها يسيلان من نبع واحد. نعني العواطف - فالفنون مبنية على الشعور بالجمال أما الدين فاساسه الشعور بالكمال السماوي . فليس الدين في الاصل ما يعتقده الانسان او يعمله بل هو ما يشعر به ازاء الكون . فالاعتقاد والعمل تابعان للشعور

لاشك أن الفنون الجميلة مهملة ولاسيما في الشرق . على ان تأثيرها في النفوس عظيم جداً لان محبة الجمال ترقي شعور الانسان وتجعله يفتش عن الكمال في كل صورة وينفر من القبيح حيثما كان . وهذا ضروري لحياة الامة وقلما تجد قبيلة مهما يكن شأنها من الهمجية لم تعن بالحفر أو التصوير أو غيرهما - واكثر الفنون انتشاراً الادب ومنه الشعر . وبواسطته يدرس الانسان الامم والاشخاص وطبائعهما وما طرأ عليهما من اسباب السرور والكدر

الاعمال

لم يكتف الانسان بالفنون والعلوم من الوجهة النظرية لكنه قرن علمه وشعوره بالعمل وما التاريخ الا تدوين اعماله . وهي على ثلاثة أنواع حسب صدورها عن الفرد أو الامة أو الهيئة الاجتماعية . فاعمال الفرد سلوكه واعمال الامة مجسمة في دستورها . والهيئة الاجتماعية تضع الشرائع والقوانين المختلفة . فلننقل كلمة عن هذه الاعمال ونبدأ بالتاريخ لانه جامعها وحافظها

(١) التاريخ في نظر امرسن وكارليل « تراجم مشاهير الرجال » ولكن هؤلاء لايعملون شيئاً بدون جند وحكومة . وقد عرفه آخرون بانه « السياسة الماضية » وقال نابليون « ما التاريخ الا رواية اتفق الناس على تصديقها » . وينكر بعض الفلاسفة على الانسان حرية الارادة فالحوادث التاريخية عندهم حادث طبيعي لا بد من وقوعه . وما التاريخ في الحقيقة سوى تدوين الواقع أي بقطع النظر عن شعور المؤرخ

(٢) دستور الامة أو نظامها الاساسي : وهو يجسم أخلاقها وعاداتها وأميالها ويجب أن ينمو نمواً طبيعياً فلا يمكنك أن تضع دستوراً راقياً لامة لم تستعد له . أو بكلمات اخرى على الامة أن توجد دستورها لا على الدستور أن يكيف الامة . فهو تابع لها او صورة من صور اميالها . فما تدوين الدساتير والقوانين الاساسية الا رمز عن أميال الامة . فان لم تتفق روح الدستور واميالها ذهب الدستور ضياعاً

(٣) القوانين : وهي ما تقرره الهيئة الاجتماعية لحفظ كيانها وصيانة اعضائها ويجب أن تصدر من مقام قادر على تنفيذها ولا قيمة للقوانين اذا لم تنفذ

(٤) سلوك الفرد بالنظر الى الفضيلة أو الرذيلة في اعتباره . فالفرد يسن لنفسه قوانين يتبعها . وليس تقسيم الاعمال الى صالح وطالح مبنياً على التواطؤ او الاتفاق بل هو مبني على نتائج تلك الاعمال . فالصالح هو النافع للفرد والهيئة الاجتماعية والباطل هو الضار لهما فالاول يحفظ الجنس البشري والثاني يبيده

أما تعليم التاريخ وايقاف الناشئة على دستور الامة وقوانينها ففوائده :

(١) ان المتعلم يفهم بواسطته معنى الاجتماع فيعلم انه فرد من مجموع وان السعادة تتوقف على سعادة ذلك المجموع فالامة كالجسم مركبة من اعضاء مشتركة المصلحة

(٢) يقف الطالب على اعمال بني جنسه وما أتوه من المجد ويفتخر بانتمائه اليهم ومشاركته لهم

(٣) التاريخ ينبئ رجال المستقبل عما أتاه أسلافهم من خطأ وصواب فيتجنبون الاول ويقتدون بالثاني

(٤) معرفة تاريخ الامة يؤهل الفرد ان يكون عضواً عاملاً فيها

وخلاصة القول ان التربية تقوم بثلاثة أمور : الفنون والعلوم والاعمال . ولا يدعى الشاب مهذباً ما لم يقف عليها ويتبحر فيها بعض التبحر . واذا اهمل احدها كانت تربيته ناقصة — ويجب على المدارس أن تدخل شيئاً من الانواع الثلاثة في پروجرامها . نحو ما يأتي :

من العلوم : الفلسفة الطبيعية والكيمياء وعلم الحياة (النبات والحيوان) وعلم النفس والرياضيات وقواعد اللغة

ومن الفنون : الادب والموسيقى

ومن الاعمال : التاريخ

هذا مثال . وقد يزاد على الفروع المذكورة أو يبدل بعضها . وانما المقصود أن يحيط

المتعلم ببعض ما توصل اليه العقل البشري في اقسامه الثلاثة . اذ يستحيل عليه الاحاطة به . ولا يبرح من ذهن المعلم والمتعلم ان التعليم لا يقاس بعدد الدروس بل بالأثر الذي تتركه تلك الدروس في الذهن

ثانياً — تأثير التربية في الهيئة الاجتماعية

للتربية على الاجيال ثلاثة أعمال في الهيئة الاجتماعية :

(١) حفظ الماضي : اذ لولا التربية لذهب كل ما بلغ اليه الانسان من المعلومات والاختبارات لانها هي تجمعها وتنقلها من جيل الى جيل مع ما يطرأ عليها من التحسين . فتتراكم بتوالي الاجيال وتزداد بها سعادة الانسان . فكأن التربية حارس المدنية تحفظها وتمنعها من التشتت والضياع

(٢) صيانة الحاضر : بتهذيب النفوس وتعويدها احترام القانون . وقد ادرك مؤسسو الدول المتمدنة ان دولهم لا تثبت بدون تعليم العامة . قال واشنطن مؤسس جمهورية الولايات المتحدة « من البديهي عندي ان حريتنا لا تثبت الا في قبضة الشعب ولا يمكن للشعب أن يحتفظ بها الا بالتهذيب الكافي » — ومن الادلة على اهمية التربية في صيانة الدول تأثيرها على الجرائم فهي اقوى عدو لها : لانها اولاً تنزه العواطف عن الدنايا وتقوي الارادة بحيث يتغلب الانسان على التجارب ويحتقر كل دنيئة . ثانياً يمكن بواسطتها تحويل المجرم بالارث الى عضو نافع في الهيئة الاجتماعيـة . وهم يفعلون ذلك اليوم في البلاد المتمدنة . ثالثاً بالتعليم ينقى المحيط الذي يربى فيه الاطفال وتقل القدوة الباطلة فيتعذر الالتجاء الى الرذيلة

(٣) تمهيد سبيل التقدم في المستقبل : فالتربية لا تحفظ الماضي فقط بل تزيد عليه ما اكتسبه الجيل الحاضر . وهو التقدم بنفسه فالعالم يسير على قدمين : تقليد القديم واستنباط الجديد . والثاني لا يتأتى الا بعد الاول وهو عنوان الفلاح . لان الامة التي تكتفي بالبقاء على القديم كالصين في الاجيال الماضية تكون كالامم الآخذة بالانحطاط يستحيل عليها مجاراة رفيقاتها في العلم والمدنية

وقد احصي عدد المتخرجين في جامعات اميركا واستخرجوا عدد الذين استحقوا منهم أن يذكر اسمهم في قاموس تراجم مشاهير الاميركان . فكانت نسبتهم واحد في الاربعين . اما من غير متخرجي الجامعات فنسبة المشاهير منهم واحد من عشرة آلاف

ثالثاً — النتائج العملية من هذا البحث

١ً بالتربية تحيا الهيئة الاجتماعية . والتعليم اهم اعمالها لان عليه يتوقف مستقبلها

٢ً يجب ان تكون المدرسة صورة مصغرة للعالم بحيث لا يكون بين الحياة المدرسية والحياة العملية حدٌّ فاصل . فتتعود الناشئة منذ صغرها على التعاضد والتعاون

٣ً لا تقضي الهيئة الاجتماعية بتضحية افرادها لمنفعتها بل ان المصلحة العامة والمصلحة الشخصية في الاصل رفيقان فان ما ينفع العضو ينفع الجسم وبالعكس

٤ً لايجوز ان يبرح من ذهن المعلم ان الكتب انما هي عوض عن الاختبار الشخصي وكثيراً ما لاتغني عنه فلا يكتفي بحشو ادمغة تلاميذه بالاسماء الكثيرة والحقائق الناشفة

٥ المدرسة تابعة للعائلة وتالية لها فيجب ان تقوم مقامها

٦ً على المدرسة ان تهيء الطالب لخدمة الجماعة والمحيط الخصوصي اللذين يتطلبانه فتعطيه حسب مقتضى الحال . فالامم تختلف مطاليبها واستعدادها وحاجياتها باختلاف طبائعها واحوالها

اميل زيدان

تحتاج ادارة الهلال الى ما يأتي

الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي

السنة الرابعة من الهلال

« السابعة « «

واعداد الهلال الآتي ذكرها :

العدد ٢ من سنة ١٣ و١ من سنة ٢ و٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٦ من سنة ١٦ و١ و٨ و٩ من سنة ١٧ و١ و٢ و٣ من سنة ١٨ و ١ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ و ٤ من سنة ٢٠ فمن كان عنده شيء من هذه المجلدات او الاعداد فليخابر ادارة الهلال باثمانها

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ماقبله)

اولاً — فرنسا

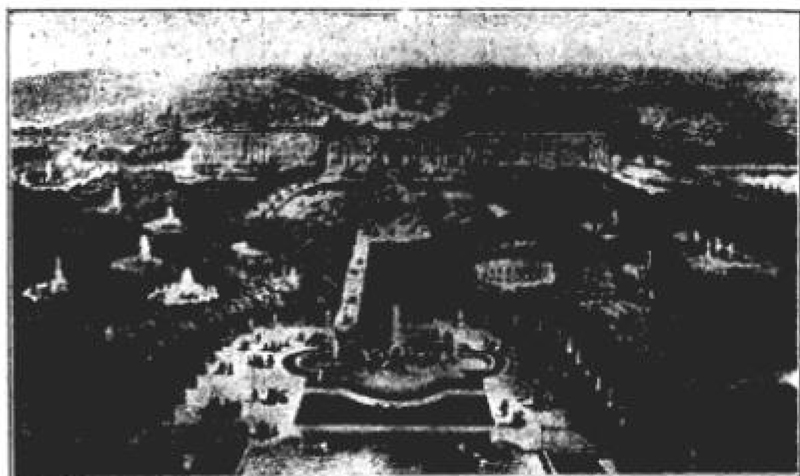
٨ — متاحفها

في ضواحي باريس

فرغنا في الهلال الماضي من وصف اهم متاحف باريس ونحن واصفون اهم متاحف ضواحيها مما وفقنا الى مشاهدته ودرسه في رحلتنا المشار اليها

فرسايل

هي بلدة على نحو ٢٠ كيلومتراً من باريس فيها قصر لويس الرابع عشر ومن خلفه من ملوك فرنسا . سكانها نحو ٥٠٠٠٠ نفس وفيها الشوارع المنتظمة والساحات الفسيحة والقصور الفخيمة . وقد بنيت في الاصل على بقعة رملية لا ماء فيها وانما رغب لويس المذكور في بنائها لصفاء جوها ونقاوة هوائها . فانفق في انشاء قصره وجلب المياه اليها مالاً طائلاً . واحصوا عدد الذين اشتغلوا في ذلك فبلغوا ٣٦٠٠٠ رجل و ٦٠٠٠ حصان . وبلغت النفقة عليها في ايام لويس الرابع عشر ما يقدر الان بنحو خمسمئة مليون فرنك . غير الذين سخروا في العمل بلا اجرة . ولعل هذا الملك السعيد اقتدى بما فعله عبد الرحمن الناصر صاحب قرطبة ببناء الزهراء او المنصور بن ابي عامر ببناء الزاهرة . أو ابن الاحمر ببناء الحمراء في غرناطة . وتقدر نفقات الزهراء بنحو ٥٠٠٠٠٠٠٠ دينار اي نحو ما انفقه لويس هذا على قصره في فرسايل . ولكن عدد المشتغلين في بناء الزهراء كانوا ١٠٠٠٠ رجل و ١٥٠٠ دابة . على ان الزهراء امحت الآن وعفت آثارها . واما فرسايل فلا تزال باقية والفرنساويون يبالغون في الاحتفاظ بها



فرسايل وحدائقها

واتخذ لويس المذكور فرسايل مسكناً له سنة ١٦٨٢ ومنها كان يصدر الاوامر لحكومته او جنده . وفيها تزوج مدام دي منتنون سنة ١٦٨٤ بعد وفاة ماري تريز وصارت فرسايل بعد ذلك مقراً لملوك فرنسا . وفيها عقدت أكثر الاجتماعات السياسية الهامة في اثناء القرنين الماضيين قبل الثورة وبعدها وتقلبت على احوال عسر ويسر . وفيها امضيت معاهدة سنة ١٧٨٣ بين فرنسا وانكلترا على اثر استقلال اميركا . وفيها نزل وليم الاول امبراطور المانيا من ٥ اكتوبر سنة ١٧٧٠ الى ٦ مارس سنة ١٨٧١ بعد تغلبه على الفرنساويين وتوج فيها امبراطوراً على الالمان

متحف فرسايل

هو في قصر فرسايل مسكن لويس الرابع عشر نفسه . والقصر وحده بما يكتنفه من الحوادث التاريخية يعدّ من اهم التحف ولبنائه تاريخ طويل . وهو كالبلد الكبير بما فيه من القاعات والغرف والدهاليز والاروقة والمراسح والمجالس . يسع نحو عشرة آلاف نفس . طول واجهته الكبرى ٥٨٠ متراً فيها ٣٧٥ نافذة . تم بناء القصر في القرن السابع عشر بما فيه من الرياش الفاخر والتحف التاريخية او الصناعية . وانشأوا بين يديه الحدائق التي تأخذ بالابصار بما فيها من البرك والاشجار والغياض والبساتين . فلما كانت الثورة الفرنساوية بيع الرياش ونقل ما كان هناك من الصور الجميلة الى اللوفر . لكن لويس فيليب اعاد الى فرسايل رونقها فجعل قصرها هذا متحفاً جمع فيه أهم مفاخر

الفرنساويين التاريخية والفنية سماه «المتحف الوطني» ويعرف ايضاً بمتحف فرسايل
ويقسم هذا المتحف الى قسمين كبيرين (١) قاعات لويس الرابع عشر واهله وخلفائه فهي كالمتحف باتقان صنعها وما على جدرانها وسقوفها من النقوش البديعة (٢) المتحف التاريخي الذي انشأه لويس فيليب وفيه عدد عظيم من الصور والتماثيل اكثرها متوسط القيمة من حيث الصناعة . لكنه اراد أن يمثل بها تاريخ فرنسا بحسب اطواره ورتب ذلك في قاعات عديدة لا يكاد يجد الزائر وقتاً كافياً للمرور فيها فضلاً عن درسها فنكتفي بالاشارة الى اهم ما فيها

في الجناح الشمالي من القصر كنيسة كان يصلي فيها اهل ذلك القصر متقنة النقش والوضع عليها كثير من النقوش الرخامية المذهبة والصور الدينية . منها صورة القيامة في وسط القبة . وعلى كل من المذابح صورة . وقاعات الصور التاريخية تقسم بحسب العصور او الادوار . منها قاعات تاريخ فرنسا من كلوفيس الى لويس السادس عشر فيها صور زيتية كبيرة تمثل اهم حوادث التاريخ في تلك المدة لاشهر المصورين مثل دلاروش وروجيه وشيفر وغيرهم . وقاعات الحروب الصليبية تمتاز باتقان جدرانها وما عليها من النقوش مع شارات قواد تلك الحروب (الآرمات) فضلاً عن الصور الكبرى التي تمثل الحوادث التاريخية الهامة . بينها صورة تتويج امبراطور القسطنطينية سنة ١٢٠٤م واخرى تمثل واقعة عسقلان سنة ١١٧٧م بين الافرنج والمسلمين . وصورة معركة طولوسة باسبانيا بين الافرنج والعرب سنة ١٢١٢م . وصورة طواف الصليبيين حول اورشليم سنة ١٠٩٩م . وفي احدى هذه القاعات باب على النمط القوطي من مصنوعات فرسان رودس اهداه السلطان محمود الثاني لفرنسا سنة ١٨٣١م . ومن الصور التاريخية هناك صورة حصار رودس سنة ١٤٨٠م واخذ القسطنطينية سنة ١٢٠٤م نقلاً عن صورة في اللوفر . وصورة فتح القدس سنة ١٠٩٩ وقطع الصليبيين البوسفور سنة ١٠٩٧ وهم زاحفون على الشرق لفتح بيت المقدس

وقاعات خاصة بصور تاريخية من سنة ١٧٩٤ — ١٨٣٠ بينها صورة نابوليون الاول مجروحاً في راتسبون سنة ١٨٠٩ وصور أخرى عديدة يضيق المقام عن ذكرها

وفي قاعات الحوادث التاريخية العصرية في القرن التاسع عشر عدة صور تهمُّ قراء العربية على الخصوص لانها شرقية تمثل وقائع الفرنساويين مع العرب في الجزائر تحت قيادة الامير عبد القادر المشهور . فانه حاربهم اعواماً طويلة حتى كادوا ييأسون من قهره ثم وفقوا الى ذلك بالاستيلاء على « الزملة » وهي بلد نقال فيه ما يحتاج اليه

الجند من الصناع والعمال والخفر وفيها اهله واعوانه وامواله وخزائنه ومؤنته والزملة عبارة عن خيام تحمل على الجمال في الصحراء ويحمل معها كل ما يحتاج اليه القوم من المؤونة والذخيرة . فاذا ارادوا النزول نصبوا الخيم بترتيب معين فيعرف كل واحد خيمته وعمله . وقد عمد الامير عبد القادر الى اختراع هذه الزملة في اواخر حربه مع الفرنساويين بعد ان اصبحت بلاد الجزائر تتقد بالحروب فلم يعد يأمن الاقامة في مكان

فلما تعبت فرنسا من مناهضته أغرت صاحب مراكش على معاضدتها . وعلم عبد القادر في اواخر سنة ١٨٤٧ بقدوم المراكشيين لغزو زملته ولم يكن فيها أكثر من خمسة آلاف والمراكشيون يزيدون على خمسين الفاً . فخاف الامير على رجاله وان لم يعرف الخوف قبلاً . فعادت اليه نخوته فهجم ليلاً بذلك الجيش القليل وفرق شمل المراكشيين . ثم عادوا فاجتمعوا ثانية فهاجموه فطاردهم وظهر عليهم لكنه خسر جانباً من رجاله فرأى الانسحاب افضل له فرجع الى الجزائر فوصل مكاناً علم بعد وصوله اليه ان الجيش الفرنساوي على مسافة ثلاث ساعات منه ورأى ان جيشه قد انهكه السفر والحرب فخشي ان يقع هو وزملته في ايدي الفرنساوية لانه لا يستطيع الرجوع والمراكشيون من ورائه يطاردونه — ولكنه عاد فرأى أن يبذل قصارى جهده فجمع اليه رجاله وخطب فيهم متصحاً عما هم فيه من الضيق وقال « اراكم قد وفيتم بما بايعتموني عليه وبذلتم جهدكم في معاضدتي . واما الحالة الراهنة فتقضي علينا بالتسليم للعدو وعندي أن التسليم للفرنساوية خير من التسليم للمراكشيين فما رأيكم ؟ »

فاجابوه انهم على رأيه فنظر اليهم فاذا هم عدة من احسن الرجال واشدهم وقد رافقوه في حروبه خمس عشرة سنة فشق عليه ان ينتهي جهاده هذا بالتسليم للعدو ولكنه اذعن لحكم الضرورة قسراً وهو غير خائب لانه جاهد الجهاد الحسن اكثر من ١٥ سنة حتى نفدت الحيلة

وعلى ذلك تمَّ التسليم لكن المصور تصوَّر هجوم الفرنساويين على الزملة وعبد القادر غائب فمثل ذلك احسن تمثيل في صورة طولها عدة امتار شاهدناها في احدى قاعات متحف فرسايل ووقفنا عندها ساعة نتأمل ما تولى رجال عبد القادر من الذعر لما رأوا خيول الاعداء تكاد تأخذهم فبرزت النساء من الخيم مذعورات واخذ الخدم في مساعدتهن في ركوب الجمال التماساً للفرار . وهرب بعض الاتباع وفيهم اليهود اصحاب خزينة عبد القادر . ونفر ما كان معهم من الحيوانات الاهلية وبينها الغزلان طابت البرية . وبان الرعب في كل حيّ وظهر الاضطراب في كل شيء فقلبت

الحِمام واجفلت الجمال وذعر الاطفال وبكت النساء مما يستوقف البصر

وفي تلك القاعات صورة نافرة تمثل نابوليون وقد اطلق سراح عبد القادر في امبواز سنة ١٨٥٢ . وصور زيتية لحصار قسنطينة سنة ١٨٣٧ وصورة اخرى لمعرض في المكسيك سنة ١٨٣٨ وصور عديدة لوقائع حربية في القرم سنة ١٨٥٤ من جملتها اخذ ملاكوف ومعركة ألما ومعركة سلفرينو وغيرها وكلها كبيرة الحجم

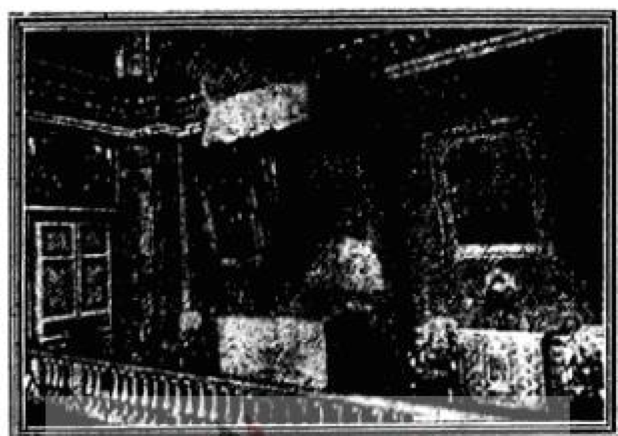


الامير عبد القادر الجزائري

والقسم الاوسط من القصر تسمى قاعاته باسماء آلهة اليونان كالزهرة والمريخ وابولون وغيرها . فيها صور زيتية وستائر مصورة نسجاً مما يسمى (غوبلين) اكثرها تمثل حوادث تاريخية فرنساوية من جملتها ستارة تمثل الكونت فوانت في حضرة لويس الرابع عشر باسم ملك اسبانيا . وأخرى تمثل اجتماع لويس المذكور وفيليب الرابع ملك الاسبان . وأخرى لزواج لويس الرابع عشر بماري تريز وغير ذلك . ومنها قاعة السلم جدرانها مبطنة بالرخام وعليها امثلة من الاوسمة البرونزية . وقاعة الزجاج طولها ٧٢ متراً وعرضها عشرة امتار وعلوها ١٣ متراً مزخرفة زخرفة باهرة . لها واجهة من زجاج تطل على حديقة فرسايل وعلى جدرانها صور عديدة تاريخية لازمنة مختلفة يطول بنا شرحها . وهناك غرف مختلفة لجلوس الملك اوطعامه وعلى جدرانها صور بينها صور تمثل وقائع « دونكي شوت » . وهناك ساعة

رقاصة كبرى تدل على الساعات والايام والاشهر

ومنها غرفة الرقاد للويس الرابع عشر بفراشه وخزائنه وكراسيه وسائر مايلزم . وفيها مات سنة ١٧١٥ بعد ان حكم ٧٢ سنة



غرفة لويس الرابع عشر

وقاعات الملكة مصورة الجدران وفيها كانت تنام الملكة ماري تريز حتى توفيت سنة ١٦٨٣ وماري لزينسكي ثم ماري انطوانت وفيها صورة هذه الملكة وعدة ستائر (غوبلين) . ومنها قاعة خاصة باستقبال الاعيان كانت الملكة تستقبلهم فيها باوقات معينة وعلى جدرانها ستائر احداها تمثل زيارة لويس الرابع عشر لمعمل هذه الستائر وقاعة عرس الملكة وقاعات اخرى لمدام دي منتنون وغيرها

وفي الجناح الجنوبي من القصر قاعات عديدة للصور التاريخية . منها قاعة المعارك فيها صور اشهر المعارك الكبرى في جملتها معركة تورس بين العرب بقيادة عبد الرحمن الغافقي والافرنج بقيادة شارل مارتل سنة ٧٣٢ م وهي التي فاز بها الفرنساويون وردوا العرب عن اوربا (انظر الرسم في الصفحة التالية)

وصورة شارلمان في بادربون يستقبل وفود ويتيكند يقدمون الطاعة سنة ٧٨٥م وصور اخرى تمثل الكونت اودس يدفع النورمنديين عن باريس سنة ٨٨٥ م ومعركة بوفين سنة ١٢١٤ ووصول هنري الرابع الى باريس سنة ١٥٩٤ ومعركة ريفولي سنة ١٧٩٧ وواقعة اوسترليتس سنة ١٨٠٥ ويانا سنة ١٨٠٦ وواغرام سنة ١٨٠٩ وجملة ما في هذه القاعة ٣٤ صورة و٥٠ تمثالا نصفيا لكبار الملوك والامراء



شارل مارتل يحارب العرب في معركة تورس

وفي الطبقة العليا من هذا الجناح قاعات عديدة بعضها خاص بالثورة الفرنساوية فيها صور أهم حوادثها واشهر رجالها . مثل الاحتفال بالاخاء الوطني سنة ١٧٩٠ وصور مدام رولان وماري انطوانت في الهيكل ومقتل مرات وتمثال نصفي لميرابو خطيب تلك الثورة وتمثالا لافايت ولويس ١٧ . وهناك قاعة خاصة لتصوير اعمال نابوليون الاول وحوادث عائلته ومشاهير الامة في عهده . منها صورة تمثل قواد الحملة المصرية



غرفة منام نابوليون الاول

صورت سنة ١٧٩٩ وغير ذلك شيء كثير يختص بنابليون وحوادثه المدهشة في بيته وفي جيشه واستاره وحروبه واولاده

وفي قاعات القسم الاوسط من هذا القصر شيء كثير من الرسوم لتمثيل الحوادث التي جرت لفرنسا في القرن الثامن عشر . في جملتها صورة كبيرة تمثل وصول سفير عثماني اسمه محمد أفندي الى قصر التويلري سنة ١٧٢١ . وصورة اخرى لوصول سعيد باشا سفير الباب العالي سنة ١٧٤٢ وبينها غرف لنوم ولي العهد وامه وغيرهما من اهل البلاط

تريانون

وفي فرسايل غير هذا القصر قصران يعرف كل منهما باسم تريانون احدهما الاكبر والآخر الاصغر كان يتردد اليهما لويس الرابع عشر مع بعض العائلات أو الاعوان وهما متينا البناء وفيهما تحف تاريخية اوفنية . ففي الكبير منهما تحف من الرياش الثمين النادر . ومن جملة ذلك كؤوس من الوهج (الملكيت) اهداها القيصر اسكندر الاول امبراطور روسيا الى نابوليون الاول . وفي التريانون الكبير ايضاً معرض المركبات فيه ثماني مركبات احداها لنابوليون الاول ركبها لما تعين قنصلاً أول وأخرى ركبها يوم زواجه . ومركبة قلدوا بها مركبة شارل العاشر وغيرها

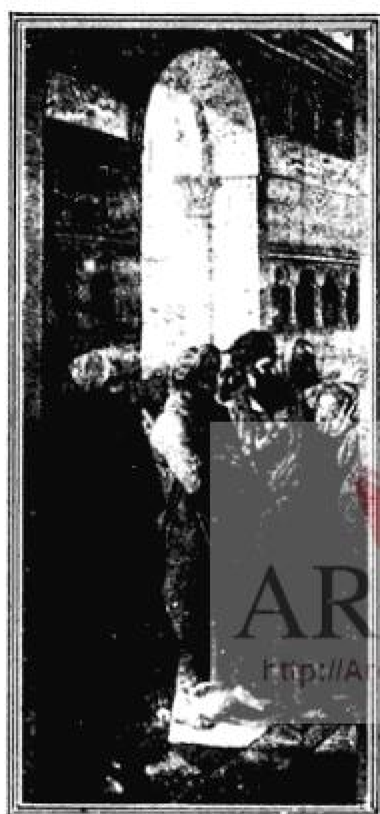
وفي فرسايل حدائق غناء حوت الينابيع في بحيرات مديرة الانابيب اذا فتحت تفجر الماء من افواهها وصعد في الهواء على اشكال مختلفة وارتفاعات متفاوتة . وهم يحتفلون بفتحها في اوقات معينة من النهار يشهد الناس منظرها مما يشرح الصدر وينزه الخاطر وقد يجتمع الالوف وعشرات الالوف في بعض الايام لهذه الغاية

قصر مالميزون

وعلى عشرة كيلومترات من باريس قصر مالميزون في ضاحية من اجمل ضواحي باريس فيها الحدائق والغياض على أجمل اسلوب واشتهر هذا القصر بجوزفين امرأة نابوليون لانها اعتزلت فيه بعد طلاقها سنة ١٨٠٩ الى وفاتها سنة ١٨١٤ ثم امتلكته ماري كريستين ملكة اسبانيا سنة ١٨٤٢ - ١٨٦١ واقامت فيه الامبراطورة أوجيني زوجة نابوليون الثالث ردحاً من الزمن . وفي سنة ١٩٠٠ اشتراه داود أوزيريس المثري الفرنساوي الشهير (توفي سنة ١٩٠٧) واهداه للامة مع ما يحيط به من البساتين

ليس ادعى الى التهيب والاعتبار بمصير الانسان من زيارة هذا القصر ومشاهدة ما لا يزال فيه من الرياش والادوات كما كان في زمن تلك الامبراطورة السيئة الحظ زوجة اعظم القواد واطمع طلاب المجد . فانك تسمع من السكينة السائدة هناك نداء

تخترق الاسماع ويستولي على القلوب « ان الانسان مهما بلغ من جبرأوته وعظمته لا يبقى له غير أعماله ولا يذكر له منها الا ما افاد به بني نوعه » . مررنا في غرف ذلك القصر الفخم لا نسمع فيه غير وقع اقدامنا وكل منا مطرق يتأمل .



مشائخ مصريون في زمن بونابرت

مررنا بقاعة الاستقبال فقاعة الطعام فغرف النوم والكتابة والبلياردو والموسيقى وشاهدنا الخزائن والمقاعد والستائر والارائك والمناضد . وعلى جدران القصر الصور الزيتية تمثل المشاهد الجميلة والحوادث الهامة ـ جيء بها الى ذلك القصر خدمة لاهله ولكنهم ذهبوا وبقيت هي

شاهدنا طاولة نابوليون التي كان يكتب عليها بيده وخزانة الكتب التي كان يرجع الى كتبها عند التحقيق . والقلم الذي كان يقبض عليه باناملهِ . وفي قاعة البلياردو صور في جملتها صور حملها بونابرت من مصر سنة ١٧٩٩ منها صورة تمثل بعض المشائخ بالبستهم العربية المصرية جاءوا لمقابلة بونابرت وعدة سجاجيد جميلة

وفي القاعة التي كانت الامبراطورة جوزفين تستقبل فيها الزائرين سجادة ثمينة . وفي غرفة الموسيقى آلات موسيقية كانت تستخدمها الامبراطورة لترويح النفس وطاولة كان يلعب عليها بونابرت . وقس على ذلك سائر ما هنالك من الاثاث والادوات والصور منها صورة أم نابوليون ومنسج جوزفين وادوات نابوليون وتمثاله وهو صغير . وعلبة شغل لجوزفين هدية من مدينة باريس . وسرير سفر لنابوليون وسرير جوزفين مجلل بالاطلس وصورتها سنة وفاتها . وعلى اكثر الكراسي الحرف الاول من اسمها (J) . وخزانة فيها مظلاتها ونعالها وجزادينها

لا تقدر وأنت تنظر الى تلك البقايا الا ان تصور نابوليون واقفاً او جالساً هنا وهناك وجوزفين وما يخطر لها في عزلتها

السوريون في باريس

ونختم وصف باريس ومتاحفها وأحوالها بما شاهدناه فيها من تقدم السوريين في التجارة والادب والفنون الجميلة . لقينا فيها عشرات من أصحاب المتاجر وقد جاروا الفرنساويين بالتجارة ولهم منزلة رفيعة بين عاية القوم وأحرزوا ثقة اصحاب المعامل والمصارف . ولأكثرهم معاملات واسعة مع الشرق والغرب واكثر اشتغالهم مع سوريا واميركا الشمالية والجنوبية يبعثون اليها السلع من مصنوعات باريس على اختلاف اصنافها . فمن البيوت التجارية السورية في باريس محلات رحيم وبوشديد وشحاده وسليمان ودقرت وشقير وبركة وداود وجابر اخوان ودوماني ومانوك وقزي وبيجاني وشحيبري وزوين وبانسوني وحوس (فرع لمحل صيدناوي) وغيرها من البيوت التي تتعاطى أصناف التجارة . وقد اختص بعضهم بتجارة الجوهرات اشهرهم كساب ونصبة وابوحمد . وبالعطريات محل بشاره ملحمة وله شهرة واسعة في فرنسا وانكلترا بما يصطنعه من العطريات المعروفة باسمه وقد نال جوائز السبق في المعارض الصناعية . وعرفنا من الماليين الكونت قرنفاتي مدير البنك الفرنساوي المصري في باريس وهو من البنوك الكبرى وله فرع في مصر . وقس على ذلك مما يدلُّ على اقتدار الشرقي على مجاراة الغربي اذا تساوت الاسباب والوسائل .

ومما يوجب الفخر ايضاً انا عرفنا في باريس نفسها غير واحد من الادباء السوريين يجارون ادباء فرنسا في آداب لسانهم يكتبون في اكبر جرائدهم السياسية في اهم المواضيع الحيوية او يؤلفون الكتب وينظمون الشعر بالفرنساوية بما لا يقل عما يفعله ادباء فرنسا انفسهم . منهم شكري غانم ناظم رواية عنترة وقد قبل تمثيلها في الاوبرا الفرنساوية . وخير الله خير الله صاحب كتاب سوريا الذي قرظناه في الهلال الاول من هذه السنة يكتب المقالات السياسية في جريدة الطان الشهيرة . والدكتور جورج سمنه له مجلة علمية تصدر بالفرنساوية بباريس اسمها Correspondances d'Orient وميشيل بيطار مترجم رواية العباسة أخت الرشيد . وهناك طبقة من اصحاب الفنون الجميلة يشتغلون للافرنج انفسهم . منهم موريس نجار يؤلف القطع الموسيقية للاجواق الفرنساوية التمثيلية وهو يرتزق هناك بهذه المهنة . ووديع صبرا من اصحاب المواهب الموسيقية وقد عرفه الباريسيون . وفيليب مورانى مصور فني يشتغل بالتصوير في باريس . وغير هؤلاء من الادباء واصحاب الفنون الجميلة . وقد اقتصرنا على الشرقيين المشتغلين بالفرنساوية للفرنساويين في باريس . ونعرف طائفة من المشتغلين بهذه اللغة

وآدابها بمصر والشام سنعود الى ذكرهم في فرصة أخرى . وقد يكون هناك كثيرون لم نطلع على آثارهم او لم تبلغنا اخبارهم . وانما اردنا تقرير حقيقة يسرُّ تقريرها كل شرقي نعني « ان الشرقيين اذا توفرت لهم الاسباب جاروا ارقى الامم المتمدنة »

محاصرة الصليبيين دمياط

سنة ١٢١٨ م

هاجم الصليبيون دمياط غير مرة في اثناء الحروب الصليبية وكانت الحرب سجالاً بينهم وبين المسلمين . ثم تمكنوا من فتحها سنة ١٢١٩ (٦١٦ هـ) ولكنهم قاسوا في ذلك عذاباً شديداً . لان المصريين كانوا قد انشأوا برجاً من الخشب اقاموا فيه المقاتلة ومدّوا بينه وبين دمياط سلسلة غليظة تمنع سفن الافرنج من المرور . وقد بسطنا ذلك في « تاريخ مصر الحديث » بقولنا :

« فجاؤا (الصليبيون) اليها بحراً وحاصروا دمياط في يوم الثلاثاء في ٤ ربيع اول سنة ٦١٥ هـ وهم نحو ٧٠ الف فارس و٤٠٠٠٠٠ الف راجل فخيموا تجاه دمياط في البر الغربي وحفروا على معسكرهم خندقاً واقاموا عليه سوراً وشرعوا في قتال برج دمياط فانه كان برجاً منيعاً فيه سلاسل من حديد غلاظ تمتد على النيل لتمنع المراكب الواصلة في البحر المالح من الدخول الى ديار مصر في النيل . وكان البر الذي نزل عليه الصليبيون جزيرة محاطة بالنيل من جهة وبالبحر المالح من الاخرى يقال لها جزيرة دمياط . وكان المسلمون في مدينة دمياط محاصرين حصاراً منيعاً من البحر والبر والسلسلة ممتدة بين البرج والسور . فحاول الصليبيون امتلاك ذلك البرج لانهم اذا ملكوه تمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة . وكان هذا البرج مشحوناً بالمقاتلين تأتي اليه المؤن من دمياط على جسر خشبي منصوب في عرض النيل . وبعد مدة انكسر ذلك الجسر فاغتنم الصليبيون تلك الفرصة واصطنعوا برجاً خشبياً نصبوه على مركبين موسوقين قيوداً وانزلوا اليه اقوى رجالهم واحسن عدتهم وساروا في النيل لمهاجمة برج المسلمين فلما رأى المسلمون ذلك تجمهروا في البرج والسور واخذوا برمي السهام والحراب والحجارة بالمنجنيق على برج الصليبيين فلعبت النار به فخاف الذين فيه ثم انطفأ حالاً

وتشدد الصليبيون حتى استولوا على برج المسلمين وطمعوا بالاستيلاء على دمياط .

وقد نشرنا صورة دخول الصليبيين البرج نقلاً عن مسودة قديمة في المكتبة الاهلية في باريس كما ترى في هذا الشكل



دخول الصليبيين برج دمياط

وكنا في شوق شديد الى رؤية تلك الواقعة ممثلة في رسم يبين موقع البرج من المدينة . ولم نكن نتوقع العثور على ذلك . لكن علي بك بهجت العالم الاثري ووكيل المتحف العربي بمصر وفق الى العثور على صورة بهذا المعنى في اثناء سياحته في هولندا بالصيف قبل الماضي . وقد فصل كيفية وقوفه على هذا الاثر النفيس بمقالة تليت في المجمع العلمي المصري نلخص منها ما يأتي خدمة للتاريخ المصري واقرارا بفضل حضرته في التنقيب عن الآثار العربية

قال انهُ في اثناء سياحته في هولندا عثر في متحف هرلم على صورة للمصور ورنجن تمثل حصار الصليبيين دمياط فاستلفتت انتباهه وعلم ان ذلك المصوّر بناها على حكاية كانت شائعة بين مواطنيه ينسبون اكثر الفوز فيها الى الهولنديين . وخلاصة حكايتهم ان الدمياطيين كانوا قد اقاموا عند مدخل النيل برجاً حصيناً تمتد منه تحت الماء سلسلة غليظة من الحديد الى جسر آخر عند حصون المدينة تمنع السفن من الوصول الى مجرى النيل والدخول منه الى مصر . وان وليم الاول بن كونت هولندا تصور حيلة للخلاص



حصار دمياط تصوير ويركن

من هذه العقبة فاصطنع منشاراً عظيماً من الحديد شده الى مقدم سفينته واغتنم اشتداد الريح ومد البحر واطلق لسفينته الشراع نحو السلسلة فقطعها وانفتح الطريق لسائر الاسطول . فمثل المصور هذه الحكاية في الصورة التي نحن في صددها في اوائل القرن السابع عشر اي بعد نحو اربعمائة سنة من الحادثة . فرسم البرج في النيل والسلسلة ممتدة منه الى البرج الآخر على شاطئ دمياط وقد اشتدت الريح وهاج النيل . واطلق وليم لسفينته الشراع فدخلت مصب النيل حتى قطعت السلسلة والمسلمون في اعلى البرج يرمون الهولنديين بالنبال

والحجارة . وترى بين البرج ودمياط من الجهة الاخرى جسرا من الخشب ينقل عليه المسلمون المؤونة الى اصحاب البرج . وقد تقدم في ما نقلناه عن تاريخ مصر الحديث ان الصليبيين اغتنموا انكسار هذا الجسر وهجموا على برج المسلمين واخذوه . ويقول المحدث الهولندي انهم قطعوا السلسلة بالمنشار

فلما وقف بهجت بك على هذه الصورة اهتم بها ونقلها بالفوتوغراف ودرسها فقرأ ما ذكره عنها الموسيو كرونيك مدير ذلك المتحف من الملاحظات في سجلات المتحف . واستزاده بياناً فاخبره ان ويرنجن المصور ولد في هرلم وتوفي فيها سنة ١٦٤٣ م وهو الذي رسم هذه الصورة وقد ذكرها صامويل امبزين في وصف هرلم سنة ١٦٢٨ م . وشخص بهجت بك الى ليدن وقصد مكتبتها الشهيرة بالمسودات العربية وطلب من الاستاذ سنوك هوسكرونجي ان يرشده الى المصادر الهولندية التي تساعده على درس هذه المسألة فاتاه بتاريخ الامة الهولندية للاستاذ بلوك . فاستخرج منه فقرة تتعلق بالهولنديين والحروب الصليبية هذه ترجمتها :

« ليس لدينا عن أعمال الهولنديين في الحروب الصليبية الا اخبار موجزة اما حملة دمياط فان اخبارها اكثر اسهابا . في ربيع سنة ١٢١٧ م سافر جماعة من الهولنديين للاشتراك في الحملة الصليبية الجديدة بقيادة وليم الاول كونت هولندا . فرسا اسطولهم اولاً في لشبونه فاستنجده البورتغاليون على المراكشيين . وفي ربيع السنة التالية (١٢١٨) وصل الاسطول الى عكا وانضم الى سائر جند المسيحيين هناك واجمع رأيهم على مصر وفيها خيرة قوات المسلمين فاقلعوا اليها فوصلوا في مايو من تلك السنة الى دمياط من مدن مصر الهامة . وكانت الحملة بقيادة كونت ساربروخ فحاصروا المدينة وطال الحصار لان المسلمين كانوا قد تحصنوا في برج على جزيرة صغيرة في النيل . فاحتال المسيحيون في اخذه بانهم جمعوا بين سفينتين من سفنهم شدوهما الواحدة الى الاخرى وبنوا عليهما برجاً من الخشب في طبقته العليا جسر كالمعبر ينتقل . وتقدموا الى جسر السلسلة . ولما اقتربوا منه في ٢٤ اغسطس اسرع احد فرسان لياج وكان في مقدمة الذين دخلوا برج المسلمين واخذوه . لكن مدينة دمياط نفسها لم يفتحها المسيحيون الا في نوفمبر سنة ١٢١٩ بعد ان باد اكثر اهلها . وذكروا ان المسلمين

كانوا قد اقاموا في عرض النيل سلسلتين من الحديد . وكان لحملة دمياط دويٌّ في هولندا ويروون في حصارها روايات خيالية . وكان اكثر الهولنديين ظهورًا في هذه الحملة اهل هرلم وقرية دكوم » . ولم يذكر هذا المؤرخ حديث المنشار فكانه من الخرافات المتناقلة على السنة العامة

واطلع بهجت بك في مكتبة ليدن على مؤلف آخر كتب لكنيسة جودا فيه تفصيلات لم يذكرها سواه منها خبر حصار دمياط بقيادة الامبراطور فريدريك سنة ١١٠٨ ومعه كونت وليم بن الكونت فلوريس . فابلى بلاء حسناً فكافأهُ ورقاه واكرم الهولنديين فادخلهم تحت رايته وجعل لهم امتيازات أخرى . وعلم بهجت بك بصورة على زجاج كنيسة جودا تمثل معركة دمياط رسمت سنة ١٥٩٦ بامر مجلس قضاة هرلم تذكارا لبسالة اسلافهم الذين اشتركوا في فتح دمياط وهي تشبه الصورة المار ذكرها من حيث شكل الابراج والسفن وغير ذلك نشرها في مقالته المشار اليها . واكتفينا بنشر صورة ويرنجن لانها اوضح دلالة على تلك المعركة . فنثني على بهجت بك لما يبذله من العناية في خدمة التاريخ الاسلامي

العمر والتعمير

غرائب طول الحياة

وجد الباحثون في قبور المصريين القدماء حبوباً من القمح محفوظة من زمن الفراعنة فجربوا زرعها فنمت كالعادة مما يدل على ان الحياة كمنت فيها آلافاً من السنين فلما توفرت لديها الاحوال اخذ النمو مجراه الطبيعي . والعلماء يسمون هذه الظاهرة vie latente اي الحياة الكامنة

ويحكى ان سائحاً فرنساوياً جاء من صحراء افريقيا بكمية من ترابها فرشها في حديقته فرأى فيها ذات يوم نباتاً غريباً ذا زهر اصفر لا وجود له في فرنسا وانما ينمو في افريقيا . فعلم أنه جاء معه بذور ذلك النبات مع التراب . فلما سقط عليها الغيث افاقت من رقادها . ولا شك ان عمرها يعدُّ بآلاف من السنين أي منذ كانت الصحراء ارضاً خصبة قابلة للزراعة

فاذا جاز لنا ان نعتبر تلك الحبوب حيةً في أثناء هذه الاجيال — ولا بد من التسليم على الاقل بانه كان فيها شيء من الحياة — فالمثلان السابقان يدلان على طول عمر تلك الحبوب او البذور . وهو غريب اذا قابلناه بعمر الانسان . ولكننا ننتقل الى ما هو اغرب :

هل يوجد حيٌّ لا يموت ؟

نعم . من المعلوم ان الحيوانات ذات الخلية الواحدة تتناسل بالانقسام اي أن الخلية الوحدة عند ما تبلغ درجة معينة من النمو تتقلص في وسطها وتختنق حتى تنشطر شطرين كل منهما مستقل بذاته . فهذه الحيوانات لا تزال تنقسم على هذا النمط من اول عهد وجودها كانها باقية حية بلا انقطاع . وانما اتينا بهذه الامثال لغرابة ما يظهر منها . ونتقدم الى البحث في اعمار الاحياء من الحيوانات والنباتات الاعتيادية

اعمار الحيوان والنبات

الحيوانات على الاجمال اقصر عمراً من النباتات . فقد يزيد عمر بعض الاشجار على عشرة قرون او اكثر . ذكروا في ضواحي اثينا شجرة زيتون يقال ان عمرها نحو الفي سنة . اما الحيوانات فلم يسمع بمثل هذه الغرابة في اعمارها وهذا جدول تبين معدل اعمار اشهر الحيوانات المعروفة :

معدل العمر		الحيوان	معدل العمر		الحيوان
٣٠٠	سنة	التمساح	٢٥	سنة	الحصان والطاووس
٢٠٠	»	الحوت	٢٠	»	الخنزير والدب والبقر والحمام والقط والكلب والذئب
١٥٠	»	الباز	١٨	»	البط والثعلب
١٠٠	»	الببغاء والغراب والنسر	١٢	»	الخروف
٦٠	»	الاسد	١٠	»	الماعز والعصفور
٥٠	»	الاوز والبجع	٨	»	الارنب والعنكبوت
٤٠	»	الوعل والعقاب			
٣٠	»	الحمار والجمل والثور			

هذه الارقام اجمالية وبعضها غير موءكد — ومن الحشرات ما لا يعيش الا سنة او بضع سنين وبعضها يعدّ عمرها بالساعات

وللاسف ان الانسان مع تفوقه على سائر المخلوقات في امور كثيرة لم يمتز عنها

في العمر فانه يقع في الجدول السابق بين البيغاء والغراب من جهة والاسد من جهة اخرى . على ان كثيرين يبلغون الثمانين والمئة سنة . وبحسب الحوادث المثبتة المحققة لم يتجاوز الانسان سن ١٢٥ سنة والحوادث التي من هذا القبيل قليلة . وان كنا نسمع ونقرأ احياناً ان فلاناً عاش ١٥٠ سنة أو نحوها . وسبب هذا الادعاء — وان لم يكن وقوعه مستحيلاً — ان التفوق حتى في طول العمر من دواعي الفخر وبواعث الشهرة والانسان مفطور على حبهما والسعي ورائهما

وضع بعض العلماء قاعدة لطيفة لاستخراج عمر الحيوان الطبيعي وهي : ان الحيوان يعيش خمسة اضعاف المدة التي يقضيها من ولادته الى ان يتم نمو جسمه . وهذه المدة هي نحو عشرين سنة في الانسان . فعمره الاعتيادي يجب ان يكون مئة سنة فاذا توفي قبل هذا الاجل فهو المسؤول عن موته

نحن وآباؤنا

بين المئة سنة المفروض بلوغها ومعدل العمر في البلاد المتمدنة بون شاسع . فان معدل اعمار المتمدنين يتراوح اليوم بين ٤٠ و٤٥ سنة . وكان اقل من ذلك في الاجيال الماضية وهي آخذة في الزيادة بتقدم المدنية . كان معدل العمر في فرنسا قبل الثورة ٢٨ سنة فصار ٣٢ بين ١٨٠٠ و١٨٢٥ واصبح ٣٧ في سنة ١٨٥٠ و٤٠ سنة ١٨٨١ وهو اليوم ٤٦ سنة

ان زيادة العمر مع تقدم المدنية من المسائل التي يرتاب في صحتها الكثيرون فهم يقولون ان تقدم المدنية يبعث على الابتعاد عن سذاجة الطبيعة فيأول ذلك الى الموت العاجل . على أن الاحصاءات الرسمية — وهي افضل دليل محسوس — تنبئنا بان عمر الانسان آخذ في الزيادة . وهذه الزيادة واضحة اذا اعتبرنا نسبة الوفيات في المواليد . فمن الف شخص ولدوا سنة ١٧٠٠ لم يبق سنة ١٧٥٠ الا ٢٤٦ أي ٢٤٦ فقط في الالف بلغوا الخمسين . وفي سنة ١٨٥٠ أي بعد ذلك بقرن كانت نسبة الذين بلغوا الخمسين سنة في الالف ٤٢٢ نفساً وفي سنة ١٩٠٤ بلغت هذه النسبة ٦١٧ في الالف

ولا شك أيضاً في ان الذين يبلغون الستين والسبعين والثمانين آخذون في الزيادة وهم طبعاً من الذين تجاوزوا الخمسين كأن الانسان يقرب شيئاً فشيئاً من الحد الذي قدر له بلوغه (أي ١٠٠ سنة) . ولعل هذه الحقيقة تعزي الذين يعتقدون تناقص الاعمار فكلما هرم الانسان سهل عليه الانتقال من هذه الدار الفانية — واليك فذلكة في تاريخ العمر وانتوته

تاريخ الاعمار حسب الامم

كان الانسان قبل التاريخ معرضاً للهلاك لا يأمن على حياته من الحيوانات الضارية والطوارىء الطبيعية . فلا شك انه كان يقضي على الشيخ حالما يهرم وتضعف قواه . وعند كشف اوستراليا كان اهلها يقتلون المتقدمين سناً رجالاً ونساء لعدم صلاحيتهم للعيش . وهذه العادة شائعة الآن عند متوحشي اميركا الجنوبية ومداغسكر وبعض قبائل الهند وكثير من القبائل الهمجية

والصين اقدم الشعوب المتمدنة على ما يقال وقد اخذوا يدونون تاريخهم منذ ٤٥ قرناً فيدعون أن بين ملوكهم كثيرين تعد اعمارهم بآلاف السنين . وفي الانسان ميل طبيعي الى تفخيم اسلافه حتى ذهب احياناً الى تأليههم . ولذا نجد في خرافات اكثر الشعوب ان اجدادهم كانوا اقوياء ذوي اجسام ضخمة يعمرون مئات والوفاً من السنين . ونجد اعمار اولئك الاسلاف تنقص شيئاً فشيئاً كما قربت من وقت تدوينها

أما في مصر فيقول الدكتور جوستاف لوبون ان الاهرام كانوا يبنونها للملوك فاذا جلس الملك على العرش اخذوا في بناء هرمه . ثم يدون طبقة كل سنة على عدد سني ملكه . فيستنتج من ذلك ان خوفو باني الهرم الكبير حكم ٥٦ سنة فاذا فرضنا عمره لما تولى عشرين سنة فقد عاش نحو ٧٦ سنة

ومما يؤثر عن مدنية البابليين أنهم كانوا اذا مرض احدهم نقله اهله الى السوق حيث يعرض على الجمهور فيصف له العارفون واهل الخبرة الدواء الناجع . فقلت الوفيات عندهم بسبب ذلك

وفي القرون الوسطى انحطت الاسباب الصحية وزادت الوفيات زيادة فاحشة . ولا غرو ففي تلك القرون انحطت سائر احوال الجنس البشري . فكانت الامراض الوبائية تنتشر فيهم ويتركون الامر لعناية الله ويفضلون الصلاة على العناية بانفسهم. ولو عقلوا لسعوا في اصلاح حالتهم من غيران ينتظروا اعجوبة من عند الله . فالسماء لا تعين من لا يعين نفسه . ومما يروى عن تلك الايام ان الناس اهملوا اجسادهم وتفرغوا للمسائل الروحية لدرجة ان احد آباء الكنيسة كتب مرة الى فتاة ينصحها بان لا تستحم ابداً لئلا توجه التفاتاً الى أمور هذه الدنيا

ظلت الوسائل الصحية مهملة على أثر ذلك قروناً حتى نهضت البشرية من سباتها العميق واخذت تهتم بتحسين حالتها الجسدية . فقام من ابنائها في القرن الماضي نفر من العلماء مهدوا هذه الابحاث . واعظمهم شأناً باستور مكتشف الميكروبات ودارس

خصائصها وكيفية مقاومتها . فوضع الاساس الذي بني عليه علم الصحة الحديث ونتائجه ظاهرة نراها كل يوم ولا سبيل الى انكارها

وقد جمع أحد الباحثين اسماء واعمار ٢٠٠٠٠ شخص من المشاهير ورتبهم حسب اعمارهم — والمشاهير عادة هم المتنورون الذين يستخدمون الطرق المعروفة لاطالة اعمارهم — ورتبوا ذلك في جدول تبين منه ان العمر هبط هبوطاً عظيماً بعد التاريخ القديم (الرومان واليونان) فبلغ اقصره في القرون الوسطى ثم اخذ يصعد شيئاً فشيئاً حتى قرب اليوم من معدله الاول

واليك تفصيل ذلك في الجدولين الآتيين :

معدل اعمار المشاهير من اقدم الازمنة الى اليوم

مرتبة حسب الاعصر والقرون

			التاريخ الحديث			التاريخ الحاضر		
الوفيات	التاريخ القديم	القرون الوسطى	القرنان ١٥ و١٦	القرن ١٧	القرن ١٨	القرن ١٩	القرن ٢٠	المجموع
بين سن ٢٥ و٦٠	٤٥	٢٠٩	٣٩٠	٣٧٢	٤٥١	١٠٩٦	٩٥	٢٦٥٩
« « ٦٠ و٧٠	٣٧	١٤٥	٢٤٣	٣١٠	٣٩٦	١١٨٢	١٢٥	٢٤٣٨
« « ٧٠ و٨٠	٤٥	٩٧	١٩٠	٢٥٠	٤٣٩	١٣٢٨	١٤٤	٢٤٩٣
« « ٨٠ و٩٠	٣٣	٥٢	٩٣	١٢٤	٢٦٣	٧٩٦	١١٠	١٤٧١
« « ٩٠ و١٠٠	١٩	١٩	١٧	١٩	٤٤	١٠٤	١٢	٢٣٤
اكثر من مئة	١١	٥	١	١	٤	٩	٣	٣٤
المجموع	١٩٠	٥٢٧	٩٣٤	١٠٧٦	١٥٩٧	٤٥١٦	٤٨٩	٩٣٢٩
معدل العمر	٧١.٩	٦٢.٤	٦٣.٨	٦٤.٥	٦٧.٥	٦٨.٢	٧١	٦٥.٩
النسبة في الالف للذين بلغوا								المعدل
(١) الستين	٧٦٣	٦٠٣	٥٨٢	٦٥٥	٧١٨	٧٥٧	٨٠٦	٧١٧
(٢) الثمانين	٣٣١	١٢٤	١١٨	١٣٤	١٩٤	٢٠١	٢٥٥	١٨٦

معدل اعمار المشاهير الذين توفوا بين سنة ١٨٠٠ و ١٩١٠

الوفيات	من ١٨٠٠ الى ١٨٢٥	من ١٨٢٥ الى ١٨٥٠	من ١٨٥٠ الى ١٨٧٥	من ١٨٧٥ الى ١٩٠٠	مجموع القرن ١٩	من ١٩٠٠ الى ١٩١٠
بين سن ٢٥و٦٠	٢٥٣	٢	٢٩٠	٢٩٢	١٠٩٧	٩٥
« « ٦٠و٧٠	١٩٨	٢٤٧	٣٢٦	٤١١	١١٨٢	١٢٥
« « ٧٠و٨٠	٢١٦	—	٣٠٦	٥٠٨	١٣٢٨	١٤٤
« « ٨٠و٩٠	١٢٥	١٧٩	١٦٩	٣٢٣	٧٩٦	١١٠
« « ٩٠و١٠٠	١٧	٢١	٢٤	٤٢	١٠٤	١٢
فوق المئة	١		٣	٥	٩	٣
المجموع	٨١	الفوكسور	١١١٨	١٥٨١	٤٥١٦	٤٨٩
معدل العمر	٦٦٫٣	٦٧٫٨	٦٧٫٦	٧٠٫١	٦٨٫٢	٧١
نسبة الالف للذين بلغوا						المعدّل
(١) الستين	٦٨٧	٧٣٩	٧٤١	٨١٥	٧٥٧	٨٠٦
(٢) الثمانين	١٧٦	١٩٨	١٧٥	٢٣٤	٢٠١	٢٥٥

الرجال والمرأة ايهما اطول عمراً

اذا تساوت سائر الاحوال فالمرأة اطول عمراً من الرجل . هذه حقيقة مقررة منذ زمن طويل. وكل الاحصاءات تدل على ان عدد النساء المعمرات اكثر من عدد الرجال المعمرين . ففي احصاء فرنسا سنة ١٨٥٠ مثلاً بلغ عدد الذين تجاوزوا التاسعة والتسعين من عمرهم ٢٣٤ منهم ١٠١ رجل و٢٣٣ امرأة . واحصاء سنة ١٩٠١ يدل كذلك على ان بين ٣١٣ شخصاً عمرهم بين ٩٨ و١٠٠ سنة عدد الذكور ٩٩ وعدد الاناث ٢١٤ فما سبب تفوق المرأة من هذا القبيل

يظهر لاول وهلة ان السبب بسيط وهو ان الرجل يستنفد قواه الجسدية اكثر من المرأة . فهي معفاة من الخدمة العسكريه مثلاً ومن الاشتغال في البحر وفي المناجم ومصادمة الاخطار. وانها لا تهتم للغد كما هو الواجب على الرجل . لكن بعض الاطباء يعتقدون ان السبب لايقتصر على الاحوال الخارجية المذكورة بل هو مبني على مبادئ الفسيولوجيا والتشريح . فالقوى الحيوية في جسم المرأة في مذهبهم اشد منها في جسم الرجل — وبناء على ذلك فاذا قابلت بين مولودين احدهما ذكر والآخر انثى نخطر الموت على الاول $\frac{1}{12}$ وعلى الثاني $\frac{1}{2}$

اي الشعوب اطول عمراً

لا شك في ان المحيط يؤثر في نمو الامم جسدياً وعقلياً فاهل الولايات المتحدة مثلاً يختلفون عن اجدادهم ساكني بريطانيا العظمى وايرلندا بسبب انتقالهم من محيط الى محيط آخر . والزنجي اذا تناسل في غير بلاده لا يلبث بضعة اجيال حتى يظهر الفرق بين الاصل والفرع . فهل هذا التغير المسبب عن اختلاف الاحوال الخارجية يلحق العمر فيميز شعباً عن آخر من هذا القبيل ؟ كلاَّ اذ قد ثبت تقريباً ان بني الانسان متساوون في اعمارهم . وهذه النتيجة مبنية على احصاءات رسمية تقارنت فيها اعمار شعوب مختلفة وكلها تدل على ان الاختلاف ناتج عن تغير المحيط

ومن اسباب اختلاف العمر نوع المعيشة والمهن . وربما عدنا الى استيفاء هذا الموضوع في فرصة أخرى ا . ز .



السمن

اسبابه وعلاجه

ليس كل من اكتنز عضله وتربل لحمه كان سميناً . ولا كل مرهف الجسم ممشوق القوام نحيلاً . فقد يكون متفاض البطن ومطهم الوجه وريان المفاصل سقيماً مهزولاً ومتضمر الوجه قضيف البدن قَصداً أي لا هو بدين ولا نحيف

ذلك ما يدعو الى التساؤل عن القاعدة التي نستدلُّ منها على معدل كمية الدهن في الجسم حتى اذا زادت على القدر اللازم وجوده في الجسد دعوناه سميناً واذا نقصت عنه كان باعتبار هذه القاعدة ضئيلاً . فثقل العظام والعضلات والاحشاء وما يتبعها من الاوعية الدموية والاعصاب والشعر والاظافر والاسنان محدود في اطوار الحياة على اقرب تعديل . وان اسباب ما نشاهده من الزيادة او النقص في ثقل الجسد عائد لى كمية الدهن التي يختزنها حيناً ويفرط بها حيناً آخر . ويمكننا تحديد ثقل الجسد اذا

حولنا قياس طوله الى العقدة (الانش) وضربنا حاصله باثنين ونصف فنحصل على الثقل بالليبرة . ولا يجب ان يكون ثقل الجسد اقل من ضعفي العقد لقياس طوله ولا اكثر من ثلاثة اضعاف عدد العقد

لنفرض رجلاً بلغ طوله خمسة اقدام وثماني عقد فاقل مايجب ان يكون ثقله ١٣٦ ليبرة واعظم ما يجب ان يكون ٢٠٤ ليبرات على ان المعدل يجب ان لايتعدى ١٧٠ ليبرة

ولزيادة الايضاح نقول ان معدل كمية الدهن في الجسد تتراوح بين جزء من ١٥ الى ٢٠ جزءاً لثقله . ومن خرج عن هذين الحدين كان إما سميناً واما نحيفاً

اسباب السمن

(١) الوراثة : لا ينكر احد ان الابن يرث عن والديه معظم اخلاقهما ويتجمل باكثر العادات التي يكون قد الفها في صغره . فضلاً عن ان جسده ينمو وفيه الاستعداد التام والمطابقة الشاملة لسائر العوارض والادواء التي يكون قد اصيب بها جسد الاب او تعرَّض لها في صباه . ولذلك كانت الاجساد التي تتكاثر الدهن فيها حتى غلبت على امرها في الثقل اذا تفحصت السبب وجدت الآباء والجدود كانوا كذلك . وليس الغرابة في كيفية تحويل الطعام الى دهن في الجسد فذلك سهل تعليله . ولكن الغريب تعليل الاستعداد الموجود في جسد الاب لخزن الدهن بكثرة فاحشة وكيف ينتقل الى الابن . ذلك يصعب علينا حله في الوقت الحاضر ولا سيما في هذا المقام

(٢) الطعام : ان الطعام الذي نغتذي به يحتوي على كمية من الدهن يختلف مقدارها باختلاف انواعه . والسمن والزيوت اكثر المأكولات دهناً يليها النشويات مثل الدقيق والبطاطس والرز والفاصوليا والفول والعدس وسائر الحبوب . والسكر وكل انواع الحلوى . هذه الاصناف دهنها اكثر من دهن سواها . والسمين لا يكثر من هذه المآكل فقط بل يأكل خمسة اضعاف مايحتاج اليه جسده وغالباً يجهل او لا يحب ان يعرف نظاماً للأكل فهو يأكل بدون نظام ولاميعاد وربما قلد الاطفال فأكل كل ساعة وقام من نومه في الليل مرتين او اكثر . وهو مع ذلك يتبرم ويشكو فقد القابلية وتصادق على شكواه اسرته وتبدو القلق والاشفاق عليه وهي مصيبة في خوفها ولكن ليس من الجوع بل من كثرة الشبع

(٣) الخمر : المشروبات الروحية على اختلاف اجناسها تساعد على زيادة الدهن بسبب احتراقها في الجسد بدلاً من احتراق انسجته . كأنها تقضي على نظام التجديد والتعويض في الخلية الصغيرة أو تحول بينه و بين مجراه الطبيعي . فسوء الحال وتعرض الجسد لكل الامراض الوخيمة العاقبة فضلاً عن انهـا تحث الاعضاء الهاضمة حثاً متواصلاً لافراز عصيرها فيذهب ضحية الجهل والكاس

(٤) السكينة : فوائد الرياضة والحركة واجهاد القوى العضلية يعرفها الطفل في سريره فيحل قماطاته ويحرك اطرافه وعضلاته قبل ان يعرف من الحياة وجوده او يدرك للحركة سبباً . واخف انواع الرياضة يضاعف سرعة الدورة الدموية ويكسبها قوة ونشاطاً . فيتمكن الدم من تغذيه اجزاء الجسد وتطهيرها من الفضلات الراسبة فيها . ويعود بهذه الفضلات السامة الى الرئتين حيث يعتاض عنها بالهواء النقي او بمادة تتوقف عليها الحياة . والرياضة تساعد على احتراق الانسجة الدقيقة التي اشرفت على الاندثار واصبح نزعها لازماً وفي بقائها خطر على الحياة

والمقعد الذي لا يميل الى الحركة ولا يجهد قواه بضع خطوات يعرض نفسه لاشرّ الادواء ومنها السمَن الذي نحن بصدده . وفي سن المراهقة يخسر الجسد بالحركة قليلاً من الدهن الذي يكون قد خزنه ويقل حدوث ذلك في الفتيات . فالفتاة التي لا تتعاطى الرياضة وعندها استعداد للسمن تغدو سمينة

علاج

أما علاج السمَن الحقيقي فيحوم حول الاسباب التي قدمناها ولا موجب للاسهاب بتعداد الوسائل التي دار البحث عليها في المجتمعات الطبية فهي عديدة ولا تهم القارئ تفاصيلها انما نذكر بالايجاز اهمها :

١ لما كان معظم اسباب السمَن ناتج عن الاكثار من الاكل لا سيما المآكل الدهنية أو التي يتولد عنها كمية كبيرة من الدهن مثل النشويات والسكر فالاولى تجنب ادخال مثلها الى طعام السمين بقدر الامكان وخصوصاً السكر . وابدالها بانواع يكون الدهن فيها قليلاً . مثل الخضار واللبن والبيض وقليل من اللحم الاحمر . ولا بأس من انواع الفاكهة بفصولها . ويجب ان لا يتعدى طعام المريض ثلاث وجبات في

النهار . على ان لا تزيد وجبتا الصباح والمساء عن فنجان لبن وبيضة وقليل من الخبز . واما وجبة الظهر فتكون مؤلفة من شوربا ولحم احمر او سمك وخضار وقليل من الخبز وفاكهة وكوبة ماء قبل الاكل بنصف ساعة لتقليل الشهية ويجب ان يمضغ الاكل جيداً . والبعض يفضل في بادئ الامر الاقتصار على اللبن بضعة ايام (من خمسة الى ١٠ ايام) وبعد ذلك يتبع الخطة التي سبق الكلام عليها اربعة اسابيع او اكثر ويعود الى اللبن كما تقدم

٢ الرياضة : واسلم نوع منها المشي . يتدرج السمين على المشي بعد الاكل ثلاث مرات بالنهار حتى تبلغ مسافة ما يمشيه في النهار كله ثمانية اميال مع تجنب الاجهاد . وانما يواظب تماماً ويمكنه ان يتحمله براحة

٣ الاغتسال بالماء البارد بعد الرياضة مرة في النهار : وفي فصل الصيف الاغتسال في البحر افضل انواع الرياضة واحسن للسمن . ذكرت الاغتسال بالماء البارد وفضلته على الماء الحار لان الماء البارد يزيد القوى نشاطاً على الرياضة فتحدث الزيادة المقصودة في سرعة الدورة الدموية . ولان الفائدة من الماء الحار انما هي تبخير السوائل الراكدة في الانسجة الليفية والخاطية والعضلية . فلا تلبث هذه الانسجة ان تعوض عنها بماء تمتصه من الخارج والداخل فترجع الى ما كانت عليه قبل الاغتسال . ومامن ساطة تمنع هذه الانسجة من التعويض عن الخسارة التي لحقتها . لذلك كانت فائدة الماء الحار وقتية ميكانيكية فقط لا يعول بها

٤ العقاقير الطبية : اما العقاقير الطبية في علاج هذا الداء فليس لها اهمية تذكر رغم مناصرة فئة من الاطباء المشهورين لها . فالبعض استحسن المياه المعدنية وعلل فوائدها . والبعض وصف الملينات النباتية اللطيفة وقرر وجوب استعمالها . والبعض الآخر جاهر بفوائد خلاصة الغدة الدرقية واكد فائدتها . ولكن بعد الاخذ والرد والاختبار الطويل اجمعوا على معالجة السمن بتدبير الطعام ورتبوا نظام معيشة المريض على الكيفية الآتي بيانها :

١ يقتصر على اللبن (الحليب) وحده من ٥ ايام الى ١٠ مرة كل سبعة اسابيع

٢ يقتضي ان لا يتناول المريض اكثر من ثلاث وجبات في النهار

٣ وجبتا الصباح والمساء فنجان لبن وبيضة واحدة او اثنتين وقطعة من

الخبز . ووجبة الظهر مرقة ولحم احمر أو سمك وخضار وقليل من الخبز

٤ مقدار الماء لا يزيد على ٦ كوبات في النهار قبل الأكل و بعده

٥ تجنب المشروبات الروحية والابتعاد عن الطعام الذي يتولد عنه الدهن مثل النشويات والسكر بقدر الامكان

٦ المواظبة على الرياضة والاستحمام بالماء البارد او في البحر في زمن الصيف

كل ذلك يجب اجراؤه برأي الطبيب

الدكتور اندراوس شخاشيري
حكيم كرنتينة نقطة نخل



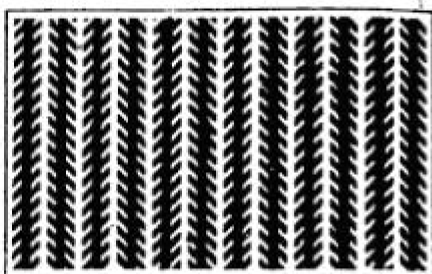
خداع البصر

لبعض المشعوذين قدرة غريبة على خداع ابصارنا يروننا المرئيات على غير حقيقتها او يوهموننا اننا نرى اشباحاً لا وجود لها أو يخفون عنا اشباحاً لا تقع عليها ابصارنا مع انها بين ايدينا . ولهم في ذلك طرق مختلفة يرجع اكثرها الى الخفة واللباقة . وبعضها مبني على ميل البصر الى الانخداع من طبيعته لاسباب مجهولة لعلها ترجع الى ما تتألف منه العين من الطبقات والرطوبات على اختلاف اشكالها وكثافتها مما لا محل للبحث فيه . وانما نريد ايراد الامثلة الواقعية لخداع البصر مما يشاهده كل ذي عينين

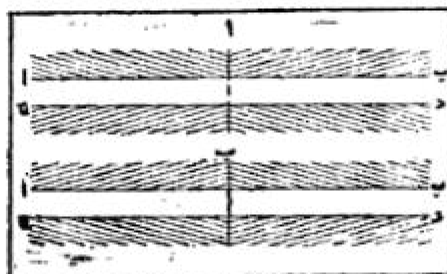


(ش ١)

اذا اتيت بخطين متساويين وركبت على طرفي احدهما زاويتين متقابلتين وعلى طرفي الآخر زاويتين متدابرتين رأيت الثاني اطول من الاول . ولا يمكنك ان تتحقق انهما متساويان الا بالقياس المحسوس (انظر ش ١) واما بمجرد النظر فانك لا تستطيع ان تراهما متساويين • ويقال نحو ذلك في خطين متقاطعين على زاوية حادة احدهما غليظ والآخر دقيق فانك ترى الطرف الآخر من الخط الدقيق منحرفاً من موضعه وقد يقع هذا الخداع في البصر والخطان غليظان او دقيقان فاذا تألف من التقاطع

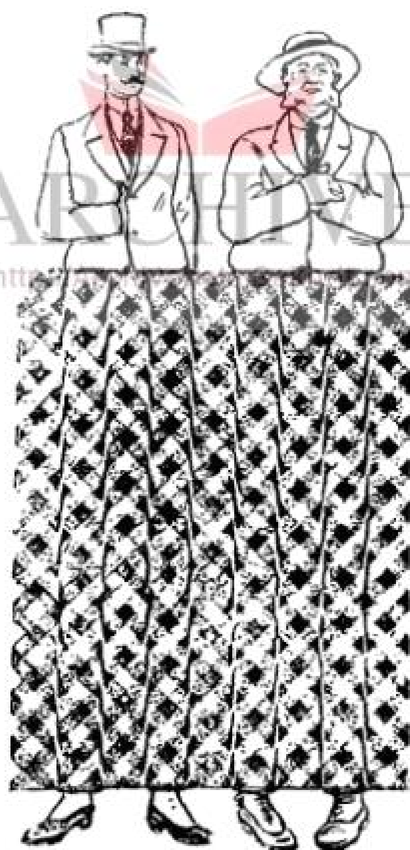


(ش ٢)



(ش ٣)

عدة خطوط متوازية ظهرت غير متوازية . ويظهر انها محدبة او مقعرة حسب اتجاه الزوايا كما ترى في الشكل ٢ والشكل ٣ ففي الشكل الثاني خطوط عمودية متوازية كل خط منها تقطعه خطوط عرضية على زوايا حادة اذا نظرت الى الخطوط العمودية



(ش ٤)

والصفحة افقية بين يديك ظهرت لك تلك الخطوط متوازية تماماً . اما اذا نظرت اليها والصفحة قائمة فتراها مائلة الى اليمين او الى اليسار حسب اتجاه تلك الزوايا . فاذا كانت الزوايا المتقابلة متجهة نحو الاعلى ظهر الانفراج من فوق واذا كان الاتجاه نحو الاسفل ظهر الانفراج بين العمودين من تحت . ويظهر ذلك اكثر وضوحاً في شكل ٣ وهو مؤلف من اربع خطوط عرضية متوازية الاثنان العلويان يظهران متقاربين من طرفيهما والسفليان متباعدان حسب اتجاه الزوايا في كل منهما

واعتبر ذلك الخداع ايضاً في الخطوط المنحنية اذا تقاطعت بخطوط مستقيمة او مربعات متساوية كما ترى الشكل الرابع فانك تجد رجلين منتصبين احدهما مقوس الساقين نحو الانسية (الداخل) والآخر مقوسهما نحو الوحشية (الخارج)واذا نظرت اليهما معاً والصفحة افقية رأيت السوق الاربع متوازية تماماً . وانما ظهرت عوجاء لانخداع البصر بسبب تقاطع الخطوط المنحنية والمربعة وقس على ذلك



كتاب الامير

او مكيافيلي وابن خلدون

نقولا مكيافيلي فيلسوف اجتماعي سياسي من اهل فلورنسا ولد سنة ١٤٦٩ وتوفي سنة ١٥٢٧ تقلب في عدة مناصب سياسية في جمهورية فلورنسا في اواخر القرن الخامس عشر واوائل القرن السادس عشر . فتولى سكرتيرية ديوان القضاة العشرة فيها ١٤ عاماً وبعض العام قام في اثنائها بثلاث وعشرين مهمة سياسية في الاقطار الخارجية وايطاليا يومئذ في احرج المواقف تتنازع السيادة عليها المانيا وفرنسا والبابا . يعتركون في مدنها وامارتها ويتخطفونها تخطف اللصوص بالدهاء او السيف . غير ما انتشب من الخصام بين حكومة البابا والناهضين للاصلاح ومقاومة تعاليم الكنيسة وكانت اسرة مديتشي تحارب حزب الشعب تحت طي الخفاء

عاصر مكيافيلي هذه الحوادث فاكتسب الحنكة . واعتبر بما رآه وعلمه بالاختبار فوضع علماً او فلسفة في السياسة العملية عرفت باسمه . والف في التاريخ والسياسة

الهلال

الجزء السادس من السنة الحادية والعشرين

اول مارس (اذار) سنة ١٩١٣ و٢٣ ربيع اول سنة ١٣٣١

جبل لبنان

احواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية

لخصنا في الهلال الماضي جغرافية لبنان وتاريخه . ونحن باسطون في ما يلي احواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ويدخل فيها البحث في العادات والاخلاق والثروة والصناعة والزراعة والعلم والادب وغير ذلك :

١ — احواله السياسية

قد تبين لك مما تقدم ان لبنان دخل في سيادة اهم الدول التي استولت على سوريا من اقدم ازمنة التاريخ . لكنه لم يخضع خضوعاً تاماً لدولة من تلك الدول مدة طويلة . وهو حسب نظامه الاخير ولاية عثمانية ممتازة مثل مصر الان وكما كانت ولايات البلقان منذ بضعة اعوام . ويمتاز عنها كلها ان استقلاله الاداري تضمنه اهم الدول الاوربية الكبرى وان الدولة تعينه بخمسة الاف كيس عند الحاجة كما تقدم . وانه لا تحكمه اسرة تتوارث الحكم عليه وانما ينتخب حاكمه كل خمس سنين . وحكومته دستورية يرجع القول فيها الى مجلس ينتخبه الشعب — فهو اشبه بالجمهورية منه بالامارة المستقلة

لكن الاستقلال الاداري لم ينفعه كما نفع سائر الولايات الممتازة . فالجبل الاسود والروملي الشرقي والبلغار وغيرها لما استقلت بادارتها تقدمت وزادت ثروتها وتكاثر سكانها

واما لبنان فاستقلاله الاداري لم يفده فهو لم يزدد الا تقهقراً لاسباب كثيرة اهمها : تفرق المذاهب والعناصر فيه واختلاف الاحزاب الدينية بما لا مثيل له في الامارات الاخرى . ان الجبل الاسود لا يزيد سكانه على نصف سكان لبنان ولكنهم عنصر واحد على مذهب واحد . وكذلك سائر الامارات الممتازة . وفي لبنان عدة مذاهب اهمها النصارى والدروز والمتاولة . والنصارى عدة طوائف تتناظر وتتحاسد . وقد آل الاختلاف المذهبي في القرن الماضي الى منازعات متواصلة انتهت بمذابح سنة ١٨٦٠ التي منح فيها استقلاله الاداري رسمياً ووضع نظامه المشهور . على ان هذا النظام نفسه مبني على التفريق بين المذاهب كما رأيت من نصه في الهلال الماضي

واختلاف المذاهب قديم في هذا الجبل لكن اهله كانوا قديماً يخضعون للمتغلب من اهل العصبية او العشائر مهما يكن مذهبه حتى تسنح الفرصة لمتغلب آخر فيخلفه عملاً بسنة الارتقاء وبقاء الاصلح أو تغلب الاقوى . واللبنانيون راضون لانهم ألفوا الخضوع للزعماء اوالامراء في الحكومة القديمة . فلما ظهرت المسألة الشرقية ووجه الاوربيون مطامعهم الى الشرق تذرعوا بالعصبية الدينية الى اكتساب الاحزاب فيه . بدأ ذلك في لبنان من زمن الحروب الصليبية لارتباط الموارنة برومية من حيث المذهب ـ وهم يومئذ أكثر من نصف سكان لبنان . وتحالف الفرنساويون والموارنة في لبنان فتفاهموا وازدادوا تآلفاً . وكان الموارنة عوناً للافرنج في كثير من المواضع . وعرف الفرنساويون لهم ذلك ووعدوهم بالحماية . وفي البطركخانة المارونية رسالة من لويس التاسع ملك فرنسا من اواسط القرن الثالث عشر للميلاد يوصي فيها خيراً بالموارنة ويعدهم من الفرنساويين الى ان يقول مخاطباً البطريرك « نعاهدكم نحن ومن يخلفنا على عرش فرنسا ان نحميكم انتم وجميع شعبكم كما نحمي الفرنساويين ونسعى دائماً في سبيل سعادتكم »

وتوالى هذا الاعتراف على طرق مختلفة في ما بعد . وكثيراً ما سعت فرنسا في استقلال لبنان . وكان الموارنة اذا وقعوا في ضيق او اصابهم ظلم او حيف استجاروا بالفرنساويين . وكثيراً ما خطب نواب فرنسا يطلبون من حكومتهم الاخذ بناصر نصارى لبنان لانهم كانوا عوناً للويس التاسع ثم لنابوليون بعده . وطالبوا اليها مراراً ان يعيدوا حكم الشهابيين على لبنان . وكانوا يبذلون كل وسيلة في تقريب النصارى . فشادوا لهم المدارس وبعثوا اليهم الارساليات الدينية وغير ذلك

فآلت هذه النصرة الدينية الى التحاسد بين الموارنة والدروز على الخصوص وفي

كتاب المحررات السياسية امثلة كثيرة تؤيد ذلك . واقتضت احوال الدولة العثمانية يومئذ العمل بسياسة التفريق بين العناصر ليستتب لها الامر ولا يجتمع الرعايا على خلع طاعتها . فكانت توعز الى الولاة ان يفرقوا بين العناصر والمذاهب ومن جملة سعيهم في ذلك انهم جعلوا لبنان قائمقاميتين احداهما مسيحية والاخرى درزية . وحسنوا للنصارى المقيمين في القائمقامية الدرزية ان يتخلصوا من سلطة الدروز ويبدلوها بسلطة الاتراك فتوالت الفتن والمخاصمات . ولما ظهر تنازع انكلترا وفرنسا على النفوذ في الشرق اقتضت تلك السياسة ان تاخذ انكلترا جانب الدروز فازداد التباعد بينهم وبين النصارى . وجرت المذابح المشهورة في النصف الاول من القرن الماضي وانتهت بالنظام الحالي وهو مبني على التفريق المذهبي كما رأيت . وكان اللبنانيون قبله حزبين فاصبحوا بعده عدة احزاب لان كل طائفة من طوائفه انتمت الى دولة من الدول الموقعة على ذلك النظام : الموارنة لفرنسا والروم لروسيا والدروز لانكلترا والمسلمون للدولة العثمانية

واما نسبة هذه الطوائف بعضها الى بعض من حيث العدد فيصعب القطع فيها لتعذر وسائل الاحصاء المضبوطة . ولدينا احصاء الحكومة الرسمي لسكان لبنان سنة ١٨٦٠ أحصوا فيه الذكور البالغين ويعبرون عنهم بالمكلفين وهم يزيدون على مئة الف نفس يقسمون حسب المذاهب كما يأتي :

٣ ١٢٧	مسلمون
٦١ ٨١١	موارنة
١٢ ٥٤٣	دروز
١٣ ٨١٠	ارثوذكس
٨ ٥٨٠	كاثوليك
٣ ٧٣٠	متاولة
١٦٣	طوائف مختلفة
١٠٣ ٧٦٣	

ومن اسباب تأخر لبنان عن سائر الولايات الممتازة تجرده من السهول الخصبة وقلة موارد الثروة فيه لاشتغال اهله في القرن الماضي عن الصناعة او التجارة بالفتن والمنازعات . وانصراف اهل المواهب العقلية في العهد الاخير الى خدمة الحكومة . واضطرار شبانه النشيطين الى المهاجرة – وسنعود الى ذلك

٢ — اموال الاقتصادية

ليس لبنان على اجماله ارضاً زراعيـة ولـكنه قابل للزراعة اذا وجهت العناية الى تدبير الري فيه . لان اهم انهر سوريا تنشأ منه او تمر فيه واهمهـا نهر قديشا في الشمال ينشأ من كسروان ويصب قرب طرابلس ويسقي بساتينها . ونهر ابرهيم والقدماء يسمونه « ادونيس » ينشأ من مغارة افقا قرب العاقورة ويصب قرب جبيل . ونهر الـكلب ينشأ اسفل قرية جعيتا ومنه يستقي اهل بيروت . ونهر بيروت وانهر انطلياس والدامور وجزين والايطاني والبردوني وغيرها . فهذه الانهر اذا احسن استخدامها للري زادت خصب هذا الجبل . ولـكنه مع ذلك لا يرجى له الخصب الحقيقي الاَّ اذا اعيد اليه سهل البقاع وهو من اخصب الارضين

على ان في لبنان تنبت اهم البقول والحبوب والاشجار والرياحين وكان فيـهِ غلة حسنة من التبغ . وغلته من الكرم كثيرة يتبعها الخمور والدبس وغـيرها . وللزيتون بساتين واسعة لهـا غلة طائلة تزداد بتحسن الري . وفيه حراج عديدة للارز والصنوبر آخذة في الزوال

اما التجارة فانها مائتة فيه اليوم مع ان اللبنانيين اهل تجارة وهم ابناء الفينيقيين اساتذة العالم في التجارة وسلك البحار . ولكن انقطاع لبنان عن البحر حجب اهله عن التجارة . على انهم اذا نزلوا السواحل كانوا من امهر التجار — يدلك على ذلك ما ظهر من اقتدارهم التجاري بعد نزوحهم بيروت على اثر حوادث سنة ١٨٦٠ ثم بعد المهاجرة الى العالم الجديد كما سيجيء

اما الصناعة ففي لبنان اكثر الصنائع المعروفة في العالم المتمدن . وقد اشتهر اللبنانيون في بعضها شهرة اعترف لهم بهـا المتمدنون . واشهر مصنوعاتهم الوشي او التطريز اشتهر به اهل الزوق . ونسج الحرير في دير القمر وزغرتا . وحياكة الديما في بلاد كثيرة . وصناعة صب الاجراس وصنع الفخار والنجارة في بيت شباب والبناء في الشوير وغيرها والصباغة في زحلة والصابون في الشويفات والصياغة في بسكنتا وغير ذلك . وكل من هذه الصنائع وغـيرها اذا بذلت العناية فيه اتسع وانشئت له المعامل والمصانع

وفي لبنان بعض المعادن النافعة كالحديد والنحاس والحمر والحجر الابيض وغيرها ولعلهم اذا نقبوا عثروا على مناجم كثيرة

٣ – احوال الاجتماعية

العادات والآداب الاجتماعية

يطول الكلام في الآداب الاجتماعية اللبنانية نعني عادات اللبنانيين في الطعام والشراب والزيارات والافراح والمآتم ونحوها مما لا محل له هنا . واكثرها تبدل او تعدل بعد اختلاطنا بالاجانب واتخاذنا اسباب المدنية الحديثة . فنكتفي بما كان من الآداب في اوائل القرن الماضي عند الخاصة من الامراء والمشائخ في تعاملهم وتزاوجهم ومخاطباتهم – وقد ذهب ذلك بذهاب تلك الامارات

كان الامراء اعلى درجة من المشائخ وكان بينهم فروق في الرسوم والالقاب في المعاملات والمكاتبات . وبنو شهاب اعلى درجة من سائر الامراء يليهم بنو ابي اللمع ثم بنو رسلان . ثم سائر المشائخ وبنو مزهر ويقال لهم المقدمون في الدرجة الوسطى بين الامراء والمشائخ . وفي المراسم يكون وقوفهم وجلوسهم احط من الامراء واعلى من المشائخ . وعند ما يتواجه احد الامراء او احد المشائخ وحاكم الجبل فرسومهم القديمة على هذا الترتيب : اذا كان الامير من بني شهاب فعند ما يدخل القاعة يقوم له الحاكم من مكانه وينزل عن البساط . فيتقدم الداخل ويلقي السلام ثم يقبل كتف الحاكم . واذا كان الداخل من سائر الامراء والمشائخ فلا يقوم له الحاكم قبل السلام وانما يقوم له بعده . واذا كان الداخل من بني ابي اللمع يقبل ذراع الحاكم لا كتفه واذا كان من بني رسلان يقبل ساعده واذا كان من المقدمين او المشائخ يقبل طرف ابهام كفه . واذا كان من سائر الناس يقوم له عند ركوعه لتقبيل يده . وبعضهم لا يقوم لهم ابداً وبعضهم لا يسوغ له الدخول على الحاكم اصلاً

اما في المكاتبات فالحاكم الشهابي اذا كتب الى احد الامراء خاطبه بالاخ العزيز الا امراء بني اللمع فانه كان يخاطبهم بقوله « جناب حضرة الاخ العزيز الامير فلان المكرم حفظه الله تعالى . اولاً مزيد الاشواق لمشاهدتكم في كل خير وثانياً كذا وكذا » ويخاطب المشائخ على اختلاف طبقاتهم بقوله « الاخ العزيز » وعن هذا اللقب تصدر المشيخة في البلاد بخلاف الامارة فان لها وضعاً مخصوصاً . وعندهم في ملحقات هذا اللقب اختلاف بين الامراء والمشائخ باعتبار تلك الطبقة في نفسها أوسع الاخرى . فان الامير ان كان من بني الشهاب زاد في كتابته ما يدل على الكرامة فوق بني ابي اللمع وهم فوق بني رسلان . وان كان الشيخ من بني حمادة كتب له كما يكتب للامراء بني

ابي اللمع والا فهم على نسق واحد . ومن عاداتهم ان يكتب لبني الشهاب وبني ابي اللمع وبني حمادة في نصف طبق من الورق وللبقية في ربع طبق . ومتى اراد الحاكم ان يكتب اسم نفسه في كتاب لغير الشهابيين لا يدعو نفسه اخاً له بل محبا مخلصاً . ولايكتب لقب نفسه بعد الاسم صريحاً بل يكتب ثلاث نقط متصلة تحت اسمه وتحتها نقطتان متصلتان أيضاً يشير بالاول الى شين شهاب وبالثاني الى بائه . ولا فرق في ذلك بين الامراء والمشائخ ان كانوا رعاة او رعايا فانهم في رتبة واحدة . وأما بقية أهل البلاد فمنهم من يكتب له « حضرة عزيزنا » وهم من النصارى بنو بايبل في قاطع المتن وبنو العازار مشائخ الكورة وبنو اليازجي في الغرب وبنو الشيخ عليّ من الدروز في الشوف ويلقبهم بالمشائخ ويكتب لهم اسم نفسه « الفقير فلان » ولكن الكتاب يشوشون رسم الفقير حتى لا يهتدي الى قراءته من لا يعرف اصله وهو على هذه الحالة يسمونه بالطرة . ومنهم من يكتب لهم « عزيزنا » فقط وهم اهل دير القمر واهل عين دارة واهل بتلون واهل نيحا وأهل عين ماطور بوجه العموم . وكانت هذه القرى الخمس قديماً في يد الحاكم لا يتولاها أمير ولا شيخ ولذلك يقال لها الضياع الخاصة . وقد يكتب ذلك لافراد من أهل البلاد المشهورين ومنهم من يكتب لهم « أعز المحبين » وهم عامة الجمهور غير ان «حضرة عزيزنا» لاتكون الا في ربع طبق من الورق و«أعز المحبين» لاتكون الا في ثمن طبق و«عزيزنا» تكون فيهما جميعاً بحسب الشخص المكتوب اليه . واما غير الحاكم من الامراء والمشائخ فانهم يدعون بالاخ من يدعوه الحاكم مطلقاً . وقد يدعوه المشائخ بذلك وهو غير مضبوط لانه غير محصور في بيوت معلومة ولكن بحسب الشهرة ومقتضى الحال . وأما الامراء فبنو ابي اللمع لا يدعون احداً بالاخ الا بني اليازجي في الغرب والذي لا يدعى بالاخ عند غير الحاكم يكتب له «عزيزنا» مع اضافة الحضرة اليها أو بدونها ولا يكتب « أعز المحبين » لاحد لانها من خصائص الحاكم

ولهم رسوم من حيث شكل الصحيفة المكتوبة فان منها ما يطوى مستطيلاً ويكتب الشطر الواحد منه ويترك الآخر بياضاً لا يكتب فيه الا اذا طال الكلام حتى لا يستغرقه الشطر الاول ويقال له « قائمة » . وهذا يكتب للمقربين الذين يكتب اليهم احياناً ما لا يريد ان يقف عليه الناس . ولذلك تدرج الصحيفة ماصقة بالكتابة ونحوه معنونة باسم المكتوب اليه وبناء على ذلك تحتمل من التنازل ما لا يطابق العادة المألوفة بوجه ما . ومنه ما يكتب مبسوطاً ويقال له المفتوح وهذا يكتب للاجانب الذين لا ينتهي اليهم ما يعان عن الناس . ولذلك تدرج الصحيفة ادراجاً بسيطاً غير ماصقة ولا معنونة لتذكر

الاسم في باطنها . وبناء على ذلك لا يرخص فيها بشيء من التسامح في العوائد وهي دون الاولى في الكرامة . وبما ان القائمة تحتمل ما لا يحتمله غيرها كان الامير بشير الشهابي يكتب بها نصف طبق للشيخ بشير جنبلاط ويكنيه بابي علي خلافاً للعادة لان الحاكم لا يكني احداً في كتابته على الاطلاق . ولكن لما توفي اخوه الشيخ حسن وأراد أن يكتب له تعزية وهي مما يقتضي الشهرة فلا تناسبها القائمة كتب اليه كتاباً مفتوحاً ربع طبع من الورق مقتصراً على ذكر اسمه دون كنيته حسب العادة المفروضة . ومثل ذلك ما كتب به للشيخ ناصيف نكد تهنئة له عند زواجه وكان يكتب له ولابن عمه الشيخ حمود قائمة من نصف طبق ولكن معرضاً عن ذكر الكنية ولم يكتب الحاكم لغير هؤلاء الثلثة من المشائخ في نصف طبق الا لبني حمادة الجبيليين لانهم كانوا قديماً يتولون أمر تلك البلاد من يد الوزراء السلطانية . ولم يذكر كنية الا للشيخ بشير جنبلاط لانه كان على نفوذ عظيم في البلاد . واما الكتابة الى الحاكم فان الجميع يدعونه سيداً لهم . غير ان الامير الشهابي منهم يدعو نفسه ولداً له أو ابن عمه بحسب سنه . واللمعي يدعو نفسه محبا داعياً والباقون من الامراء والمشائخ يدعون انفسهم عبيداً كما تكتب اليه عامة الناس بالاجمال ولا يذكر له اسم ولا لقب ولا كنية بل يدعى بالامير لا غير

اخلاق اللبنانيين ومناقبهم

لبنان من اصح الاقاليم هواء واعذبها ماء واهله من أحذق الناس اذهاناً واقوامهم ابداناً وأكثرهم نشاطاً وهمة . وفيهم شجاعة وحمية وقد نبغ منهم جماعة من أهل الحرب والقواد ذكرنا منهم يوسف بك كرم في الهلال الماضي . واشتهر في اوائل القرن الماضي عشرات من الفرسان الشجعان أظهروا في الفتن التي انتابتهم في اواسط ذلك القرن شجاعة ونجدة وثباتاً في ساحة القتال لا تزال حديث القوم في مجتمعاتهم حتى الآن في سوريا ولبنان . وقد دونها مؤرخو تلك الحوادث

واللبناني ذكي نشيط مقدام همام صبور على العمل . اذا طاب له المقام في جبله وكان في عوز فتت صخوره فجعلها تراباً وبذرها بالحب واستثمرها . او نصب الكرم واستغله بعرق الجبين وكد النفس . يقضي نهاره في الحقل او السوق فاذا اتى منزله استقبلته امرأته وقد اعدت له اسباب الراحة واهمها النظافة . واللبناني مهما بلغ من فقره لا تستنكف ان تأكل من طعامه وتقعد على حصيره وتنام في فراشه . واذا جلس اليك وان كان ساذجاً في منظره فانه يجول معك في المواضيع العامة سياسية

كانت او اجتماعية او ادبية . وترى في حديثه تعقلاً وذكاء على حسب سنه وطبقته . وتسمع من امرأته او بناته ما يدلُّ على استعداد طبيعي للرقي الاجتماعي

واذا ضاق به الرزق في بلده او بعثه الظلم على المهجرة كما جرى في اواخر القرن الماضي رأيته اسرع ما يكون الى الرحيل . يلقي المحراث او المعول جانباً ويشد وسطه ويتأبط حقيبته ويضرب في الارض لا يبالي بما يلقى في سبيله من العقبات اوما يقطعه من البحار اوالقفار. يعالج اسباب الرزق بالجد والسهر ومغالبة العناصر . وقد يكون عمله الطواف للبيع في القرى والجبال فيتعرض لقطاع الطرق والوحوش الضارية فيتلقى ذلك بقلب لا يهاب الموت وصبر لا يعرف اليأس



احد ابطال لبنان في اواسط القرن الماضي (ابو سمرا غانم)

وقد يسافر الى بلد لا يعرف لغة اهله ولا نصير له فيه غير سعيه وقوة ارادته . فيأخذ في العمل لا يهمه اين ينام ولا ماذا يأكل وانما همه ان ينجح في عمله . وربما كان امياً تظهر السذاجة في كل حركة من حركاته على بساطة عيشه . فاذا نجح وأثرى خلع ذلك الثوب البسيط واتخذ زي اهل الثروة وتطبع بطباع الطبقة الراقية

وسكن المنازل الواسعة وفرشها بالرياش الفاخر كانه ولد غنياً — غير من يسافر للاتجار من ارباب الاموال التماساً للتوسع في الرزق

ويقال على الاجمال ان اللبنانيين حيثما نزلوا كانوا مثالاً للجد والعمل في اكبر مدائن اوربا واميركا . فانهم يجارون اهلها في تجارتهم وصناعتهم حتى في لغاتهم وآدابهم

اكثر المهاجرين السوريين في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن من اهل لبنان ومعظمهم من الفقراء او الفلاحين . سافروا ورأس مالهم نشاطهم وهمتهم وصدق عزيمتهم وقد نجح اكثرهم . ومنهم الآن نحو مئتي الف نفس في اوربا واميركا الشمالية والجنوبية . وفي اوستراليا وزيلاندا وتسمانيا وسائر جزائر المحيط . وفي غربي افريقيا وجنوبيها وشرقيها واواسطها وفي الهند وجزائرها . واكثر اشتغالهم بالتجارة على اختلاف ضروبها . ومنهم طبقة حسنة من اصحاب المعامل الكبيرة والمتاجر الواسعة تمتد علاقاتهم المالية في مشارق الارض ومغاربها . ولهم بيوت تجارية تعدُّ من اكبر المتاجر في اكبر مدائن اميركا واوربا فضلاً عن سوريا ومصر . فان جانباً كبيراً من ارباب الثروة السوريين فيهما من اهل لبنان



الكولونيل ميشيل حداد

ولم يقتصر نجاحهم على الامور التجارية فان بعضهم اتصل بجده الى المناصب السياسية او العسكرية في الحكومات الاجنبية . فالدكتور نجيب صابي احد حكام فيلبين لبناني . وكذلك الكولونيل ميشيل حداد امير الاي في الجيش الاميركي والكولونيل ورد في جند فيلبين . ومنهم طائفة من ارباب المهن العلمية كالاطباء والمحامين يجارون الاوربيين والاميركان في هذه الصناعات في بلادهم

واللبنانيون من اكثر الامم تعلقاً بوطنهم يفضلون روابيه الجرداء على اخصب اودية المهاجر . فتراهم وهم وراء البحار لا يشغلهم عن ذلك الوطن شاغل من ثروة او نعيم . وانما همهم سعادته فيسعون في ذلك بانفسهم واموالهم واقلامهم . وقد تعلموا من الاختلاط بالامم الحية معنى الوطن الحقيقي . وبين الساعين في انقاذ لبنان اليوم جماعة كبيرة من ابنائه المهاجرين في اوربا واميركا ومصر وغيرها

٤ — احواله العلمية والادبية

في اللبنانيين استعداد للعلم والادب ولهم قرائح شعرية فطرية وعندهم ضرب من الشعر يعرف بالمعنى وضرب آخر يعرف بالترّاضي . وقد اشتهروا بالاجادة فيهما ولهم أساليب في نظمهما ارتجالاً على شكل المذاكرة الشعرية . ويغلب ان يكون ذلك بين شاعرين يتناظران ويتنافسان او يتفاخران او يتجاملان ويسمى الشاعر عندهم قوّالاً . وتكثر هذه المذاكرة في المجتمعات العمومية في المواسم والاعياد او في الافراح فينقسم الحضور الى حزبين يتعصب كل حزب الى شاعر يؤيدونه وينشطونه ويؤمنون على قوله . وقد ينتهي الجدال بالشجار . واشتهر من القوالين طائفة حسنة بين منظوماتهم ما لا يقل خيالاً وشاعرية عن احسن الشعر العربي . فذلك دليل على ذكائهم وميلهم الفطري الى الادب

ثم وفقوا الى الارساليات الدينية التي خرجت للتبشير والتعليم في الشرق ولا سيما الاميركان والجزويت . والمبشرون انشأوا المدارس في لبنان قبل انشائها في بيروت . واللبنانيون حتى في بيروت من اكثر السوريين اقبالاً على العلم . واكثر مؤسسي النهضة العلمية الاخيرة في سوريا من اهل لبنان وهم اول من انشأ الجرائد في سوريا . فان خليل الخوري صاحب حديقة الاخبار اقدم الجرائد السورية ولد في الشويفات . وبطرس البستاني صاحب اقدم المجلات العربية واحد اركان النهضة الاخيرة ولد في الدبية بلبنان . وقس على ذلك معظم اصحاب هذه النهضة في القرن الماضي . فآل اليازجي وآل تقلا من كفر شيما واحمد فارس الشدياق من عشقوت . واكثر ارباب الصحافة

السوريين المسيحيين في بيروت والقاهرة والاسكندرية الآن اصلهم من لبنان . فضلا عن الجرائد اللبنانية التي تصدر في لبنان وقس على ذلك الادباء والشعراء وغيرهم

وفي اللبنانيين اقتدار عظيم على اتقان اللغات ونبغ منهم غير كاتب في لغات الافرنج ولا سيما الفرنساوية والانكليزية ذكرنا بعضهم في الهلال قبل الآن . وفيهم ميل خاص الى الصحافة وقد رأيت انهم أسسوا الصحافة السورية وكانوا من اكبر العوامل في نهضة الصحافة المصرية . وحيثما توجهوا جردوا اقلامهم وبحثوا في السياسة والعلم والادب . ونظراً لكثرة اسفارهم واتساع هجرتهم فقد نشروا اللغة العربية والصحافة العربية في اربعة أقطار العالم المتمدن . فاصدروا الجرائد والمجلات في الولايات المتحدة وكندا والمكسيك والبرازيل والارجنتين وسائر الاقطار الاميركية . وفي فرنسا وانكلترا وسويسرا وفي الاستانة وتونس ومراكش وغيرها من بلاد الشرق والغرب . ونبغ منهم في المهجر طائفة من الشعراء والادباء استفادوا من ذلك الوسط روحاً جديدة ظهرت في منظوماتهم . ومنهم من قلد ادباء الافرنج في الشعر الفلسفي واجاد فيه وبعضهم ألف في هذا الفن من الادب للافرنج أنفسهم وفي لسانهم

كان المتكلمون باللغة العربية في اميركا منذ ثلاثين سنة يعدون على الاصابع فاصبحوا الان يعدون بمئات الالوف . صدرت اول صحيفة عربية في أميركا سنة ١٨٩١ وبلغ عدد الصحف التي صدرت هناك الى الان نحو مئة صحيفة لا يزال كثير منها حياً ومنها عدة جرائد يومية من خيرة الصحف العربية . واكثر الفضل في ذلك للبنانيين فقد اوجدوا في ذلك العالم البعيد مستعمرة عربية لها صحافة عربية ترافقها نهضة عربية انشأوا لها الجمعيات العربية الادبية والخيرية والدينية والتهذيبية والسياسية حتى زاد عددها على ثلاثين جمعية لا يزال كثير منها حياً . وبعضها انشئ خاصة لرفع شأن اللغة العربية واحياء ذكرى رجالها . منها جمعية « رواق المعري » في سان باولو البرازيل فانها احتفلت منذ بضع سنين برفع الستار عن رسمي الشيخ محمد عبده والشيخ ابراهيم اليازجي على أثر وفاتهما . وقس على ذلك من نبغ هناك من كتاب اللغة العربية وشعرائها وهم يعدون بالعشرات وثمار قرائحهم ظاهرة على الصحف العربية في المهجر والوطن

٥ — نفر قديم

كل ما قدمناه من مناقب اللبنانيين وسجاياهم يوجب لهم الفخر ويخلد لهم الذكر . لكننا لا يليق بنا الاغضاء عن موضع النقد فيهم — نعني تفرق كلمتهم وكثرة الاحزاب

بينهم . وكل حزب يشتغل لنفسه ويقاوم سواه . وقد ذكرنا من اسباب ذلك الشقاق التعصب الديني وسعي الحكام في التفريق لمصلحتها السياسية . وهو سبب عظيم الاهمية لكن تلك العوامل ذهبت الان بانتشار التعليم وسريان الحرية في الامة ونرى روح التفريق لا تزال باقية . وقد تولدت احزاب جديدة اقتضتها تلك الروح بسبب التباعد بين الخاصة والعامة . نعني ان العامة وهم جمهور الشعب اللبناني بعد ان كانوا تابعين للخاصة من الامراء او المشايخ او غيرهم ينتمي كل جماعة منهم الى زعيم يقولون بقوله ويستهلكون في نصرته والقيام بدعوته اصبحوا بعد انتشار روح الحرية الشخصية لا يرون للزعماء فضلاً عليهم . واكثر القائمين بهذه الدعوة من الشبان الذين تلقوا روح الدستور في المدارس او اقتبسوها بالمطالعة او السياحة وكثيرون منهم تشربوا الاداب الفرنساوية وهان عليهم قلب ظهر المجن لامرائهم بعد الاطلاع على حوادث الانقلاب الفرنساوي الذي قام فيه العامة على الخاصة واستلبوا السلطة من ايديهم ــ والانسان ميال الى التقليد . فاصبحت الشبيبة اللبنانية المتعلمة تنكر امتيازات العشائر وتستخف بسيادة الاكليروس . وقد تعجلت ذلك وبالغت فيه وهي لم ينضج رقيها ولم تتعود الاجتماع . فاصبح لبنان الان من حيث نظامه الاجتماعي في طور الانتقال لا هو في قبضة الخاصة ولا العامة . وسيبقى كذلك حيناً حتى تستقر الاحوال وتتوازن القوى فيعرف الامير او البيك حق العامي فلا يسلبه اياه ويعرف العامي فضل الزعامة وفائدتها في جمع الكلمة فلا ينفر منها

ان نزع الامتيازات المتوارثة ورفع شأن العامة بالرجوع الى الحرية الشخصية من الحقوق الطبيعية . وتفويض امور الدولة الى الامة من الامور المستحبة . وقد تظهر لاول وهلة كاملة لا عيب فيها ولكنك تجدها عند اعمال الفكرة لا تلائم مصالح الامم على السواء ولا توافق مصلحة الامة الواحدة على اختلاف اطوارها . ولبنان ما برح من اقدم ازمنة التاريخ مؤلفاً من عشائر وقبائل اضيف اليها في القرون الاخيرة الطوائف والمذاهب . ونظامها الاجتماعي في الحالين من قبيل الامارة الاستبدادية كل طائفة او عشيرة تخضع لرئيس يدبر شؤونها او يتولى تنظيمها او يدافع عنها . وقد يكون ذلك الرئيس اميراً او بيكاً او اسقفاً او غير ذلك . وكل طائفة تجتمع باسم زعيمها فاذا داهم الوطن عدوٌ ورأى الرؤساء ان يجمعوا كلمتهم للدفاع عنه هان التفاهم بينهم . واذا اقروا على امر اطاعهم فيه رجالهم ونفذوه

فلما انتشرت روح الحرية في الشعب بالتعليم او المطالعة او الاسفار . وشاهدوا

ما للشعوب المتمدنة من النظامات الدستورية ارادوا ان يطبقوها على انفسهم فجاهروا باحتقار اصحاب السيادة الموروثة او المفروضة واصبح سوء الظن متبادلاً بين الجانبين فذهبت هيبة الرؤساء ولم تنضج آراء الشعب . نعني انهم لا يزالون من الجهة الواحدة مفترقين حسب المذاهب والطوائف يعسر اجتماعهم لتباين اهوائهم واغراضهم المتوارثة فيهم منذ اجيال ولا هم يخضعون للرؤساء ليجمعوهم . فكيف يجتمعون ؟

لما خلع الفرنساويون نير الامراء اتحدوا عليهم باسم فرنسا او الشعب الفرنساوي وهم امة واحدة ومذهب واحد وتربية واحدة وعادات واحدة . وقد استعدوا لذلك في اعوام متوالية . فهل ينطبق ذلك على اللبنانيين وهم فرق مختلفة تتباين مذهباً ومشرباً وغرضاً مع حداثة عهدهم باسباب هذه المدنية ولم تنضج آراؤهم ولا اتخذوا وجهة تتوحد فيها كلهم — فضلاً عن اختلافهم في ما اقتبسوه من المبادئ باختلاف وطنية المدارس التي نشأوا فيها — فهل يمكنهم ان يستغنوا عن تلك الرئاسات ؟

الجواب على ذلك صعب تكتنفه الشكوك والاوهام . ولكننا نقول بامكانه على شروط اهمها : (١) ان يترقى الشعب بالتعليم حتى يعرف حقائق الاشياء كما هي لا كما تظهر له . وان يعرف حدود الحرية وحدود السلطة وترقى اخلاقه بالتربية العالية لتنقى مما اعتورها من المفاسد بتوالي الظلم والفقر والذل (٢) ان يضاف الى لبنان بقاع خصبة تشغل اهله باستثمارها . وتغنيهم عن طلب المناصب ونصب الحبائل في نيلها أو المهاجرة في طلب الرزق (٣) أن يضم اليه بعض السواحل لانشاء المين وتسهيل طرق المواصلات بحيث تتسع تجارته وتتعاظم ثروته . ومتى صار لبنان غنياً وأصبح بلداً تجارياً وارتقى أهله ارتقاء كافياً هان اجتماعهم وتوحيد كلهم باسمه ونبذ سائر العصبيات

ولكن كيف يمكن الحصول على هذه الشروط ولبنان كما هو من الفقر؟ والفقر من اكبر علل تقهقره . لان تجرد لبنان من البقاع الخصبة وتوالي الفتن على اهله شغلهم عن المعاش الطبيعي من الصناعة والزراعة والتجارة وصرف همم الباقين فيه الى خدمة الحكومة . وهم اهل ذكاء وعقول متحركة فاتجهت قرائحهم الى «المقدحة» أو تأليف الاحزاب لا لغرض عام في مصلحة الوطن بل لمصلحة خاصة وجر مغنم شخصي . وساعد على نمو هذه العاطفة فساد الاحكام في الدولة العثمانية وانتشار الرشوة في دوائرها فاقتدى لبنان بها واصبحت الرشوة من جملة ادوات المقدحة . وساعدهم على ذلك ان نظام لبنان يطلق يد المتصرف في تقليد المناصب كما يتراءى له . وبين طلاب هذه المناصب في لبنان جماعة افسد العهد الماضي اخلاقهم في جملة ما افسده عبد الحميد فاستخدموا في

اغراء المتصرف الزلفى والرشوى والسعي في اخصامهم سوءاً كل طالب يطعن في مناظره . ومهما يكن من حكمة المتصرف وقوة ارادته لا بد من تأثير تلك المساعي فيه فيضطرب الحبل وتفسد النيات وتنصرف الهمم والعقول عن المصلحة العامة

تلك هي حال لبنان وقد نهض محبوه الآن لاصلاح شؤونه فاذا منح ما يطلبه من الملحقات وقدر له ان يتولى ادارته الداخلية بنفسه كان في حاجة الى المال والرجال لينهض من كبوته — يحتاج الى رجال مخلصين يحبونه حباً مجرداً وقد عركهم الدهر وخبروا اسباب الارتقاء ووسائل المدنية الصحيحة . ومال ينفقونه في انشاء المدارس الوطنية التعليمية والصناعية وتدبير الري وتنظيم الطرق وتسهيل وسائل النقل . ولو امكن نقل ابنائه المهاجرين اليه باموالهم واختبارهم لتكفلوا بذلك . ولكن هذا غير ميسور الا بعد ان يعمر لبنان وعمرانه لا يكون بغير المال — تلك هي المشكلة التي يطلب من الزمان حلها . ولا يستطيع الباحث الاجتماعي التكهن في مستقبل لبنان لانه معرَّض لعوامل سياسية واغراض دولية واحوال شخصية يصعب الحكم معها على المستقبل . ولا بد من الانتظار لنرى ما تلده الايام . وانما يقال على الاجمال اننا لا نرجو للبنان اصلاحاً يستحق الذكر ان لم تتسع مساحته ويعدَّل نظامه بما يضمن راحة الناس ويغنيهم عن المهاجرة فيرون على اهله الراغبين في اصلاحه ان يبذلوا السعي والمال في انشاء المدارس لبث روح الوطنية ونبذ الشقاق وجمع الكلمة باسم الوطن والله الموفق

*

تحتاج ادارة الهلال الى ما يأتي

الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي

السنة الرابعة من الهلال

« السابعة « «

والاعداد الهلال الآتي ذكرها :

العدد ٢ من سنة ١٣ و ١ من سنة ٢ و ٣ من سنة ١٥ و ١ و ٢ و ٤ من سنة ١٦ و ١ و ٨ و ٩ من سنة ١٧ و ١ و ٢ و ٣ من سنة ١٨ و ١ و ٢ و ٧ من سنة ١٩ و ٤ من سنة ٢٠ فمن كان عنده شيء من هذه المجلدات او الاعداد فليخابر ادارة الهلال باثمانها

هل يخشى على اوربا

من الخطر الاصفر

بحث اجتماعي اقتصادي

ما برحت سيادة العالم من اقدم ازمنة التاريخ في ايدي الجنس الابيض المسمى بالقوقاسي — وقد تنقلت بين شعوب ذلك الجنس من المصريين والفينيقيين والاشوريين الى اليونان والرومان والعرب فالشعوب الجرمانية التي اقامت على انقاض المملكة الرومانية دول اوربا العظمى واهمها فرنسا وانكلترا والمانيا . وهي اليوم قلب العالم المتمدن . وقد تقلب طالع المدنية بين السعد والنحس في أثناء هذه الانقلابات السياسية لان القوة التي تخضع الشعوب وتقيم الممالك هي غير القوة التي تهذب الانسان وترقي مداركه — والتاريخ شاهد بصدق ذلك . فكم من المدنيات النخجمة والعلوم الراقية ذهبت ضحية جهل الفاتحين

اما الاجناس الاخرى واهمها الاصفر والاسود فمع ان لها تاريخاً كان مجيداً في بعض الازمنة ومدنيات لا يستخف بها فهي — على ما ينبيء التاريخ — لم تحصل على سيادة دامت طويلاً . فهل هناك اسباب طبيعية تشريحية تتعلق بتركيب اجسام أولئك البشر تجعلهم احط من الشعوب القوقاسية وتقضي عليهم بالسير خلف مدنية البيض من بني آدم ؟ او هل يخشى ان يأتي يوم ترتقي فيه تلك الاجناس وخصوصاً الجنس الاصفر الى درجة يجارون فيها الامم الاوربية في نظام الجند ومعدات الحرب فتكون لهم حينئذ افضلية العدد فيغزون اوربا ويسودون عليها — والتاريخ يعلمنا انه لا يدوم على هذه البسيطة سوى التغير والتقلب ؟

تلك مسألة شغلت خواطر كبار الساسة الاوربيين وكتابهم في السنين الاخيرة فكتبوا الكتب والمقالات في هذا المعنى بين منذر بخراب المدنية الحديثة وقائل بثبات سلطة اوربا ومتنبيء بقدوم دولة الصفر ورجوع قرون مظلمة ثانية ونحو ذلك . وهم على الاجمال فريقان فريق خائف متشائم وفريق مطمئن البال ساكن الخاطر لا يخشى سوءا على دولة الغرب . اما المتشائمون فنوعان ايضاً : منهم من يعتقد ان خراب

اوربا سيأتي دفعة واحدة بعد غزو الصينيين لها ومنهم من يخاف عليها الاندماج البطيء بتقدم الصينيين اقتصادياً وادبياً والاوربيون يتقهقرون تقهقراً اجتماعياً اخلاقياً

وقد صور احد الكتاب بقوة خياله بلاد الصين في اوائل القرن الحادي والعشرين الآتي فقال بكين عاصمتها اجمل من باريس شوارعها نظيفة منتظمة وبيوتها متناسبة وسماؤها ملأى بالطيارات الى أبهى ما هنالك من مظاهر المدنية والارتقاء — ثم انتقل من وصف المدينة الى القصر الامبراطوري حيث جمع امبراطور الصين سفراء الدول الاوربية بمناسبة دخول رأس سنة ٢٠٠١ م والقى عليهم خطاباً طويلاً كانت نتيجتهُ الحرب هذا ملخصه :



امبراطور الصين واليابان يلقي خطاباً على سفراء الدول الاوربية سنة ٢٠٠١ م

« انا كوهانغ تسي امبراطور الصين واليابان بمناسبة دخول العالم في القرن الحادي والعشرين اذكركم بما يأتي :

« لما منعت دول اوربا اليابان من توسيع املاكها في الصين بعد انتصارها عليها سنة ١٨٩٥ حرمت الصين من مقاصد اليابان في تمدينها وترقيتها مادياً وادبياً . وقد حفظ ذلك اسلافي امبراطورو اليابان العظام واخذوا منذ ذلك الحين في ملاينة دول الغرب وملاطفتها — ولا حاجة بي ان اذكركم انهُ لما توفي امبراطور الصين ايتسي سنة ١٩٥٠ عين وريثاً له ولي عهد اليابان حينئذ سالفي المجيد الامبراطور كوتسين لما كان بين الصين واليابان من العلاقات الودية ولما توسمه في شخصه من الكفاءة . فتحد بذلك اليابان

والصين وصارتا دولة واحدة . فالان نحو ٨٠٠ مليون من الناس يخضعون لي . وقد عرفنا ماذا ينبغي لنا ان نقتبسه من مدنيتكم فاقتصرنا منها على ما يختص بالفنون الحربية والصناعة . فتخرج من مدارسنا قواد ومهندسون عديدون وعندنا الان ٤٠ مليون جندي بتمام العدة وغاية النظام - ومع رغبتي في حفظ السلم الدولي لا ارى بدًا من تنبيهكم الى ما يأتي :

« لا يمكننا أن نسكت طويلاً عن الحرب الاقتصادية التي شهرتها أوربا على مصنوعاتنا بمنعها من الدخول في بلادها على حين ان أبواب مملكتنا مفتوحة للتجارة الدولية . فالصين تريد أن يستفيد العالم باسره من مصنوعاتها الرخيصة . ولذا فهي تطلب بإلحاح الغاء جميع الرسوم الجمركية . ولنا مطلب آخر لا تقلّ أهميته عن المطلب الاول ذلك ان رعايانا يتكاثرون بفضل الاحتياطات الصحية والتقدم المادي في جميع الانحاء وقد اوشكت بلادنا أن تضيق بهم فنطلب بكل قوة أن تتخلى الدول الاوربية عن مستعمراتها في الشرق الاقصى وترجع لنا ما اغتصبته من اسلافنا ونحن مستعدون أن ندفع تعويضاً ماديا عن الاعمال الاقتصادية التي أقامتها فرنسا وانكلترا والمانيا في تلك الجهات من سكك حديدية ومشاريع للري ونحو ذلك . وفي الختام انبهكم الى أمر هام وهو اننا مع ما بلغنا اليه من الارتقاء لا نفكر في اغتصاب الممالك الاوربية وتكدير راحة الاوربيين مطلقاً — هذا ما قررناه بكل حكمة وانصاف » اه

ان هذا الخطاب بشكله الخيالي يوضح لنا أوجه التخوف . واليك ما قاله أحد المتشائمين بحالة اوربا نورده انموذجاً نسجت على منواله هذه الطبقة من الكتاب قالوا:

« ان التاريخ يعيد نفسه . فلا يستبعد أن يأتي زمن يكتسح فيه الصفر قارة أوربا بجيوشهم الجرارة وتهدم الحديثة التي يتخذونها عن الاوربيين . قد رأينا من الآن كيف بدأ الصينيون يقتبسون مدنيتنا فما الذي يمنعهم بعد تثقيفهم وتدريبهم من بناء المعامل العظيمة وتخطيط السكك الحديدية واستعمال جميع وسائل الصناعة الحديثة فيسابقون الاوربيين في صناعتهم وتجارتهم - والصين كما لا يخفى مستودع عظيم لاهم المواد الاولية للحياة الاقتصادية . فاذا بلغوا هذه الدرجة من الرقي لا يبقى لاوربا الا ان تختار واحداً من شرين : اما أن تقفل أسواقها في وجه المصنوعات الصينية — وهي حرب اقتصادية لابد أن تليها حرب حقيقية لان المعاكسات الاقتصادية انما هي مقدمة الحروب. واما أن تقبل مسابقة الصين وقد تجبر حينئذ على اقفال معاملها وتوقيف صناعتها انتهاء في تلك المسابقة . ان كبرياءنا تمنعنا من تنزيل هذه الامور في منزلتها الحقيقية فنحن

ننظر شذراً الى الذين يختلف لون بشرتهم عن لون بشرتنا ونسميهم متوحشين . ولو عقلت أوربا لتدبرت الخطر المحدق بها فتلافاه قبل أن يستفحل وتحد ضد العدو العام عدو الحضارة الاوربية فهاجمه دفعة واحدة تقتله فيها وهو ضعيف اليوم قبل أن يبتلعها فيما بعد . ان الخطأ الاعظم الذي ارتكبه الاوربيون هو انهم سهلوا على اليابانيين التقدم المادي والادبي ... » اه

نقتصر على هذه الفقرة من اقوال المتشائمين وقد آن لنا أن نحلل أسباب تخوفهم تحليلاً تتضح معه أوجه الخطأ والصواب . ان خراب أوربا في نظرهم سينشأ عن أحد سببين : اما الغزو بالحرب أو الاندماج البطيء فلنفحصهما بالتدقيق :

١ — هل تغزو الصين اوربا ؟

الجنس الاصفر كالابيض مقسوم الى دول أهمها الصين واليابان وكوريا وانام وسيام ويرى المتشائمون ان هذه الدول ستتحد يوماً على أوربا . ولا نرى اتحادها أمراً مسلماً لان دول أوربا اليوم مع كونها من جنس واحد فهي تجيش ملايين من الرجال في التخاصم بينها فلماذا لا يكون ذلك شأن دول الجنس الاصفر فتتخاصم بعد استتمام رقيها الاقتصادي والادبي . وليس للمتشائمين دليل على هذا الاتحاد المخيف ؟ وقد رأينا الصين واليابان عدوتين متحاربتين في أواخر القرن الماضي . ثم ان الانتماء للون واحد أو دولة واحدة لا يكفي للحصول على جيش منظم قادر على فتح البلاد والانتصار في المعارك . وانما المطلوب أن تكون الحكومة قوية وروح الامة حية . فهل هذه حالة الصين أو ما يرجى منها في المستقبل ؟ كلا . فان الروح العسكرية أي حب الفتح والغزو قد زالت من بين أهلها لقدم مدنيتها كأن المدنية تضعف الطبائع اللازمة لتوسيع الممالك

. ولكن لنفرض ان الصين تمكنت من تجنيد جيش عظيم وان هذا الجيش يتقدم نحو أوربا فلماذا يفرض المتشائمون انه سينتصر على الجيش الاوربي ؟ ولا ينتظر أن يفوقه في العدد لاننا اذا فرضنا ان اوربا اصبحت في خطر فلا شك ان ولايات أميركا تتحد مع الجيوش الاوربية وعدد سكان أوربا وأميركا معاً أكثر من عدد الصينيين الآن — هذا اذا تساوت سائر الاحوال وبقيت الافضلية للكثرة . ولا ينتظر ان يزيد عدد الصينيين كثيراً لان بلادهم محدودة وعقلهم محدود بطيء الاستنباط. أما في اوربا وأميركا فالمجال للتكاثر والتناسل اوسع منه في الصين . وفيهما بقاع كثيرة لم تسكن بعد فروسيا وأميركا فقط تكفيان لمؤونة ١٥٠٠ مليون من الناس . فالخطر الابيض

على الصفر حينئذ اعظم من الخطر الاصفر على البيض . ثم ان المتشائمين يستدلون على سقوط المدنية الحديثة بسقوط مدنيات اليونان والرومان والعرب . كأنهم يظنون اضمحلال الامم والمدنيات قد احتكره الجنس الابيض وان الامم الصفراء غير قابلة للزوال ؟

ان الحروب لا تقوم الا بالاموال : فالجيش الذي ينوي اخضاع أوربا يجب أن لا يقل عدده الآن عن ٢٠ او ٢٥ مليون رجل (وجند الصين اليوم لا يتجاوز ٦٠٠٠٠٠) ومثل هذا الجيش يلزمه نحو ٢٠٠ مليون جنيه سنوياً على أقل تقدير فضلاً عن العدد الحربية اللازمة وهذه طبعاً يجب على الاقل أن تساوي العدد الموجودة لدى الجيوش الاوربية وهي تقدَّر اليوم بنحو الف مليون جنيه . فمن أين للصين هذه المقادير الباهظة ؟ لا جدال في انها لا تجدها في بلادها فهل تقرضها اياها أوربا ؟ الجواب كلاَّ وخصوصاً اذا علمت هذه ان الصين ستستعمل مالها لمحاربتها . وزد على ذلك انه يتعذر على الصين وفاء هذا الدين تدريجياً مع ما عليها من النفقات السنوية على جيشها وهو نحو ٢٠٠ مليون جنيه كما تقدم

ومع كل ذلك فلنفرض المستحيل وان الصين اكتسحت أوربا من روسيا الى البورتغال فعليها حينئذ أن تحتفظ بتلك البلاد وليس ذلك سهلاً عليها لان حفظه يحتاج الى تدابير وتحوطات لم يعرف التاريخ مثلها ويفتقر الى نوابغ لم تر الارض مثلهم

٢ — الحرب الاقتصادية والاندماج البطيء

أول ما انذر الكتاب دول أوربا بالخطر الاصفر عنوا خطر الهجوم والغزو . ولكنهم ما لبثوا ان رجعوا عن رأيهم هذا بعد ان شاهدوا ما شاهدوه من كره الصينيين للحرب واشمئزازهم منها شأن كل شعب ذي تاريخ قديم فقالوا ان خراب أوربا سوف يأتي من الصين ولكن بحرب اقتصادية . فلننظر في رأيهم من هذا الوجه

اولاً يمكن لاوربا حالما تشعر بضرر ذلك الاندماج أن تمنع الصينيين من المهاجرة الى بلادها كما فعل الاميركيون في الولايات المتحدة وكندا وأوستراليا حيث لا يقبل الصينيون مطلقاً . ولكن هل يأتي تكاثر الصينيين في أوربا بضرر حقيقي ؟ ان امثال هذه الاحتياطات تنشأ عادة عن نظر ضيق في المسائل الاجتماعية وجهل للسنن الاقتصادية الاساسية . فاهم هذه السنن ان مصلحة كل فرد من افراد العالم تقتضي ان يستخرج من الارض كل ما يمكن استخراجه منها . وذلك يقتضي أن يتكاثر الناس في

الارض بقدر الامكان . ولا بد لذلك من هجر البعض للاماكن الكثيرة السكان الى الاماكن الخالية منهم . وهاك مثلاً يوضح المبدأ المذكور : ان طن الفحم يساوي كذا مثلاً فاذا استخرج الفحم من كل مستودعاته على هذه البسيطة فقد يهبط ثمنه الى ربع ذلك اوخمسه . وقس على الفحم سائر المصنوعات ولا يهم الشاري أن يكون مستخرج ذلك الفحم اصفر الجلد أو اسوده أو ابيضه . يقولون أن الفاعل الصيني يكتفي ببعض أجرة الصانع الاوربي فاذا جاء بلاده سابقه وقد يأخذ مكانه فيصبح الاوربي بلا عمل — فلننظر في ما اذا كان هذا مضرًّا للبلاد ؟ ولكن لا بد قبل ذلك من القول ان الصيني يكتفي باقل من اجرة الاوربي ولكنه حالما يقدر أن يحصل على الزيادة يطلبها لانه كسائر الناس يطلب السعادة والهناء بقدر الامكان . وهو انما يقبل الاجرة القليلة مضطرًّا

ومع ذلك فلا شك ان مصلحة البلد بل مصلحة العالم على الاجمال يلائمها ان تقل اجور العمال — لا فرق بين ان يكون هؤلاء صفراً او بيضاً اوسوداً . لماذا ؟ لانه اذا قلت الاجور هبطت اسعار ضروريات المعيشة التي يهتم لها كل انسان — نعم يتعطل بسبب وجود الصينيين في اوربا واميركا بعض عمالها ولكن عامة الناس والعالم اجمالاً (بل اولئك الذين تعطلت اعمالهم ايضاً) يستفيدون من هبوط اسعار حاجيات المعيشة . ويظن الاوربيون احياناً ان الصيني متعفف في ماكله ومشربه فهو حتماً سيفوق العامل الاوربي والحقيقة انه انما يكتفي بصحن الرز كما يقولون في بادىء امره خشية الموت فقراً ولكنه حالما يرى مجالاً للكسب فانه يطلب الزيادة

ومن الجهة الاخرى اذا كانت اجور الصينيين والهنود اقل من اجور الاوربيين فذلك لانهم في الغالب اقل اتقاناً لمصنوعاتهم . وقد اصبح العالم باسره سوقاً واحدة واسعار الاشياء تعتدل وتتوازن في كل البلاد بمقتضى ابسط السنن الاقتصادية وهي ان قيمة الشيء تتوقف على الطلب و« المقطوعية » . واجور العمال ايضاً مثل اثمان الاشياء آخذة في الاعتدال فلا يميز عامل عن آخر سوى بحذقه ومهارته . فاذا تساوى عاملان احدهما انجليزي والاخر صيني في المقدرة والمهارة وطلب الصيني اجرة تعادل نصف اجرة الانكليزي فمن مصلحة كل فرد في العالم على الاجمال ان يستخدم ذلك الصيني بدلاً من الانكليزي كما بينا اعلاه

وهناك خوف آخر من الصانع الصيني وهو في بلاده فقد يتعلم اساليب الصناعة الاوربية فينشىء المعامل فيها ويجاري مصانع اوربا فيبيع مصنوعاته بثمن ارخص فتمتلىء اسواق الغرب بالمصنوعات الصينية واصحاب المعامل في اوربا يقفلون معاملهم !

ثم يقول المتشائمون : « اذا ظل الصينيون يرسلون مصنوعاتهم ونحن نرسل اموالنا فبشر اوربا بالخراب العاجل والفقر المدقع » ان الذين يقولون ذلك يجهلون مبادئ الاقتصاد البسيطة . اذا فرضنا ان الصينيين يقبلون الذهب والفضة بدلاً من مصنوعاتهم الرخيصة فذلك ولا شك يحرض الاوربيين على استخراج هذه المعادن من مستودعاتها . ولكن الصينيين لابد أن يكتفوا من الذهب والفضة اذا زادتا عن حاجة تجارتهم لان النقود انما هي واسطة للتبادل فتنصرف أوربا حينئذ للزراعة طالما كانت المصنوعات رخيصة .

يرى القراء مما تقدم أن لا خوف على أوربا من الصناعة الصينية بل يرون انه من مصلحتها ومصلحة العالم ان تتقدم تجارتها . فاذا صنعت المنسوجات القطنية مثلاً وقدمتها باسعار اخفض من الاسعار التي تباع بها في انكلترا فقد تتعطل بعض معامل مانشستر أو كلها ولكن الشعب الانكليزي على الاجمال يستفيد لانه يشتري المصنوعات القطنية وهي من الضروريات له باسعار رخيصة

الخلاصة

رأينا ان اكتساح الصينيين لاوربا مستبعد جداً بل هو من اشباه المستحيلات وعرفنا ايضاً أن تقدم الصانع الصيني سواء كان ذلك في بلاده أو في البلاد الاوربية انما هو لمصلحة العالم على الاجمال — وان اضر ببعض الافراد . لان التجارة لا تميز بين الوان الناس وأطوال شعورهم ولا تعرف سوى المصلحة الحقيقية . أما السبب الحقيقي للخوف من الصينيين في المستقبل فهو ناتج من التنافر الطبيعي بين الاجناس . وهذا التنافر آخذ في الزوال بلاريب مع تقدم المدنية وتسهيل الانتقال وتقريب المسافات بين الامم . ان «المصلحة» اهم جامعة تجمع افراد الجنس البشري . اذا هددك الابيض بالقتل وجاء الاسود للدفاع عنك فانك تلجأ الى الاخير . كذلك اذا انتفع العالم من الصينيين ومدنيتهم فهل يضر أحداً كون ذلك النفع مصدره بكين بدلاً من أن يكون باريس ؟

بقي أمر لا يستخف به : يستنتج مما تقدم انه لا يخشى على أوربا من أعدائها في الخارج وانما الخوف كل الخوف من الداخل . نعني من أمراضها الاجتماعية والمفاسد التي تكاد تكون عريقة في دمها . وشأنها في ذلك شأن الجسم البشري يهدده في كل ساعة جيوش من الميكروبات المرضية القتالة ولكن ما دام الدم نقياً وما زالت الكريات البيضاء سليمة فلا خوف من هجمات الامراض . وأما اذا أصبح الخلل داخلياً فقد قوي العدو وقرب الفشل . والامراض الاجتماعية يمكن ملافاتها بالتربية الصحيحة وتنقية المجتمع الانساني من ميكروبات الرذائل

اميل زيدان

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ما قبله)

ثانياً — انكلترا

١ — نظام حكومتها

ان نظام الحكومة الانكليزية من نوع الملكي المقيد وانكلترا من اعرق الامم في الدستور وهي ام الحكومات الدستورية . يرجع الحكم فيها الى رأي الامة فلا تسن الحكومة قانوناً أو تنفذ رأياً الا بعد موافقة الامة عليه . وينوب عن الامة مجلسان يباحثان الحكومة ويجادلانها او يقترحان عليها هما مجلس الاعيان ومجلس العموم ويعبر عنهما بالبرلمان تأسسا في اوائل القرن الرابع عشر . ويلتئم البرلمان بايعاز الملك بعد اشارة المجلس الخصوصي قبل وقت اجتماعه بخمسة وثلاثين يوماً على الاقل . وجرت العادة ان يوالي اجتماعاته بين فبراير واغسطس من كل سنة للنظر في ما يعرض عليه من الشؤون . وبعد المباحثات والاقتراحات يصدر قراراته باغلبية الاصوات

يتألف مجلس الاعيان من الاشراف ويبلغ عدد اعضائه نحو ٦٥٠ عضواً وتنال عضويته اما بحق الارث او باقتراح الملك او باستحقاق المنصب كالاساقفة ونحوهم او بالانتخاب . ويتألف مجلس العموم من اعضاء ينتخبهم عامة الشعب لينوبوا عنهم وفيهم من ينوب عن المقاطعات او المدن او المراكز او نحوها من انكلترا وسكوتلاند وايرلاندا . ويشترط في المنتخب ان يكون بالغاً رشده وان يكون اسمه مقيداً في سجل المنتخبين . وللحكومة شروط في نيل حق الانتخاب لا محل لها هنا . ويبلغ عدد المنتخبين نحو سدس الاهلين ثلاثة ارباعهم من انكلترا والباقون من سكوتلاندا وايرلاندا . وانتخاب اعضاء البرلمان سري ولا ينتخب عضو لم يتجاوز سنه ٢١ سنة

ولا يجوز انتخاب احد من الاشراف لعضوية مجلس العموم

والقوة التنفيذية في الدولة الانكليزية في قبضة الوزارة او مجلس الوزراء لكنها تصدر باسم جلالة الملك . على ان هذا المجلس يتوقف تعيينه على مجلس العموم فهو يعين رئيس الوزارة باكثرية الاصوات وهذا يشكل الوزارة . ولذلك كانت الحكومة في ايدي الشعب . ومجلس الوزراء او النظار عندهم مؤلف من ١٨ وزيراً كل منهم يتولى رئاسة دائرة من دوائر الحكومة وهي ثماني عشرة دائرة او وزارة : الخزينة والعدلية والختم الخاص والخارجية والهند والداخلية والمالية والمستعمرات والحربية البحرية وايرلندا والتجارة والمحلية والمعارف وسكوتلاندا والزراعة والاسماك والبريد ولانكستر على كلٍ منها رئيس

٢ — عظمتها وعمرانها

ان المملكة الانكليزية بما يلحقها من المستعمرات اعظم الممالك المتمدنة واكثرها سكاناً واوسعها ثروة . وهي تتألف من بريطانيا العظمى وتشتمل على انكلترا ويلس وسكوتلاندا وايرلاندا . ومن مستعمراتها الكثيرة في القارات الخمس . فساحة بريطانيا ١٢١٣٩١ ميلاً مربعاً وعدد سكانها نحو ٤٥٠٠٠٠٠٠ نفس . واما المستعمرات فانها اوسع من ذلك كثيراً تقدر مساحتها باضعاف مساحة بريطانيا . فهي تزيد على ١١٥٥٩٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها يزيد على ستة اضعاف سكان بريطانيا اي نحو ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس تتفرق على هذه الصورة :

مستعمراتها	مساحتها بالاميال	عدد سكانها
في اوروبا	١١٩	٢١٣٦١٥
في اسيا	١٦٣٧٢١٥	٢٣٨٦٦٤٦٠٩
« افريقيا	٢٨٨٠٣١١	٤٣٤٦٧٦١٥
« اميركا	٣٨٦٥٢٦٥	٧٤٢٦٤٦٣
« اوستراليا	٣١٧٦٠٢٢	٥١٢٠٩٩٦
(المجموع)	١١٥٥٨٩٣٢	٢٩٤٨٩٣٢٩٨

وتناهز ميزانية الحكومة الانكليزية الان نحو ٢٠٠ مليون جنيه تجمع من الضرائب المختلفة وتنفق في مصالح الحكومة والجندية والديون وغيرها

ثروة الامة الانكليزية

واذا نظرنا الى ثروة الامة الانكليزية رأينا ما يدهش العقل . وقد عقد احد الباحثين فصلاً ضافياً في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية في هذا الموضوع : خلاصته ان تجارة بريطانيا الخارجية بلغت في العام الماضي نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ١٨٠٠ جنيه اكثرها حمل في البحار . وان ثروة الامة الانكليزية نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ جنيه . ودخلها في السنة نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٣٠٠ جنيه . وما من دولة تداني الامة الانكليزية في الثروة . والمشهور ان الامة الفرنساوية تدانيها او تفوقها . ولكن كاتب المقالة المتقدم ذكرها يجعل ثروة فرنسا نصف ثروة انكلترا اي نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ١٢ جنيه ويقول ان اقرب الامم ثروة الى الانكليز الولايات المتحدة الاميركية فانه يقدر ثروتها نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢١ جنيه

واكثر ثروة الامة الانكليزية في بريطانيا يليها الهند وكندا وأوستراليا على هذه النسبة :

	ثروة الامة	دخلها
انكلترا وويلس	٠٠٠ ٧٢٩ ٧١٦ ١٣	٠٠٠ ٠٠٠ ١٧٤٠
سكوتلاندا	٠٠٠ ٦٢٥ ١٤٥١	٠٠٠ ٠٠٠ ١٧٣ ٥٠٠
أرلندا	٠٠٠ ٢٧٩ ٧١٤	٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٣
الهند	٠٠٠ ٠٠٠ ٣٦٠٠	٠٠٠ ٠٠٠ ٦٠٨
كندا	٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠٧٢	٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥٩
أوستراليا	٠٠٠ ٠٠٠ ١٣١٢	٠٠٠ ٠٠٠ ١٦٤
جنوب افريقيا	٠٠٠ ٠٠٠ ٦٠٠	٠٠٠ ٠٠٠ ٧٥
نيوزيلاند	٠٠٠ ٠٠٠ ٣٢٠	٠٠٠ ٠٠٠ ٤٠
الحمايات وغيرها	٠٠٠ ٠٠٠ ١٢٠٠	٠٠٠ ٠٠٠ ١٧٠
الجملة	٠٠٠ ٦٨٣ ٩٨٦ ٢٤	٠٠٠ ٥٠٠ ٣٣٣٢

وقابل الكاتب بين دخل الامة الانكليزية وما تنفقه في الدفاع عن حوزتها فبلغ نحو ثلاثة جنيهات عن كل مئة جنيه من الدخل أي ٠٠٠ ٠٠٠ ١٠٢ جنيه

ويهمنا من هذه المملكة الواسعة في هذا المقام المدن العاصمة لاننا درسناها اكثر من سواها وفيها المتاحف والآثار سنصفها مع بعض البلاد الاخرى في ما يلي

٢ — حالها العلمية

التعليم في انكلترا ثلاث درجات : الابتدائي والثانوي والعالي فنقتصر هنا على وصف التعليم العالي في الكليات والجامعات . واقدم هذه المعاهد العلمية بني خارج لندن . واقدم جامعات لندن انشئت سنة ١٨٣٦ وظلت هذه وحيدة في لندن الى اوائل القرن الحاضر فانشئ سواها كما ستراه . واما خارج لندن فيرجع تاريخ بعض الكليات الى الاجيال الوسطى . واوفاها جميعاً جامعتا اوكسفورد وكمبريدج وسنعود اليهما عند وصف هذين البلدين من رحلتنا . اما سائر الجامعات والكليات في بريطانيا فاقدمها انشئ في اسكوتلاندا في القرن الخامس عشر . وهذا جدول باسماء جامعات بريطانيا وكلياتها حسب سني انشائها :

اسم الجامعة	مقرها	سنة تأسيسها
جامعة سنت اندرو	اسكوتلاندا	١٤١١
« كلاسغو	«	١٤٥٠
« ابردين	«	١٤٩٤
« أيدنبرج	«	١٥٨٢
« دبلن	ايرلندا	١٥٩١
« درهام	انكلترا	١٨٣١
« لندن	لندن	١٨٣٦
« فكتوريا		١٨٨٠
« برمنهام	برمنهام	١٩٠٠
« ليفربول	ليفربول	١٩٠٣
« ويلس	ويلس	١٩٠٣
« ليدس	ليدس	١٩٠٤
كلية جامعة لندن	لندن	١٩٠٥
جامعة شفيلد	شفيلد	١٩٠٥
« برستول	برستول	١٩٠٩
« ايرلندا الوطنية	دبلن	١٩٠٩
« بلفاست	ايرلندا	١٩٠٩

وهناك جامعات وكليات أخرى في سائر مدائن انكلترا الكبرى مثل منشستر وغيرها . واكثر الجامعات مؤلف من كليات تختلف عدداً باختلاف اهميتها . ففي جامعة لندن ٣٤ كلية وفي جامعة اكسفورد ٢٢ كلية وفي كمبريدج ١٧ كلية وتختلف ايضاً في عدد الاساتذة والتلاميذ . ولكن يقال على الاجمال ان الاساتذة في تلك الجامعات يتجاوزون بضعة الاف والتلامذة يعدون بعشرات الالوف . ولاكثر هذه الجامعات اوقاف متوارثة ينفق من ريعها على التعليم وفيها المعامل الكيماوية والبكتريولوجية والمعارض التشريحية والجيولوجية والنباتية والحيوانية وغيرها . اما المدارس الابتدائية والثانوية فيضيق المقام عن وصفها

ومعظم هذه المدارس تنفق الحكومة عليها على ان جمعيات التعليم كثيرة في انكلترا مما انشئ لتهذيب الناشئة من الفقراء : منها جمعية في لندن تسمى « لله وللوطن » انشئت منذ ٤٧ سنة لجمع اللقطاء والمتشردين من الذكور والاناث وتعليمهم وتربيتهم وتثقيف عقولهم . وهي تجمع الاعانات من اموال المحسنين . وقد بلغ المال الذي جمعته الى الآن نحو ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه منها ٢٣٥٠٠٠ جنيه جمعت في السنة الماضية . وبلغ عدد الذين آوتهم من الاطفال والمساكين في السنة المذكورة ٩٠٤٩ غلاماً وهي تعتني بهؤلاء المساكين وتعلمهم الصنائع وتبعث بهم الى المستعمرات ولا سيما كندا . وتشترط في قبول المعوزين ان يكونوا مقطوعين لا نصير لهم . ولا يقبل منهم الا ما بين الطفولية الى السنة ١٤ ولها بضعة عشر مركزاً في لندن والولايات المتحدة . ورئيسها اسمه الدكتور برناردو

وللانكليز فضل كبير على العلم الحديث ولا سيما بما يتعلق بالاختراعات المحسوسة التي توقف عليها تسهيل المواصلات وتقريب المسافات كالسكك الحديدية والآلات البخارية وكثير من الصنائع الحديثة كالنسج والغزل والخياطة . ومنهم شارل داروين صاحب مذهب النشوء والارتقاء وشكسبير مؤسس نهضة الادب العصري وولترسكوت وملتن . غير اصحاب الاكتشافات العلمية في الطب والكيمياء والطبيعيات وعلم الحياة والاجتماع ومنهم ليستر وجنر وهكسلي وسبنسر . غير رجال السياسة والادارة اصحاب الادمغة الكبيرة

ومن قبيل الحالة العلمية تكاثر المكاتب وغرف المطالعة وهي عديدة . وكذلك الصحافة فان في لندن وضواحيها نحو ٤٠٠ صحيفة بعضها يطبع مئات الالوف من النسخ كل يوم — غير المراسح للتمثيل والمعارض العلمية والجمعيات العلمية والادبية

والاكاذيميات وغير ذلك مما يطول شرحه

وفي انكلترا اليوم حركة فكرية واقدام على الكتابة والتأليف في المواضيع المختلفة وقد احصى بعضهم اشهر الكتاب الانكليز المعاصرين ورتبهم حسب المواضيع وخلاصة ذلك كما يأتي :

عدد الكتاب		عدد الكتاب	
١٢٥	في الادب	٦٠	في القضاء
١٧٢	« التراجم والمذكرات	١٥٠	« اللغة الانكليزية وآدابها
٥٧	« الدين	٢٠٠	« سائر اللغات
٨٩	« التمثيل	٢٠	« الموسيقى
١٦	« انتقاد التمثيل	٤٥	« الفلسفة
٣٥	« الاقتصاد السياسي	١٨٠	« الشعر
٦٠	« التهذيب	٤٨	« السياسة
٥٥	« الآثار القديمة	٣٨	« الطب
٢٥	« هندسة البناء	٤٩	« التاريخ الطبيعي
٥٥	« الفنون الجميلة	١٥	« الرياضيات
٧٥٠	« الفكاهات والروايات	١٢	« الجيولوجيا
٣٥	« التاريخ الديني	٤٩	« علم العمران
٥٢	« تاريخ انكلترا	٥٠	« الصيد وتوابعه
٤٠	« التاريخ الحديث	١٤٠	« اللاهوت
١٢٠	« سائر التواريخ	١٤٥	« السياحات ونحوها
١٢٠	كتاب الصحف	٣٠٢٧	(الجملة)

لندره

هي عاصمة المملكة الانكليزية طولها ١٤ ميلاً ومتوسط عرضها نحو عشرة اميال ومساحتها بالتقريب نحو ١٣٠ ميلاً مربعاً . فيها ٨٠٠٠ شارع اذا اتصلت حتى يتألف منها شارع واحد كان طوله ٣٠٠٠ ميل . واحصوا ابنيتها بنحو ٦٥٠٠٠٠ بناء منها ١٥٠٠ كنيسة و ٦٥٠٠ محل عمومي و ١٧٠٠ ناد و ٥٠٠ اوتيل . وهي اكبر مدائن العالم سكاناً . يقدر سكانها بنحو ٦٠٠٠٠٠٠ نفس اكثرهم من الانكليز طبعاً .

لكن فيها جماعات كبيرة من الامم الاخرى . حتى قالوا ان فيها من الاسكوتلانديين اكثر مما في ابردين ومن الايرلنديين اكثرمما في دبلن . وفيها من اليهود اكثر مما في فلسطين . ومن الكاثوليك اكثرمما في رومية . وسنعود الى وصف المتاحف والتحف ونكتفي هنا بذكر الفروق بين لندن وباريس :

الفرق بين لندن وباريس

(١) انهما توأمان في الفخامة والعظمة لكن لندن اوسع مساحة واضخم ابنية واظلم جوًّا . واما باريس فانها اجمل منظراً واكثر زهواً واشرق سماء واصفى هواء

(٢) ليس في لندن اماكن للجلوس في سبيل اللهو او الراحة كالقهوات والبارات التي ذكرناها في باريس . فالغريب اذا احتاج الى الراحة في غير المنازل ليس له الا المقاعد في الحدائق العمومية او يمرّ بالشوارع للفرجة . وفي لندن حانات كثيرة لانواع الخمور وحوانيت لشرب الشاي او القهوة او غيرهما من المرطبات او المخدرات . لكنها كالمخازن التجارية تطلب ما تريده وتتناوله وتنصرف كما تفعل لو اردت تناول الطعام في مطعم . وليس عندهم مجالس للتسلية الى موائد كما في القاهرة مثلاً . والقاهرة من حيث القهوات واماكن اللهو كثيرة الشبه بباريس . على ان بعضهم انشأوا في لندن اماكن من هذا القبيل تشبه ما في باريس لكنها قليلة وليست على قوارع الطرق

(٣) ان الماشي في شوارع باريس اذا اقتضى ان يوسّع لمقبل عليه خوفاً من التصادم تحول نحو اليمين كما يفعل اهل القاهرة . فالمركبات والدواب والناس يتحولون في شوارع باريس الى يمينهم اما في لندن فبعكس ذلك . لان المارة في شوارعها اذا تلاقوا تحول كل منهم الى يساره . وقد نبهوا الناس الى ذلك بالواح كتبوا عليها قولهم « الى اليسار » فاذا تلاقى اثنان وتحول كل منهما الى يمينه لا يتصادمان وكذلك اذا تحولا الى اليسار . اما اذا تحول احدهما الى يمينه والآخر الى يساره فانهما يتصادمان. ولذلك فالفرنساوي والانكليزي اذا تلاقيا ومشى كل منهما على ما تعوده في بلده لا بدَّ من تصادمهما !

(٤) ليس في لندن اماكن عمومية للفحشاء كما في باريس لان الحكومة الانكليزية تحظر على الناس الاتجار بها . خلافاً لمعظم حكومات اوربا وقد احسنت انكلترا ويا حبذا لو اقتدت مصر بها في ذلك فاخذته عنها كما اخذت غيره من اسباب المدنية — ولكن مصر اباحت انشاء تلك الاماكن اقتداء بفرنسا وغيرها من الدول التي تبيحه وقد اخطأت كما بينا ذلك في مكان آخر من الهلال

(٥) ان هيبة التدين ظاهرة في لندن اكثر مما في باريس ولا سيما في ايام الاحاد . فان تلك المدينة الضخمة التي تعج اسواقها بالناس عجيجاً في أثناء الاسبوع وقد بسطت فيها البضائع وعرضت السلع على قوارع الطرق تصبح في يوم الاحد خالية خاوية لا نجد فيها بائعاً ولا شارياً ولا صانعاً ولا عاملاً . وانما يخرج الناس بعد الصلاة للنزهة في الحدائق العمومية او غيرها في لندن وضواحيها . وهكذا تفعل سائر مدن انكلترا وقراها حتى السكك الحديدية فان حركتها تخف في ايام الاحاد والاعياد . فالانكليز من اكثر امم اوربا تديناً وقد نفعهم ذلك في كثير من احوالهم الاجتماعية

(٦) ان عادة البخشيش شائعة في لندن لكنها اقل كثيراً مما في باريس لقلة القهوات والملاهي كما قدمنا

(٧) لا تجد في الشوارع العمومية من بنات الرصيف ما تجده في باريس

وسنعود الى لندن عند الكلام عن المتاحف والآثار



طواحين الصلاة

كيف يصلي البوذيون

الصلاة من اهم مظاهر الدين تختلف اشكالها وطرقها باختلاف روح الاديان . بل قد تتغير في الدين الواحد تغيراً عظيماً مع مرور الاجيال وتطور الحالة الاجتماعية . فهي قابلة للتحول البطيء تقدماً او تقهقراً مع حالة الامة الادبية — قلنا التحول البطيء لانه يتعذر على امة تعودت اجيالاً على طقوس معينة ان تبدلها بسواها دفعة واحدة . لا سيما في المسائل الدينية فهي اثبت في النفوس لانها تستقر في اعماق القلوب . ولذا فانا نجد في الاديان الحديثة آثاراً من المجوسية وعبادة الاوثان

والدين كما قلنا تابع لاحوال الامة وقد نهض في البلاد الغربية في أثناء نهضتها الاخيرة مثل نهوض سائر مظاهرها الحيوية فتكيف حسب المطالب الجديدة . وبعكس ذلك اديان الشرق الاقصى الصين والهند فانها كأهلها جامدة قلما يطرأ عليها ما يحولها عن مجراها العادي . فالصين لم تتغير حالتها الاجتماعية منذ قرون . والوقوف عن التقدم في هذا الطريق هو بمثابة الانحطاط والتقهقر

ومن اغرب ما يروى عن البوذيين نوعٌ من الصلاة مؤداة الاستغناء عن تلاوة الادعية او التضرعات اوالتسابيح بالعبارات المألوفة والتعويض عنها بدواليب اسطوانية تدار كالطواحين وقد نقشت فيها تلك الصلوات . ولهم في ذلك شروط ذكرها سائح درس احوالهم قال « كنت في مقاطعة سخيم بالقرب من التيبت ومعي اوراق توصية من بعض امراء تلك الجهة فتمكنت من المكوث في الاديرة البوذية مدة طويلة . وكنت اذا ارسلت احد اتباعي ليعلم اهل الدير بقدومي خرج الكهان لاستقبالي بثيابهم السمراء وهم يضربون على طبول معلقة فوق مظلات الدير . وكبير الوفد يتمتم كلاماً غريباً وهو يدير اسطوانة فضية مرتكزة على محور

« ومع ان السائح يجب عليه ان يعدذهنه لكل منظر غريب فانني لم اتمالك عن الدهشة عند مشاهدة تلك العادة الغريبة . ولا سيما بعد ان علمت الاهمية التي يعلقها البوذيون على ذلك الدوران في صلواتهم — وهي من اقدم العادات عندهم وتجد آثارها في اديان اكثر الامم الآرية . وطرق الصلاة هذه التي قوامها الدوران نوعان : بعضها يفرض على المصلي ان يدير الاسطوانة وبعضها تقضي ان يدور هو حول شيء ثابت



طواحين الصلاة عند البوذيين

والاسطوانات التي يديرها الكهان — ويسمونها طواحين الصلاة — هي مثال صغير لاسطوانات كبيرة منصوبة في الاديرة البوذية توضع متلاصقة كأنها براميل الخمر في الحانات وعلى سطوحها صلوات . وهي تختلف في الحجم بين ما يوضع في الجيب

لخفته وصغره وبين ما لا يقوى على ادارته الا عدة اشخاص . وهي في الغالب مجوفة تنقش الصلوات في داخلها وقد يضعون فيها الصلوات والطلبات الطويلة . وعلى هذا المبدأ نصبوا طواحين تدور بواسطة الهواء او الماء دوراناً مستديماً فهي رأس مال روحي للذي يشيدها تقوم عنه بواجباته الدينية لخلاص نفسه

اما منزلة هذه العوائد من الديانة البوذية فهي ان البوذية مؤسسة على نظرية ارتقاء الشخصية المتوالي . أي ان الكائنات الحية من الحشرات الى الآلهة انما هي درجات في سلم واحد يستطيع النوع الواحد منها أن ينتقل الى شكل نوع آخر ويتكيف بمظاهره بواسطة تحسين سلوكه والقيام بواجباته الدينية ونحو ذلك . فالحيوان بعد موته يظهر في شكل آخر أرقى أو أحط مما كان عليه حسب سلوكه في الدنيا — ولا يزال الفرد يتقدم ويقرب من الكمال حتى اذا بلغ الدرجة القصوى دخل « نروانا » وهي سماء البوذيين وتختلف عن سماء المسيحيين والمسلمين بخلوها من المسرات والملذات . بل هي عبارة عن مكان تنحل فيه الذاتية وتندمج بالكون العام — والكمال المنشود يدرك بطريقين :

١ حسن السلوك وعمل الخير ونحو ذلك

٢ اقامة الفروض والصلوات ومنها طواحين الصلاة ودواليب الدعاء التي مر ذكرها

وقد وجدت عادات تشبه هذه عند المصريين القدماء واكثر الامم الشرقية القديمة

ومن القواعد المتبعة في الصلاة بالدواليب والاسطوانات أن تدار دائماً من اليسار نحو اليمين . أي ان تكون حركتها مماثلة لحركة عقارب الساعة — فاذا أديرت بالعكس من اليمين نحو الشمال عكست النتيجة أي انها تُذهب من الصلوات بقدر الدورات المعاكسة

والهنود مثل الصينيين يعرفون هذه الطرق ويستعملونها وقد ذكر كاتب في رحلة ان رجلاً أراد مرة أن يمنع سقوط الغيث لكي يرتفع سعر الحبوب وكان قد اختزنها للبيع وعلم ان أهل بلده يقيمون صلواتهم الحارة ويديرون دواليبهم نحو اليمين التماساً للغيث فعمل على معاكستهم فنصب اسطوانته على عظم رجل ميت وأمر ابنته أن تديرها نحو اليسار — فتمكن بهذه الطريقة من تجفيف الطقس !

وسبب اعتبارهم الدوران نحو اليمين مجلباً للسعد ونحو اليسار بعكسه ان الاول يشبه حركة الشمس الظاهرة والثاني ضدها . ومن الفروض على الكهان عند ما يقدمون الذبائح أن يقولوا هذه الجملة « اني مع الشمس »

وعندهم رمز يعللونه مثل هذا التعليل نعني الصليب ذي الاطراف المكوفة فاذا كانت

اطرافه متجهة نحو اليمين فهو رمز عن السعادة والهناء واذا كانت متجهة نحو اليسار كان رمزاً عن التعاسة والشقاء

ولكن لماذا كان اتباع حركة الشمس نافعاً ومخالفتها مضرة ؟ ذهب المفسرون في ذلك مذهبين :

قال بعضهم ان اتباع حركة الشمس عبارة عن الاندماج في حركة الكون ومجاراة نواميسه ارضاء للآلهة . وتاريخ الاديان ينبئنا ان الانسان كان في طفولية عمرانه يسعى دائماً في تقليد الاشياء التي يعبدها ويجلها اما ليكتسب رضاها أو ليتشبه بها

ويقول آخرون : ان التأويل ناشئ عن اعتقاد الانسان أنه يمكنه بواسطة السحر أن يغير ظواهر الطبيعة وخصوصاً حركة الشمس واشعاعها . قال احد اولئك العلماء « لنضع نفسنا مكان الانسان الاول اذ كانت الشمس والقمر والنار والهواء والغيوم في نظره قوى وكائنات أعظم سلطاناً منه . فاذا غربت الشمس شك في طلوعها ثانية ولا سيما في الشتاء حيث ترتدي الطبيعة ثياب النوم والخمول فيسأل نفسه : « هل تعود حرارة الشمس لتحييني ؟ » فيخطر بباله حينئذ انه بمجاراة الشمس في حركتها يرضيها اذا غضبت أو يقويها اذا ضعفت » زد على ذلك ان الشعوب غير المتمدنة تعتقد عادة ان تمثيل حادث ما قبل وقوعه يؤول الى حدوثه فعلاً وهو من قبيل التفاؤل . مثال ذلك ان هنود أميركا قبل الذهاب الى الحرب او الى الصيد يرقصون رمزاً عن رجوعهم فائزين

فكأن التأويلين المذكورين يرجعان الى فكرتين مختلفتين احداهما ترجع الى مجاراة سنن الطبيعة والثانية الى السحر والقوى الغريبة . ولعلّ الثانية اقرب الى الصواب لانه يصعب على من لم تتثقف عقولهم أن يدركوا معنى السنن الطبيعية

ومما يؤيد ان المقصود بالحركة نحو اليمين مجاراة الشمس في حركتها ان الدولاب رمز عن الشمس وكثيراً ما يستعمله البوذيون والشرقيون على الاجمال بهذا المعنى لسببين الاول انه مستدير الشكل والثاني انه يشير الى الانتقال من محل الى آخر كما تنتقل الشمس . وقد استعمل اليونان هذه الكناية

ولا يزال في بلاد أوربا وغيرها آثار من هذه العادات الى اليوم ففي بعض الاعياد مثلاً يلف فلاحو فرنسا حول عجلة شيئاً من القش ثم يحرقونها ويركضونها في الغيطان طلباً لطقس حسن ومحصول جم ا . ز .



احمد مدحت

الكاتب التركي الشهير

ولد سنة ١٢٦٠ هـ وتوفي سنة ١٣٣١ هـ

أصيب الادب التركي منذ بضعة اشهر بكاتب من قهارمة كتابه . نعني كبير ادباء الاتراك في هذا العصر احمد مدحت افندي صاحب الآثار الادبية العديدة في اللغة التركية بين تأليف وترجمة . فاحببنا ان نأتي على فذلكة من تاريخ حياته اعترافاً بفضله

ولد في الاستانة سنة ١٢٦٠ هـ من ابوين فقيرين وتلقى مبادئ العلم فيها . ثم رافق احد اقربائه الى ولاية الطونة — وهي الآن من جملة مملكة البلغار — ووفق الى الدخول في مدرسة الجمناز هناك فتفقه في العلوم العصرية واللغوية واتقن اللغة الفرنساوية ونال الدبلوما المؤذنة باستتمامه العلم فيها . وكان مدحت باشا ابو الاحرار في اثناء ذلك قد عهدت اليه ولاية الطونة فاعجب بذكاء الشاب احمد مدحت فادخله في خدمة الحكومة بمعيته . ولما تعين مدحت باشا والياً على بغداد (سنة ١٢٨٠ هـ) وانتقل اليها اخذه معه مكث في بغداد بضع سنوات وفي سنة ١٢٨٥ هـ عاد الى الاستانة وهو في مقتبل

الشباب وفيه ميل الى الادب والانشاء فتعين رئيساً لتحرير الجريدة الرسمية « تقويم وقائع » وبعد خمس سنوات نفي الى جزيرة رودس مع جماعة من المتهمين بالجرائم السياسية نعني الطعن على اعمال الحكومة وفي جملتهم نامق كمال بك الاديب التركي الشهير الذي ترجمناه في « تراجم مشاهير الشرق » . وتفرغ احمد في تلك الجزيرة للادب والعلم . فكان يقضي ايامه بالمطالعة والدرس وانشأ مدرسة للتعليم سماها « المدرسة السليمانية » لا تزال قائمة هناك حتى الآن

اقام في رودس ثلاث سنين ثم صدر العفو عنه سنة ١٢٩٣ ﻫ وهي السنة التي خلع فيها السلطان عبد العزيز . وانتقل احمد مدحت الى الاستانه وتعين مديراً للمطبعة الاميرية وجريدة الوقائع الرسمية . واخذ يشتغل في الصحافة فانشأ جريدة يومية سماها « ترجمان حقيقت » كانت تصدر يومياً ونالت شهرة واسعة وكان لها شأن في عالم السياسة . واصدر ايضاً مجلة ادبية « طغارجق » اي الجراب . ومجلة علمية اسمها « قرق انبار » اي ٤٠ مخزناً واخذت شهرته تتسع ونفوذه يكبر فتولى سنة ١٣٠٠ ﻫ رئاسة الكتاب بادارة الكرنتينات في الاستانة ثم رأس الادارة نفسها سنة ١٣١٢

وهو في اثناء ذلك يؤلف الكتب وينشئ المقالات في السياسة والتاريخ والادب حتى اصبح علماً بين علماء الاتراك . فلما عُقد مؤتمر المستشرقين سنة ١٣١٥ ﻫ في استوكهولم عاصمة اسوج انتدبته الحكومة العثمانية لينوب عنها فيه . وقد تولى عدة مناصب علمية فكان استاذاً للتاريخ في مدرسة « دار الفنون » بالاستانة واستاذ التاريخ والاخلاق في « دار الشفقة » فيها . ولما أعلن الدستور منذ اربع سنوات أُحيل على المعاش من منصبه الاميري لكنه ظلَّ يوالي التدريس فوافاه القدر المحتوم في مدرسة الشفقة فجأة عند فراغه من الدرس . وكان لموته رنة حزن لدى عارفي فضله

وقد خلف احمد مدحت كثيراً من الآثار الادبية في اللغة التركية بين كتب ورسائل وتقدر آثاره بنحو مائتين وخمسين كتاباً بين تأليف وترجمة . وقدَّر بعضهم عدد مؤلفاته بالنظر الى سني حياته فلحق كل ساعة اربعة اسطر . واشهر مؤلفاته كتاب « كائنات » في ١٤ مجلداً يشتمل على تاريخ الامم المتمدنة . و« المفصل » اربعة مجلدات في تاريخ الدولة العثمانية . و« المدافعة » ثلاثة مجلدات . ودوَّن رحلته

الى اوربا في كتاب سماه « الجولان في اوربا » وصف فيه ما شاهده في اثناء سفره الى مؤتمر المستشرقين

وكان رحمه الله فصيح اللسان قوي العارضة سريع الخاطر في الخطابة والكتابة وقد دفن في حوش جامع السليمانية بالاستانة



آثار المكسيك القديمة

قبل المسيح بثلاثة الاف سنة

منذ عهد غير بعيد حمل البرق من عاصمة المكسيك الى اعظم مدن الولايات المتحدة واوربا نبأ كان له وقع عظيم في سائر دوائر الآثار القديمة وخواطر علمائها . وتفصيل الخبر ان السير مارتن كونوي والاستاذ وليم نيفان والسنيور رومان مينا اذاعوا برسائل برقية نبأ اكتشاف بقايا مدينة مغولية محضة ظهرت على بعد نحو ساعتين على الساعي من مدينة المكسيك . وفي هذا مايثبت الظنون التي سادت طويلاً ان التمدن القديم في بلاد المكسيك وبيرو الذي تقدم مدنية التولتكس والازتكس منشأه مغولي صرف

فقد اكتشف علماء الآثار بقرب خرائب مدينة تونيهواكان القديمة التي تبعد نحو ١٨ ميلاً في الشمال الشرقي من المكسيك مدينة اوتومبيا وهي اقدم عهداً من سابقتها فقد ازدهرت مدنيتها اجيالاً قبل التولتكس والازتكس . ومن المرجح ان اوتومبيا اعرق ايضاً في القدم من بابل ونينوى اللتين كانت لهما السيادة في غربي اسيا

استعانت البعثة الاثرية على اكتشاف آثار هذه المدينة القديمة بمال امدتها به حكومة المكسيك فرفعت الطبقة الترابية التي كان سمكها فوق الآثار ستة اقدام ويرجع عهد هذه الطبقة الى مايقرب من عشرين قرناً . وحالما تمّ رفع التراب بدا لرجال البعثة ادلة كثيرة على مدينة ضخمة كانت تزدحم فيها الوف الخلائق وتزدان بمدنية زاهرة . وفي جملة الادلة هرم عظيم مساحة قاعدته ٧٠٠ قدم مربع وعلو قمته ١٧٨ قدماً ويشير تركيبه من حجارة ضخمة الى براعة غريبة في الهندسة

واكتشفت البعثة بجانب الهرم بناية عظيمة تدعى كازابنتادا او « البيت المدهون »

تتألف طبقتها السفلى من ست غرف جدرانها من طين وقطع حجرية . الا ان اسفلها اسمك من اعلاها ومدهونة بطلاء هندي احمر . أما ارضها فمن الطين الابيض ويظهر على الجدران رسوم اجسام بشرية عليها اردية وعلى رؤوسها رسوم ماكان الناس يلبسونه في تلك الايام . اما الوان تلك الرسوم فمتنوعة منها الأخضر والاحمر والوردي والليموني ويستدل بشكلها على مهارة في العمل وسلامة في الذوق

ويلي هذا اكتشاف آخر اعظم أهمية من سواه وهو انه بينما كان الاستاذ تيفان يشارف الحفر بقرب الهرم العظيم السابق ذكره عثر على مدينة ثالثة تحت خرائب مدينة اوتميا فيها آثار ثلاث مدن عظيمة لا تعرف اجناس سكانها وقد بنيت كل منها فوق الاخرى وبدا للاستاذ تيفان في سفلى هذه المدن شكل قبر لا يمكن معرفة عهد بنائه . الا ان الاستاذ المذكور رأى هناك تمثالاً لرجل صيني استدل عليه بشكل عينيه المنحرفتين ورسم ملابسه ولو كان له ذؤابة لكانت هيئته صينية كاملة . ولكن الصينيين لم يألفوا الذوائب الا بعد ما خالطتهم قبائل التتر التي انقضت عليهم من الشمال

يبلغ طول هذا التمثال ٧ قراريط وذراعاه مكسورتان . اما لون المادة المصنوع منها فرمادي وظاهرها صلب كالصوان حتى انه يعسر كسر شيء منها ولو بواسطة المطرقة . وقد علق باذني هذا التمثال حلقتان كبيرتان وعلى رأسه قبعة في وسطها زر وعلى التمثال جبة تشبه ما يلبسه شيوخ الصينيين حتى اليوم . ويظهر ان جبة التمثال كانت مزينة بقطع ذهبية زالت عنها لطول احتكاكها بالتراب قروناً لا يعلم عددها الا الله

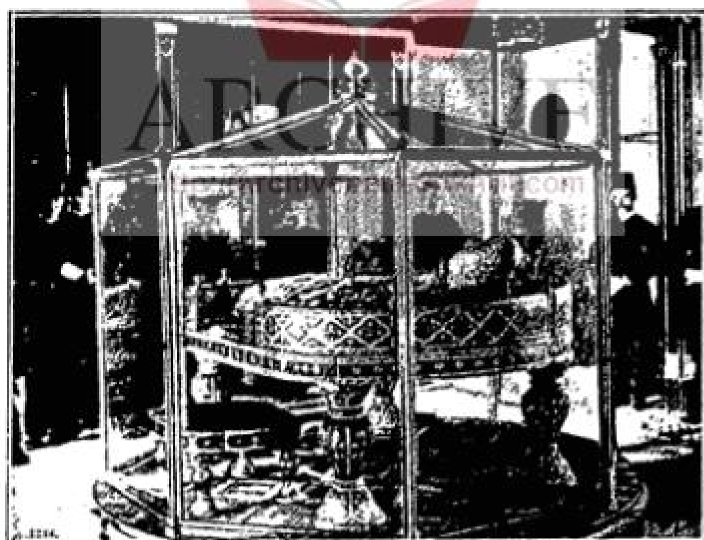
ويقول المكتشف ان هذا التمثال ليس من صنع الازتكس بل هو اقدم ويدل على ان سكان المكسيك الاقدمين كانوا مغوليين او مماثلين المغول

وعثر الباحثون هنالك ايضاً على هيكل انسان علوه خمسة اقدام ويداه طويلتان جداً حتى انهما تبلغان الركبتين وهيئة الجمجمة مغولية

وخلاصة القول ان ما عثرت عليه هذه البعثة الاثرية مؤخراً في المكسيك وما تم اكتشافه سابقاً يبعث على ما يقرب من الاعتقاد ان الصينيين دخلوا اميركا منذ خمسة الاف سنة على الاقل او قبل ميلاد كولمبس بالوف السنين مجتازين الاوقيانوس الباسفيكي على قوارب خشبية وشادوا تلك المدينة التي يمكن ان يكون تهدمها نتيجة حرب

اثارها على الصينيين اقوام هاجموهم . ثم غطى التراب بنايتها وجاء اقوام آخرون بنوا فوقها مدينة اخرى فاخرة ثم تهدمت هذه بمثل ما تقوّضت به سابقتها . وشيدت عليها مدينة ثالثة بايدي اناس لايعرف اصلهم . واخيراً سقطت الثالثة وانتشر فوقها تراب الارض . وبقي تمثال الصيني تحت المدن الثلاث سالماً حتى عثر عليه جماعة من ابناء القرن العشرين يسعون في خدمة العلم فاخرجوه من الظلمة الى النور ولا يبعد ان تحل بواسطته احجية بدء العالم الجديد (مرآة الغرب)

عرش اسماعيل شاه



عرش اسماعيل شاه الذي قيل ان الحكومة العثمانية عرضته للبيع

راجع وصفه في السنة الثامنة عشرة من الهلال صفحة ٧٣



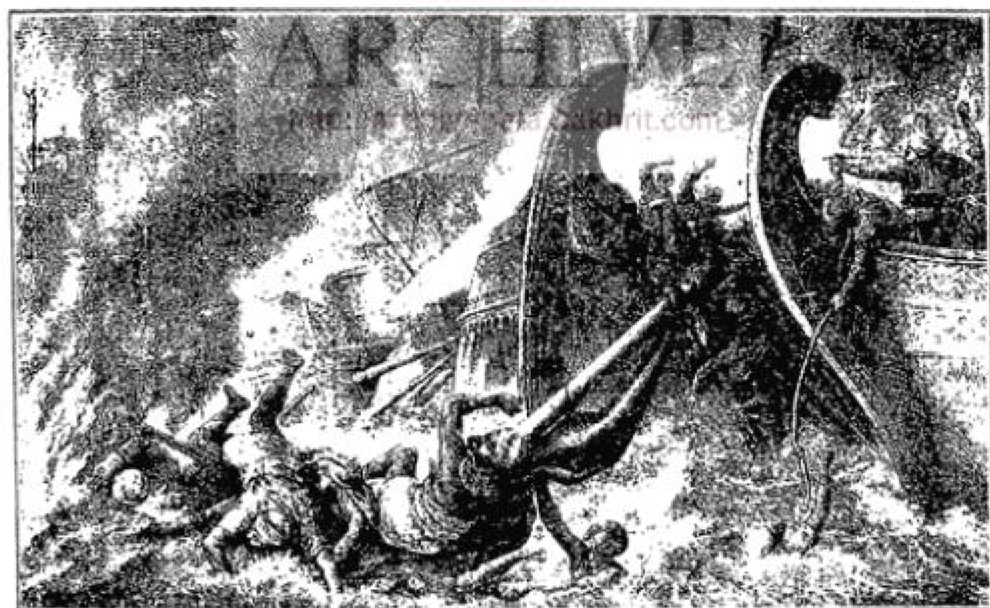
سفن الاسطول الاسلامي

وانواعها ومعداتها

في عهد الدولة الفاطمية وما بعدها

(تمهيد) يستفاد من كلام المقريزي ان السفن والمراكب البحرية كانت على قسمين : حربية ونيلية

فالحربية هي التي كانت تبنى لغزو العدو وتشحن بالسلاح وآلات الحرب والمقاتلة فتمرّ من ثغر الاسكندرية وثغر دمياط وتنيس والفرما الى الحرب وجهاد الروم والافرنج وغيرهم . وكان يقال لمجموع هذه السفن الحربية عند العرب « الاسطول » وهو معرب Stolo اليونانية



اسطول عربي يحارب الروم

واما المراكب النيلية فانها تبنى لتجري في النيل صاعدة الى اعلى الصعيد ومنحدرة الى مصاب النيل تحمل الغلال والاخشاب وغيرها

وكانت هذه المراكب على انواعها تصنع بدور الصناعة . ويراد « بدار الصناعة »

عندهم ما نعبر عنه اليوم بالترسانة او الترسخانة وهما منقولتان عن تلك [1] وكان العرب يبنون سفنهم الحربية على امثلة سفن الصين واليونان والرومان لانهم اخذوا هذه الصناعة عن تلك الامم وعدلوها . وكانت هذه السفن تتحرك بالمجاذيف وبعضها تتحرك بالمجاذيف والشراعات معاً وكان للرومان سفن كثيرة المجاذيف جعلوا فيها على كل مجداف ملاحاً حاملاً درعاً من الفولاذ وترساً مخصوصاً واسلحة اخرى بيضاء . وجعلوا لبعض السفن اشرعة مثلثة ولبعضها اشرعة مربعة . وكان بعض هذه السفن يتركب من طبقة او طبقتين وهكذا كان عند العرب

فالمراكب والسفن الحربية المستعملة في العصر الفاطمي وما قبله وما بعده كانت انواعاً تتفاوت شكلاً وجرماً وقوة : نأتي هنا على اشهرها وما دخل من الفاظها في اللغات الافرنجية

انواع السفن ومعداتها

﴿ الشواني ﴾ او الشواني الحربية جمع شونه او شيني وهي اهم القطع التي كان يتألف منها الاسطول في الدول الاسلامية وفي الدولة الرومانية واعظمها شأناً فيه . وهي اجفان (مراكب) حربية كبيرة كانوا يقيمون فيها ابراجاً وقلاعاً للدفاع والهجوم وكان الرومانيون يجعلون لبعضها ابراجاً مربعة في الوسط ذات طبقات يقف في الطبقة العليا منها العساكر المسلحة بالقسي والسهام وفي الطبقة السفلى الملاحون بالمجاذيف يسيرونها حيث يراد . وتجهز الشواني في ايام الحرب بالسلاح والنفطية والازودة وتحشد بالمقاتلة والجنود البحرية

وجاء ذكر الشواني ووصفها في شعر ابن حمديس الشاعر الصقلي السرقوسي

---

(١) ان الافرنج لما اختلطوا بالمسلمين وافتتحوا بعض البلدان العربية ايام الحروب الصليبية كان من جملة ما اقتبسوه عنهم صناعة المراكب كما اقتبسها العرب عن الامم التي قبلهم . وسمى الاسبان دار الصناعة Dareinah واخذتها عنهم سائر امم اوربا فقال البرتغال Tareena و Taracena وقال الطليان في اول الامر Darsena ثم Terzana ثم Arzana ثم Arzanale وقال الفرنسيون والانجليز Arsenal واسترد العرب كلمتهم عن الاسبان Tarsanah مصبوغة بلون افرنجي بطريق التركية فقالوا كما قال الترك « ترسانة » بل تركها بعضهم اكثر من الترك انفسهم فقال « ترسخانة » مع ان الطليان لا يزالون الى اليوم يقولون Darsena ولكنهم يريدون بها القسم الداخل في جوف المينا حيث يربطون السفن المحتاجة للتعمير بعد نزع آلاتها وجهازاتها — ويقال نحو ذلك في لفظ «اميرال » Amiral الافرنجية فانها مأخوذة عن « امير البحر » او « امير الماء » العربية واول من استعمل هذا اللقب في اوربا اهل جنوة وغيرهم من الطليان

المشهور — قال يمدح ابا يحيى الحسن بن علي بن يحيى من بحر (المجتث) :

انشأت شوانيَ طايرة وبنيت على ماء مدنا
بروج قتال تحسبها في شم شواهقها قننا
ترمي ببروجٍ ان ظهرت لعدوٍّ مخرقة بطنا
وبنفط ابيض تحسبه ماءً وبه تذكي السكنا
ضمن التوفيقُ لها ظفراً من هلك عداتك ما ضمنا

والشيني ايضاً مراكب حربية لحمل المقاتلة للجهاد . وكان متوسط ما يحمله الشيني الواحد من الرجال يقرب من مائة وخمسين رجلاً . وقال الاستاذ كارمير نقلا عن مخطوط عربي في مكتبة الفاتيكان « أما الشيني ويسمى الغراب فانه يجذف بمائة مجذاف وفيه المقاتلة والجذافون » . وظل اسم الشيني معروفاً حتى ايام الدولة العثمانية فكان يطلق فيها على نوع من اهم السفن الحربية

﴿ الحراريق ﴾ جمع حراقة وهي مراكب حربية كبيرة كانوا يحملون فيها مكاحل البارود[1] والعرادات[2] والمنجنيقات[3] يرمى بها النفط المشتعل على الاعداء فلهذا كانت تسمى كما في قاموس دوزي Dozy « حراقة نفط او حراقة بارود »

والحراقة اقل من الشونة حجماً وتمتاز الحراقة بالمنجنيقات كما تمتاز الشونة بالقلاع . وان كان يرمى من كليهما النفط وقت الحرب (انظر دوزي مادة حراقة) وكان منها انواع تستعمل للنزهة والرياضة والتنقل عند الخلفاء والملوك والامراء في اول العصر العباسي في الاسلام (مثل الذهبية عندنا) . فقد كان للخليفة الامين بن الرشيد خمس حراقات في نهر دجلة على صورة الاسد وعلى صورة الفيل وعلى صورة العقاب وعلى صورة الحية وعلى صورة الفرس انفق في عملها مالاً كثيراً . ذكر

(١) مكاحل البارود وهي المدافع التي يرمى عنها بالنفط وحالها مختلف . فبعضها يرمى عنها بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد من زنة عشرة ارطال بالمصري الى ما يزيد على مائة رطل (انظر صبح الاعشى ج ١ ص ٣٦٦)

(٢) سيأتي بيانها في الكلام على معدات السفن (٣) المنجنيق آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التي توضع فيها الحجر . يجذب حتى ترتفع اسافله على اعاليه ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر او النفط منه . فما اصاب شيئاً الا اهلكه . ومما يلحق بالمنجنيق « الزيادات » وهي الولب والحبال التي يجذب بها المنجنيق حتى ينحط اعلاه ليرمي به الحجر او النفط — وهذه الآلة القذافة أخذها العرب عن الفرس بعد الاسلام وكانت معروفة عند الفينيقيين واليونان والرومان والاسرائيليين وغيرهم من الامم القديمة

ذلك ابو نواس في شعره فقال :

سخر الله للامين مطايا　　لم تسخر لصاحب المحراب
فاذا ما ركابه سرن برّاً　　سار في الماء راكباً ليث غاب
عجب الناس اذا رأوك عليه　　كيف لو ابصروك فوق العقاب
ذات سور ومنسر وجناحيـ　　ـن تشق العباب بعد العباب

والحراقة بهذا المعنى تشبه المركب الذي يسمى بالعقبة في مصر في ايام المماليك وما بعدهم الى الآن

﴿ الطرائد ﴾ جمع طريدة (وذلك خلاف الطراد وجمعه طرادات) والطرائد هي السفن الخصوصية لحمل الخيل للاسطول . وفي المخطوط العربي المحفوظ بالفاتيكان : «اما الطريدة فانها برسم حمل الخيل واكثرما يحمل فيها اربعون فرساً» . وقد اخذ الافرنج هذا الاسم فقال الاسبان Tarida وقال الطليان Tartana وقال الفرنسيون Tartan ولكن للدلالة على سفائنها الشراعية التي تمخر في البحر الابيض المتوسط غرباً

﴿ الطرادات ﴾ جمع طراد او طرادة وهي سفن حربية صغيرة الحجم سريعة الجري لم تزل معروفة الى الان — والطرادات في البحرية العثمانية انواع . وهي من السفن غير المدرعة فمنها الطراد الطوربيدي والطرادات ذات الرفاس وطرادات درجة اولى وطرادات درجة ثانية . وهناك انواع كثيرة من الطرادات في بحريات الدول الاوربية

﴿ القراقير ﴾ جمع قرقور وهي السفن العظيمة التي تحمل الزاد والكراع والمتاع للاسطول . ونسميها الآن « النقالات - Transport » وقد اخذ البرتقاليون هذا الاسم فقالوا في تسمية هذه السفينة Carroca واخذ الطليان هذا اللفظ فقالوا Caraca وقال الفرنسيون Carraque وقد اخذنا هذا اللفظ في هذا العصر عن الايطاليين فقلنا « كراكة » ولكن بمعنى آخر لنوع آخر من السفن التي تستعمل لنزع الطين والرمال من قاع النهر والخلجان والموانى

﴿ الشلنديات ﴾ ومفردها شلندي وهي مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في الاهمية الشونة والحراقة . والشلندي في اللاتينية Chelandium واخذه الروس فقالوا Scheiando وقال الطليان Scialando والفرنسيون Chaland واسترجعناه منهم بطريق التعريب فقلنا « صندل » وأصبح هذا الاسم بتحريفاته عندهم وعندنا علماً على السفائن المخصصة لنقل البضائع . أي اصبح الصندل عندنا يدلّ

على نوع من المواعين جمع ماعونة المستعملة الآن عندنا في ثغور مصر . وقد كانت معروفة في الاساطيل الاسلامية الى زمان الدولة العلية فقد كانت الماعونة من أهم سفنها الحربية . وقد اخذ الافرنج لفظ ماعونة فقال فيها الفرنسيون Mahonne وقال الطليان Maona و Mahone و Magona (أنظر رينالدي ص ٢٧٣)

﴿ العشاريات ﴾ جاء في تعريفها انها مراكب يسار بها في النيل . ويؤخذ من كلام المقريزي نقلاً عن ابن الطوير انها من توابع الاسطول . وهي انواع منها ما هو خاص برسم الخليفة وهي الدواميس (ومفردها ديماس) يخرج بها ايام الخليج وغيرها . ومنها ما هو برسم ولاة الاعمال وهي بقية العشاريات الدواميس . وللمشارفين بالاعمال (المفتشين) عشاريات دون هذه

﴿ الاغربة ﴾ جمع غراب وهي من اقدم انواع السفن الحربية كانت معروفة عند القرطاجيين والرومان وغيرهم ولم تزل معروفة حتى ايام الدولة العثمانية ولم يتغير شكلها فكانت تسمى فيها بالغراب أو (القدرغة) وكانت من اشهر انواع سفنها الحربية. ويظهر ان اسمها مأخوذ من اسم الغراب لان القدماء كانوا يصنعون بعض سفنهم على اشكال الطيور فيجعلون رأس السفينة أو مقدمها على شكل رأس الغراب أو شكل طير من الطيور تفاؤلاً أو اشارة الى انه في الماء كالطيور في السماء

﴿ الشبَّاك ﴾ من توابع الاسطول . قال دوزي في قاموسه الشباك مراكب حربية صغيرة الحجم تستعمل عادة في البحر الابيض المتوسط . ويقال فيها شُبَّاك وشَبَّاك . وقد اخذ الافرنج هذا اللفظ فقال الاسبان Jabeque وقال البرتقال Xabeca وقال الفرنسيون Chebec وقال الطليان Sciabecco و Zambecco (انظر رينالدي ص ٩٤)

﴿ الفلائك ﴾ جمع فلوكه وهي من توابع الاسطول وقد اخذ الافرنج هذا الاسم فقال الاسبان Faluca وقال الطليان Filuca أو Feluca وقال الفرنسيون Filouqua . انظر رينالدي ص ٦٤

﴿ القوارب ﴾ جمع قارب وهي من توابع الاسطول اخذه الافرنج فقالوا Corvette من اللفظ المفرد وهو قارب (وربما يصح القول بانهم اخذوه من غراب) . وهي انواع ومنها قوارب الخدمة . والقوارب معروفة في مصر من اول الاسلام وقد وردت في كتاب عمرو بن العاص الذي يصف فيه مصر

﴿ الحمالات ﴾ جمع حمالة وهي المراكب الحربية الحمالة برسم الازواد للرجال ويكون فيها غلمان الخيالة وصناع المراكب . وغير ذلك من السفن التي تحمل آلات الحرب

والحصار من الاخشاب الكبار والدبابات وابراج الزحف وغير ذلك

وهناك سفن أخرى لاغراض أخرى مثل البطس جمع بطسة و« البروكوشات » أو البروكوس و «الاعواديات» و «الاغراري» و «المسطحات» جمع مسطح . سوى ماينضاف الى الاسطول من « العلابيات » و « الحمائم » و « السنابيك » وغيرها

معدات السفن الحربية

وكان من معدات السفن الحربية عندهم : الرماح والعصي والتراس والزرد والدرق والخود . والعرادات واحدها عرادة وهي اصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة أو السهام المرمى البعيد . قيل هي من التعريد بمعنى العدو . وقد تستخدم لرمي قدور



منجنيق لرمي النفط

النفط أو العقارب أو نحوها من آلات الاذى . فان كانت المقذوفات خفيفة ثقلوها بالرصاص وان كانت من السوائل كالنفط ونحوه اتخذوا لها كفة كالكاس علقوها بسلاسل . والبـاليقات وهي سلاسل في رؤسها رمانة حديد . والكلاليب وفائدتها أنهم اذا دنوا من أحد مراكب العدو القوا الكلاليب عليه فيوقفونه ثم يشدونه اليهم ويرمون عليه الالواح كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون واذا كان العدو قوياً ابطل فعل الكلاليب بفاس ثقيل من فولاذ يضربون به الكلاليب فتنقطع

وكانوا يجعلون في اعلى السواري صناديق مفتوحة من اعلاها يسمونها التوابيت يصعد اليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة في مخلاة معلقة بجانب الصندوق يرمون العدو بالاحجار وهم مستورون بالصناديق وقد يكون مع بعضهم بدل الحجارة قوارير النفط للاشعال (وهي قدور ونحوها يجعل

فيها النفط ويرمى بها على السفن والقلاع للاحراق) أو جرار النورة وهو مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ يرمون بها مراكب الاعداء فتعمي الرجال بغبارها وقد تلهب عليهم اذا تبددت . او يرمون عليهم قدور الحيات والعقارب او قدور الصابون اللين فانه يزلق اقدامهم

وكانوا يعلقون حول المراكب من الخارج الجلود او اللبود المبلولة بالخل او الماء والشب والنطرون لدفع اذى النفط . وقد يحتاطون لذلك بالطين المخلوط بالبورق والنطرون أو الخطمى المعجون بالخل فان هذه المواد تقاوم فعل النفط . وكان من احتياطاتهم في اثناء الحروب البحرية انهم اذا جن الليل لا يشعلون في مراكبهم ناراً ولا يتركون فيها ديكاً . واذا ارادوا المبالغة في الاختفاء سدلوا على المراكب قلوعاً زرقاً فلا تظهر عن بعد . وهذه القلوع كانوا يسمونها الستاير وهي آلات الوقاية من الطوارق وما في معناها مما يستتر به على الاسوار والسفن التي يقع فيها القتال

كانوا يجعلون في مقادم المراكب اداة كالفأس يسمونها « اللجام » وهي حديدة طويلة محددة الراس جداً واسفلها مجوف كسنان الرمح تدخل من اسفلها في خشبة كالقناة بارزة في مقدم المركب يقال لها « الاسطام » فيصير اللجام كانه سنان رمح بارز من مقدم المركب فيحتالون في طعن المركب به . فاذا اصاب جانب المركب بقوة خرقه حتى يخشى غرقه بما ينصب فيه من الماء فيطلب اصحابه الامان

(المصادر) قد رجعت في بحثي هذا الى المقريزي (الخطط والآثار في مصر والقاهرة والنيل) والمكتبة الصقلية Bibliotecа Arabo-Sicula التي جمعها ونشرها المسيو ميشيل اماري سنة ١٨٥٧ وكتاب الالفاظ الايطالية المشتقة من اللغة العربية Le Parole italiane derivate dall' Arabo للاستاذ لويجي رنالدي Luigi Rinaldi طبعت في نابلي سنة ١٩٠٦ . ومحاضرات بقايا العرب في فرنسا وسويسرا التي القاها احمد زكي باشا في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية . وتاريخ التمدن الاسلامى لصاحب الهلال . وكتاب حقائق الاخبار عن دول البحار لاسماعيل سرهنك باشا . وقاموس دوزي العربي R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes ودائرة المعارف العربية للبستاني وتاريخ السلاطين المماليك للمقريزي ترجمة كاترمير وغيرها

(مصر)

عبد الفتاح عبادة
طالب بالجامعة المصرية

باب السؤال والاقتراح

لغة الدواوين والجمعية الحقانية

﴿ ابو تيج ﴾ علي افندي فؤاد سليم

لمناسبة ما جاء في اهلتكم السابقة من سعي رجال الحكومة في تعمير بعض الارضين وتوزيعها على صغار الفلاحين من جهة وما تكتبونه عن النهضة الجديدة في احياء اللغة العربية من جهة اخرى وامانيكم الشريفة في رفع شأن لغتنا المحبوبة ارسل اليكم مع هذا صورة منشور صادر من الجمعية الحقانية في محرم سنة ١٢٦٠ هـ

فمن مطالعته تعلمون كيف سنت الحكومة عقوبة الاعدام والصلب والسجن المؤبد لمن (يتسحب) من بلده أي يفرُّ ويترك الزراعة اومن يخفي متسحباً . وشتان بين عمل الحكومة في الماضي وعملها في الحاضر . وللحكومة السالفة عذر لما اصاب الاهلين والبلاد من استبداد المماليك وعمالهم فترك الفلاح ارضه خوف المظالم

فلما جاء المغفور له محمد علي باشا رأس الاسرة المحمدية العلوية واعلن الطمأنينة للبلاد وامن الناس على ارواحهم واموالهم وسنَّ ما سن مما سطره له التاريخ كان لا يزال في البلاد أثر للاضطراب والاعتساف فوضعت الحكومة هذا المنشور لاعادة الناس الى بلادهم

ويفهم من نصه ايضاً ما وصلت اليه اللغة العربية من الضعف والاضمحلال في ذلك العهد . فالمطلع على هذا المنشور يرى الغلطات الكثيرة في الاملاء والاعراب والانشاء واللغة : وبالجملة فهو بؤرة اغلاط لا يقع فيها طفلٌ لم يمض سنتين في الكتاتيب . فاذا تكرمتم بنشر هذا المنشور او بعضه في هلالكم ليظهر للقراء الفرق بين لغة الحكومة في تلك الايام وبينها في ايامنا هذه

وارجو الافادة عن « الجمعية الحقانية » ما هو نظامها وما اختصاصها

وتجدون في نص المنشور المشار اليه لفظ « افندينا الخديوي » مع انكم ذكرتم في الهلال ان اول من سمي خديوياً المغفور له اسماعيل باشا فالامل الافادة عن الحقيقة

﴿ الهلال ﴾ قد اطلعنا على ذلك المنشور وفي نشره فائدة وعبرة لكنه يستغرق بضع صفحات من الهلال فنكتفي بفقرة منه على سبيل المثال ننشرها بنصها تماماً كما جاءت في المنشور لبيان الفرق بين مصر منذ سبعين سنة والان من حيث الانشاء والاحكام واليك هي :

« لقد صدر للجمعية الحقانية اراده سنيه من طرف الاعتاب الخديوية رقم ١٧م (محرم) سنة ١٢٦٠ نمرة ٧ مضمونها لقد صدرة (صدرت) اوامر اكيدة المضمون عن جاب واسكان كل متسحب من بلاده الاصلية وانحصر لدى الخديوي الاعظم اجراء هذه الخصوص لاكن (لكن) لم امكن الاقدام لاجراء مقتضى ذلك لداعي بعض اسباب ومشيراً بالاراده ان يصير حصر النفس من جميع المتسحبين فرداً فرداً الى بلادهم ويجرى عدم قبول الذي يتوجهوا ويحضروا من بلد الى بلد من بعد اليوم وجهاً من الوجوه ويصير رفع انفظت (لفظة) المتسحب من الوسط فلذى (لدى) المذكرة ان سعادة افندينا ولي النعم الخديوي الاعظم كان حصر لدى اعتابه اجراء هذه الخصوص لكن لم امكن استحصال تلك الامل لحد الان بسبب كثرة عنايته وحيث احيل هذه على الجمعية الحقانية الان فواجباً على الدقه اجراء الجزاء بمقتضى الحقانية وامساكه اساس ولا سيما ان الاقدام في اجراه مستغنى عن التعريف والافهام . ومن كون ان اساس عاريت (عارية) البلاد وحصول رفهيت (رفهية) العباد فهي مصلحة الزراعة والفلاحة وان اجراء هذا الامر طبق المرام يكون باهل انفار كل بلد ومن المعلوم ان الانفار المهاتاين لذلك لا يتنعوا لشغل في محلاة (محلات) غير اوطانهم ويدوروا على رأسهم وعلى الخصوص ان أعظم المضرة التي تنتظر من مصلحة الزراعة والفلاحة فهو من عدم الدقة لاعادة الانفار الى اوطانهم مع أنه كان صدرة (صدرت) اوامر سنيه بان الذي يحموا المتسحبين سايتجاوزوا (سيجازون) بالاعدام وبالارسال الى ليمان اسكندرية مدة الحياة فلم صار الانتباه وعلم انهم ابقوا الذي عندهم بطرفهم كما كانوا وقد اقتضى الحال الى ترتيب جزاء شديد واجراه في حق الذي يتجاسروا على خلافه لاجل يرحبوا الانفار الى المحلاة (المحلات) الذي يكونوا متحولين فيها في سنة ٢٤٨ بمقتضى اللوائح الصادرة قبلا والارادة العلية الصادرة في ١٤ جا سنة ٢٥٨ عموماً وعدم قبول المتسحبين من جديد وجها من الوجوه وازالة لفظة متسحب من الوسط فيما بعد فيقتضي ان كل من كان عندهم انفار متسحبين يرسلوهم الى الجهات الذي محولين فيها في سنة ٢٤٨ لغاية شهر واحد اعتباراً من التاريخ الذي ينشر فيه

هذه الخلاصة لمن يلزم من دواوين المديرية والتفتيش واذا كان احداً لم يرسل لغاية الميعاد المذكور او يقبل الذي يحضروا محدداً سيتجازى بالصلب والاعدام بعد التحقيق الخ . »

هذا مثال من ذلك المنشور يتبين منه للقارئ انحطاط لغة الدواوين منذ سبعين سنة وانها آخذة في التحسن من ذلك الحين فان ما نشكوه الان من التعبيرات الخاصة بالدواوين لا يستحق الذكر بالنظر الى ما كانت عليه لغة الدواوين في ذلك العهد البعيد . ولاشك ان لغة الدواوين خطت خطوة هامة في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن بمن تولى رئاسة اقلامها من المتخرجين في المدارس العالية وبعضهم من خيرة الكتاب وارباب الاقلام . ولا سيما بعد ان دخلت نظارة المعارف في دورها الجديد بوزارة حشمت باشا محيي الاداب العربية . فانه وجه عناية خصوصية الى لغة كتاب النظارة وانتقى لرئاسة الاقلام طائفة من خيرة الكتاب . والف لجنة الاصطلاحات العربية . ولما صارت ادارة عموم الاوقاف الى صاحب السعادة ابراهيم باشا نجيب وهو من محبي اللغة العربية والغيورين على ادابها أخذ من اول ساعة في اصلاح ذلك الديوان وعني على الخصوص بلغة الكتابة فيها . فعين اثنين من خيرة الكتاب الادباء لهذه الغاية . ونحن في نهضة عربية عامة يرجى معها ان ترجع اللغة العربية الى رونقها

اما الجمعية الحقانية التي أصدرت ذلك المنشور فهي مجلس للنظر في مسائل سبق الحكم فيها ويراد تحقيقها . ولا سيما ما يتعلق بما يقع بين موظفي الحكومة أو بين رؤسائها كالاستئناف او النقض والابرام لما تبرمه المجالس الاخرى التي كانت في ذلك العهد . تشكلت هذه الجمعية في أواخر ايام محمد علي باشا وقد جاء في البند الاول من قانونها من حيث تشكيلها ما نصه بعبارته وأسلوبه :

« ان ترتيب الجمعية الحقانية المذكورة يكون مركب من رئيس وستة اعضاء من الذوات والستة يكون منهم اثنين من ذوات الجهاديه واثنين من ذوات البحريه واثنين من ضباط الملكيه ويكون الستة ارباب المجلس خاليين من الوظيفة والمأموريه في احد الدواوين وان لا يجوز تعينهم خارجاً عن مأموريتهم وتبعيدهم عن وظائفهم وبهذا تصير الجمعيه منحصرة بستة ذوات اعضاء لكن يلحظ ان بعض ارباب الدعاوي الذي يصير رؤيتها بالحقانية يلتمس اقناعه ويطلب تعيين احد ارباب المجلس لتحقيقها بمعرفته فينظر في تعين ذوات من الضباط على حسب الاوصاف الذي ذكرت قبله في ترتيب الجمعية ويصير الحاقهم بها »

وجاء في بيان اختصاصاتها ان الاحكام السياسية كلها تحول الى هذه الجمعية وكذلك ما يراد اعادة النظر فيه من الاحكام الصادرة على الموظفين وهذا نص المادة بحرفها: « ان مأمورين الاداره اذا تشكوا للاعتاب الخديوية من الاحكام والقرارات التي توجد صادرة بخلاف القانون وصدر امر عالي بتحقيقها فيصير رؤيتها وتحقيقها بحسب القانون واذا تبين صحة شكواهم فيصير فسخ الاحكام والقرارات المذكورة واذا لم يثبت ذلك فيجري مقتضى القوانين وتأييد الحكم المذكور »

وهي تنظر أيضاً في المنازعات بين افراد الناس وأحد موظفي الحكومة مما ينتج من المشترَوات الاميرية والالتزامات وغيرها . وجاء في ختام قانونها انها سميت حقانية لتجري في أعمالها بالحق والعدل . وقد تضع القوانين او تنقحها او تذيلها في شكل المنشورات ومن جملة منشوراتها مواد صدرت سنة ١٢٥٦ وأضيفت الى قانون السياستنامة تتعلق بالمستخدمين الذين تقطع معاشاتهم بجنحة ثم يعودون الى الخدمة . ومادة تحرض بها رجال محمد علي الغيورين على الدولة أن لا يتهيبوا من كشف ما يرونه من الخلل في المصالح الاميرية ولو كان صادراً من كبار الموظفين . والتحريض على حفظ الآداب العمومية . ومن ذلك مادة تقضي على السارق إذا ثبتت عليه السرقة بشروط خمسة مذكورة يحكم عليه بالاعدام . واصدرت مواد تتعلق بالملتزمين والمدينين والمسكوكات والمتسحبين

بقي سؤالكم عن لقب « خديوي » الذي قلنا انه أعطي اولاً لاسماعيل وقد جاء في منشور الجمعية الحقانية لقباً لمحمد علي . والجواب على ذلك ان ولاة مصر قبل اسماعيل لم يكونوا يلقبون في الفرامانات الشاهانية رسمياً بلقب « خديوي » وانما كان يسمى صاحب مصر فيها « والي مصر » واول من سمي « خديوي مصر » رسميا اسماعيل . واما ورود هذا اللقب في منشورات الحكومة المصرية قبله فهو من قبيل النعوت التفخيمية . وأما في الفرامانات فكانوا يسمون مصر « ولاية مصر » حتى اسماعيل فان الفرمان صدر له عند توليته هو نحو ما صدر لاسلافه . فلما نال الامتيازات وفي جملتها توارث الحكم في اعقابه صدر له فرمان سمي فيه خديوياً ونائب ملك (فيس روا) وسميت مصر « مملكة » أو « خديوية » (راجع الفرمان الصادر في ٨ يونيه سنة ١٨٦٧) وسمي اسماعيل في فرمان آخر صدر سنة ١٨٧٢ « الملك الاعلى خديو مصر » . ومما يدل على ان لقب خديوي كان يعطى لاسلافه تجملاً لا حقيقة ان الباب العالي اكد حقيقة ذلك اللقب رسمياً في فرمانه الأخير لاسماعيل فقال « الملك الاعلى خديو مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة بالفعل »

غرض كولي من تجاربه ان يحل مركب الفلور بواسطة الكهربائية وجرب ذلك رمزي ايضاً فقال انه تولد معه هيليوم وفي مرة أخرى تولدنيون . فقال انهما تولدا بالتحول . لانه لايرى امكان تطرقهما الى الانابيب أو الزجاجات التي أجرى التجارب فيها . وجرب بترسن اطلاق الشرارة الكهربائية في غاز الاوكسجين فتولد فيه نيون . واطلق شرارة في انبوب فيه هيدروجين فوجد فيه هيليوم . وتعليله « ان القوة الكهربائية أثرت في الجوهر الفرد من الهيدروجين فحولته الى هيليوم . واثرت في جوهر الاوكسجين فحولته الى نيون » وهو تحويل عنصر بسيط الى عنصر آخر بسيط . ولم تنشر هذه الاقوال في الصحف حتى اهتم العلماء بها وأخذوا في درسها وتجربتها . فظهر لهم انها تحتاج الى مراجعة وتحقيق . وكتب السر طمسن الطبيب الانكليزي الشهير مقالة انتقد فيها اماكن الضعف في ما ذهب اليه أولئك الباحثون . واتى على ذلك باعتراضات قوية لا محل لها هنا . وغاية ما يقال في هذا الرأي انا ينبغي أن نصبر حتى يمحصه الزمان بتوالي التجارب بعد ان تذهب دهشة الجديد

مطبوعات جديدة

﴿ رواية يوليوس قيصر ﴾ هي احدى روايات شكسبير زعيم نهضة الادب العصري وامام شعراء الانكليز . وقد اشتهر برواياته الشعرية التمثيلية وهي كثيرة اشهرها روميو وجوليت وهملت وأوتلو (عطيل) ومكبث ويوليوس قيصر وغيرها . نقلت كلها الى اهم لغات العالم ونقل معظمها الى اللغة العربية . واتفق النقادون ان شكسبير اقدر من وصف العواطف وصفاً يطابق الواقع بعبارة فيها اساليب خلقها هو لتطابق الصورة التي في ذهنه . واستبد في ذلك استبداد الملك القادر فنسج الناس على منواله . ولذلك كان نقل رواياته الى اللغة العربية لا يقوى عليه الا الراسخون في الادب العربي والافرنجي لتفهم المعاني الاصلية وسبكها في قالب على الاساليب العربية . وقلّ من نجح في هذا العمل من المترجمين . واكثر الذين ترجموا شكسبير الى العربية تصرفوا في النقل . وقد اجاد في الترجمة بلا تصرف خليل أفندي المطران في نقل «عطيل» وسامي افندي الجريديني المحامي الشهير في نقل رواية يوليوس قيصر التي نحن في صددها . وهي تمثل مقتل هذا القائد العظيم . ويسرّنا ان جريديني افندي مع اشتغاله بالمحاماة وما تستلزمه من اعمال الفكرة يجد فراغاً يشتغل فيه بالادب. وله اطلاع واسع على الآداب

الافرنجية فضلاً عن العربية . فنقل هذه الرواية بعد الاطلاع على اقوال شراحها نقلاً صحيحاً بعبارة عربية فصيحة واضحة مع المحافظة على الاصل لفظاً ومعنى . ومن يقابل بين الاصل والترجمة يتبين له مقدرة سامي أفندي في اللغتين وآدابهما . والرواية تطلب من مجلة الزهور بمصر

﴿ مذكرات حي ﴾ هي ضرب من الشعر المنثور قل من طرقه في اللغة العربية لالياس أفندي منسى . بسط فيه شعوره واحكامه في الحب والعفاف والفقر والصداقة وغيرها من مظاهر المجتمع الانساني كما فعل كبار الادباء في اللغات الافرنجية مثل روسو وموسيه من شيوخ الادب الافرنجي . وصاحب « مذكرات حي » شاب في مقتبل العمر وقد اجاد في ما أراده في أسلوب عربي رشيق يؤثر في النفس ويشوق للمطالعة وفيه عبرة وعظة وانتقاد لبعض الاحوال الاجتماعية ويطلب الكتاب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش

﴿ مغالبة الشر ﴾ هي رواية اجتماعية أخلاقية لاسماعيل أفندي سري الدهشان وصف بها كثيراً من أحوال المجتمع شعراً ونثراً وقرر كثيراً من القواعد النافعة في السياسة والاجتماع على لسان شيخ عاقل. وتطلب من حضرة المؤلف ومن ادارة الهلال وثمن النسخة ٥ غروش

﴿ لباب البراهين الجلية ﴾ هو كتاب تاريخي انتقادي لسيادة المطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني في القطر المصري. يتناول البحث في حقيقة امر الطائفة المارونية من اوائل القرن الخامس الى اوائل القرن الثالث عشر للميلاد. ودرس النقط المهمة في اصل هـذه الطائفة واسمها وديانتها وتاريخها وسائر احوالها في تلك المدة . والمطران دريان بحاثة معتدل وقد اتصل الى حقائق تاريخية تهم طلاب التاريخ

﴿ المعاينة والعلامات التشخيصية للامراض الباطنية ﴾ كتاب في العلاج الباطني للدكتور عيسى باشا حمدي أحد اركان النهضة الطبية في مصر يوم كان التعليم باللغة العربية. وقد تولى رئاسة مدرسة قصر العيني عدة اعوام وله مؤلفات عديدة في الطب وفروعه وهذا الكتاب من خيرة ما كتب في الطب الباطني . ولو ظل تعليم الطب باللغة العربية لتكاثرت عندنا المؤلفات فيه كما كانت في ايام محمد علي واسماعيل . ولكنها الان نادرة. فعسى ان يعود تعليم الطب الى اللغة العربية كما عادت سائر فروع العلم بهمة وزير المعارف

﴿ تاريخ الفحشاء ﴾ هو كتاب اجتماعي طبي في تاريخ الاداب العمومية واسباب ما انتابها من العلل وكيفية نشوئها وانتشارها عند الامم قديماً وحديثاً تأليف

عبد الكريم افندي التنير . وفي الكتاب فصول صحية في امراض تلك الرذيلة

﴿ اخبار وافكار ﴾ هي مجموعة علم وادب وتاريخ مما دبجه يراع رصيفنا امين افندي الغريب صاحب جريدة الحارس في بيروت . نشرت فصولها في الجريدة المذكورة ثم جمعت في هذا الكتاب على حدة . وفي شهرة حضرة الكاتب بطلاوة ما يطرقه من المواضيع والاساليب الرشيقة التي يؤديها بها ما يغني عن التقريظ وهي تطلب من حضرته

﴿ اليزيدية ﴾ عثر عيسى افندي يوسف نزيل نيويورك على رسالة خطية في الموصل تتعلق باليزيدية المعروفين بعبدة الشيطان وآدابهم وبعض احوالهم . فنشرها باصلها العربي في مجلة اللغات والآداب السامية في اميركا مع ترجمتها الى الانكليزية وتعاليق مفيدة . واحوال اليزيدية من اغمض احوال الامم

﴿ حياة البلاد في علم الاقتصاد ﴾ هو كتاب في علم الاقتصاد لرفيق افندي رزق سلوم احد طلبة الحقوق في الاستانة لخصه عن اهم المؤلفات الافرنجية في هذا العلم . وهو من المواضيع النافعة التي نحن في حاجة اليها . ويطلب من مطبعة قسطنطين يني في حمص وثمن النسخة ربع ريال

﴿ رائد السودان ﴾ جريدة علمية ادبية تجارية تصدر بالخرطوم مرة في الاسبوع تبحث في السودان وشؤونه الاقتصادية والاجتماعية اشتراكها خمسون غرشاً

﴿ المرشد ﴾ جريدة ادبية اسبوعية تصدر في سانتياغو تشيلي (اميركا) لمنشئها الخوري بولس الخوري بدل اشتراكها ٢٠ فرنكا

﴿ النجاح ﴾ جريدة اصلاحية تصدر في زنجبار مرة في الاسبوع لصاحبها ناصر الدين سليمان اللمكي بدل اشتراكها في الخارج ثماني روبيات

﴿ المصور ﴾ جريدة سياسية مصورة تصدر في بيروت مرة في الاسبوع لصاحبها عبد الوهاب افندي التنير ومديرها محمد افندي طاهر التنير بدل اشتراكها في الخارج عشرة فرنكات وهي متقنة التصوير

﴿ الفجر ﴾ جريدة اجتماعية سياسية انتقادية تصدر في ريو جانيرو البرازيل مرة كل عشرة ايام لصاحبها ناصر افندي شاتيلا بدل اشتراكها ١٢٠ غرشاً في الخارج

﴿ الجامعة ﴾ نشرة علمية مدرسية تصدر في عاليه لبنان مرتين بالشهر لمديرها اسكندر افندي خير الله ومحررها ميشال افندي زخور بدل اشتراكها ثلاثة فرنكات

﴿ السهام ﴾ جريدة عمومية تبحث في كل موضوع تصدر مرة في الاسبوع في مناوس البرازيل لمديرها ومحررها جورج افندي اسحق يارد بدل اشتراكها ٣٥ فرنكاً

الهلال

الجزء السابع من السنة الحادية والعشرين

اول ابريل (نيسان) سنة ١٩١٣ و٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣١

الدولة الروسية

واسرة رومانوف

احتفل الروس في مارس الماضي بمرور ثلاثة قرون على توالي السلطة في اسرة رومانوف الحاكمة في روسيا الان واختارت ان يترأس الاحتفال غبطة غريغوريوس الرابع البطريرك الانطاكي للروم الارثوذكس . فسافر الى بطرسبورج دون سواه من البطاركة . فرأينا ان نأتي على تاريخ هذه الاسرة وعلاقة روسيا بالكرسي الانطاكي وغيره من الكراسي البطريركية

الاسر الحاكمة في الدول المتمدنة

مضى على اسرة رومانوف صاحبة السيادة في روسيا ثلاثمئة سنة والسلطة تتوالى في ابنائها . وهي مدة طويلة بالنظر الى معدل اعمار الاسر المالكة في العالم المتمدن ولكن عمر الاسرة الروسية التي كانت قبلها اطول كثيراً فانه يزيد على سبعمائة سنة . ويندر ان توفق اسرة من الاسر المالكة الى هذا العمر الطويل . فان متوسط اعمارها لا يزيد على مئتي سنة . واذا صدقنا تقاليد اليابانيين كانت اسرتهم المالكة اطول عمراً من سائر اسر الارض المعروفة . فهم يعتقدون ان امبراطورهم الحالي متسلسل من اسرة

جدها الاول حكم سنة ٦٦٠ قبل الميلاد فعمرها الان ٢٥٧٣ سنة . ويعتقدون انها متسلسلة من الالهة اي انها ارقى طبقة من البشر

واذا تدبرت تواريخ الاسر المالكة في زمن الحكم المطلق من قديم الزمان رأيت بين صبغتها الدينية وطول بقائها نسبة متبادلة . واعتبر ذلك في الدول الاسلامية فان اطولها عمراً الأسر التي جمعت بين السلطة والخلافة كالعباسيين والفاطميين والامويين في الاندلس . فانها رغم ماطرأ عليها من اسباب السقوط قد صبرت وطال جهادها . واطولها بقاء على الاطلاق الدولة العثمانية فقد بلغ عمرها الى الان ٦١٤ سنة ولا تزال حية . وهي من اطول الدول الحية عمراً وقد جمعت بين السلطة والخلافة . واعتبر ذلك ايضاً في الروس فقد توالى عليهم منذ تأسيس دولتهم اسرتان اسرة روريك واسرة رومانوف . حكمت الاولى ٧٣٥ سنة (من سنة ٨٧٥ – ١٦١٠) والثانية تجاوزت ٣٠٠ سنة ولا تزال في ابان شبابها . وقياصرة الروس في سلطتهم نفحة دينية كما سترى

اما الدول الاوربية ما عدا هؤلاء فلم يتجاوز عمر اسرة من اسرها المالكة نصف قرن الا نادراً . واطول الاسر الحية عمراً اسرة هبسبورج ملوك النمسا . فان جدهم الاول البريخت حكم سنة ١٢٨٢ فعمرها الآن ٦٣١ سنة . وما خلا ذلك فيندر في الدول العظمى دولة اتيح لها ان تحتفل احتفال اسرة رومانوف بمرور ٣٠٠ سنة على سيادتها . فالانكليز مر على دولتهم منذ انتظمت امورها في اوائل القرن التاسع الى الان سبع اسر اطولها عمراً الانجلوسكون من سنة ٨٢٧ – ١٠١٦ اي اقل من مئتي سنة . وفرنسا توالى عليها من القرن الخامس الى اوائل القرن التاسع عشر خمس اسر اطولها عمراً بيت كابت من سنة ٩٨٧ – ١٣٢٨ اي نحو ٣٤٠ سنة تليها دولة الميروفنجيين من سنة ٤٨١ – ٧٥١ اي نحو ١٧٠ سنة . والمانيا حكمها نحو عشر اسر اطولها عمراً اسرة هبسبورج حكمتها نحو ٣٠٠ سنة وانتهت سنة ١٧٤١ ولو تتبعت اعمار سائر الدول لرأيت اكثرها لم يتجاوز عمرها مئة سنة

الروس والنصرانية

الروس آخر من تنصر من الدول الاوربية الكبرى . واول من تنصر من ملوكهم فلادمير الاكبر من اسرة روريك في اوائل القرن العاشر للميلاد . وكان للمرأة يد في دخول النصرانية روسيا مثل يدها في انتشار هذه الديانة في اكثر ممالك العالم . وذلك

ان النصرانية اخذت تتسرب الى روسيا من القرون الاولى وانتشرت بين العامة على ايدي مبشرين من اليونان لانهم اقرب الدول المسيحية اليها . فانقضى القرن التاسع ونصف العاشر ولم تتجاوز النصرانية بلاد كياف . ولكن الحكومة الروسية كانت لا تتعرض لاصحابها بسوء بل كانت تجيز لهم معاطاة طقوسهم . وانتقل العرش الروسي سنة ٩٤٥ م الى سفاتوسلاف بن ايغور من اسرة روريك وكان غلاماً فصار النفوذ الى والدته اولغا . وكانت عاقلة مدبرة وفيها ميل الى التدين وتعرفت الى بعض المبشرين اليونان فرغبت في النصرانية فتنصرت وذهبت الى القسطنطينية فعمدها البطريرك القسطنطيني سنة ٩٥٥ باحتفال فخيم وسموها هيلانة . ولما عادت الى بلدها رغبت ابنها في النصرانية فابى ولما الحت عليه اجابها « اتريدين ان اصير سخرية بين اصدقائي ؟ ان النصرانية تأمر بالمحبة والمغفرة وهما جديرتان بالنساء وليس بالرجال اهل الجلاد والحرب » لكنه اباح التنصر لمن شاء من الناس

وكان سفاتوسلاف رجلاً شديداً يحب الفتح فاكتسح بلاد الخزر وبلغاريا وغيرهما فامتدت مملكته الى بحر ازوف فقسمها سنة ٩٧٠ بين اولاده الثلاثة . ثم عاد الى محاربة بلغاريا ففتحها فخاف الروم في القسطنطينية على سلطانهم فتصدوا له وتقدموا اليه ان يخلي البلاد التي فتحها فابى فانتشبت بينهما حرب كان النصر فيها لليونان فعقدوا صلحاً وانسحب الروسيون من بلغاريا وعاد سفاتوسلاف خائباً . فتعرض له بعض اعدائه في اثناء الطريق وقتلوه . فاختلف اولاده على السيادة وتخاصموا وفاز منهم فلادمير واستقل بالعرش الروسي وهو من اعظم ملوك الروس . فحارب وفتح واشتهر بقوة البطش . ولما فرغ من فتوحه عاد الى عاصمته كياف واخذ في تكريم اصنامه بتضحية الناس على مذابحها من الاسرى . فقال له بعض اتباعه « ان الالهة يسرها بالاكثر ان تكون الضحية من رعاياك » فاختاروا له غلاماً مسيحياً ابى والده ان يضحيه للاوثان فعدوا ذلك اهانة لآلهتهم فقتلوا الاب وابنه . فكان لهذا الحادث تأثير في خاطر فلادمير وكانه شعر بعجز آلهته فاظهر رغبته في دين آخر

فاخذ اصحاب الاديان المجاورة لروسيا يعرضون عليه اديانهم وهي الاسلام والكثلكة والارثوذكسية واليهودية — كل منهم يرغبه في مذهبه . فلم يرغب في الاسلام لانه يمنعه من شرب الخمر وكان مكثراً من تعاطيه . وامتنع عن الكثلكة لانها تعظم البابا الى حد العبادة وهو لا يريد ان يشاركه احد في ذلك . ورفض اليهودية لان اصحابها لا وطن لهم . ولم يبق الا الارثوذكسية وكانت اولغا . قد اعتنقتها فجاءه عالم من علماء القسطنطينية

يعرضها عليه واسمه كيرلس . فلما وقف بين يديه اخذ يقص عليه عقائد المذهب الارثوذكسي بفصاحة وبلاغة خلبا لبه . واخيراً اراه صورة تمثل يوم الدينونة وفيها الامم وقوفاً بعضهم الى اليمين والبعض الآخر الى اليسار وقصّ عليه خبرها . فتأثر فلادمير تأثراً عجيباً من منظر تلك الصورة وبلاغة ذلك الخطيب لكنه تمهل لزيادة البحث فارسل جماعة من اشراف مدينته الى الممالك المجاورة وطلب اليهم ان يتفحصوا احوال تلك الديانات في اماكنها . فعادوا وقد بهرهم منظر كنائس القسطنطينية بنوع خاص وقالوا للامير «لم نرَ احسن من ديانة اليونانيين لاننا وقفنا في كنيستهم فلم نعلم أفي السماء نحن أم على الارض اذ ليس في الارض منظر أبهى من ذلك » فصمم على التنصر وهو لا يستطيعه الا بالتنازل لامبراطور القسطنطينية فاستنكف من التذلل فاخترع



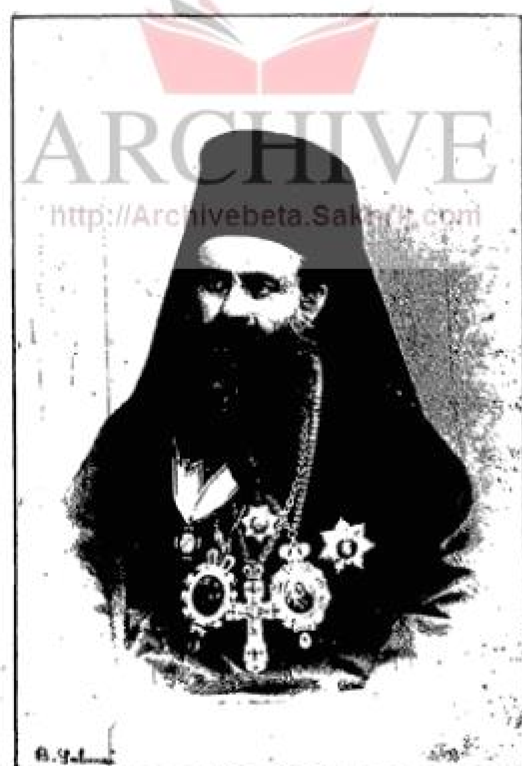
الامير فلادمير

طريقة توصله الى المطلوب بشرف . وذلك انه جرد لمحاربة اليونان في القرم وكانت من املاكهم وحاصر خرصون ثم فتحها وكتب الى الامبراطور يهدده بفتح القسطنطينية او يزوجه اخته فاجابه « لا يجوز للمسيحي ان يزوج اخته لوثني فاذا تنصرت زففناها اليك » فاجابه بالقبول فتنصر سنة ٩٨٨ واقتدى به رجال دولته بدعوى « ان هذه الديانة لو لم تكن حسنة لم يتبعها الامير »

فتأسست الكنيسة الروسية الارثوذكسية من ذلك الحين وامر فلادمير بانشاء الكنائس ونشر هذا الدين بين رعاياه واصبح الروس من حيث الدين تابعين للقسطنطينية يأتيهم الكهنة اليونان منها يعلمونهم ويبشرونهم ويعمدون اولادهم ويقضون بينهم . فعظم ذلك على روسيا فاخذت تعمل للتخلص من هذه السيطرة

فتمكنت من ذلك في اواسط القرن الحادي عشر فنقلت التوراة الى لسانها واستقلت عن كرسي القسطنطينية . وصارت تعين اساقفتها وكهنتها بلا مراجعة البطريرك القسطنطيني . فشق ذلك على اليونان وكان من اكبر اسباب التباعد بين الامتين حتى الآن . وترتب عليه التباعد بين اليونان والبلغار لان هؤلاء يتبعون الروس في طقوسهم الدينية وانما اتفقا في محاربة الدولة العثمانية لمصلحة شخصية

ولم يستطع الروس مع ذلك انشاء بطريركية خامسة . لان عدد الكراسي البطريركية قد حددته المجامع النصرانية . فبلغت دولتهم الآن ما تعلم من سعة السلطان ونصرة الارثوذكسية وليس لها بطريرك وانما تجري امورها الدينية بواسطة مجلس السينودس الذي انشيء سنة ١٧٢١ والقيصر هو رأس الكنيسة يولي رجالها ويعزلهم . لكنه لا يتعرض للاحكام الدينية فيحكم فيها المجلس ورئيس الاساقفة . ولم يضر هذا الرئيس أنه ليس بطريركاً فان رعاياه اكثر من رعايا سائر البطاركة



غريغوريوس الرابع البطريرك الانطاكي

والكراسي البطريركية الارثوذكسية اربعة الانطاكي والاسكندري والاورشليمي

والقسطنطيني لا تزيد ولا تنقص . واقدمها الكرسي الانطاكي ويسمونه مهد المسيحيين من الامم والمشارقة . وصاحبه اقدم من سمي بطريركاً ثم سمي بطريرك الاسكندرية ولم يصر اسقف القسطنطينية بطريركاً الا بعد تنصر قسطنطين الكبير في القرن الرابع للميلاد وبعده الاورشليمي لاسباب لامحل لها هنا [١] ونظراً لرغبة الروس في تأييد الارثوذكسية وقد وقع بينهم وبين الكرسي القسطنطيني تنافس على أثر استقلالهم عنه كما رأيت وجهوا عنايتهم الى بطريركيات الشرق ولا سيما الانطاكية لانها اقدمها . وقضت السياسة من جهة أخرى بتقديمها ومبادلة المنافع بينهما بما انشأته روسيا من المدارس فيها وبثته من النفوذ بين كهنتها واساقفتها . وقد سرها انتقالها من ايدي اليونان الى العرب في أواخر القرن الماضي . واحبت البطريرك الحالي على الخصوص لما اشتهر به من التقوى والحزم وسعة العلم . فلما اراد القيصر الاحتفال بمضي ثلاثة قرون على أسرته المالكة اختاره ليرأس ذلك الاحتفال . وهو فخر للسوريين على العموم واللبنانيين على الخصوص

أسرة رومانوف

جدُّها الاول ميخائيل رومانوف انتخبه الروسيون ملكاً عليهم سنة ١٦١٣ على أثر منازعات يطول شرحها عقبت انحلال أسرة روريك المتقدم ذكرها في آخر القرن السادس عشر . آخر ملوك روريك فيودور الاول تنازع على السلطة بعده غير واحد ثم وقع اختيار رجال النفوذ اخيراً على ميخائيل رومانوف هذا وهو ابن المطران روستو فلاديت . وكان لروستو هذا نفوذ وسطوة في روسيا وكان بوريس احد مغتصبي كرسي المملكة قد حمله على الترهب هو وزوجته كرهاً . ثم تولى الملك ديمتريوس فاخرج روستو من السجن وانفذه سفيراً الى بولونيا فسجنوه هناك . وفي أثناء سجنه كانت روسيا في اضطراب والشعب ناقم على الحكومة واهل المطامع والظلم يتنازعون السلطة حتى انف اشراف المملكة من ذلك فعقدوا جمعية سنة ١٦١٣ انتخبوا فيها ميخائيل رومانوف ملكاً عليهم وهو لا يزال في الخامسة عشرة من عمره . وتسلسل الملك في نسله الى الآن ولا يزال . لكن هذا التسلسل لم يبق محصوراً في الذكور بل انتقل الى نسله من الاناث سنة ١٧٣٠ وذلك ان بطرس الثاني المتوفى في تلك السنة كان آخر الذكور من نسل رومانوف فصار الحكم بعده لحنة بنت القيصر ايفان الخامس

(١) راجع تاريخ الانشقاق للمطران جراسموس مسرة الجزء الاول

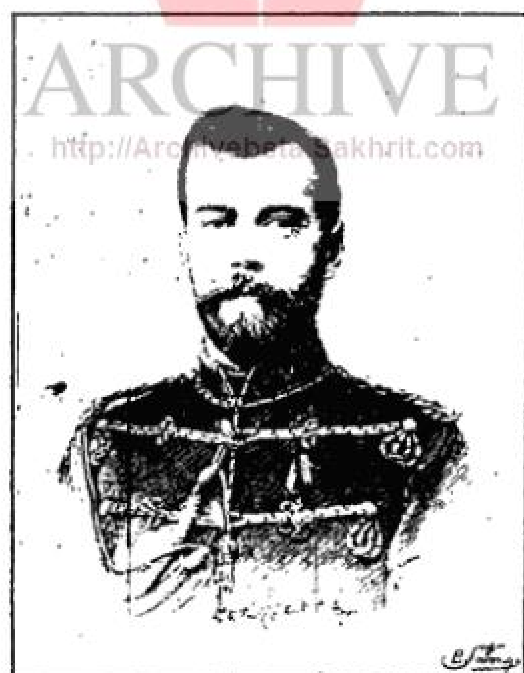
وكانت قد تزوجت بشارل فريدريك دوق هولستين كوتورب من اسرة اولدنبرج فانتقل الملك من بعدها الى ايفان السادس بن حفيد بطرس الاكبر وكان طفلاً فسجنوه فخلفته اليصابات بنت بطرس المذكور . ثم آل العرش الروسي الى بطرس الثالث بن حنة المذكورة سنة ١٧٦٢ وتوالى الحكم في اعقابه الذكور الى الان – كما وقع في اسرة هنوفر المتسلطة الان في انكلترا فان الحكم فيها انتقل بعد فيكتوريا الى ابنائها واعقابهم وهم يتصلون باسرة هنوفر بواسطتها



بطرس الاكبر

ولاسرة رومانوف في أثناء سلطانها تاريخ طويل يرتبط بتاريخ اوربا على العموم والدولة العثمانية على الخصوص بعد استيلائها على القسطنطينية . لان الروس ما برحوا منذ اشتد ساعدهم وهم يطمعون في استخراج هذه العاصمة الجميلة من ايدي اليونان فلما فتحها العثمانيون ازدادوا رغبة فيها واصبحوا يتواصون في وجوب فتحها . ولهذا السبب وضع بطرس الاكبر وصيته المشهورة

واشهر ملوك هذه الاسرة بطرس الكبير هذا . وهو من اعظم ملوك الارض حزماً وتعقلاً وهمة عمل اعمالاً تقصر عنها همم الملوك فانه طاف ممالك اوربا لاكتساب الصنائع الحديثة ومعه ثلاثة من كبار قواده سنة ١٦٩٧ وهو يتنكر تارة بزي خادم وطوراً بزي قبطان او غيره . فدخل المعامل واشتغل فيها بنفسه وعاش عيشة العمال زمناً في معامل السفن والحديد والحبال والمطاحن والمعاصر ومعامل الورق والاسلاك المعدنية .وسمى نفسه في سجل العملة بطرس مخائيل وكانوا يسمونه العم بطرس . وبعد ان اتقن هذه الصنائع عاد الى بلاده فانشأ المعامل ونظم الجند ورتب دواوين الحكومة وبث روح العلم . وكان مشهوراً بالعدل حتى حكم على ابنه بالقتل قياماً بواجب العدالة وقد فصلنا ذلك في الهلال ١٥ من السنة ١٤ وتوالى الملك بعده في قياصرة عديدين وبلغ عدد الملوك او القياصرة من أسرة رومانوف الى الآن ١٨ ملكاً وملكة آخرهم القيصر الحالي نقولا الثاني تولى الملك سنة ١٨٩٤ ولا يزال



القيصر نقولا الثاني



الوهم الاكبر

او مساوىء الفتح والاستعمار

الوهم الاكبر[1] اسم كتاب ظهر في اللغة الانكليزية منذ بضع سنوات لكاتب غير مشهور. فكان لظهوره ضجة في عالمي السياسة والصحافة وما لبث مدة قصيرة حتى نشرت ترجماته دفعة واحدة في سائر لغات الامم المتمدنة . واصبح مؤلفه نورمان انجل اشهر من نار على علم . وتبرع احد المحسنين بعشرين الف جنيه لنشر هذا المؤلف الجليل بين الخاصة والعامة خدمةً للجنس البشري

ذلك انه احدث انقلاباً عظيماً في المبادىء السياسية والقواعد الاقتصادية كما فعل كتاب اصل الانواع لداروين في علم الحياة — ولا نعرف أحداً ذكر هذا الكتاب في اللغة العربية بعد مع انه نشر في غير واحدة من اللغات الشرقية كاليابانية والهندية وغيرهما فضلاً عن اللغات الاوربية . فرأينا ان نلخصه ونستخرج زبدته للناطقين بالضاد تعميماً لفوائده الجمة وسداً لنقص يلحق اللغة العربية من اغفال كتاب جليل مثله . لا سيما ونحن في حاجة الى الابحاث الاجتماعية والاقتصادية أكثر منا الى سواها

وغرض الكاتب ان يبين « ان لا علاقة بين اتساع المملكة وقوتها العسكرية وبين سعادة الامة » أو بعبارة أخرى ان الحرب لا يتأتى عنها نفع للظافر أو الفاتح بل يكون ضررها مشتركاً بين المتحاربين على السواء . فلا معنى اذاً لتأهب الدول العظمى للحرب وبناء المدرعات وتعبئة الجيوش . وقبل بسط براهين نورمان انجل يجدر بنا ان نذكر الرأي المشهور اليوم من هذا القبيل والكتاب آنا يرمي الى هدمه

الرأي المشهور

ان المسابقة بين المانيا وانكلترا في بناء المدرعات وتعبئة الجيوش مشهورة تكاد تكون ضرباً من الجنون . ولا يحتمل ان يستمر الفريقان طويلاً على هذه النفقات الباهظة لاسيما وانها لا تغير شيئاً في الحالة الحاضرة لان الزيادة متناسبة في الجانبين إي ان انكلترا تزيد عدد مدرعاتها بنسبة معينة تقابل زيادة المانيا . ويقول البعض ان الفوز في هذه المسابقة

(١) Norman Angell : the Great Illusion

لانكلترا لتوفر المال عندها . فيجيب آخرون ان المانيا تفضلها بعدد الناس وهو ضرب من الثروة ــ ولا تريد احداهما ان تذعن للثانية وتوقف بناء المدرعات لئلا تقع تحت رحمة مناظرتها . ولا يرى المتأملون غير طريقين للخروج من هذا المأزق الضيق :

يعتقد فريق ان افضل حلّ لهذه المشكلة انما يكون باتفاق الدولتين على ايقاف المناظرة. ويرى الفريق الاخر وهو الأكثرية ان الحل الوحيد انما هو ان تشتبك الحرب بين انكلترا والمانيا فتقضي على احداهما وتقرر سيادة الاخرى . ودليلهم على ذلك أن تنازع البقاء وبقاء الاصلح سنة طبيعية تسري على الامم كما تسري على الافراد

والنزاع بين المانيا وانكلترا مثل كل نزاع حصل في التاريخ مبني على نظرية واحدة مؤداها « ان اتساع السلطة البرية والبحرية وسعة المملكة يؤديان الى تحسين حالة الامة وزيادة ثروتها » والا فما معنى الحرب ؟ هـذا هو المبدأ الذي عمل به رجال السياسة في الماضي ولا يزالون يعملون به الى يومنا هـذا . وقد سلم به الجميع حتى المطالبين بالسلم الاوربي انفسهم فانهم يعظون عن المحبة والتآخي ونحو ذلك مع قبولهم اياه ولذلك نجد رجلاً مثل وليم ستيد الشهير المتوفى في العام الماضي معدوداً في الوقت نفسه من اركان الحركة السلمية ومن زعماء المطالبين بزيادة البحرية الانكليزية

هذا هو السبب الذي حال دون نجاح الحركة السلمية لانها سلمت بالمبادىء الموجودة وارادت معالجة الحالة الحاضرة بالخطب الادبية والتحريض على الغيرية ونحو ذلك من الوسائل العرضية التي تسقط دفعة واحدة امام الطبيعة البشرية التي لا رائد لها سوى المصلحة الشخصية

ومزية كتاب « الوهم الاكبر » انه يهدم تلك القضايا المسلم بها ويبرهن ان لا فائدة اليوم من وراء الفتح للفاتح وانه اذا تمكنت المانيا من سحق انكلترا مثلاً في المستقبل فالضرر مشترك بين الدولتين على السواء ــــ وقد بحث المؤلف اولا في المسألة من :

الوجهة الاقتصادية

فقال : لنفرض ان المانيا اكتسحت انكلترا فلا شك ان ما يتبادر الى الذهن لاول وهلة ان ثروة الالمان زادت بذلك وتحسنت جميع احوالهم ــ ويكاد يكون ذلك من البديهيات ولكن الظواهر تخدع . وقد شبه الكاتب هذا الخطأ بخداع البصر الذي يري الانسان شيئاً مخالفاً للواقع كما بيناه في الهلال الماضي. على ان هذا الخداع يسهل اكتشافه وقد سبك المؤلف براهينه في قضايا متسلسلة على هذه الصورة :

١ً ــ ان اكتساح البلاد ونزع ملكية اراضيها اصبح اليوم من المستحيلات . فلا ينتظر مطلقاً اذا اكتسحت المانيا انكلترا ان تستولي على التجارة الانكليزية . لان التجارة تتوقف على الارض وما فيها من اسباب الثروة من جهة وعلى الناس من جهة اخرى. فما زالت الارض في ايدي اهلها فالتجارة في ايديهم ايضاً . ولو فرضنا ان المانيا ذبحت الانكليز صغيرهم وكبيرهم ــ وهو فرض مستحيل ــ فانها تخسر عدداً وافراً من اهم عملائها وشاري بضائعها . فيكون عملها هذا بمثابة انتحار تجاري

ان العلائق المتبادلة التي بلغت اليها الدول الاوربية في هذه الايام حديثة العهد اما قديماً فكان الفتح مجلباً لثروة محسوسة اذ يستولي الفاتح على الارضين ويستعبد اصحابها حتى في القرون الاخيرة فان الفتوح افادت الدول الاوربية في البلاد غير المتمدنة فاستعمرتها وعاد استعمارها بالنفع . لان كل فرد من افراد العالم من مصلحته ان يسود النظام في اقطار المسكونة ليسهل استخراج كنوزها ــ لا فرق بين ان تكون الدولة الحافظة للنظام سكسونية او جرمانية او لاتينية او غير ذلك . اما المنافسة بين امم في درجة واحدة من المدنية فلا فائدة منها وقد تضر لان الدولتين المتحاربتين اذا انتصرت احداهما على الاخرى لا تستعبد اهلها او تستولي على ارضها او نحو ذلك من نتائج الحروب القديمة . والمدنية التي استقرت بين الشعوب الاوربية علمتها ان كل منفعة يرتجيها الافراد من غير المناظرة الاقتصادية باطلة ــ فالفتح الحقيقي ليس ان يكتسح الالمانيون انكلترا بالسيف وانما هو ان يجاروا الانكليز في تجارتهم ومصنوعاتهم . فاذا نجحوا في بيع بضائعهم بثمن ارخص من بضائع مناظريهم فذلك هو الفتح المنشود . وهناك المنفعة المادية الحقيقية ــــ وأما ما خلا ذلك فهو اوهام رسخت في اذهان رجال السياسة من قديم الزمان

كان الانسان في اقدم احوال عمرانه يقوم وحده بجميع حوائجه . ولا يخفى ما في ذلك من العبث وضياع الوقت ثم اصبح كلما ارتقى تقاسم العمل مع اقرانه فيتفرغ كل منهم لعمل يتقنه ثم يتبادل الجميع ثمار تعبهم فيحصل كل على حاجاته . فالحذاء الجاهز اليوم يمرُّ في ايدي عشرات من العمال يقوم كل منهم بجزء صغير منه . وكان العامل الواحد في ما مضى يصنع الحذاء كله . وقس على ذلك سائر احوال الانسان. فتقسيم الاعمال ضروري لكل تقدم وهو حاصل في كل امة . وكما حصل بين افراد الامة الواحدة فهو الان حاصل (وسيحصل اكثر مما هو الان في المستقبل) بين الامم المتعددة فتنفرد كل امة بالاعمال التي تؤهلها لها طبيعة بلادها واستعداد افرادها ــ هذا هو السبب

الذي جعل الارتباط بين الممالك الاوربية محكماً كل الاحكام . اذا فصلت قطعة منها عن سواها او توقفت طرق المواصلات اوشك اهلها ان يموتوا جوعاً . كأن اوربا أصبحت جسماً واحداً اذا اختل عضو منه تأثرت سائر الاعضاء - ثم ان التجارة انما تقوم بالثقة ولا يضعف الثقة مثل الحروب لان الضرر الذي ينشأ عنها يلحق كل الامم فاقل تغيير يقع في سوق لوندره يشعر به في نيويورك - وقس على ذلك

٢ — اذا حدث خلل في حالة الانكليز الاقتصادية وتوقفت تجارتهم فلا شك ان الالمان يشعرون بذلك لان « الثقة التجارية » هي ركن التجارة الحقيقي لا النقود . فاذا نزعت المانيا (بعد فتحها انكلترا) مثلاً ملكية اراضي الانكليز واستولت على معاملهم ومناجمهم فالخسارة التي تقع عليها اعظم من قيمة ما اغتصبته - على ان المتحمسين من الانكليز والالمان يتعامون عن هذه الحقيقة . وقد كتب انكليزي منهم الى أحدى الجرائد يرد على المعارضين في زيادة البحرية قال :

« عند ما يستولي الالمانيون على بنك انكلترا وينهبون مستودعاته يفهم حينئذ الذين يستكثرون الاموال المخصصة لانشاء المدرعات ان رجال الحكومة القائلين بسيادة انكلترا البحرية هم على صواب الخ ... »

فلنفرض ان الالمانيين استولوا على بنك انكلترا ومستودعاته. فالنتيجة تكون حتماً كما يلي : بما ان البنك المذكور هو ركن الثروة الانكليزية فلا بد ان تتوقف سائر البنوك عن الدفع لكثرة المطالبين. ولما كانت لوندره مركز العالم المالي فكل الاوراق المحولة على لندره تسقط قيمتها أو يتوقف دفعها . ثم ان الفوائد تصعد صعوداً هائلاً لقلة النقود . فيكون الالمانيون اكبر الخاسرين ولا شك ان خسارتهم تفوق قيمة النقود التي أخذوها من بنك انكلترا

ترى مما تقدم ان الفاتح في هذا القرن ليس امامه سوى احد طريقين : اما ان يترك البلاد كما كانت قبل الفتح ولا معنى للحرب حينئذ اذ لا فائدة منه . واما أن يستولي على اموال المغلوب بشكل من الاشكال وقد رأينا ان ذلك يأول عليه بضرر يفوق ربحه

٣ — على نفس المبدأ المتقدم ذكره تعلل اضرار الغرامات الحربية . لان كل غرامة حربية تفرضها احدى الدولتين على الاخرى تسبب خللاً في الحالة الاقتصادية ينشأ عن تحصيل المبلغ المطلوب وهذا الخلل تشعر به الدولة الفاتحة كما تشعر به سائر الدول ولكن الظواهر تخدع الامم كما تخدع الافراد . فالغرامة الحربية في نظر الجمهور

ربح صاف للظافر لا ريب فيه لانها ترى بالعين وتلمس باليد . وفي الحقيقة انها تجر الى خسارة تفوق مقدارها لان الغرامة تذهب الى خزينة الحكومة فلا يستفيد منها احد فائدة حقيقية . اما الخسارة فانها تمس كل فرد من افراد الامة بسبب توقف التجارة واختلال الحالة الاقتصادية

ولنأخذ مثلاً غرامة فرنسا التي دفعتها لالمانيا سنة ١٨٧٠ . قال احد كتاب الانكليز سنة ١٨٧٢ أي بعد الحرب بقليل « ان فرنسا خسرت في هذه الحرب ١٧ مليار فرنك ونصف مليار اما المانيا فربحت ربحاً صافياً قدره خمسة مليارات فرنك » فحساب كهذا يكاد يقنع القارئ لاول وهلة ولكنه في الحقيقة يدلُّ على جهل السنن الاقتصادية . فقد اهمل الكاتب ما تقدم تلك الحرب من الاستعداد وما تبعها من الضيق المالي . ففي سنة ١٨٨٠ أي بعد الحرب بعشر سنوات كانت الحالة الاقتصادية في فرنسا احسن منها في المانيا . وكانت المانيا تسعى في اقتراض الاموال من فرنسا . وقد أدت هذه الحالة الى تعكير ايام بسمارك الاخيرة اذ أرى الدولة التي ظن نفسه قتلها شديدة قوية تفوق بلاده نعمة ورفاهية — كأن انكسارها زادها قوة ونشاطاً . وقد قيل ان حرب السبعين أضرت بالمانيا وسائر الدول الاوربية اكثر مما أضرت بفرنسا نفسها

وما عدا الخسارة التي تنتج من توقف الحالة الاقتصادية بسبب ارتباط الامم وتشعب التجارة فللغرامة الحربية نتائج أخرى سيئة . لانها اما أن تبقى في البلاد التي ربحتها او أن ترسل للخارج لتوريد البضائع . فاذا بقيت في الداخل ارتفعت اسعار الحاجيات لان ازدياد النقود يحط قيمتها فما كان يباع بدرهم اصبح يساوي درهماً ونصف درهم او درهمين . واذا ارسلت للخارج فالبضائع والمصنوعات التي تورد مقابل النقود المرسلة لا بد ان تجاري البضائع والمصنوعات الوطنية فتضر بصناعة البلاد

٤ — ولاسباب تشبه الاسباب المتقدم ذكرها يستحيل أن تستولي الدولة الفاتحة بالقوة على تجارة الدولة المغلوبة لان الحاق مملكة باخرى لا يبطل المناظرة التجارية . مثال ذلك اذا استولت المانيا على هولاندا والحقتها باملاكها فمناظرة الهولانديين للالمان لا تتوقف بل تزيد . لانهم اصبحوا ضمن حدود المانيا ولا رسوم جركية على بضائعهم في الداخل

قالت جريدة انكليزية مرة : « اذا امحت المانيا عن وجه الارض فلا بد أن يلحق كل انكليزي بعض النفع من وراء ذلك لان تجارة المانيا التي تبلغ ٦ مليارات فرنك

تتحول الى الانكليز . » قد ابنا خطأ هذه الحجة وامثالها . ولا ريب انه اذا اقرض الالمانيون خسر الانكليز جزءاً كبيراً من عملائهم ومدابنيهم فينتج عن ذلك أزمة اقتصادية هائلة

وبالاختصار فان احدى الدولتين لا تقدر أن تستولي على تجارة الاخرى الا بعد أن تبيد اهلها ولكنها اذا فعلت فهي تقضي ايضاً على سبب مهم من أسباب رزقها وتقتل عاملاً كبيراً من حياتها الاقتصادية

٥ — ان ثروة الامة وسعادتها لا تتوقفان على قوتها السياسية. والبرهان على ذلك ان الممالك الاوربية الصغيرة كسويسرا وهولاندا وبلجيكا والدانمارك اسعد حالاً بالنسبة الى عدد سكانها من المانيا وروسيا والنمسا وفرنسا مع ان سلطتها السياسية او قوتها العسكرية لا تذكر . وبكلمات أخرى ان عوامل الثروة لا علاقة لها بالقوة الحربية وسعة المملكة . فلا علاقة مثلاً بين الاسطول الانكليزي وتجارة الانكليز البحرية والدليل على ذلك ان تجارة مملكة نروج البحرية بالنسبة الى عدد سكانها تبلغ ثلاثة اضعاف التجارة الانكليزية

والتجارة في ابسط صورها تبادل المحصولات . والعامل التجاري الاكبر انما هو المنافسة . وهي التي تحفظ التوازن الاقتصادي كما تحفظ الجاذبية التوازن بين الاجرام . فالتاجر الذي يتمكن من بيع صنف معين بسعر ارخص من سعر مناظره فقد فاز عليه ولا يهم الشاري أن يكون بائعه من بني جنسه ولغته لان التجارة كما ذكرنا لا تعرف غير المصلحة الحقيقية — وما يصح على الافراد يصح على الامم

٦ — اذا فرضنا أن دولة من الدول استولت على المستعمرات الانكليزية كلها ماذا تربح ؟ انها لا تربح شيئاً كما ان انكلترا لا تخسر بارة واحدة . لان الانكليز اليوم لا يملكون مستعمراتهم في الواقع بل هي أمم مستقلة تحكم نفسها وليس لانكلترا منها ربح مادي ناتج عن استعمارها لها . فاذا انتقلت كندا مثلاً الى المانيا فانكلترا لا تخسر شيئاً بل تتوفر لها بهذه الطريقة نفقات الدفاع عنها

ان انكلترا اكثر الامم خبرة في الاستعمار وقد رأت مع الزمن ان افضل طريقة لحفظ المستعمرات منحها الاستقلال الاداري . ففرنسا اليوم وسائر الدول المستعمرة تقتفي خطواتها وتقتدي بها من هذا القبيل . فلا ينتظر والحالة هذه أن تنتفع دولة حديثة العهد في الاستعمار اكثر من انكلترا نفسها فافائدة الاستعمار اذاً ما زالت الدولة المستعمرة لا تنتفع منها انتفاعاً ماديا بسبب الاستعمار . ثم انه اذا شهرت انكلترا الحرب

على دولة من الدول فلمستعمراتها الخيار في ان تساعد انكلترا أو لا . وبناء على ذلك فالمعاهدة بين المانيا وايطاليا مثلاً تربط البلدين وهما مستقلان أكثر من ارتباط انكلترا بكندا واوستراليا وأفريقيا الجنوبية وهي مالكها . ان تاريخ الترانسفال يشهد بصدق القضية المتقدم ذكرها . كانت الغاية من حرب الترانسفال انتشال سكان أفريقيا الجنوبية من ظلم البوير ونشر سلطة الانكليز في تلك الانحاء فهل بلغت انكلترا قصدها وقد انفقت نحو ٦٧٥٠٠٠٠٠٠٠ فرنك ؟ كلاً . ان الحكومة الآن في أيدي البوير أنفسهم وهم الذين يسنون القوانين كما يتراأى لهم ولم يغيروا شيئاً يذكر من الحالة الماضية . اما كنوز تلك البلاد فلم يأخذ الانكليز شيئاً منها لانها ملك الشركات التي تولت أمرها وارباحها ترجع الى أصحاب الاسهم دون سواهم

الخلاصة

ان القضايا المتقدمة واضحة يقبلها العقل بدون أجهاد لانها مطابقة للواقع . ومع ذلك فلا يزال المشتغلون بالسياسة يشبهون حالة العالم اليوم بحالته في الازمنة الخالية أيام كانت الحواجز بين الامم كثيرة . لكن ما كان يصح منذ مئة سنة لا يصح اليوم لكثرة اختلاط الامم وتعدد الروابط بينها — فالحروب ستبطل في المستقبل لا عن عواطف رقيقة وشعور أنساني — فمثل هذه العوامل الادبية اذا أثرت على بعض المتنورين فهي لا تقنع الرأي العام — ولكنها ستبطل لاسباب اقتصادية اذ يعلم الصغير والكبير انها تضره غالباً كان او مغلوباً — ان المصلحة الشخصية هي بلا جدال أقوى محرك للطبيعة الانسانية

قسم نورمان انجل براهينه الى اقسام لتسهيل فهمها ويمكن وضعها كلها في جملة واحدة تقوم مقام القضايا المتقدم ذكرها فغاية الكاتب هي ان يثبت الحقيقة الآتية :

« بما ان الدولة الفاتحة — في الوقت الحاضر — لا يسعها الا ان تترك الارض لساكنيها فمن العبث ان تتوهم الدول زيادة ثروتها بتوسيع املاكها . وطالما كانت مضطرة ان تلحق باملاكها الارض وسكانها معاً فلا ينتفع من الارض سوى اصحابها »

مثال ذلك : في المانيا اليوم حركة غايتها ضم جميع الشعوب الجرمانية تحت العلم الامبراطوري وهي الجامعة الجرمانية . ويعتقد زعماء هذه الحركة انهم يرمون الى اسمى الاغراض وان كل الماني يحب وطنه يجب عليه ان يضحي كل مرتخص وغال في هذا السبيل . فلنفرض ان مرغوبهم تحقق وان سويسرا والنمسا وهولاندا الحقت بالمانيا . فما تكون النتيجة ؟ هل يقدر ان يدعي الالماني انه استفاد من اتساع بلاده بارة واحدة

وهل تتغير حال الهولاندي او النمساوي ؟ كلا ان الالماني والهولاندي يبقيان على ما كانا عليه ولا يلحقهما اقل تغيير

ان التاريخ الحديث يؤيد هذا المبدأ كل التأييد واليك بعض الامثلة :

(١) لما الحقت المانيا مقاطعة الالزاس باملاكها لم تزد ثروة فرد من أفراد الالمان بارة واحدة (ما عدا - طبعاً - الموظفين في تلك المقاطعة)

(٢) ان انكلترا تملك كندا في نظر الدول لكن ذلك لم يمنع كون التاجر السويسري او الالماني مثلاً يجاري التاجر الانكليزي في الاسواق الكندية ويفوز عليه

وكذلك ان انكلترا محتلة مصر لكن احتلالها لا يؤثر مطلقاً في تقدم التجارة الالمانية فيها . فقد زاد عدد النزلاء الالمان زيادة عظيمة بالنسبة الى زيادة الانكليز . وكانت زيادة الالمان من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩٠٧ نحو ٤٢ في المئة . على حين ان زيادة الانكليز خمسة في المئة . فقط ثم ان البضائع الالمانية الواردة الى مصر بين سنة ١٩٠٠ و١٩٠٤ كانت حول ١٧ مليون فرنك . وفي سنة ١٩٠٩ قربت من ٢٩ مليوناً

(٣) ان سعر الاوراق المالية التي تصدرها الحكومات الصغيرة اعلى من سعر أوراق الدول العظمى . ولا يخفى ان سعر الاوراق المالية يزيد وينقص حسب ثقة الماليين في ثبات الدول التي اصدرتها . فالدول الصغرى اذن اثبت في نظرهم من العظمى او بعبارة اخرى ان حالتها الاقتصادية افضل - مع ان قواها البرية والبحرية لا تذكر امام قوات الدول الكبرى

(٤) يدل ايضاً على تفوق الدول الصغرى انهم حسبوا معدل ثروة الفرد في الممالك المختلفة فوجدوا ان الالماني المتوسط العمر يملك ٩٠٠٠ فرنك اما الهولاندي فثروته تبلغ ١٦٠٠٠ فرنك

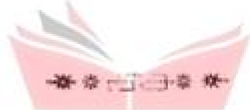
(٥) لما استعمرت اسبانيا - في ايام مجدها - اميركا الجنوبية استولت على مناجم الذهب هناك ووضعت نظاماً لتجارة تلك البلاد يجعلها تحت سيطرة الامة الاسبانية فما كانت النتيجة ؟ ظنت اسبانيا انها بتوريد الذهب اليها والتضييق على تجارة مستعمراتها تزيد ثروتها وتحسن حالها . ولكنها وجدت بعد سنين قليلة انه كلما زاد ذهبها انحطت احوالها الاقتصادية ولم يفهم رجال السياسة سبب ذلك . وقد آلت الحال الى خراب الدولة الاسبانية . فالامة التي ابتلعت مناجم اميركا الجنوبية اصبحت أفقر الامم الاوربية — ذلك لان الذهب بحد ذاته ليس الثروة الحقيقية وانما هو واسطة لتبادل المحاصيل فاذا زاد عن حاجة التجارة قلت قيمته وارتفعت اسعار الحاجيات فيضر اكثر مما ينفع

(٦) في سنة ١٩١١ كادت تنشب الحرب بين المانيا وفرنسا بسبب المسألة المراكشية . ولكن الحكومة الالمانية وجدت ان حرباً كهذه تضر تجارتها ضرراً هائلاً لان جزءاً عظيماً من التجارة الالمانية يقوم بالاموال الفرنساوية

(٧) كان الغرض من الاتفاق الفرنساوي الروسي ان تأخذ فرنسا بيد روسيا حتى تحفظ الموازنة مع المانيا . واهم مواد ذلك الاتفاق ان تساعدها باموالها فكانت النتيجة عكس الغرض المطلوب لان الاموال التي ذهبت الى روسيا فتحت باباً واسعاً للتجارة الالمانية ومكنت عرى الارتباط التجاري بين المانيا وروسيا وزادت زيادة عظيمة في وقت قصير فبعد ان كانت ١٥ في المئة اصبحت ٤٥ في المئة

رأينا كيف ان مصلحة الامم تقتضي ابطال الحروب في المستقبل ولكن فريقاً يعتقدون ان الحرب او التنازع بين الدول ليس الغرض منه الانتفاع المادي وانما هو جزء من الطبيعة البشرية لا ينفصل عنها . وسنبحث عن هذا الوجه في وقت آخر

اميل زيدان



يلزم لادارة الهلال

بالثمن او المبادلة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الاول

(٢) سنوات الهلال الثانية والرابعة والسابعة والثالثة عشرة والثامنة عشرة

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها



الحاسة الاجتماعية

او سلامة الذوق وحسن الاختيار في المعاملة

معنى هذه التسمية

نريد بقولنا « الحاسة الاجتماعية » نحو ما يريده الانكليز بقولهم Common sense او Good sense وهو عند الفرنساويين Bon sens وقد اخترنا لفظ « الحاسة » في هذا التعبير قياساً على الحواس الطبيعية التي يستعين بها الانسان على ادراك ما يحيط به من المؤثرات الخارجية . وكانت الحواس في عرف القدماء خمساً : اللمس والنظر والسمع الذوق والشم . ثم اكتشفوا حاستين اخريين سموا احداهما « حاسة التوازن » وهي التي يتمكن بها الانسان من موازنة جسمه في وقوفه ومشيه . وسموا الاخرى « حاسة الثقل » التي يهيء بها عضلاته لحمل الاثقال على اختلاف اوزانها . وفي الانسان ايضاً نوع من الشعور او الحس يميز به بين حقائق الاشياء واعراضها ويدرك حكم الاخرين على اعماله او اقواله فيكيفهما على ما يلائم حاجاتهم . وكما سمى القدماء الآلة التي تدرك بها المرئيات « حاسة البصر » والتي ندرك بها الملموسات « حاسة اللمس » فقد سمينا الشعور الذي ندرك به علاقاتنا الاجتماعية بالاخرين « الحاسة الاجتماعية » ريثما نوفق الى تسمية اخرى أدلَّ على المراد من هذه . وانما غرضنا الان وصف هذه الحاسة وما يترتب عليها من الاهمية في نجاح الانسان باعماله على اختلاف اغراضها ومناحيها

علة النجاح

ان نجاح الناس في اعمالهم يتوقف على مقدار ما فيهم من هذه الحاسة اكثر من مقدار ما احرزوه من سعة العلم أو المهارة في الصناعة أو التجارة أو غيرها من وسائل المعاش . وهي أعظم أهمية في معترك الحياة من الذكاء واقل شيوعاً منه . لا تزيد نسبتها في الناس بالنظر الى الذكاء على اثنين أو ثلاثة في المئة . أي ان الامهات يلدن اربعين ذكياً قبل ان يلدن واحداً من ذوي الحاسة الاجتماعية . ولذلك كثر الاذكياء وقل الناجحون منهم . لان النجاح لا يتأتى للذكي ان لم يعلم كيف يستخدم ذكاءه ولا فائدة من العلم ان لم يحسن الاسلوب في أدائه

أن ثمار الذكاء عديدة كالعلم والسياسة والصناعة وغيرها من أسباب العمران . لكنها لا تأتي بالفائدة المطلوبة حتى توضع في موضعها على كيفية تلائم الذين وضعت لهم . ولا يتأتى ذلك ان لم يدرك صاحب تلك المواهب ما يكون من تأثير عمله في اذهان الناس ومقدار استعدادهم له وهذا لا يتم الا بالحاسة الاجتماعية . ولهذه الحاسة دخل ايضاً في اختيار ما يعرض للانسان من اسباب المعاش فلا يتناول منها الا النافع الذي يمكن استثماره . قال احد فلاسفة الانكليز « ان المعرفة بدون هذه الحاسة حماقة » واذا أحرز المرء كل المواهب بدون الحاسة الاجتماعية فكانه لم يعط شيئاً . أو كانك تعطي البذور لمن لا يعرف الزراعة او السلاح لمن لا يحسن استخدامه . ولذلك كانت الحاسة الاجتماعية سيدة المواهب اذ لا يكفينا ان نعمل الخير بل يجب ان نعمله في الوقت المناسب ونضعه في المكان المناسب . فالذكي يعرف ان يعمل ولكن صاحب هذه الحاسة يعرف كيف يعمل ومتى يعمل

ومقام الانسان في المجتمع الانساني يتوقف على هذه الحاسة كما يتوقف على غيرها من الخلال الراقية . ويمكن للذكي ان يكتسب كل علم أو تجارة أو صناعة بالاجتهاد والسعي لكنه عبثاً يسعى في اكتساب هذه الحاسة ان لم تولد معه . على انها تتقوى وتنمو بالتربية والتعليم . وهي اذا وجدت وكان الذكاء قليلاً تكفلت باستثمار ذلك القليل لتكون غلته كثيرة . والنجاح في الاعمال يتوقف على الادارة اكثر مما على العلم والادارة لا تتوفر في غير اصحاب هذه الحاسة ولنأت بامثلة من ذلك في اهم الاحوال الاجتماعية :

تأثير الحاسة الاجتماعية في السياسة

اهل السياسة اذكياء على العموم لان الانسان لا يبلغ الى المناصب السياسية الهامة ان لم يكن من أهل الذكاء والعلم . وانما يتفاوتون في النجاح بنسبة ما عندهم من الدهاء وهو من ثمار الحاسة الاجتماعية . فالسياسي المحنك لا يقول الكلمة الا وهو يعرف تأثيرها في السامع كانه مطلع على اعماق قلبه . فيقول ما يرجو من تأثيره الوصول الى غرضه . فلو شهدتَ رجال السياسة في مؤتمر وأُعطيتَ اكتشاف سرائر الناس لرأيت الدهاء مجسماً وعلمت كيف تتحارب العقول وما قد نصب في تلك الحرب من المكامن والمراصد والمزالق وما يتخلل ذلك من الهجوم والدفاع والمهادنة والمناوشة والمناورة . واكثرهم دهاء اسعدهم حظاً . يصرُّ احدهم على طلب العشرة وهو يقنع بالثمانية . وقد يقتضي دهاؤه الرفض وهو لا ينوي غير القبول . وانما يفعل هذا وذاك تبعاً لما يدركه بشعوره الدقيق من وقع اقواله عند زملائه

تأثيرها في التجارة

التاجر من اكثر الناس حاجة الى معاملة الناس ولا سيما الباعة في الاسواق فهؤلاء لا يفلح منهم غير دقيق الشعور الذي يعرف تأثير كلامه في الشاري بين ترغيب وتحبيب ومساومة . ولا يكفي ان تكون بضاعته حسنة بنفسها بل يقتضي أن تكون مناسبة للوسط الذي يقيم فيه ولا يعرضها الا على قوم يحتاجون اليهـا . ومن مقتضى الحاسة الاجتماعية ان يختار المرء التجارة التي تتفق مع امياله ومواهبه وان يحسن استجلاب السلع التي تلائم القوم الذين يعاملهم

وناهيك بحاجته الى هذه الحاسة في معاملة عملائه بحيث يعلم ما يرضيهم أو يوافقهم ويشعر بحقيقة علاقاته معهم . ويدرك نظرهم في بضاعته وحقيقة منزلته عندهم . فلا تأخذه الظواهر فيطمع أو يشمخ فيفسد ما بينه وبينهم فيتحولون الى سواه . ومن شأن هذه الحاسة ادراك حقائق الاشياء وعدم الاغترار بالظواهر . فالتاجر الحساس يعلم ان علاقته مع عملائه لا تثبت الا اذا عاملهم بالحق والامانة وراعى مصلحتهم بانواع السلع واثمانها مراعاة حقيقية لا يقتصر منها على الكلام وتزويق الحديث وكثرة الاعلان . فان هذا وحده لا يجدي نفعاً ولا يكتسب شارياً . وانما المعول في ارضاء الشاري اقناعه بان بضاعته توافقه وتعود عليه بالنفع أو الكسب . ولا يقتنع ان لم يكن ذلك حقيقياً يؤيده الاختبار . فالتاجر ضعيف الحاسة الاجتماعية لا يشعر بهذه الحقائق فيتوهم انه يكتسب « الزبائن » بالترغيب والتزويق وكثرة الكلام . واما الحساس فانه يجعل همه تحسين بضاعته حتى توافق عملاءه وهي تنوب عنه في الترغيب

واذا تدبرت احوال التجار وما بينهم من التفاوت في النجاح رأيت اسباب سقوطهم في الغالب اغترارهم بالظواهر وتعاميهم عن الحقائق . وكما يخدعون عملاءهم بالمظاهرة من الترغيب والتزويق ينخدعون هم انفسهم بظواهر احوالهم . يجدون النقود كثيرة بين ايديهم وهي ليست لهم بل لاصحاب المعامل التي يستوردون بضائعهم منها وسيأتي يوم يستحق عليهم دفعها فيغفلون عن ذلك . أو هم بالحقيقة لا يشعرون بثقل تلك الديون لضعف تلك الحاسة فيهم . فيتورطون في الانفاق مما بين ايديهم بلا حساب . فاذا آن الدفع وقصرت يدهم عنه استغربوا ذلك ووضعوا الحق على التوفيق او الازمة المالية . والواقع انهم لم يكونوا يشعرون بحقيقة مركزهم ولا يميزون بين ما هو حق لهم وما هو امانة لاصحابه . وسقوط المحلات التجارية او تفليسها ان لم يكن سببه التزوير او السرقة يندر أن يقع من غير الخطأ في تقدير حقائق الاشياء . ولا ينجو من ذلك غير صاحب الحاسة الاجتماعية

تأثيرها في العلم

وللحماسة الاجتماعية دخل كبير في العلم من حيث تطبيقه على حاجة الامة . فالمشتغل بالعلم لا يكفي ان يكون عالماً بل ينبغي له أن يعرف كيف يستخدم علمه او كيف يخرجه للناس ويكون مفيداً لهم . لانه لو احرز علوم الاولين الآخرين ولم يشعر بحقيقة الوسط الذي هو فيه ويطبق ما يكتبه أو ينشره على حاجات اهله ذهب علمه ضياعاً واضاع وقته سدى . وقد ينفق على ما ينشره من جيبه ولا يسترجع شيئاً منه . فيشكو كساد بضاعة الادب وينحي على القراء باللائمة ويتهم الامة بالجهل ونكران الجميل لانها لم تعرف قدره ولا اقبلت على نفثات يراعه ويهددها بالقعود عن خدمتها . ولو تبصر وانصف لحكم على نفسه بانه لم يحسن الاختيار في ما كتبه او ألفه . ولا راعى فيه الوسط من حيث حاجة الناس الى هذا الموضوع اوذاك . او انه لم يحسن سبكه حتى يلائم اذواقهم او مداركهم او غير ذلك مما يرجع الى نقص في الحماسة الاجتماعية اكثر مما الى الجهل

نحن في حاجة الى العلم لكننا احوج الى الشعور بحقيقة حالة الامة بحيث نطبق علمنا على حاجتها . وهذا التطبيق يحتاج الى الحماسة الاجتماعية في كل جزء منه . بل في كل سطر مما يكتبه المؤلف في أي موضوع من المواضيع العمومية . فينبغي له وهو في مخدعه يجرّ القلم على القرطاس لكتابة مقالة أن يتصور القارئ بين يديه يتململ من كل فقرة معقدة وينفر من كل عبارة غير صريحة ويضحك مما يتخلل تلك الكتابة من المغامز التي يتوهم الكاتب انطلاءها على القارئ لغرض في نفس الكاتب يحاول اخفاءه بين العبارات المزخرفة بالتمويهات الدينية او النعرات الجنسية . وليعلم قبل كل شيء ان القارئ كالشاري انما يهمه حقيقة ما تحويه تلك المقالة من المنافع الادبية أو المادية بقطع النظر عن زخرف الكلام . وان كان في القراء من تهمه تلك الزخارف فلانه لم يتعود الحقائق بعد . فاذا تعودها لا يعطف على سواها ــ والواجب على الكاتب العاقل أن يعوده اياها

ظهر في نهضتنا هذه مئات من الكتاب والعلماء في مصر والشام وغيرهما لم ينبغ منهم في خدمة الامة ــ أو لم تعرف الامة منهم في خدمتها الا عدداً قليلاً . وظهر مئات من الصحف والمجلات لم يبق منها الا عشرات قليلة لايعدّ ناجحاً منها نجاحاً حقيقياً الا عشرة واحدة . وقد ظهر في هذه النهضة مئات من الكتب في مواضيع شتى لم يرج منها الا القليل . واذا تدبرت هذا التفاوت في نجاح بعض هذه المشاريع وسقوط معظمها لا تجده ناتجاً عن تفاوت طبقات الكتاب في العلم اكثر مما عن تفاوتهم في الشعور بحاجة

الامة وتفاوت اقتدارهم على تطبيق ما يعرفونه على حاجتها . فالصحف او الكتب الرائجة الآن لا تدل دائماً على تفوق اصحابها بالعلم وسعة المعرفة وانما هي تدل دائماً على تفوقهم بالتدبير وحسن الاختيار وهما من ثمار الحاسة الاجتماعية — فضلاً عن السعي او الاجتهاد حتى هذا ان لم يكن مقيداً بحسن الاختيار فانه لا يفيد اذ لا يكفي الرجل أن يكثر من السعي والركض وانما يطلب منه أن يكون سعيه في طريق الصواب والا الهمام النشيط عاد عليه بالضرر

تأثيرها في المعاشرة

ان تأثير هذه الحاسة في المعاشرة عظيم الاهمية . لان المعاشرة مفتاح المعاملة . قد تجمعك الصدفة بانسان لم تره من قبل فيقع من نفسك موقعاً جميلا . وقد يترتب على ذلك الاجتماع معاملة تجارية او مالية أو عائلية من زواج ونحوه . وقد تنفر منه وتشعر بدافع يدفعك عن عشرته ولا تزداد مع الزمان الا نفوراً وبعداً . واذا سئلت عن الفرق بين الاثنين لقلت ان الاول خفيف الروح والثاني ثقيلها . ولو حللت هذا التعبير تحليلاً دقيقاً لرأيته يرجع الى الحاسة الاجتماعية . وان هذه الحاسة حية نامية في خفيف الروح وضعيفة أو ميتة في سواه

يأتيك بعض الناس لشغل فلا يكلمك الا في ذلك الشغل وهو يلاحظ وقع كل كلمة من كلماته على اذنك . ويستدرك ما قد يقع من هفوة أو نحوها . ويشعر من تلقاء نفسه بالوقت الذي ينبغي له ان ينصرف فيه من عندك . ولايبالي بمجاملتك اياه وطلب بقائه في زيارتك . ويأتيك آخر لشغل أو زيارة وقد تكون مشغولاً بما يحول دون مقابلته لكن الآداب الشرقية لا تسمح لك برده فتستقبله فلا يبالي بشواغلك ولا يشفق على وقتك ولا يعرف لحديثه حداً . وقد يكون اكثر كلامه عن نفسه أو عائلته وما يأكلون أو يشربون وما أتاه ابوه أو جده أو هو نفسه من جليل الاعمال . وقد يتطرق الى الطعن في الناس أوالعتب على الزمان ويتشعب حديثه من موضوع الى آخر وقد يكون فيه ما لا يجوز ذكره بين يديك أو يدي بعض الحاضرين . لكنه لا يشعر بذلك لضعف الحاسة الاجتماعية فيه . ولا تطمع منه باصلاح ذلك الخطأ لانه متأصل في نفسه . ولا مانع ان يكون ذلك الثقيل عالماً في بعض المواضيع الهامة التي تحتاج الى اعمال الفكرة فينبغ فيها ويفوز على اقرانه ولكنه يعجز عن اصلاح ذلك النقص فيه . واذا تعمد الاصلاح ليقال انه خفيف الروح ظهر ذلك منه مظهر التكلف فتزداد روحه ثقلاً

فسلامة الذوق وحسن الاختيار او الشعور الدقيق في المعاملة والتمييز بين حقائق الاشياء واعراضها ووضع الاشياء في مواضعها ترجع كلها الى « الحاسة الاجتماعية » التي نحن في صددها وعليها تتوقف حال المرء في المجتمع الانساني اكثر مما تتوقف على ذكائه وعلمه . فعلى الذين يتولون تربية الناشئة ان يوجهوا التفاتهم الى هذه الحاسة ويربوها فيهم بالتنبيه الى محاسنها كما ينبهونهم الى فوائد الفضائل واضرار الرذائل فان عليها يتوقف حالهم في دنياهم . وهي اذا ارتقت تتكفل بارشادهم الى سواء السبيل وتغنيهم عن نصح الناصحين





مدام سورج

قدوة النساء في المطالبة بحقوق الرجال

تأثير النواميس الطبيعية

في

نشوء الهيئة الاجتماعية

لا يسع المتأمل في احوال الامم وتاريخ نشوئها الا أن يتنبه الى تأثير المحيط الطبيعي او البيئة من ارض واقليم ومناظر في نموها وتكييفها. وقد لاحظ هذه الحقيقة اكثر الكتاب الاجتماعيين والمشتغلين في فلسفة التاريخ وذكروها في كتبهم ذكراً اجمالياً ولم يوفّ هذا البحث حقه سوى توماس هنري بكل الكاتب الفيلسوف الانكليزي في كتابه « تمهيد لتاريخ المدنية في انكلترا » [1] وهو من مشاهير القرن الماضي عرف بدقة نظره وقوة منطقه . وقد توفي بدمشق في اثناء سياحة له هناك ودفن فيها

ولكتابه المذكور شأن كبير في آداب القرن الماضي مع انه تمهيد لتاريخ مطول للمدنية الانكليزية كان بكل ينوي تأليفه فهذا التمهيد وحده كفى لاشهار اسم المؤلف بين الامم المتمدنة لما فيه من الابحاث الخطيرة الجديدة — كما اشتهرت مقدمة ابن خلدون في آداب اللغة العربية . وقد رأينا أن نعرب هذا الفصل من كتاب بكل بتصرف ليس لمجرد ما يحويه من الحقائق الهامة بل لانه انموذج للابحاث العلمية يبين كيف يتوصل الباحث بالاستقراء والاستنتاج الى بسط الحقائق العامة — قال :

تقسم العوامل الطبيعية التي تؤثر على الانسان في نشوئه الى اربعة اقسام : الاقليم والتربة والغذاء أو مظاهر الطبيعة ومناظرها . الثلاثة الاولى منها تؤثر على الحالة الاقتصادية المادية وهي علة تفاوت الامم في الثروة والقوة وبها تتولد الطبقات في الامة الواحدة . والاخير يحرك قوة الخيال ويعمل على العقول وله تأثير على الاداب والاخلاق . وسنبدأ بدرس العوامل الثلاثة الاولى معاً لان الاقليم والتربة والغذاء مرتبط بعضها ببعض كل الارتباط . فالغذاء يتوقف نموه على الاقليم من جهة وعلى نوع التربة وارتفاع الارض او انخفاضها ونحو ذلك من جهة اخرى فيحسن بنا ان ندرس هذه العوامل معاً

(1) T. H. Buckle : Introduction to the History of Civilisation in Eglandn

١ — العوامل الاقتصادية

اول وظيفة تقوم بها التربة والاقليم (وهما من العوامل الثلاثة) انما هي تكوين الثروة. فالماديات تسبق سائر مظاهر العمران الانساني وهي الاساس الذي تبنى عليه العلوم والآداب والفنون. لان الانسان طالما كان منهمكاً في تحصيل حاجيات الحياة من قوت ولبس ومأوى فهو في شاغل عن البحث في سنن الطبيعة أو الاشتغال بالادب ونحو ذلك لان فوائدها لا تظهر لاول وهلة. أو بعبارة اخرى لا علوم ولا آداب ولا فنون ما دامت الامة بدون رأسمال مادي يسهل على بعض الافراد الانصراف عن المشاغل الضرورية للحياة الى الاعمال الادبية. ولكن عندما يكون المستغل اكثر من المستهلك فالزيادة تمكن ارباب الفراغ من استثمار قرائحهم واستكشاف سنن الطبيعة واستنباط طرق جديدة لاستخدام تلك السنن

فالثروة في شعب لا يزال على الفطرة تتكون بواسطة عاملين: اولهما عمل الانسان ومقداره ونوعه. وثانيهما ما تهبه اياه الطبيعة مقابل تعبه. فهذان العاملان يتوقفان على سنن الطبيعة لان ما تهبه الطبيعة انما هو نتيجة نوع التربة وموقع الارض ونحو ذلك. واما نوع العمل ومقداره فهما نتيجة الاقليم من حرارة أو برودة لسببين:

اولاً — على الحرارة والبرودة يتوقف أمكان العمل أو مقداره او عدمه وقد يمتنع الانسان عن العمل اذا اشتدا

ثانياً — يؤثر الاقليم على نوع العمل ومدة بقائه فالاقطار الشديدة الحر أو البرد اهلها قليلو الثبات في اعمالهم لان الطبيعة لا تسمح لهم ان يثابروا على العمل في الهواء المطلق لكثرة تقلب الطقس الفجائي وقلة النور أو قصر النهار في بعض الفصول ونحو ذلك خلافاً لاهل المناطق المعتدلة. فسكان البلاد الشديدة الحرارة أو البرودة يتعودون التقلب في اعمالهم — خذ مثلاً شبه جزيرة اسوج ونروج وشبه جزيرة اسبانيا والبورتغال فالبرد شديد في الاولى والحر شديد في الثانية وكلا الحالين يمنعان العامل من مواصلة العمل وتنظيمه. ولذا كان اهل الجزيرتين متشابهين في الميل الى التقلب. بعكس اهل الاقاليم المعتدلة فانهم ثابتون في عاداتهم ولهم صبر على العمل وعناية في اتقانه

والتاريخ يؤيد صدق هذه النظرية فهو لا يذكر مدنية نشأت بمجرد ارادة اهلها ان لم يسمح محيطهم الطبيعي بذلك. بل التاريخ يقرر هذه الحقيقة «ان لا مدنية بدون تربة واقليم موافقين لنموها» ففي آسيا مثلاً لم تتجاوز المدنية البقعة الخصبة

الممتدة من شرق الصين الجنوبي الى شواطئ البحر الابيض . وفي شمال هذه البقعة قبائل من المغول والتتر قضوا ادهاراً على الفطرة البدوية الهمجية لكنهم حالما هجروا موطنهم الاصلي وزحفوا الى الصين والهند وفارس شرعوا في تشييد مدنيات فخمة وبلغوا درجة عالية من الارتقاء المادي والادبي — وكذلك العرب كانوا في بلادهم على البداوة لا يستقر لهم قرار يعيشون بالغزو فلما فتحوا فارس والهند والاندلس انشأوا حضارة لا تزال آثارها الى اليوم في قرطبة وبغداد ودهلي . هذه صحراء افريقيا تشبه جزيرة العرب وانما يفصل بينهما البحر الاحمر لا تزال الى الآن مسرح القبائل المتوحشة الا بقعة صغيرة منها في جهتها الشرقية يجري فيها نهر كبير اصبحت به مهد الحضارة في العالم — نعني مصر فانها لا تمتاز عن تلك الصحراء بغير النيل فهو الذي اوجد المدنية المصرية بجانب همجية القبائل المجاورة

فالعاملان الرئيسيان في تكوين الثروة والمدنيات التربة والاقليم . لكن تأثير كل منهما يختلف باختلاف العصور . كان المعول الاكبر في التاريخ القديم في عهد الفراعنة والاشوريين والهنود القدماء على التربة . وفي التاريخ الحديث نرى معول اهل هذه المدنية على الاقليم والاقليم كما رأيت يؤثر على مقدرة الرجل وثباته في العمل . فالاختلاف في الاسباب بين الدول الحديثة والدول القديمة يقابله اختلاف في النتائج . ففي آسيا وافريقيا التربة خصبة ومحصولها وافر والمعول الاكبر عليها . أما في اوربا فالمعول على الاقليم وهو نشيط يكسب اهله الثبات والمثابرة على العمل . ففي الحال الاولى تتوقف النتيجة على علاقة الارض بمحصولها رأساً أي بتفاعل السنن الطبيعية بدون مداخلة الانسان . وفي الحال الثاني تتوقف على علاقة الاقليم بالانسان أي على تأثير الطبيعة فيه لا على نفسها . وقد تقدمت مدنيات آسيا وافريقيا على مدنية اوربا في الوقت لان نشوءها لا يستلزم سوى تفاعل قوى الطبيعة . اما المدنية الاوربية فانها قامت بسعي الانسان ولذا كانت اثبت قدماً واكثر قبولاً للتقدم من تلك لانها تتوقف على الرجال لا على الطبيعة وحدها . والقوى الطبيعية ثابتة ومحصورة العمل اما قوى الانسان فانها قابلة للارتقاء والنمو الى حد لا نعرفه

قد علمت الآن فعل الطبيعة في تكوين الثروة والثروة اساس كل مدنية . والطبيعة ايضاً تؤثر في توزيع الثروة بين العاملين وغير العاملين من افراد الامة وفي ما يلحق توزيع الثروة من توزيع السلطة والنفوذ بين طبقات الناس . لان الثروة مقياس القوة في الهيئة الاجتماعية ولا سيما في الازمنة الاولى واليك كيفية ذلك : في الازمنة الاولى

كانت الثروة بعد تكونها تتوزع بين فريقين من الناس : فريق يعمل مباشرة بيده فيستخرج من الارض اثمارها . وفريق يدير حركة العمل وينظمه . فقسم من الثروة يأخذه العمال اجرة لهم وقسم يذهب الى المديرين هو ربحهم . اما ما يلحق كل فريق فيتعين بمقتضى السنن الطبيعية كما يلي :

ترتفع اسعار لوازم المعيشة او تنخفض بناء على عاملين : الحاجة الى تلك اللوازم والكمية التي يمكن الحصول عليها منها . فاذا كان الطلب اكثر من الموجود ارتفعت الاسعار والعكس بالعكس . وكذلك اجور العمال تتوقف على مقدار الاحتياج اليهم من جهة وعلى عددهم من جهة اخرى . ففي بقعة من الارض تعطي محصولاً معيناً تتوقف اجور العمال بالاكثر على عددهم : اذا كثروا انخفضت واذا قلوا ارتفعت . فمقدار الاجور يتوقف على عدد السكان . ومن اهم العوامل لزيادة عدد السكان او نقصهم بل اهمها نوع الغذاء ومقداره . فاذا كان رخيصاً سهلاً زاد عددهم . والغذاء على الاجمال نوعان :

(١) المواد الكربونية تحفظ حرارة الجسم

(٢) المواد النيتروجينية تكوّن الخلايا وتعوض عن الانسجة المندثرة

فاحتياج الانسان الى هذين النوعين من الغذاء يتوقف على الاقاليم هكذا :

اولاً — ان سكان البلاد الحارة اقل احتياجاً الى هذين الغذائين من سكان البلاد الباردة لان حرارة الاقاليم عندهم تساعد على حفظ حرارة الجسم وهم اقل اضطراراً الى الاعمال العضلية فلا يحتاجون الى تعويض الكثير من انسجتهم . ولذلك كان اهل اوربا اكثر طلباً للغذاء من اهل افريقيا . وهؤلاء اقدر على التكثر من أولئك فاذا تساوت سائر الاحوال ينتظر ان يكون سكان الاقطار الباردة على العموم اقل عدداً من سكان الاقطار الحارة وعمالهم ارفع اجوراً

ثانياً — ان نوع الغذاء الذي يحتاج اليه اهل البلاد الباردة يصعب الحصول عليه لان حرارة الجسم تحفظ باتحاد الكربون الموجود بالمواد الكربونية مع اوكسجين الهواء في الرئتين بنسبة معينة لتوليد الحامض الكربونيك . فاذا زاد الاوكسجين زاد طلب الكربون لحفظ النسبة بينهما . واهل البلاد الباردة يستنشقون كمية من الاكسجين اكثر من الكمية التي يستنشقها اهل البلاد الحارة لان الهواء اشد كثافة في الاقاليم الباردة ولان برودة الهواء تزيد سرعة التنفس فتزيد كمية الهواء (وفيه الاوكسجين) فتفتقر حينئذ الى كمية تناسبها من الكربون . وبعبارة أخرى ان سكان

الاقطار الشمالية اكثر احتياجاً الى مواد كربونية من سكان الاقطار المتوسطة . فاهل الاقطار الباردة لا يقدرون ان يعيشوا على غذاء اهل الاقطار الحارة . ثم ان المواد كثيرة الكربون كالزيوت والادهان تستخرج من المملكة الحيوانية والحصول عليها صعب يكلف الانسان مشقة ومخاطرة بخلاف المواد النباتية فان الطبيعة تمنحها بلا تعب

يستنتج مما تقدم ان عدد السكان يقل كلما برد الاقاليم وان قلة الرجال تسبب ارتفاع الاجور والتاريخ يصادق على ما تقدم . فالاجور في اسيا وافريقيا كانت ولا تزال قليلة بعكس أوربا . وبانخفاض الاجور ترتفع ارباح الخاصة فيكبر الفرق بين الطبقتين مادياً وادبيا لان القوة المادية هي اساس الحالة الاجتماعية كما تقدم ــ وهذه امثلة توضح المبادئ المتقدمة :

الهند ومصر

١ ــ الهند ــ اقليم الهند حار والمواد النباتية فيه كثيرة رخيصة لا سيما الرز وهو الغذاء الوطني . فتناسل الهنود بكثرة هائلة وقلت اجور العمال عندهم وارتفعت ارباح الخاصة ارتفاعاً عظيماً حتى اصبح البون شاسعاً بين الطبقتين ــ أرى الاغنياء الى درجة الرخاء والبذخ واملق الفقراء لدرجة الجوع والذل والاستعباد . وآل توزيع الثروة بهذا الشكل الى توزيع السلطة الاجتماعية والنفوذ السياسي على نفس النسبة . فاصبحت الحواجز بين طبقات الشعب الهندي منيعة لا يتعداها احد . ونظامهم من هذا القبيل مشهور ويعرف بنظام الطبقات . وهو كما رأينا نتيجة احوال البلاد الطبيعية وفعلها كالقضاء المبرم لا يقبل نقضاً او تغييراً

٢ ــ مصر ــ ان السنن الطبيعية التي جرت في الهند كان لها ذات التأثير في وادي النيل في العهد القديم والاقليمان متشابهان . ان التمر في مصر يقوم مقام الرز في الهند وكانت مصر بشهادة المؤرخين اكثر البلاد القديمة سكاناً بسبب خصب الارض من جهة وقلة طلب الاجسام للغذاء بفضل الاقليم من جهة اخرى . والتاريخ ينبئ ايضاً عن حالة المصريين في تلك الايام من الذل والاستعباد . وبناء الاهرام شاهد يؤيد قولنا . ان سهولة الحصول على الغذاء والقناعة بالقليل منه في البلاد الحارة يكثر التناسل فيكثر عدد العمال فتنخفض الاجور ويفقر الجمهور ويذل

وما قيل عن وادي النيل يقال ايضاً عن مدنيات البيرو والمكسيك واميركا المتوسطة قبل دخول الاوربيين الى تلك الجهات . فهي تشبه المدنية المصرية القديمة في الاسباب والنتائج ؟

٢ — العامل الاخلاقي

كما يؤثر الاقليم والتربة والغذاء في تكوين الثروة وتوزيعها فشكل الطبيعة ومظاهرها الخارجية من جبال وانهر واودية وزلازل وصواعق وما يعيش فيها من حيوانات كاسرة وما يطرأ عليها من امراض وافدة ونحو ذلك تؤثر في تكوين اخلاق الامة وعاداتها وآدابها الاجتماعية واحوالها السياسية . فكأنها تؤثر — اذا جاز هذا التشبيه — في تكوين الافكار وتوزيعها

يمكن تقسيم مناظر الطبيعة ومظاهرها الى قسمين قسم ينبه التخيل والتصور وقسم ينبه القوى المدركة العاقلة . فالظواهر الطبيعية التي توحي العظمة والجلال او تبعث على الخشوع والتعجب والخوف والوقار تهيج المخيلة وتقويها فتتغلب على القوى العاقلة وتجعل الانسان يشعر بحقارته وصغره امام عظمة الكون وبهائه . فتقل ثقته بنفسه فتثبط عزيمته وتضعف ارادته . اما المظاهر الطبيعية الهادئة الساكنة فيشعر الانسان فيها بذاتيته وتزداد ثقته بنفسه لانه لا يرى منها ما يقاوم حركاته وسكناته أو يحول دون اعماله ومشاريعه او هي بمثابة صديق له يعينه على سد حاجياته

فحيثما تكون الطبيعة مخيفة رهيبة تتغلب المخيلة على العقل . ووظيفة المخيلة الجولان في ما لا يدركه العقل من الغوامض والاوهام . فالشعوب التي عاشت في بيئة مخيفة رهيبة اكثر توسعاً في الخرافات واشد تمسكاً بالتقاليد واكثر ميلاً الى البحث في ما وراء الطبيعة وما بعد الحياة . وقد يجرهم خوفهم احياناً الى عبادة اسباب خوفهم أو تقديسها . فمن عقائد بعض قبائل الهند مثلاً كف الاذى عن الحيوانات الكاسرة تلافياً لغضبها

والزلازل وهي احدى الظواهر الطبيعية المتقدم ذكرها نتخذها انموذجاً يؤثر في اخلاق الامة باختلاف قوتها وكثرتها . فهي اذا تتابعت بكثرة في بقعة من الارض جعلت اهلها في خوف دائم فنسبوا وجودها الى قوى فوق الطبيعة أي ان الزلازل تؤثر على المخيلة وتزيد سلطانها على اعمال الانسان . فايطاليا واسبانيا اكثر الممالك الاوربية تعرضاً للزلازل والانفجارات البركانية ولذا كان اهلها اقرب الى الخيالات والتصورات مما الى العلم والعمل . وقد نمت فيها الخرافات ورسخت التقاليد . وانتشرت فيها من جهة اخرى الفنون الجميلة وهي ثمار المخيلة . فاكبر المصورين والحفارين وبعض اعاظم الشعراء من اهل الجزيرتين . ولم يخرج من اسبانيا عالم واحد في العلوم

الطبيعية (واصحاب هذه العلوم يشتغلون بالقوى العاقلة دون المخيلة) اما ايطاليا فقد نشأ فيها نفر قليل جدًا منهم بالنسبة الى مصوريها وحفاريها وشعرائها

ولنأت بمثالين نمثل بهما تأثير الظواهر الطبيعية على الاخلاق نعني الهند واليونان :

١ ـ الهند ـ الطبيعة في الهند في غاية الفخامة والهيبة والوقار والهنود اهل مخيلة واسعة عملها واضح في مظاهر المدنية الهندية . ففي الادب مثلاً اكثر آثارهم الكتابية من الشعر . حتى كتب النحو والحقوق والتاريخ والطب والرياضيات والجغرافية والفلسفة فان اكثرها منظوم . وقد تفننوا في النظم واهتموا له اكثر من اهتمام سائر الامم فبحور الشعر السنسكريتي واوزانه عديدة لم تبلغ عددها غيرها من اللغات . ومن دلائل تسلط التخيل والتصور على القوى العاقلة عندهم احترام الاسلاف وتقديس الازمنة الماضية واهمال الحاضر وهي نتيجة عواطف رقيقة تؤثر عليها المخيلة فتقويها وينكرها العقل الصحيح لانه لا يجد لها سبباً معقولاً . نمت هذه العاطفة عند الهنود نمواً عظيماً فكتبهم مشحونة بمفاخر الاسلاف ووصف ايام الرفاهة الماضية ونحو ذلك . ومن مظاهر تلك العاطفة عندهم المبالغة في اعمار آبائهم فالعمر في ايامهم الاولى (حسب كتبهم) يعدُّ بآلاف السنين فمن ملوكهم في تلك الازمنة من حكموا ٣٠٠٠٠ سنة و٦٠٠٠٠ سنة ونحو ذلك . وكلما زاد احترامهم لملك من ملوكهم او قديس من قديسيهم اضافوا بعض آلاف السنين الى عمره . وما قيل عن ادب الهنود وشعرهم يقال عن فنونهم وديانتهم فحيثما بحثنا في مدنيتهم نجد قوى التصور والخيال غالبة على العقل والادراك

٢ ـ اليونان ـ والطبيعة في بلاد اليونان اخف وطأة واقل رهبة منها في الهند والمدنية اليونانية تختلف بذات النسبة عن المدنية الهندية . فالمظاهر الطبيعية في بلاد اليونان لضعفها تجعل الانسان يثق بنفسه ويقدر قواه حق قدرها وينشط للعمل . ومن ذلك انه تمكن فيها من درس السنن الطبيعية واستخدامها بدلاً من الخوف منها والخضوع لها

ان هذا الفرق يظهر باجلى صورة عند مقابلة الديانة اليونانية بالديانة الهندية . فهذه مبنية على الخوف والتخشع آلهتها عظيمة مخيفة منها الاله سيوا مثلاً له صورة يقشعر منها البدن حوله الافاعي والثعابين وفي يده جمجمة بشرية وعلى صدره عقد من العظام البشرية . وله ثلاث عيون وعليه جلد نمر . ولهذا الاله عندهم زوجة جسمها ازرق وايديها الاربع حمراء من دماء العباد ولسانها طويل يتدلى من فمها وهلم جرًا . اما الآلهة اليونانية فهي بعكس ذلك قريبة من البشر شكلها انساني والمشابهة في

الصورة يتبعها ايضاً مشابهة في الصفات والاعمال لجوبيتير والزهرة . ومنرفا ونبتون وغيرها من الالهة اليونانية لها افكار وعواطف واوصاف بشرية مع بعض التكبير فقط

وبالاختصار كانت الطبيعة في بلاد اليونان تشجع الانسان وتزيد ثقته بنفسه وفي الهند تثبط عزمه وتحط من قدرته . فاليونان وثقوا بالقوى البشرية وكان اهتمامهم بالمنظور المحسوس . اما الهنود فخافوا القوى غير البشرية وكانت مشاغلهم في الغامض المجهول غير المنظور

اميل زيدان

وصف المقلمة والاقلام

للماموني

ومجدولة حمرا يخيل متنها من النقش روض ما يغذى بوابل
ترى كل يوم حاملاً باجنة ولوداً لهم من غير مس قوابل
فاولادها ما بين اسمر ذابل باحشائها او بين ابيض ناصل
تسدد منها السمر لا لمحارب وترهف منها البيض لا لمقاتل
فلا السمر منها اعتدن حمل عوامل ولا البيض منها اعتدن حمل حمائل

وقال في وصف الاصطرلاب :

وشبيه للشمس يسترق الاخـ ـبار من بين لحظها في خفاء
فتراه ادرى واعرف منها وهو في الارض بالذي في السماء

الاتفاق الثلاثي والتحالف الثلاثي

الموازنة بينها

قلقت الاذهان على اثر الحرب البلقانية لما يخشى وقوعه من النزاع بين الدول الاوربية العظمى . وبعبارة اخرى بين الاتفاق الثلاثي المؤلف من انكلترا وفرنسا وروسيا والتحالف الثلاثي المؤلف من المانيا والنمسا وايطاليا. فراينا ان نأتي على خلاصة قوات كل من الاتفاق والتحالف البرية والبحرية على حدة للمقابلة بينهما — وهذا جدول يبين ذلك :

(انظر الجدول في الصفحة التالية)

اولاً — الاتفاق الثلاثي

القوات البرية

	تحت السلاح	الجند الاحتياطي	المستحفظ	مجموع الجنود	نفقاتهم بالجنيه
انجلترا	٣٤٠٣٨٦	١٣٨٠٠٠	٣١٥٤٠٨	٧٩٣٠٠٠	٢٧٠٠٠٠٠٠
فرنسا	١٣١٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠	٥٩٦٠٠٠	٢٣٩٦٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠٠
روسيا				٤٠٠٠٠٠٠	٥٥٠٠٠٠٠٠
(المجموع)				٧١٨٩٠٠٠	١١٧٠٠٠٠٠٠

القوات البحرية

	دردنوط	مدرعة	طراد	طوربيد	مدمرة	غواصة	مجموع القطع	رجال البحرية	نفقات البحرية
انجلترا	٢٢	٦٠	٩١	١٥٠	١٨٤	٦٥	٥٧٢	١٤٠٠٠٠	٣٦٨٠٧٠٠٠
فرنسا	٦	٢٢	٣٤	١٦٠	٦٢	٧٩	٣٦٣	١١٤٠٠٠	١٧٢٠٠٠٠٠
روسيا	٣	١٥	٢١	١٠٢	٩٦	٣٦	٢٧٣	٦٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠٠
(المجموع)	٣١	٩٧	١٤٦	٤١٢	٣٤٢	١٨٠	١٢٠٨	٣١٤٠٠٠	٦٣٠٠٧٠٠٠

ثانياً — التحالف الثلاثي

القوات البرية

	تحت السلاح	الجند الاحتياطي	المستحفظ	مجموع الجنود	نفقاتهم
المانيا	١٧٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠٠	٤٣٠٠٠٠٠٠
النمسا				١١٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠٠
ايطاليا				٧٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠
(المجموع)				٥٣٠٠٠٠٠	٧٩٠٠٠٠٠٠

القوات البحرية

	دردنوط	مدرعة	طراد	طوربيد	مدمرة	غواصة	مجموع القطع	رجال البحرية	نفقات البحرية
المانيا	١٣	٢٩	٤٠	٨٠	١١٥	١٣	٢٩٠	١٢٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠٠
النمسا	٢	٧	١٠	٥٢	١٩	١٣	١٠٣	٢٥٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠
ايطاليا	٣	١٦	٢٥	٥٥	٣٠	١٣	١٤٢	٤٠٥٠٠	١٠٥٠٠٠٠٠
(المجموع)	١٨	٥٢	٧٥	١٨٧	١٦٤	٣٩	٥٣٥	١٨٥٥٠٠	٢٠٥٠٠٠٠٠

يؤخذ من هذا الجدول ان مجموع جنود دول الاتفاق الثلاثي البرية ٠٠٠ ١٨٩ ٧ مقاتل وجنودها البحرية ٠٠٠ ٣١٤ الجملة ٠٠٠ ٧٥٠٣ مقاتل . واما دول التحالف الثلاثي فلا يزيد عدد جنودها البرية والبحرية على ٥٠٠ ٤٨٥ ٥ مقاتل . وأما القوات البحرية فزيادة الاتفاق الثلاثي فيها أكثر من ذلك نعني أن مجموع قطع الاتفاق الثلاثي ١٢٠٨ قطع فيها ٣١ دردنوط و٩٧ مدرعة . واما التحالف مجموع قطعه ٥٣٥ قطعة ليس فيها الا ١٨ دردنوط و ٥٢ مدرعة . فيظهر من ذلك ان قوات الاتفاق تفوق قوات دول التحالف كثيراً . ولكن لدول الاتفاق مستعمرات واسعة الارجاء لا بدَّ لها من المحافظة عليها . فمن جنود انكلترا مثلاً ٠٠٠ ١٢٢ مقاتل موزعة في مستعمراتها على هذا الشكل :

٧٥٠٠٠ في الهند

١١٠٠٠ في افريقيا الجنوبية البريطانية

١١٠٠٠ في البحر الابيض المتوسط

٦٠٠٠ في القطر المصري

٦٠٠٠ في الصين

١٣٠٠٠ في مستعمرات أخرى

فهي لا تترك الهند مثلاً بلاحاميات خوفاً من تمرد الهنود . وكذلك اسطولها فانه موزع في جميع البحار

ولروسيا جيش عرمرم في شرق سيبيريا لا تستقدمه اليها خوفاً من غزو اليابان والاسطول الروسي المرابط في البحر الاسود لا يجدي روسيا نفعاً لان ابواب البوسفور والدردنيل مقفلة دونه

ولفرنسا ايضاً جنود في الجزائر وتونس ومراكش والكنغو والهند الصينية الافرنسية وغيرها لا تأتي بها الى ساحة الحرب للاسباب المتقدم ذكرها

اما دول التحالف فليس لها مستعمرات ذات اهمية وكل قواتها متأهبة على الدوام للمحافظة على كيانها والمدافعة عنه . وهناك ملاحظة اخرى تؤثر في وجهة الحرب ان نشبت نعني حسن تدرب الجنود وجودة سلاحهم ومهارة قوادهم في الفنون الحربية وغير ذلك فيرجع النصر لاصحاب هذه المواهب من المتحاربين . وبكلمة واحدة ان كلاً من دول التحالف والاتفاق مستعدة استعداداً تاماً لحرب طاحنة تسيل فيها الدماء انهاراً . حرباً تكون اشد الحروب وبلاً على الانسانية (ش . ز .)

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ماقبله)

ثانياً — انكلترا

٤ — نظام الاجتماع فيها

نظام الاجتماع في انكلترا يشبه على اجماله نظام سائر الممالك الاوربية من حيث العائلة والحكومة والمدرسة والكنيسة . لكنه يمتاز في انكلترا بخصائص لا يخلو ذكرها من فائدة هاك اهمها :

١ — طبقات الامة

لايخفى ان انكلترا ام الحكومات الدستورية واقدم من اعترف بحقوق العامة . ومع ذلك فالامة عندهم مؤلفة من طبقتين متباينتين لا تختلط احداهما بالاخرى — نعني الخاصة والعامة او الشرفاء والعمال او الاعيان والعموم . وذلك من بقايا القرون الوسطى التي كان فيها اللورد صاحب الارض وله السيادة هو واهله على بلده وسائر الناس اعوان له او عمال في مزارعه . وكان ذلك شأن اكثر امم اوربا في عصر الاقطاع . لكن اكثرهم عدلوا عنه وساووا بين طبقات الامة في الحقوق والواجبات . الا الانكليز فلا يزال لاهل السيادات القديمة حقوق يمتازون بها عن سواهم في بعض الاحوال السياسية والاقتصادية . ولكل من هاتين الطبقتين شأن خاص مستقل عن شأن الطبقة الاخرى . ونواب الامة طبقتان في مجلسين مجلس الاعيان ومجلس العموم وقد ترى من هذين المجلسين في بعض الامم الاخرى لكنه عند الانكليز مبني على تسلسل الارستوقراطية من الاجيال الوسطى . ولا يزال كثير من الارضين ملكا للشرفاء

يتوارثونها ولايبيعونها بيعاً قاطعاً . وانما يبيعون مرافقها الى اجل معين . والغالب ان يبيعك الشريف الارض تملكها الى ٩٩٩ سنة فتدفع له ثمنها او هو حق صيرورتها اليك بعد تلك المدة .. ويبقى له عليك مالٌ يتقاضاه كل سنة يتم الاتفاق عليه يسمونه في اصطلاحهم تشيف (Chief) وقد يحتالون في تمليك الارض حيلة شرعية فيتفق الشاري والبائع على مبلغ يدفعه الشاري مرة واحدة بدل الاقساط السنوية نحو ما تفعل الحكومة المصرية في استبدال معاش المستخدمين . فاذا دفع الشاري ذلك المال صار مالكاً للارض . عرفنا صديقاً لنا في منشستر ابتاع منزلاً من احد الشرفاء بالفي جنيه دفعها معجلاً وبقي عليه الاقساط (التشيف) نحو مئة جنيه يدفعها كل سنة . واخبرنا انه ينوي ان يستبدل الاقساط بالفي جنيه أخرى فيصير المنزل ملكاً له

فالانكليز عندهم الحرية والاخاء وليس عندهم المساواة . على انهم عاملون على نزع تلك الامتيازات من الشرفاء . وقد افلحوا في كثير من مطالبهم لكن المساواة الكلية بطيء الوصول اليها لتأصل الارستوقراطية في نفوس القوم من اجيال متوالية . حتى نراها في كثير من آدابهم الاجتماعية . ومن آثارها المحسوسة انه ليس في قطر السكك الحديدية درجة وسطى بين الاعيان والعموم . فالقطار عندهم فيه عربات من الدرجة الاولى وعربات من الدرجة الثالثة . ولا نجد درجة ثانية في قطرهم الا ما يتصل منها بالقطر الفرنساوية وغيرها على الحدود

٢ — ضرائب الدخل

لا تخلو دولة من ضرائب تضربها على رعاياها تسدُّ بها نفقات رعايتهم والقيام على حراستهم أو القضاء بينهم . لكن الانكليز يزيدون على ذلك نوعاً من الضرائب اقتضاه تفاوت الثروة في طبقات الامة . فجعلوا مقدار الضريبة بنسبة تلك الثروة ويعولون في تقديرها على الدخل لا على رأس المال . فيفرضون على الغني اوالتاجر مبلغاً من دخله السنوي يسمونه ضريبة الدخل . اصلها اعانة فرضتها الحكومة على الامة للاستعانة بها على محاربة الفرنساويين سنة ١٥١٢ فقرر البرلمان يومئذ ان يدفع العامة ⅟١٥ من دخلهم تلك السنة والكهنة الخمس . وفي سنة ١٧٩٨ زادوها لمثل ذلك السبب . وما زالوا يزيدون الضرائب وينوعونها ويعدلونها حتى بلغت ما هي عليه الان . وهي تختلف حسب السنين ولكنها نحو خمسة في المئة من الدخل أو شلين في الجنيه . ولا يدفع هذه الضريبة الا الذي يبلغ دخله ١٦٠ جنيهاً في السنة فما فوق . ولهم شروط لمن يزيد دخله على ذلك الى ٧٠٠ جنيه . فهؤلاء يعفونهم من بعض الضريبة . اما من زاد دخله على ٧٠٠ جنيه

فيدفع الضريبة كاملة . وقد بلغ دخل الحكومة من هذه الضريبة نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٣٢ جنيه في السنة . غير ضرائب الجمارك وعوائد الروحيات وسائر المسكرات والمخدرات . وغير حق الرخص والاذن في معاطاة المهن على اختلاف اشكالها

٣ — العامة والعناية بهم

للعامة في انكلترا مشاكل من اعتصاب واضراب كما في فرنسا لكن للانكليز عناية خاصة بهم ولا سيما طبقات العمال والخدم . لعل ذلك من بقايا واجبات الارستوقراطية في العهد القديم . لان رب البلد (اللورد) كان يرى نفسه مسئولاً عن حال اتباعه من حيث اسباب معائشهم . ولو تتبعت تاريخ وضع ضرائب الدخل المتقدم ذكرها لرأيتها تنوعت وتعدلت طبقاً لمصلحة العمال أو الفقراء من اصحاب التجارات الصغرى . كانت في اول وضعها شاملة كل انكليزي مهما قلّ دخله . ثم اخذوا يعدلونها حتى اعفوا منها اصحاب الدخل القليل الذي لا يزيد على ١٦٠ جنيه . وخففوها عن الذين لا يزيد دخلهم على ٧٠٠ جنيه . وابقوها على سائر الناس كما رأيت . ولا يخفى ان الاموال التي تجمع من الضرائب تنفق في مرافق الامة بلا تمييز بين الغني والفقير — او هي لمصلحة الفقير اكثر مما لمصلحة الغني . وهي عناية بالعامة كالزكاة في صدر الاسلام تؤخذ من الاغنياء وتنفق في الفقراء

والحكومة الانكليزية تعتقد نفسها وصية على الفقراء من رعاياها فتضع القوانين لمصلحتهم وتجبرهم على اتباعها . اوهي تتولى تنفيذها عليهم — لعلها تتقي اعتصابهم أو اضرابهم . من ذلك قانون صدر في الصيف الماضي ونحن في انكلترا وضعته الحكومة لمنفعة الخدم وصغار المستخدمين اسمه (National Insurance act) في ١٤٠ صفحة كبيرة . مآله ضمانة مستقبل كل مستخدم في المملكة الانكليزية سنه بين ١٦ و٧٠ سنة يقلّ دخله السنوي عن ١٦٠ جنيهاً . وكل عامل يشتغل بيده لحساب نفسه ولو زاد دخله على ١٦٠ جنيهاً في السنة . فتفرض على كل من هؤلاء ان يختزن من دخله مالاً يعينه في شيخوخته او مرضه — جعلت ذلك اجبارياً لا يرى العامل مفرًّا منه بوجه من الوجوه . وهو يشمل الممثلين في المراسح واساتذة المدارس الصغرى والثانوية وكتاب المصارف والمتاجر وخدام المخازن وعمال المعامل وفيهم اصحاب العاهات البدنية وساقة المركبات والنوتية وغيرهم وكل عامل له رئيس يدفع له اجرة

وكيفية ذلك الضمان ان الحكومة طبعت اوراقاً كالسراكي أو الاستمارات في اصطلاحنا تفرقها في العمال . وعلى العامل ان يقدم واحدة منها كل اسبوع وعليها طوابع

مختومة يشترك هو ورئيسه والحكومة في دفع قيمتها . وتختلف تلك القيمة باختلاف راتب العامل . فالرجل الذي تزيد اجرته على شلينين ونصف شلين في اليوم يدفع هو اربعة بنسات في الاسبوع ورئيسه يدفع ثلاثة بنسات والحكومة تدفع بنسين . الجملة تسعة بنسات (نحو ثلاثة غروش ونصف) تلصق بقيمتها طوابع على الاستمارة وتختم وتقدم للحكومة كل اسبوع . واذا كان العامل صاحب هذه الاجرة امرأة تعامل مثل معاملة الرجل الا ما تدفعه هي فيكون ثلاثة بنسات بدلاً من اربعة ويختلف مقدار المدفوع باختلاف درجة العامل ومقدار أجرته

والحكومة تحفظ للعامل ما يقدمه كل اسبوع وتختزنه لحسابه وقد تستثمره له فيضمن مستقبله رغم ارادته . ومعظم هذه الضمانة من رئيسه والحكومة وهي لا تضرها لكنها تنفع العامل المسكين . وفي ذلك القانون شروط واحكام تفصيلية لا محل لها . لكنها بلا شك من احسن ما استنبطته القرائح لمصلحة العمال وضمان مستقبلهم على نفقة الحكومة واصحاب الاموال . فضلاً عما فيها من المشقة على اصحاب التجارات او المعامل . فان كل واحد منهم مكلف بالتوقيع على السراكي او الاستمارات بيده كل سبوع وقد يكون عنده مئة عامل أو الف

٥ — اخلاق الانكليز

١ — الثبات والتعويل على الحقيقة

للانكليز اخلاق بارزة واضحة تختلف عما لسواهم من الامم يمكن تلخيصها بكلمتين نعني (١) « انهم يجنحون في اعمالهم وشؤونهم الى الحقيقة المحسوسة دون الظواهر » (٢) « انهم ثابتون في مبادئهم وعاداتهم ومشاريعهم » فاذا عرفت ذلك فيهم هان عليك تعليل اكثر ما يعرض لك من اخلاقهم . والانكليزي هادئ الخلق يندر ان تغلب عليه الحدة حتى تخرجه عن طور ارادته ولذلك تجدهم يبحثون في اهم المسائل واحرج المشاكل ويتجادلون ويتناقشون بهدوء وسكينة . ويغلب في أدلتهم ان تبنى على العقل اكثر مما على العواطف . ويظهر لك الانكليزي جامداً وقد ترى في نفسك تفوقاً عليه بسرعة الخاطر لكنك عند العمل تجده اثبت منك قدماً وأصبر على التعب واقدر على المشاريع الكبرى . وترى فيه سكوتاً وطول اناة في موقف يستفزُّ سواه ويهيج غضبه وليس ذلك من بلادة في طبعه وانما هو من قبيل ثباته في اعماله وتعويله على الحقائق فلا يكترث بالصغائر بل يجعل همه الغرض الذي يسعى اليه لايبالي بما يقف في طريقه من

العقبات ولا سيما اذا كانت تلك العقبات أموراً وهمية كالكلام في الصحف ونحوها اذا لم يكن مبنياً على حقائق محسوسة — فهو يهمه أن يصل حماره الى العباسية ولا يلتفت الى شقشقه المكاري في أثناء الطريق

٢ — الكبرياء والانانية

ومن الاخلاق المشهورة عن الانكليز انهم متكبرون يترفعون عن مخالطة سواهم من الامم . وهي تهمة لاتخلو من الحقيقة . ان الانكليزي معجب بنفسه يفتخر بدولته وامته وينفرد عن سائر الامم فلا يزاوجهم او يختلط بهم الا بما تقتضيه المصلحة التجارية او السياسية . ولا عجب فاننا في عصر الانجلوسكسون كما كان العرب في ابان دولتهم والرومان قبلهم . ولكل أمة عصر اذا تفوقت فيه على سواها توهمت امتيازها الفطري عليهم بالجبلة الاصلية —وهي طبعاً لاتنال ذلك التفوق الا لمواهب فيها تمتاز بها عن سواها

ومما يوجه على الانكليز من الانتقاد انهم انانيون يحبون الاستئثار بالمنافع لانفسهم وهو خلق فطري في الانسان لا يختص بامة دون أخرى . لكنه يظهر في الانكليزي لانه لا يبالي ان يظهره ويتمسك به . ولا يهمه ما يسميه الآخرون اريحية أو نجدة ويعدونها من اسمى المناقب فهو لا يعرض نفسه للخسارة لمنفعة سواه كما يفعل الفرنساويون مثلاً او كما يفعل العرب ويعدونه من مفاخرهم . ولذلك كان العرب اسرع اختلاطاً بالفرنساويين مما بالانكليز

ومن مقتضيات الجنوح الى الحقائق ان الانكليزي صريح في اقواله واعماله لا يقول غير ما يعتقده ولو ساءك قوله . فيظهر ذلك منه مظهر الجفاء . ولكنه يعدُّ المجاملة ضرباً من العبث فلا يزال يتجنبك حتى يتعرفك ويثق بك فيمد لك يده ويصافحك ويكون عند ذلك من اخلص الاصدقاء واظرف الجلساء

٣ — التربية الأدبية والعقلية

ومن مقتضيات ذلك الخلق ايضاً ما تراه من ثبات الانكليز في أفضل وسائل التربية البدنية والعقلية ولا سيما الرياضة وهم قدوة الامم فيها . وقد الف ديمولان الكاتب الفرنساوي كتابه سر تقدم الانكليز ليحرض قومه على الاقتداء بهم في التربية والاخلاق والتعليم وغير ذلك . واختص غوستاف لابون اخلاق الانكليز بالاطراء في كتابه « العوامل الاخلاقية في تكوّن الامم » فالانكليزي راى بعين الحقيقة ان هذا الضرب من التربية مفيد له فاتبعه ووضع له قواعد اساسها الفائدة الحقيقية بلا

زخرف ولا تمنيق . وزادهم ثباتاً فيها انهم فطروا على احترام آراء رجال التاريخ واصحاب المواهب منهم والعمل بها بلا جدال او نقد — لعله من بقايا خضوعهم للشرفاء في عصر الاقطاع . ولهذه المنقبة فضل كبير في جمع كلمتهم وتأييد مساعيهم لان الامة اذا عملت براي عقلائها كانت كلها عقلاء . بخلاف الامم التي يزعم كل من افرادها انه صاحب الرأي الاصوب والنفوذ الاعلى . ويرى الانصياع لراي سواه صغاراً و مذلة كما هو شأن الامم الضعيفة التي صارت الى الشيخوخة وآذن الزمان بفساد امورها وانقضائها

٤ — الصدق والوفاء

المشهور ان الانكليزي على الاجمال بطيء الخاطر غير مفرط الذكاء . لكنه ناجح على الغالب في اعماله ومشاريعه فما هي علة نجاحه ؟ العلة الحقيقية انهم يعملون بالقواعد التي قررعقلاؤهم انها وسيلة النجاح وقد رسخت في اذهانهم بالتربية للاسباب التي قدمناها . وهي تعلمهم ان التاجر او الصانع يجب ان يعول في اعماله على الحقائق مع المنفعة المتبادلة . فجعلوا معولهم على الصدق والامانة والثبات وهي اهم اسباب نجاحهم في اعمالهم الكبرى والصغرى . وقد اشتهر ذلك عنهم حتى جرى مجرى الامثال . والمشهور بين تجار الارض ان الانكليزي اذا سألته عن سعر بضاعته اعطاك آخر سعر يوافقه ولا يفتح باباً للاخذ والرد أو المساومة كما تفعل سائر الامم

٥ — المحافظة على التقاليد

قد رايت الامة الانكليزية لا تزال حتى الان محافظة على الارستوقراطية رغم اعراقها في الدستورية — حتى الدستور عندها لا يزال محفوظاً بالتقاليد أي انهم لم يدونوا قواعده وشروطه بما يسميه العثمانيون القانون الاساسي أو نحوه . وانما يجرون فيه على التقاليد الماضية فيحكمون في شؤونه بالقياس على أحكام سابقة أصدرها أسلافهم مع مراعاة مقتضيات الاحوال واذا عرضت مسألة لم يسبق الحكم فيها حكموا فيها وعدوا حكمهم سابقة لمن يأتي بعدهم

فالانكليز من اكثر الامم محافظة على التقاليد المتوارثة . وذلك من قبيل الثبات في اخلاقهم . ولهذا السبب كانوا من اشد الناس احتراماً لرجال التاريخ منهم ينصبون لهم التماثيل ويعملون باقوالهم . ولنفس هذا السبب جروا في استعمارهم على احترام تقاليد الامم التي تدخل في سلطانهم او حمايتهم . فلا يتعرضون لهم في شيء من اديانهم او عاداتهم . بل يساعدونهم على القيام بشعائرهم الدينية او الوطنية . ولذلك كان الشرقيون اكثر ارتياحاً الى سيادتهم مما الى سواها لولا ترفعهم وبعدهم عن المجاملة

٦ — التدين والنظام

ومن قبيل الثبات والمحافظة على التقاليد انهم متمسكون بعقائدهم الدينية . ورغم تطرف اكثر الامم من جيرانهم وزملائهم في الحرية الدينية حتى جاهروا بمناوأة رجال الكهنوت ومطاردة الجمعيات الدينية فالانكليز ما زالوا متمسكين باهداب الدين يحافظون على طقوسه وتعاليمه ولا سيما الراحة يوم الاحد فقد ذكرنا في الهلال الماضي كيف يقفلون الحوانيت والمخازن وغيرها في ايام الآحاد والاعياد

ومن هذا القبيل ايضاً خضوعهم للنظام وتقديسه والرضوخ له باحترام وافتخار لا يستنكف من ذلك كبيرهم ولا صغيرهم . ولا يرى الملك بأساً ان يعترف بالخطأ بين يدي اصغر رعاياه ولا يعدُّ ذلك حطة . وانما هو من نتاج جنوحهم الى الحقيقة واحترامهم اياها . وتجد كتبهم المدرسية مشحونة بالحكايات التي تعلم هذه المنقبة وامثالها من الصراحة بالقول والاعتراف بالخطأ . غير القدوة الحسنة التي يستفيدها التلاميذ من اساتذتهم او والديهم او كبارهم في هذا السبيل

٧ — الشعور بالواجب

ان الشعور بالواجب عام في الممالك الراقية لكنه ظاهر كل الظهور في اخلاق الانكليز . فالانكليزي يعرف ما عليه من حق ادبي او مادي فيؤديه في حينه بلا مطالبة او استحثاث . يفعل ذلك بهدوء وسكينة . لانهُ من اكثر الناس عملاً واقلهم كلاماً . فاذا وعدك بزيارة كن على ثقة انهُ منجز وعده . واذا كلفته بخدمة فمن التأدب عندهم ان لا يؤكد لك نجاحه فيها وانما يقول « اني سأجرب » فاذا قال هذا قائل منهم عدُّوا قوله وعداً اكيداً . وهكذا اذا عزم احدهم على تكليف آخر بخدمة او مطالبته بحق له او وعد يتوقعه فانه يجعل طلبه بصورة الاستفهام او الشك فيقول مثلاً « ماذا تظن لو فعلتَ كذا » فيجيبه « اظنني فاعلاً كذا » فيعد ذلك وعداً لا بدَّ من قضائه . وهذه التعابير تكون غالباً في الطبقة الراقية من القوم

٨ — المرأة الانكليزية

المرأة في انكلترا تشبه سائر نساء أوربا في اكثر الاحوال الاجتماعية والادبية لكنها تفرق عنهن بما يقتضيه الخلق الانكليزي او التربية الانكليزية من بعض الوجوه. فهي اميل الى الحقائق في آدابها وعاداتها وازيائها . ويمتاز الزي الانكليزي غالباً بالبساطة لانهم يلاحظون فيه المنفعة الحقيقية — شأنهم في كل شيء . واذا رأيت انكليزية بثوب مزخرف فانها تقلد به غير الانكليز



بنات انكليزيات يلعبن بالسيف

ومن هذا القبيل انصرافها الى الرياضة البدنية بالالعاب المشهورة عندهم حتى لعب السيف وركوب الخيل . ولذلك كانت الانكليزية صحيحة البنية نشيطة الحركة ممشوقة القوام مشرقة الوجه قوية الارادة . وقد اخذت تتشبه بالرجال وتجاريهم في اعمالهم . وتطرفت طائفة من المهوسات حتى طلبن حق التصويت في مجلس النواب وبالغن في ذلك وخرجن به عن طورهن الذي خلقن له واستخدمن العنف في مطالبهن . ولانظهن الا راجعات الى الصواب . وحكمنا على المرأة الانكليزية من هذا الوجه مثل حكمنا على المرأة الفرنساوية عند كلامنا عن اخلاق الفرنساويين :

« ان المرأة خلقت لتهتم بشؤون بيتها وعائلتها فاذا تحولت عن ذلك الى اعمال الرجال خرجت عن طبيعتها »

على ان المرأة الانكليزية في أصل فطرتها كثيرة الخضوع لرجلها تستهلك في سبيل راحته وراحة سائر العائلة ولو مهما كلفها ذلك . لكنها وهي عذراء تتمتع بما يتمتع به الشاب من الحرية الشخصية في ذهابها وايابها وقيامها وقعودها . فاذا تزوجت انقطعت الى بيتها ولم يعد يهمها سواه مع احترام زوجها ومعرفة حقه . فلعل المطالبات بحقوق الرجال من غير المتزوجات

٨ — طريقتهم في الاستعمار

وترى الخلق الانكليزي الاساسي ـ نعني التعويل على الحقيقة مع الثبات ـ ظاهراً في طرقهم السياسية كالاستعمار مثلاً فان لهم فيه طريقة تخالف طرق سائر المستعمرين .

فهم ينظرون من وراء الاستعمار الى الفائدة الحقيقية لا يهمهم زخرف السيادة وابهة الدولة والتفاخر بسعة السلطة بقدر ما تهمهم المصلحة الحقيقية في الاستعمار . وقد وجدوا بعين العقل ان المصلحة الحقيقية من الفتح او الاحتلال انما هي المرافق الاقتصادية او المالية فيوجهون سعيهم اليها . ولا يهمهم بعدها ان تكون لهم سيادة إن لم يكن الغرض منها المنفعة الاقتصادية . ومن ثباتهم وطول اناتهم صبرهم على استثمار مطامعهم الاستعمارية اعواماً متطاولة ترسخ في اثنائها اقدامهم او تسنح لهم فرص يغتنمونها ويؤيدون بها حقوقهم

ولهذا السبب رأيتهم لا يتعجلون وضع الحماية او اعلان السيادة بل بعكس ذلك يتساهلون مع مستعمراتهم في الاستقلال الاداري حتى لا يبقى فرق يذكر بينه وبين الاستقلال الحقيقي . ويهمهم من البلد الداخل في حيازتهم او تحت نفوذهم ان تكون مصالحهم المادية رائجة فيه — ولا يبالون ان يجيئهم ذلك بطريق الاحتلال او الحماية او الاستعمار . وعلى هذا المبدأ حلوا قيود أوستراليا وكندا والترانسفال وغيرها . ولا نرى مانعاً من ان يفعلوا ذلك في الهند وغيرها اذا تحققوا ضمان مصالحهم الاقتصادية وبقاء علائقهم الودية وان تكون لهم الافضلية من الحيثيات الاخرى

فالسطوة التي بلغت اليها الامة الانكليزية في هذا العصر تتوقف على اخلاقهم اكثر مما على ذكائهم . ان الاخلاق التي ذكرنا امثلة منها جعلت اربعين مليون انكليزي يحكمون نحو ٣٥٠ مليون نفس من امم شتى في القارات الخمس . وفيهم القوقاسي والمغولي والهندي والزنجي وغيرهم من طبقات الناس يتكلمون عشرات من اللغات المختلفة . ان الانكليز استطاعوا ذلك باخلاقهم المتينة واساسها الثبات والتعويل على الحقيقة . والا فان بين الامم الداخلة في سلطانهم شعوباً لا يقلون عنهم ذكاء ويفوقونهم في كثير من المواهب العقلية . وانما تنقصهم الاخلاق اللازمة للتغلب او الاستقلال

١٠ — المدنية الحديثة ومدنية العرب

فالانكليز من اوضح الامثلة للاخلاق الملائمة لروح هذه المدنية — وان كانت لا تلائم المدنيات الاخرى . اذ لكل مدنية قواعد تبنى عليها دعائمها ولا تصلح الا بها . فمدنية العرب اساسها مناقب العرب في صدر الاسلام اهمها الاريحية والنجدة والجوار والوفاء والحلم وسعة الصدر وكرم الخلق ونحوها مما لا يلائم المدنية الحديثة . كان الخليفة او الامير يعفو احياناً عن القاتل لاعتبار قام بنفسه من قول سمعه او فكر خطر

له ويعدُّ ذلك اريحية . وكان القوم يتواصون بالعفو عند المقدرة والاخذ باسباب الكرم يقيمون بيوت الضيافة ينزل فيها الاضياف اشهراً لا يسأَلهم احد منهم . وكان لهم ضرب من الارتزاق بالسخاء من الخليفة فمن حوله واتباعهم وحواشيهم واعوانهم يقيم في بيت الامير او العامل عشرات او مئات من الناس يأْكلون ويشربون ويلبسون ولا عمل لهم وقس على ذلك مما فصلناه في تاريخ التمدن الاسلامي . فهذه المناقب بعيدة عن مقتضيات المدنية الحديثة التي اساسها مبادلة الحقوق والواجبات لا حلم ولا عفو ولا اريحية ولا نجدة . وانما ينال المرء من الرزق او المنصب على قدر سعيه ومواهبه بمقتضى القواعد الاقتصادية والاعتبارات السياسية . فلا يرتقي في هذا السلك غير العارف باحكام السياسة الذي ينظر الى حقائق الاشياء بالنظر الى مصلحة الامة ويحافظ على العدالة وشروطها لا ينفق غرشاً الا في طريقه . وغير ذلك من المناقب الشائعة في أوربا لهذا العهد — ولكل ايام دولة ورجال



عجائب المخلوقات

الفرس الحاسب

تكلم الهلال غير مرة عن افراس حاسبة وحيوانات حاذقة نبيهة وهي عديدة كلما تخلو منها مدينة من المدن الكبرى . على ان كثيراً من الحوادث التي من هذا القبيل مبنية على الخداع التماساً للكسب . وتحدثت الصحف اخيراً بافراس تنسب الى البرفيلد حيث يقيم صاحبها اشتهرت بمعرفة الحساب واستخراج الجذور ونحو ذلك من الاعمال التي تتطلب مقدرة عقلية . فاحببنا العود الى هذا البحث الدقيق . والاجدر بنا ان نتتبع هذه الحوادث كما وقعت :

كان لاحد سكان برلين منذ عشرين سنة فرس توسم فيه ذكاء فرباه وعلمه الحساب . ولكن الفرس توفي في اثناء التعليم فلم يشأ صاحبه اضاعة اختباره في هذا السبيل فاقتنى سنة ١٩٠١ مهراً عمره خمس سنوات سماه « هانس » واول درس لقنه

اياه معرفة الشمال واليمين وفوق وتحت ونحو ذلك . ثم اخذ يعلمه مبادىء الحساب فكان الرجل يجثو بجانب الفرس وبين يديه قطع من الخشب عليها الاعداد يجعله يطرق برجله على الارض بمقدار العدد . فتوصل هانس بهذه الطريقة الى معرفة الاعداد البسيطة وقراءتها اذا كتبت امامه على لوح اسود . ثم تعلم جمعها وطرحها فاجاب على بعض المسائل الحسابية واخيراً تعلم القراءة والتمييز بين الاصوات الموسيقية وسواها وغير ذلك . فاشتهر امر الفرس وصاحبه وتحدثت بهما صحف برلين وكثرت المشاحنات بهذا الشأن

واخيراً تشكلت لجنة علمية مؤلفة من استاذين المانيين ورئيس حديقة حيوانات برلين وبعض الاطباء البيطرية . فقررت بعد البحث ان لا غش في الحوادث المروية من جهة صاحب الفرس لان الفرس كان يأتي الاعمال نفسها في حضوره وفي غيابه — على ان الناس لم يقتنعوا بهذه النتيجة فتألفت لجنة ثانية من العلماء كان قرارها كما يأتي : « ان هانس يجيب بالصواب على الاسئلة الموجهة اليه اذا كان الحاضرون يعرفون الجواب فحركات وجوههم ترشد الفرس اليه بدون قصد منهم واذا امتنعوا عن ابداء اشارة فانه يخطىء الجواب . ويمكنهم ايضاً بمجرد ارادتهم ان يجعلوا هانس يعطي الجواب الذي يريدونه بقطع النظر عن صحته او عدمها » فآل هذا الاستنتاج الى مشاكل يصعب حلها . كيف تعالى فهم هانس حركات الجسم والوجه الطفيفة ؟ لكنه اضعف ثقة الجمهور بذكاء الفرس فاصبحوا يتهكمون على صاحبه حتى طلب بعضهم محاكمته فكان ذلك من اسباب تعجيل اجله . فتوفي الرجل حزيناً سنة ١٩٠٩

فورث فرسه تاجر من تجار البرفيلد اسمه كارل كرال كان يعتقد صدق الرجل المتوفى وصحة تجاربه فاتبع طريقته في تعليم الخيل . واقتنى فرسين سمى احدهما ظريفاً والآخر محموداً . ثم اقتنى فرساً انكليزياً صغيراً من نوع البوني . واشترى اخيراً فرسين عربيين اصيلين من ورتمبرج سماهما امازيس وهارون . وقد نشر نتيجة ابحاثه وتجاربه في كتاب كانت له ضجة بين الناس واليك شيء منه :

قضى في التعليم ثلاث سنوات كل يوم ساعة ونصف الى ساعتين . فتعلم الفرس محمود في ثلاثة ايام ان يعد من واحد الى ثلاثة . ثم تعلم بمدة قصيرة العشرات فكان يعدها برجله اليسرى ويعد الاحاد باليمنى وعلامة الصفر حركة خفيفة برأسه . وفي اليوم الثالث عشر اصبح محمود يجمع ويطرح اعداد العشرة الاولى . وفي اليوم السادس عشر تعلم الضرب والقسمة . وفي التاسع عشر تعلم حساب الكسور وفي الشهر الثاني

تعلم معنى الاسئلة التي تلقى عليه بالافرنسية فضلاً عن الالمانية . وفي الشهر السابع تعلم كيف يستخرج الجذور المربعة والمكعبة

وفي السنة الثانية تعلم القراءة باستعمال الاعداد بدل الحروف فيعبر عن كل حرف من حروف الهجاء بعدد معين . في الشهر الخامس تعلم تهجئة الكلمات ذات الخمسة الاحرف حالما تلفظ . ثم توصل اخيراً الى محادثة صاحبه فكان يجيب نعم أو لا وقليلاً او كثيراً ونحو ذلك . فاذا سئل ما اسمك اجاب « محمود » او سئل لماذا ظريف لايشتغل ؟ اجاب « لانه كسلان » او « ما هو مربع ٥ » عدَّ ٢٥ وهلم جرًّا .



الفرس محمود يحسب بضرب حافره على الخشب

هذه هي الحوادث التي ذكرها كارل كرال في كتابه فانتشبت على أثر نشر ذلك الكتاب مشاحنات طويلة . فتناول الموضوع كبار العلماء وهم على الاجمال فريقان فريق يهزأ بتلك التجارب وينسبها الى الخداع وفريق يسلم بصحتها ويستدل منها ان للحيوان عقلاً من نوع عقل الانسان . وفي مقدمة هؤلاء الاستاذ ارنست هيكل زعيم الموحدين (اي توحيد المادة والقوة) وهم فريق من الماديين

فلا غرو اذا وقف المطالع امام هذا التناقض حائراً لا يدري اي القولين يصدق يجوز التمسك بالشك والتوقف عن ابداء رأي قطعي في مسألة كهذه كما يجوز التسليم بصحة المزاعم المتقدمة بعد ان شهد بصحتها نفر من كبار العلماء المعروفين بصفاء نيتهم وقد اقتنعوا بصحتها — واذا بحثنا في شخصية صاحب الافراس وجدناه من كبار التجار لايرجو من وراء تجاربه ربحاً مادياً بل هي تضيع وقته وتعطل اعماله . ولا يعقل ان يخاطر باسمه وقد تعلم من سلفه المتوفى كيف ينتقم الراي العام من الذين يخدعونه

اما اللجنة الثانية التي قالت ان حركات الحضور ترشد الفرس الى الجواب فلا قيمة لقولها بعد ان اجريت التجارب والفرس داخل غرفة لا يرى احداً والمتفرجون يلاحظونه من الخارج . وقد تألفت جمعية خاصة للبحث في هذه الظواهر الغامضة . وهي تذكرنا بقول شكسبير على لسان هملت : « ان الارض والسماء تحويان من الاسرار اكثر مما يظن الفلاسفة والعلماء » (ا . ز .)



جورج الاول

ملك اليونان

ولد سنة ١٨٤٥ وتولى سنة ١٨٦٣ وتوفي سنة ١٩١٣

هو ثاني ملوك اليونان بعد استقلالهم في القرن الماضي . اتتنا الانباء التلغرافية بمقتله في اواسط مارس الماضي بيد بعض الفوضويين من رعاياه . فرأينا ان نأتي على ترجمة حاله وكيف صار الملك اليه وهو ليس يونانيا

كان اليونان في عصرهم الذهبي قبل الميلاد المسيحي ببضعة قرون اساتذة الامم في العلم والفلسفة والصناعة ثم دخلوا في حوزة الروم وغيرهم وتقلبت عليهم احوال شتى حتى دخلوا في سيادة العثمانيين باوائل القرن السادس عشر . وما زالوا خاضعين مرغمين الى اوائل القرن التاسع عشر فهبوا للاستقلال وحاربوا في سبيله سبع سنوات اعانتهم في اثنائها بعض دول أوربا فتم لهم النصر سنة ١٨٢٨ واعلنوا استقلالهم واعترفت به الدول . وجعلوا حكومتهم جمهورية كما كانت في اثناء مدنيتهم القديمة ورأسوا عليهم كابودسترياس لكنهم ما لبثوا ان قتلوه وهم في ابان فوزهم كما قتلوا ملك الامس . فلم ترَ الدول بدًّا من التوسط في شؤونهم فعقد مؤتمر في لندن من فرنسا وانكلترا وروسيا اعترفن فيه بمملكة اليونان تحت حمايتهن وقررن سنة ١٨٣٠ ضمانة قرض قيمته ٦٠٠٠٠٠٠ جنيه يعطى لهم لتدبير شؤونهم . واخذت تلك الدول تبحث عن ملك يتولى أمورهم من غير اليونان

فاختارت اولاً البرنس ليوبولد ساكس كوبورج وغوطا فاعتذر عن تولي هذا المنصب . وعُرض عليها دوق ساكسبورج وغوطا فلم توافق انكلترا عليه . واخيراً وقع

اختيار الدول على البرنس فريدريك لويس بن صاحب بفاريا وهو في السابعة عشرة من عمره . فقبل العرش وسمي أوتو الاول حكم ٢٩ سنة (من سنة ١٨٣٣—١٨٦٢) وكان في اول امره قاصراً فتولى الوصاية عليه رجلٌ الماني ساق اليونان بعصا من حديد فلما بلغ أوتو رشده سنة ١٨٣٥ وجد أمة اليونان في اشد حالات النقمة تكاد تثور عليه وتخلعه . فعزل الوصي واخذ في اصلاح ذات البين بينه وبين رعاياه فجعل اللغة اليونانية لغة الحكومة الرسمية . وتزوج بالبرنسس اماليا بنت غراندوق أولدنبرج فسكن خاطر الشعب . لكنه لم يجمع على حبه وانتهى الامر بخلعه سنة ١٨٦٢ بقرار من مجلس النواب . فاختارت الدول الثلاث المتقدم ذكرها خلفاً له فتيل الامس البرنس



جورج الاول ملك اليونان السابق

وليم ثاني ابناء كريستيان التاسع ملك الدنمارك السابق فولوه في ٣٠ مارس سنة ١٨٦٣ وهو في الثامنة عشرة من عمره على ان يكون ابوه وصياً عليه حتى يبلغ رشده . فلم يمض بضعة اشهر حتى بلغ الرشد الرسمي . لان مجلس الامة اليوناني قرر في تلك السنة ان يعد الملك رشيداً اذا اتم ثماني عشرسنة فسمي جورجيوس الاول . وتزوج أولغا بنت الغراندوق قسطنطين أخي الامبراطور اسكندر الثاني قيصر روسيا . وكان الملك جورج هذا من اقرب الملوك رحماً لاعظم ملوك الارض . فهو خال جورج الخامس ملك الانكليز وخال نقولا الثاني قيصر روسيا

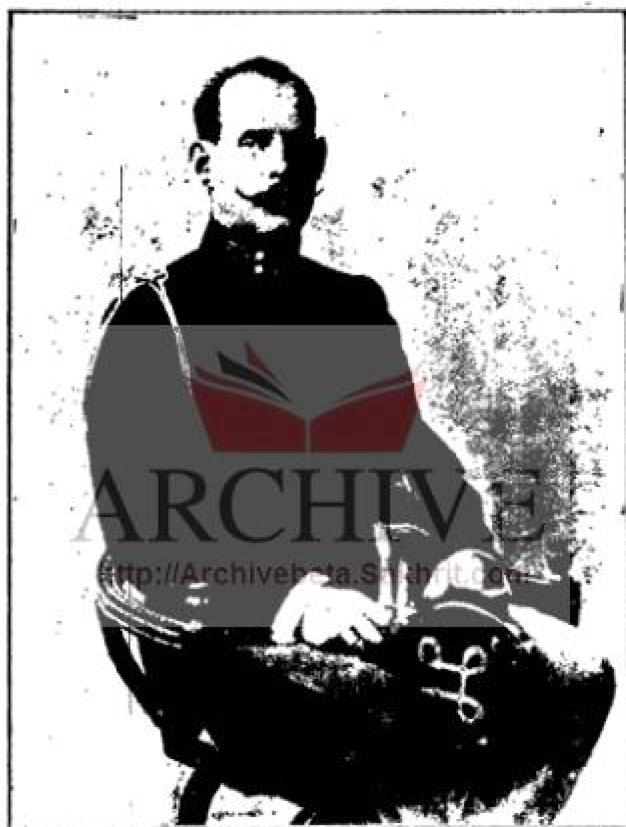
حكم جورج الاول مملكة اليونان خمسين سنة تمت في ٣٠ مارس الماضي . وكان عازماً على التنازل عن الملك لابنه وولي عهده قسطنطين لكن بعض الفوضويين قتله وهو في سلانيك والامة اليونانية في حربها مع الدولة العثمانية ولا تزال في ابان سكرة الظفر. على انه قضى تلك المدة وهو يحذر ان يصيبه ما اصاب سلفه أوتو. ولذلك استبقى له قصراً في كوبنهاغن وبذل الاموال في تثبيت مركزه . واعانته انكلترا على ذلك بتقريبه من قلوب رعاياه اذ زودته عند توليه ذلك المنصب بضم الجزائر الايونية الى مملكته وهي واقعة في غربها . وكان اليونان شديدي الرغبة في الحصول عليها فرضوا عنه . ومن شروط حكومة اليونان ان يكون ملكهم ارثوذكسي المذهب فاستثنوا هذا الملك من هذا الشرط فبقي على مذهبه الانجيلي الى آخر حياته . وراتبه السنوي ٥٢٠٠٠ جنيه تدفع منها انكلترا وفرنسا وروسيا اربعة آلاف جنيه كل دولة

ولما ظهرت القلاقل في جزيرة البلقان سنة ١٨٧٦ عاد مركز الملك جورج الى القلق . وهمت اليونان ان تحارب الدولة العثمانية سنة ١٨٨٦ فحالت انكلترا بينها وبين ذلك . وتوالت المتاعب السياسية عدة سنين بسبب كريد. وانتشبت الحرب بين اليونان والعثمانيين سنة ١٨٩٧ فتولى البرنس قسطنطين قيادة جند اليونان بنفسه . لكن تلك الحملة عادت عليهم بالفشل وارتدوا على اعقابهم واضطروا الى القبول باستقلال كريد استقلالاً ادارياً وتوسطت الدول في عقد الصلح فابرم في يونيو سنة ١٨٩٧

فاستاء بعض اليونان من ذلك الفشل فنقموا على الملك وتعمدوا قتله في فبراير سنة ١٨٩٨ وهو في مركبته ومعه ابنته ماريا بضواحي اثينا . تصدى لهما اثنان من وراء تل اطلقا عليهما عدة طلقات نارية فلم يصبهما منها شيء . وقبض على الجانيين واحدهما كرديتس فوضوي نال جزاءه . اما اليونان على الاجمال فكانوا يتوددون الى الملك جورج ويظهرون ميلهم اليه لانه كان سهل الخلق كابيه كريستيان التاسع . يمشي في الاسواق بلا حرس ويخاطب رعاياه كأنهم اولاده . وله في هذا السبيل نوادر يتناقلونها عنه تدل على ظرف واخلاق راقية . من ذلك انه خرج ذات ليلة من سنة ١٨٨٢ متنكراً في بعض الضواحي فانكره احد الحراس وصاح فيه يستفهمه من هو فلم يجب فاطلق عليه بندقيته فاصابت اعلى كتفه ولم تضره . وفي اليوم التالي بعث الملك في استقدام ذلك الحرسي الى القصر وأطرى سهره على واجباته وعلق له وسام المخلص على صدره بيده

وكان شعاره « ان قوتي بمحبة شعبي » وصرح منذ تولى العرش انه سيجعل

مملكة اليونان قدوة للممالك الاوربية الشرقية وبذل جهده في هذه السبيل وكان ذلك شاقاً عليه فلم يستطع ان يخدم امته خدمة تستحق الذكر الا في الحرب الاخيرة بعد دخول اليونان في التحالف البلقاني . ففتحوا يانيا وسلانيك ودارت مخابرات الصلح والملك جورج في سلانيك لبعض الشؤون فقتل كما تقدم . فبايع اليونان بعده لابنه الاكبر ولي العهد قسطنطين



قسطنطين ملك اليونان الحالي

هو اكبر ابناء جورج الاول وكان يلقب في أثناء ولاية العهد بدوق سبارطة وولد سنة١٨٦٨وتزوج سنة ١٨٨٩ البرنسس صوفيا اخت وليم الثاني امبراطور المانيافولدت له خمسة اولاد (١) البرنس جورج ولد سنة ١٨٩٠ (٢) البرنس الكسندروولد سنة ١٨٩٣ (٣) البرنسس ايلين ولدت سنة ١٨٩٦ (٤) البرنس بولس ولدسنة ١٩٠١ (٥) البرنسس ايرين ولدت سنة ١٩٠٤ وللملك قسطنطين الحالي خمسة اخوة (١) البرنس جورج ولد سنة ١٨٦٩ (٢) البرنس نقولا ولد سنة ١٨٧٢ (٣) البرنسس ماريا ولدت سنة١٨٧٦ (٤) البرنس اندريا ولد سنة ١٨٨٢ (٥) البرنس خريستوفورولدسنة ١٨٨٨

الخديويات . مرّ الموكب في الشارع الخديوي فشارع عباس فميدان باب الحديد فشارع نوبار فشارع كامل الى سراي عابدين . وكانت ساحة عابدين مزدانة بالانوار الكهربائية باشكال جميلة والشوارع والساحات غاصة بالناس على طول الطريق يعدون بمئات الالوف . فضلاً عن الاسطحة والشرفات والقهوات وغيرها . لان اعيان البلاد تقاطروا الى القاهرة من سائر انحاء القطر المصري لمشاركة سمو المليك بافراحه . وكان الاحتفال بالغاً النهاية من الجلال والوقار . فندعو للعروسين بالرفاه والبنين ولا زالت ايام الامير مقرونة بالسعد والتوفيق



مطبوعات جديدة

﴿ التجارب ﴾ مجموع مقالات اجتماعية لولي الدين بك يكن الكاتب الاجتماعي الانتقادي الشهير . كتبها في اوقات مختلفة حسب التقلبات السياسية فجاءت حاوية كثيراً من الانتقادات الاجتماعية والملاحظات السياسية والفوائد الادبية على اسلوب عصري راقٍ يؤثر في النفس ويستنهض الهمم ويستهوي القراء . وفي شهرة صديقنا ولي الدين بك في عالم الادب ما يغني عن التقريظ . وقد عني بطبع هذه المقالات فؤاد افندي مغبغب . وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

﴿ الدر المنظوم لتسلية العموم ﴾ هو ديوان من الشعر العامي اللبناني نظم منصور افندي نصار العقل يتضمن ضروباً من الشعر العامي نظمها في سوريا واميركا وغيرهما يتخللها مناظرات جرت له مع بعض اصحاب هذه الصناعة فضلاً عن الالغاز والمراسلات والتشبيب والعتاب . وفيه اساليب من الشعر العامي لم نرها في ما نشر سواه . وقد صدر الجزء الاول من هذا الديوان في نحو ٣٥٠ صفحة هي نموذج حسن عن شعر عامة اللبنانيين وعاداتهم وآدابهم طبع في بيروت

﴿ La Doctrine Musulmane de l'Abus des Droits ﴾ هو كتاب قضائي حقوقي الفه بالفرنساوية الدكتور محمود افندي فتحي المحامي في بني سويف وهو الحلقة الاولى من سلسلة كتب قضائية يصدرها ادوار لامبير الاستاذ في جامعة ليون وناظر مدرسة الحقوق الخديوية سابقاً اسمها Travaux du Seminaire Oriental d'Etudes Juridiques et Sociales وفي صدر هذه الحلقة مقدمة بقلم الاستاذ لامبير المشار اليه. وهي تطلب من مكتبة جثنر في باريس وهذا عنوانها Paul Geuthner، 13 Rue de Iacob, Paris

﴿ تاريخ الصحافة العربية ﴾ الصحافة العربية من ثمار هذه المدنية في القرن الماضي وقد مرَّ عليها في أثناء نشوئها احوال شتى وانتشرت في اقطار العالم العربي وغير العربي وتشعبت وتوسعت وصدرت مئات من الجرائد والمجلات لم يبق منها الا معشارها وقد نشرنا خلاصة تاريخ الصحافة العربية في اول عدد صدر من الهلال منذ ٢١ سنة غير ماجاء فيه من ذكر الصحافة وتاريخها في أثناء هذه المدة . ولم يتصدَّ لتدوين تاريخها في كتاب على حدة قبل الفيكونت فيليب دي طرازي صاحب الكتاب الذي نحن في صدده . وهو يشتمل على تاريخ كل جريدة او مجلة عربية ظهرت في العالم شرقاً وغرباً مع رسوم اصحابها ومحرريها وتراجم مشاهيرهم . فهو كتاب فريد في بابه تأليفه شاق لا يستطيعه الا ذوو الهمم العالية نظراً لتشتت مواده وصعوبة الوصول اليها . صدر الجزء الاول منه في ١٦٠ صفحة مزينة بالرسوم وهو يطلب من حضرة المؤلف في بيروت

﴿ النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ﴾ كتاب تاريخي اجتماعي ديني للاب لويس شيخو اليسوعي . وهو من اوعر المواضيع واهمها صدر القسم الاول منه ويشتمل على تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية وفيه ابحاث جديدة عوَّل فيها المؤلف على عشرات من كتب التاريخ والادب والدين في العربية وغيرها فهو نتيجة عمل شاق مثل اكثر مؤلفات زميلنا الاب شيخو

﴿ ميمر ابي قرة ﴾ هو مقالة لثاودورس ابي قرة اسقف حران في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع للميلاد في وجود الخالق والدين القويم . نشره الاب شيخو المشار اليه

﴿ مناهج الادب ﴾ هو كتاب مدرسي اخلاقي اجتماعي اقتصادي لامين واصف بك مدير الجيزة وضعه على نسق يسهل على تلاميذ المدارس تناوله . فجعله في شكل السؤال والجواب او المباحثة بين الاستاذ والتلميذ ليسهل رسوخه في الذهن . وقد اصدره في اربعة اجزاء كل جزئين في كتاب . فاختص الاول والثاني في الاخلاق والاجتماع . والثالث والرابع في النظام الاداري والاقتصادي والسياسي . وقد قررت نظارة المعارف تعليم هذا الكتاب في المدارس الابتدائية والثانوية وفيه فوائد هامة اذا تفهمها التلاميذ خرجوا للعالم وهم على بينة من اكثر الاصول اللازمة في مطالعة ما يطلبونه من المواضيع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتاريخية وغيرها . ويجدر بسائر المدارس ان تقتدي بنظارة المعارف في تعليمه . وهو يطلب من مكتبة الهلال

وثمن كل جزئين ٦ غروش والبريد غرش

﴿ التربية والتعليم ﴾ كتاب اجتماعي تهذيبي لمحمد افندي امين . نشرت فصوله تباعاً في « الجريدة » ثم جمعت في هذا الكتاب . في صدره مقدمة بقلم الاستاذ احمد بك لطفي السيد مدير الجريدة . والكتاب يبحث في العلة الاجتماعية التي نشكو منها مع وصف الدواء . وقسمه الى اطوار في البيت فالمدرسة فالمجتمع من حيث التربية الجسمية والعقلية والاخلاقية . ويطلب من حضرته وثمن النسخة خمسة غروش والبريد غرش

﴿ البؤساء ﴾ رواية فيكتور هوغو « الميزرابل » وهي في اصلها الفرنساوي تدخل في ثمانية اجزاء فلخصها نقولا افندي رزق الله منشىء مجلة الروايات الجديدة في مئة صفحة تسهل على المطالع فهم تلك القصة وما اراده المؤلف من العبرة فيها . وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد نصف غرش

﴿ مركز المرأة في الاسلام ﴾ هو من اهم الكتب الاجتماعية تأليف السيد الامير علي الهندي عربه علي افندي فهمي محمد . وعني الياس افندي زخورا بطبعه ونشره وذيل هذه الطبعة بفصول في المرأة الاقتصادية . وهو يطلب من حضرة الناشر بمطبعته في مصر ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٥ غروش والبريد غرش

﴿ ارجح المنقول في تاريخ دير البتول ﴾ هو كتاب يشتمل على تاريخ دير صيدنايا في الشام وترجمة بانيه وسائر ما يتعلق به تأليف مخائيل افندي زربطاني نزيل مونتريل كندا

﴿ الفاروق ﴾ جريدة اسلامية علمية اجتماعية ادبية تصدر في جزائر الغرب مرة في الاسبوع لصاحبها « ابي حفص » ومدير تحريرها عمر افندي بن قدور الجزائرلي بدل اشتراكها ثمانية فرنكات

﴿ مدرسة التهذيب ﴾ مجلة مدرسية تهذيبية تصدر بالشويفات بلبنان مرة في الشهر لمنشئها القس طانيوس سعد ومحررها عمسيح ت . وزيريان بدل اشتراكها اربعة فرنكات

﴿ لسان العرب ﴾ هو مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية مزينة بالرسوم تصدر في الاستانة مرة في الشهر لمنشئها احمد افندي عزت الاعظمي بدل اشتراكها مجيديان

﴿ الادلة الاسلامية على تحرك الكرة الارضية ﴾ هي رسالة في هذا الموضوع للشيخ احمد موسى الزرقاوي الفلكي مدرس علم الفلك بالازهر بمصر وبالجامع الاحمدي في طنطا وتطلب من مكتبة الهلال وثمنها غرشان

الهلال

الجزء الثامن من السنة الحادية والعشرين

اول مايو (ايار) سنة ١٩١٣ و ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٣١

آجال الدول

او اعمارها قديماً وحديثاً

الدولة والامة

الدولة في الاصطلاح السياسي الملك ووزراؤه ورجال حكومته . والامة الجيل من الناس او القوم لهم جامعة تجمعهم وتربط بها الرعية . ويشترطون في الدولة التحضر والاستقرار في مكان معين . فيخرج بهذا التعريف الامارات البدوية اوما هو في معناها

فالمملكة مؤلفة من الدولة والامة وكلاهما من الاحياء او توابع الاحياء تخضعان لناموس التحول اوالنشؤ . وتنطبق عليهما سنن الاحياء من حيث التولد والنمو والتفرع والشيخوخة والموت . فلكل دولة اجل ولكل امة أجل تمرُّ فيه باطوار تتنقل فيها تنقل الافراد في اطوار الحياة من الولادة الى الموت . ويمكن المقابلة بين حياة الفرد وحياة الامة اوالدولة في كل طور مقابلة اجمالية . ويكاد يكون لكل منها قواعد عامة في ذلك الانتقال تشترك فيه الدول والامم في كل عصر . فكما يقال عن الفرد انه بلغ طور الشباب او الكهولة او الشيخوخة مثلاً يستعار هذا التعبير للدلالة على اطوار الامة او الدولة وان كانت هذه الاطوار اقل وضوحاً في الجماعات مما في الافراد

والغرض من هذه المقالة بسط آجال الدول اي الاطوار التي تمرُّ فيها الدولة من

النشؤ الى الانقضاء وما تتقلب عليه في أثناء حياتها من الاطوار او ما ينتابها من الامراض وهل يمكن مداواتها . لكن الباحث في الدول على اختلاف الاعصر يرى فرقاً واضحاً بين الدول القديمة والدول الحديثة وقد اختلفت الاطوار بينهما اختلافاً بيناً باختلاف نظامات كل منهما . وهي في هذا الاعتبار تقسم الى الدول الاستبدادية واكثرها نشأت في التمدن القديم والدول الدستورية وهي من ثمار التمدن الحديث . فيصح ان نسمي الاولى الدول القديمة والثانية الدول الحديثة فلنبحث في آجال كل منهما على حدة

اجال الدول الاستبدادية

نريد بالدول الاستبدادية الحكومات المطلقة التي لا يقيد ملوكها بقانون ولا تشاركهم الامة في شيء منها . ولكل من هذه الدول اطوار تمرُّ بها من النشؤ فالنمو فالشباب فالكهولة فالشيخوخة فالهرم فالموت . وحباً بالاختصار نقسم تلك الاطوار الى النشؤ والنمو والرسوخ والضعف والهرم والموت

اولاً — طور النشؤ او التكون

ذكر التاريخ عشرات او مئات من الدول الاستبدادية ظهرت من اول عهد التاريخ الى اوائل هذه المدنية . غير ما لم يدركه التاريخ وهو كثير . ولكل منها مكان ولدت فيه وزمان نشأت او تكونت في اثنائه لكنها تختلف في ذلك باختلاف الاحوال والاعصر والاقاليم وترجع في اصول نشأتها على الاجمال الى ثلاث طرق :

١ — النمو الطبيعي

نعني ان كثيراً من هذه الدول تولدت في الامة بطبيعة العمران اقتضى تكونها افتقار الامة الى وازع يقضي بين افرادها . فتولدت فيها حكومة الآباء فامارة القبيلة فسلطة الملوك وهي الطريقة الطبيعية لنشؤ الدول . ويكثر ذلك خصوصاً في الامم التي نشأت في البقاع الخصبة كوادي النيل ووادي الفرات . فيغلب على الظن ان الدول نشأت في كل منها بطبيعة الاقليم اذ تكاثروا وتعددت حاجاتهم فافتقروا الى الحكومة فتكونت عندهم قبل عهد التاريخ . ويصح ذلك خصوصاً على الدول الاولية في مصر وبابل واشور وفينيقية وفارس ونحوها

على ان هذه الدول لم يطل حكمها خلفتها دول فاتحة جاءتها من الخارج طمعاً بالسلطة او التماساً للمعاش . وهو طريق آخر لتكون الدول اقرب عهداً في التاريخ .

فان الدول التي ذكر التاريخ تسلطها على تلك البقاع جاء اكثرها فاتحاً وبعضها لم يكن قبل ذلك الفتح دولا وانما كانت قبائل بادية تعيش على الغزو او السائمة. فلما تغلبوا على تلك الامم انشأوا فيها دولاً توالى الحكم في اعقابها كالرعاة (الهيكسوس) بمصر والحموراببين في بابل والاسرائيليين في الشام والعرب بعد الاسلام في الشرق الادنى. فان تلك الدول وامثالها نشأت بالفتح والانتقال من البداوة الى الحضارة وهو الطريق الثاني من طرق تكون الدول

٢ — نشوء الدول بالفتح

ان تكوُّن الدول بالفتح من ضروريات العمران ايضاً . والغالب فيها ان تكون في الاصل قبائل بادية تعوَّدت شظف العيش وخشونته وآنست من جيرانها المتحضرين ضعفاً اقتضته عوامل المدنية من الرخاء والترف فطمعت بهم واستولت على مافي أيديهم من اسباب النعيم — والحصول على اسباب الحضارة والعيش الرغيد مطمح انظار البدوي — وقد ذهب الرخاء ببسالة المتحضرين وقضت شيخوخة الدولة بتفكك جامعتهم كما ستراه في مكانه . فتغلبهم على ما في ايديهم من المال والسلطان وتنشئ على انقاض دولتهم دولة شابة نشيطة في مقتبل العمر. والغالب ان تقتبس ما خلفته تلك من القوانين والشرائع والعادات ونحوها وتنوعها لتلائم طبائعها. كما فعل الجرمان الذين سطوا على المملكة الرومانية من الشمال والعرب الذين سطوا عليها من الجنوب . لكن هؤلاء كانوا اقل تقليداً للرومان في احكامهم وشرائعهم لانهم قاموا للفتح باسم الدين ومعهم كتاب امروا بنشره والعمل به فجعلوه اساس شرائعهم واحكامهم . واقتصر تقليدهم في البلاد المفتوحة على نظام الحكومة وبعض الاحوال الاجتماعية

اما الجرمان فانهم لم يجيئوا بدين ولا كتاب فاضطروا بطبيعة العمران ان يقلدوا البلاد المفتوحة بكل ماكان فيها من دين واجتماع وشرائع ولم ينشئوا دولاً تستحق الذكر الابتوالي الاجيال . اما العرب فلم يمض القرن الاول من نهوضهم حتى انشأوا دولة خفقت اعلامها على اسيا وافريقيا واوربا ونظموا الحكومة ووضعوا الشرائع والاحكام

والدول التي نشأت بالفتح كثيرة في التاريخ القديم منها في التمدن الاسلامي السلاجقة والمغول والعثمانيون . فالسلاجقة كانوا قبيلة بادية طمع اميرها بالفتح فاسلم هو ورجاله واكتسحوا المملكة الاسلامية . وجنكيزخان المغولي عليها حمل برجاله فاخرب واحرق واسس دولة المغول على الدماء والنيران . والعثمانيون جاء جدهم سليمان بقبيلته

فاراً من المغول الى اسيا الصغرى فاسس ابنه عثمان دولة آل عثمان . وقس على ذلك كثيراً من الدول التي نشأت بالفتح

وللقيام بالفتح على هذه الصورة شروط لا غنى عنها لمؤسس الدولة اهمها جامعة تجمع رجاله حوله كعصبية النسب او جامعة الدين . فضلاً عن البسالة والقوة فانهما متوفرتان في اهل البادية من طبيعة احوالهم . فالسلاجقة استعانوا في انشاء دولتهم بالعصبية وهي اجتماع القبيلة بنسب مشترك او ما يقوم مقامه . وكذلك فعل المغول . اما العرب فانهم جمعوا السببين معاً جامعة الدين وجامعة النسب فاخضعوا معظم العالم المتمدن في الشرق باقل من عشرين سنة . وكانوا في قلة وشظف من العيش وانما غلبوا بالاتحاد المبني على الجامعة العربية والحمية الدينية . لكن الدين اكثر تأثيراً في بقاء الدولة ورسوخها وجمع الكلمة في الدفاع عنها . لان اهل الاعتقاد الواحد يعملون بقلب واحد ويد واحدة ويعتقدون برابطة دائمة بينهم في الدنيا والآخرة . واما عصبية النسب فانها تربط اصحابها في هذه الدنيا فقط فضلا عما في جامعة الدين من ثبات الدولة بعد ذهاب طبيعة البداوة

اما في اول الفتح فاذا لم يكن للفاتحين عصبية تجمعهم لم تغنهم جامعة الدين كما اصاب الافرنج لما حملوا على الشرق في حروبهم الصليبية فقد كانوا يجمعون بالدين ويتحمسون به لكنهم كانوا فرقاً من عصبيات مختلفة فحال ذلك دون اتمام عملهم

على ان العصبية والدين والبداوة لاتفيد شيئاً ان لم تكن الاسباب متوفرة في الخارج فلا يكون للبلاد المراد فتحها من يمنعها او يدافع عنها كما حدث في السودان باواخر القرن الماضي فقد نهض المهدي بجامعة الدين وحماسته وخشونة البداوة وجامعة اللغة والجنس واوشك ان يفعل ما فعله العرب في صدر الاسلام لو لم يتدارك الانكليز عمله ويقفوا في طريقه

٣ — نشوء الدول بالتفرع

هو اقوى العوامل الطبيعية في تكوُّن الدول لانه مبني على سنة النشوء والارتقاء وهي تقضي بالنمو والتفرع — وبها تولدت انواع الحيوان واصناف البشر ولغاتهم وآدابهم وعاداتهم وسائر احوالهم بالانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح . ينمو الحي فاذا بلغ اشده تناسل او تفرع ثم استقل كل فرع بنفسه حتى يبلغ اشده ويتفرع . وهكذا شأن الدول وهي من توابع الاحياء . فالدولة تنمو ويتسع سلطانها وتمتد سطوتها وتمرُّ بدور الشباب فالكهولة الى الهرم وهي تتفرَّع وتستقل فروعها شيئاً فشيئاً حتى

تصير دولاً مستقلة ثم تمشي كل منها على هذه الوتيرة

واذا تتبعت التاريخ المعروف من اقدم ازمانه رأيت اكثر الدول التي نشأت في أثنائه انما كان نشوءها بالتفرع . ومعنى ذلك ان الدولة الكبرى اذا اصابها الهرم واستولى الفساد على اعضائها الرئيسية في عاصمة الملك طمع الولاة والعمال في الاطراف بالاستقلال عنها فيطلبونه بالقوة او يغتنمون الفرص للانسلاخ او يتدرجون اليه رويداً رويداً . وفي كل حال فانهم لا يلبثون ان يستقل كل وال بامارته وينشئ لنفسه دولة

هكذا نشأت معظم دول اوربا الحديثه واكثرها فروع للدولة الرومانية استقلت عنها في اعصر مختلفة وبوسائل مختلفة — وهكذا اصاب الدولة العباسية لما بلغت ابان اتساعها في القرن الثاني للهجرة فاخذت بالتفرع من اواسط ذلك القرن وانفصلت فروعها عنها الأبعد فالابعد . فاستقل اولاً الادارسة والاغالبة في المغرب ثم الطاهريون في فارس والطولونيون بمصر والحمدانيون في حلب . وقس على ذلك الدول الغزنوية والصفارية والزيارية وغيرها فانها تفرعت من الدولة العباسية . واعتبر ذلك بما اصاب دولة الامويين في الاندلس كيف تفرعت لملوك الطوائف . وهذه الدولة العثمانية تفرع منها الى الآن دول البلقان وتونس والجزائر ومصر والسودان وغيرها بطرق مختلفة على درجات متفاوتة

ثانياً — طور النمو والرسوخ

قد علمت كيف تنشأ الدولة وهو دور الولادة . ثم يأتي دور النمو الذي تتقوى به الدولة ويتسع سلطانها وترسخ اصولها . ولها شروط اذا لم يتدبرها اصحابها ويعملوا بها ذهبت اعمالهم عبث — هاك اهمها :

١ — الفتح والاستعمار

الفتح اظهر اسباب التوسع بالملك واكثر الدول التي نشأت في التمدن القديم اي في الطور الاستبدادي اتسع سلطانها بالفتح وهو كالغذاء للمولود يقويه وينميه . هكذا فعل اليونان والرومان والعرب والمغول والاتراك على اختلاف دولهم من السلاجقة فالاتابكة فالعثمانيين وغيرهم وان تفاوتوا في كيفية الفتح واشكاله واسبابه وانما هو على الاجمال يعدُّ طبيعياً لان الدولة الجديدة كالمولود الجديد تطلب النمو واعضاؤها سليمة نشيطة يسهل عليها الهضم والتمثيل . لان القوم الذين يوفقون الى انشاء دولة يغلب ان يكونوا اشداء ولا سيما اذا كان انشأوها بالفتح وكانوا من اهل البادية وفيهم عصبية

النسب . فهؤلاء اذا ذاقوا لذة النصر بالفتح ووضعوا ايديهم على ما هنالك من الغنائم والثروة وسائر اسباب الحضارة استخفوا بسواهم وزادوا رغبة في الفتح . ويهون عليهم ذلك لما يقع من رهبتهم في نفوس الناس وهم لا يزالون في اول الدولة اهل عمل ونشاط على الفطرة الطبيعية التي تقتضي النظر الى حقائق الامور بلا التفات الى الظواهر الفارغة التي تتولد في اواخر اطوار الدولة

على ان الفتح وحده لا يضمن بقاء الدولة بل هو بنفسه قد يكون مؤذناً بالخراب ان لم تتوفر الاسباب المساعدة على استبقاء البلاد المفتوحة وترقية شؤونها . هذا تيمورلنك فتح المشرق وتغلب على بيازيد سلطان العثمانيين وارعب العالم لكن معظم فتوحه ذهبت عبثاً بعد موته . واعتبر ذلك بفتوح نادرشاه الفارسي وغيره وانما يشترط مع الفتح لتأييد الدولة شروط لا بد منها وهي :

٢ — الاستكثار من اهل العصبية في البلاد المفتوحة

كان ذلك من الطرق المتبعة في التمدن الاستبدادي فاذا فتح القوم بلداً جاؤا اليه باقوام من اهل عصبيتهم يقيمون بجوارهم . كذلك كان يفعل العرب ليؤيدوا سلطانهم ببطون من قبائلهم يستقدمونهم الى البلاد المفتوحة يتمتعون بارضها وغرسها . حتى الامراء في النواحي كان احدهم اذا خاف ضعفاً في جنده او آنس شراً من منازع له على السلطة استقدم جماعة من قبيلته يقيمون في ضواحي بلده يفرض لهم العطاء او يطبق لهم المرعى ليستنفرهم عند الحاجة كما فعل الوليد بن رفاعة لما تولى مصر في خلافة هشام بن عبد الملك الاموي وكان هشام يقرب قبيلة قيس (العدنانية) لانهم نصروه وايدوا خلافته ولم يكن منهم في مصر الا بعض البطون وقيس قبيلة كبيرة تحتها عدة قبائل وبطون وافخاذ . واول من نبه هشام الى نقلهم ابن الحبحاب فانه وفد عليه فسأله ان ينقل الى مصر منهم ابياتاً فاذن له في الحاق ثلاثة الاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر اي ان يقبضوا رواتبهم من حكومة مصر

وهكذا فعلت الدول التي انشئت على انقاض الدولة العباسية او تفرعت منها كالاتراك والمغول والفرس والاكراد والجركس ونحوهم . فان كل امير او سلطان من هؤلاء كان يستقدم من اهل قبيلته او عصبيته من يأخذ بناصره عند الحاجة . وكانوا يستقدمون على الخصوص اهل البداوة والشدة لانهم اقوى على الجلاد والدفاع . وربما استقدموا القبائل البدوية يصطنعونها للاستعانة بها وان لم تكن من عصبيتهم لانهم كانوا يرون فضل البداوة في الحرب

والاستنصار بالعصبية في تأييد الدولة من جملة القواعد التي وضعها مكيافيلي في كتابه « الامير » اشار بذلك لتأييد سلطة الفاتح خوفاً من تآمر اهل البلاد المفتوحة عليه

٣ — انتقال الملك الى من يحسن تدبيره

نعني من يخلف الامير الفاتح والدولة في اول امرها لم ترسخ قواعدها . فاذا مات الملك او الامير ولم يكن خلفه عاقلاً حازماً ذهب الفتح عبثاً . واذا وقع ذلك بعد رسوخ الدولة أضرّ بها لكنه لا يهدمها . اما في اول الدولة فاذا خلف الفاتح ملكٌ ضعيف او لم يكن له من يخلفهُ من اهل عصبيته ذهبت دولته كما اتفق للاسكندر وقد انشأ مملكة لم يسبقه الى مثلها احد قبله . لكنه لم يكد يموت حتى تفرَّعت وصارت دولاً متفرقة

وهذا المهدي السوداني انشأ دولة توفرت في انشائها اهم الاسباب المتقدم ذكرها وفتح بلاداً وانشأ دولة ووضع شرائع وانما كان ينقصه خليفة عاقل يدبر ما خلفه له من الملك . فلو وفق الى ذلك لم تذهب دولته بعد موته . نعني ان خليفته التعايشي لو كان حكيماً عاقلاً مدبراً — لا نقول انه استطاع الوصول الى ما كان المهدي يطمع به من الملك الواسع لان الحال السياسية العامة اليوم لاتساعد على ذلك — لكننا نعتقد انه لو احسن التدبير لما وجد الانكليز حاجة الى محاربته وانما يكفيهم ان يعاهدهم على فتح طريق التجارة وحماية مصالحهم . واعتبر ذلك بنادر شاه الفارسي وتيمورلنك المغولي وشارل العظيم وغيرهم من الفاتحين العظام الذين انشأوا دولاً لم تبق اما لضعف من يخلفهم او لاسباب اخرى . وقد يكون الملك الذي تنتقل اليه الدولة ضعيفاً ولا يضرُّها ضعفه اما لقصر مدة حكمه او لقيام بعض اهل الدهاء من خاصته بالامر دونه كما اتفق ليزيد بن معاوية

٤ — المصانعة بعد الفتح

اذا تمكن الفاتحون من الاستيلاء على بلد او الحلول محل دولة فالحكمة تقضي عليهم بمصانعة المغلوبين والاحسان اليهم ليكسبوا قلوبهم لانهم لايستغنون عنهم في تدبير شؤون ذلك البلد واستثمار ارضه وهم غرباء عنه . ولاسيما اذا كانوا اهل بادية لايعرفون سياسة الملك ولا ادارة شؤون الدولة . فاذا لم يحسنوا معاملة البقية الباقية من تلك الامة بعد الفتح عرضوا ملكهم الجديد للضياع كما فعل المغول لما اكتسحوا المملكة الاسلامية بقيادة جنكيزخان ثم تيمورلنك فانهم عمدوا الى تخريبها وقتل اهلها واحراق مبانيها فلم يستقر سلطانهم الا ريثما جاء من دعاهم الى الخروج فخرجوا

خلافاً لما فعله العرب لما فتحوا الشام والعراق ومصر وفارس في صدر الاسلام فانهم جاسنوا من دخل في سلطانهم من اهل الذمة وأقروهم على ما كانوا عليه كما هو مشهور . ولعلهم اقتدوا في ذلك بسياسة التألف التي جرى عليها النبي بعد فتح مكة فانه سمى اشراف مكة الذين اسلموا بعد الفتح «المؤلفة» اشارة الى تأليف قلوبهم لتتألف بهم قلوب اقوامهم تعزيزاً للاسلام . فكان اذا غزا غزوة وفرق الغنائم في اصحابه بدأ بالمؤلفة قلوبهم فاعطى ابا سفيان وغيره من اشراف مكة اكثر مما اعطى اصحابه الذين هاجروا معه ونصروه . فشق ذلك على هؤلاء فتشا كوا فيما بينهم وقالوا «كيف يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا لا تزال تقطر من دمائهم» فبلغ ذلك الى النبي فجمعهم وسألهم فاعترفوا له بما قالوا فصوب قولهم ولكنه قال لهم «اني لأعطي رجالاً حديثي عهد بالكفر أتألفهم ليحسن اسلامهم ويسلم غيرهم تبعاً لهم . وأما انتم فوكلتكم الى اسلامكم الثابت الذي لا يتزلزل — الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا انتم برسول الله الى رحالكم ؟ . . »

فلا عجب اذا اقتدى المسلمون به في مصانعة من دخل في سلطانهم من المغلوبين على امرهم . وكان لذلك تأثير حسن في نشر الاسلام وتأييده . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ٤٦ — ٥٨

٥ — نشر لغة الفاتحين

من اكبر الاسباب المؤيدة للدولة في مملكتها نشر لغتها بين رعاياها . فاذا صارت لغتها لغتهم اصبحوا يعدون انفسهم من جنسها وربما ادعوا الانتساب الى آبائها . فتأمن بذلك من القيام عليها بنعرة الجنس — هكذا فعل العرب في صدر دولتهم فجعلوا اللغة العربية لغة الحكومة الرسمية لايقبلون التخاطب الا بها . والفضل في ذلك للدولة الاموية وهي الدولة العربية الصميمة لم يقم بعدها دولة تغار على العرب مثل غيرتها . استتب الامر للامويين في زمن عبد الملك وقد اتسعت مملكتهم واهلها من امم شتى يتكلمون اليونانية والفارسية والكردية والقبطية والسريانية والنبطية والعبرية والبربرية وغيرها . وكانت اعمال الحكومة تجري باللغات الثلاث اليونانية في الشام والفارسية في العراق والقبطية بمصر . وكأنهم نظروا الى المستقبل البعيد فخافوا ان يكون تفرق اللغات باعثاً على الانقسام لتعدد الاجناس — وهم لا يريدون ان يسود غير العرب — فامروا ان تكون اللغة العربية لغة الدواوين الرسمية لا يقبلون التخاطب بسواها

فاخذت تنتشر في الاهلين رويداً رويداً حتى اصبحت اللغة السائدة وذهبت اللغات اليونانية والقبطية والفارسية وسائر اللغات التي كانت في تلك البلاد وصار اهلها يعدون انفسهم عرباً ونسوا جنسياتهم الاصلية . وبعضهم ينتحل النسب العربي في بني غسان أو لخم او غيرهما تفاخراً بتلك العصبية وان لم يكن منها

وهكذا فعل الرومان بنشر لسانهم (اللاتيني) في ممالكهم الغربية في جنوبي اوربا فاصبح اهلها يفتخرون بالنسب الروماني لانهم يتكلمون اللغة اللاتينية . وقد ساعد ذلك على تأييد سلطانهم . وهكذا فعل البورتغال بنشر لسانهم في اميركا الجنوبية والانكليز في اميركا الشمالية . ولو فعل العثمانيون ذلك في اول دولتهم لاغناهم عن تفرق العناصر في مملكتهم وهو من اكبر اسباب ضعفهم وتضعضع احوالهم . لان اهل الشام والعراق ومصر لو أُكرهوا في ابان الدولة العثمانية على اتخاذ اللغة التركية لكانوا يعدون انفسهم اليوم اتراكاً — يدافعون عن العنصر التركي كما يدافع اهل سوريا ومصر عن العرب وفيهم من لا اثر للعربية في نسبه . وبعض المسلمين منهم يرجعون بانسابهم الى اصول تركية او شركسية او كردية او البانية معروفة . وبعض المسيحيين اسمهم يشهد بانهم ايطاليان او يونان او افرنج ولكنهم يتكلمون العربية ويعدون انفسهم عرباً

٦ — تعميم مذهبهم الديني

قد علمت ما لجامعة الدين من التأثير في جمع الكلمة فمن اكبر اسباب تأييد الدولة الفاتحة ان تنشر دينها في رعاياها فتتأيد به بتعاقد القلوب . وجامعة الدين امتن من جامعة اللغة في التمدن القديم . وكلما تقدم الناس في المدنية الحديثة رجحت جامعة اللغة على جامعة الدين لان اهل اللغة الواحدة يقيمون على الغالب في وطن واحد واللغة معناها اذ ذاك « جامعة الوطن » وهي افضل الجامعات لتبادل المصالح والمنافع . واذا اضيفت اليها جامعة الدين زاد تعاقد القوم وقويت اسباب اتحادهم . فاذا كان سوادهم من مذهب صاحب الدولة ايدوا سلطانه . والا كان من السياسة ان ينتحل هو مذهبهم كما فعل السلاجقة لما نهضوا لفتح المملكة الاسلامية . وكما يفعل بعض ملوك اوربا اليوم مراعاة لشعائر رعاياهم

واذا تتبعت تاريخ الامم القديمة في عهد الوثنية رأيت من قواعد الفتح عند اكثرهم ان يتسلط آله الفاتح على آلهة القوم الذين دخلوا في سلطانه . فينزع اصنامهم من هياكلهم وينصب صنمه في مكانها . وهكذا فعل اصحاب الديانات الكبرى الشهيرة . فقياصرة

القسطنطينية حالما تنصروا امروا رعاياهم باعتناق النصرانية . ولما ابطأوا في تنفيذ اوامرهم حملوهم على ذلك كرهاً . فبعث ثيودوسيوس الكبير اوامره الى عماله في مصر والشام ان يكسروا التماثيل ويحولوا الهياكل الوثنية الى كنائس . ففعلوا ذلك في بعلبك ودمشق وغيرهما . فجعلوا اكثرها كلها معابد للنصرانية وقد تحوّل بعضها بعد الفتح الاسلامي الى جوامع . اشهرها الجامع الاموي في دمشق اصله هيكل وثني جعله النصارى كنيسة باسم القديس يوحنا ثم جعله المسلمون جامعاً . وكذلك هيكل الشمس في بعلبك وغيره . غير سعي القياصرة وولاتهم في نشر النصرانية . واعتبر ذلك الآن بسعي طوائف النصرانية في نشر مذاهبها

وهكذا فعل المسلمون وان لم يكرهوا اهل الذمة على الاسلام كما فعل قياصرة الروم لكن نشر اللغة العربية ورسوخ قدم المسلمين في السيادة بعث على تغلب الاسلام في الشرق الاسلامي . فساعد ذلك على تأييد دولة الاسلام في المملكة الاسلامية باسيا وافريقيا ولو استطاعوا مثله في اسبانيا وغيرها من البلاد التي فتحوها في اوربا لطال مكثهم هناك اكثر من ذلك

على ان البقية القليلة التي ظلت من المسيحيين في المملكة الاسلامية كانت سبباً لمداخلة دول اوربا الحديثة بشؤون الدولة العثمانية واحياء المسألة الشرقية . وكأن الاسبان استفادوا من هذا الخطأ فلما تغلبوا على المسلمين خيروهم بين النصرانية والخروج من مملكتهم فلم يبقَ فيها مسلم . وجملة القول ان تدين الامة بدين الدولة يسهل خضوعها لها والا فان تفرق الاديان يبقى سوساً ينخر في جسم الدولة لا تظهر اضراره الا في شيخوختها فيساعد على انقضائها

٧ — التجنيد والتحصين

ان هذا الشرط طبيعي لتأييد الدولة وحفظها وان اختلفت طرقه باختلاف العصور واحوال المدنية . اما في الدول القديمة فالتجنيد كان له شأن خاص في جملة الاستقواء بالعصبية من تجنيد قبيلة الفاتح او من هم من عصبيته . وهذا شرط لا بد منه في اول الدولة ريثما ترسخ قواعدها ويستتب لها الامر . ثم يصطنعون الجند من غير قبائلهم يستأجرونهم في وقت الحرب او يجندونهم ويقيمونهم في اكناف مملكتهم لحين الحاجة يتقوون بهم على من يناوئهم من اهل عصبيتهم او غيرهم ممن ينازعهم على الملك كما فعل العباسيون باصطناع الاتراك وكان ذلك من اسباب تقهقر تلك الدولة وانتقالها الى الكهولة

ثالثاً — كهولة الدولة

اذا تأيدت الدولة بالاسباب التي قدمناها كلها او بعضها ورسخت قدمها واتسع سلطانها وبلغت ابان مجدها في اواسط تاريخها كما اصبحت الدولة الرومانية في ايام أوغسطس والعباسية في ايام الرشيد والدولة العثمانية في زمن السلطان سليمان القانوني . ثم تأخذ بالتقهقر ويتطرق اليها الضعف رويداً رويداً حتى تصير الى الكهولة فالشيخوخة . وقد قسم ابن خلدون عمر الدولة الى خمسة اطوار: (١) طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من الدولة السابقة (٢) استبداد صاحب الدولة الظافرة على قومه واهل عصبيته والاستئثار بالملك دونهم (٣) طور الفراغ والدعة (٤) المسالمة والاقتناع بما حصل (٥) الاسراف والتبذير وهو آخر الاطوار وينتهي بالانقراض . وهو يرى ان عمر الدولة من ظهورها الى انقراضها لا يزيد على ١٢٠ سنة . وقد علل ذلك في مقدمته تعليلاً لا بأس به . لكن درسه مبني على تدبر تاريخ الاسلام فقط وهو وجه من اوجه التاريخ لا تكون القضايا المستنتجة به ثابتة الا اذا ايدتها سائر حوادث التاريخ

واليك ما وصلنا اليه بعد التوسع في ذلك . فنبدأ باسباب تطرق الضعف الى الدولة الاستبدادية وهي كثيرة نختصرها بما يلي :

١ — التنافر بين الملك واهله

والسبب في ذلك ان الفاتحين اهل العصبية لا بد لهم من رئيس يتولى قيادتهم . فاذا تمَّ لهم التغلب وتربعوا في دست الدولة توهم كل منهم انه صاحب الفضل الاعظم بذلك الفتح . وأحرِ بالامير الاكبر ان يتوهم ذلك في نفسه ولا سيما بعد ان تأخذه ابهة الملك ويسكر بخمر الانتصار . فيقوم في اعتقاده ان ذلك الفتح انما تمَّ بتدبيره ودهائه — وطبيعي في الانسان اذا نجح في عمل ولو كان نجاحه صدفةً ان يأخذه الغرور ويتوهم نفسه افلاطون زمانه وان ما ناله من النجاح انما كان سببه تفرده بالذكاء والتعقل . فكيف بالملوك وفتح الممالك ؟ فاذا توهم الامير ذلك في نفسه شق عليه ان يسمع ما يخالفه من رجاله ولا سيما اهله الذين يجوز للواحد منهم ان يخلفه في الرئاسة . فيبدو ذلك منه وهو يحاول اخفاءه فتتبادل المنافرة بين القلوب سرًا ولا تصير الى المكاشفة الا بعد حين او لباعث . والملك يزداد مع الزمان حذراً من اهله وتختلف طرق تصرفه معهم او معاملته اياهم باختلاف مزاجه ودرجة تعقله وسائر احواله لكنه في كل حال يخاف على منصبه منهم

٢ — الاركان الى الحضارة

ويصح هذا خصوصاً على الدولة الفاتحة التي اصلها من اهل البادية . فهذه لا تلبث ان تتحضر حتى تضعف قوتها ويلين عرقها ويذهب ما كان لها من شدة البأس ويصير اهلها الى الرخاء والتمتع بالملذات . ولا يمكن تعيين الوقت اللازم لتطرق الضعف فانه يختلف باختلاف طبائع الامم والاحوال المحيطة بها . فقد يتم ذلك بقرن او بعض القرن وقد يستغرق عدة قرون . وهذا الرخاء انما يصيب الملك ووزراءه ورجال دولته لان الاموال في الحكم الاستبدادي تصير الى هؤلاء . وقد تكون الرعية في اشد الضنك الا من التف حول رجال الدولة وارتزق بالتزلف اليهم ومصانعتهم والقيام بما يحتاجون اليه من اسباب الملاذ

٣ — اصطناع الجند

فالترف والرخاء يؤثران في رجال الدولة فتذهب منهم شدة البأس فيركنون الى الملاهي والملذات ويقعدون عن الحرب . وبعد ان تكون قيادة الجند في أيديهم يعهدون بها إلى بعض صنائعهم . لان الملك لا يثق ان يعهد بها لبعض اهله لئلا يسوقه الظفر الى الاعتزاز بنفسه والخروج عليه . فيعهد بالقيادة الى من خبر بسالتهم وصدق طاعته من الصنائع او الجنود المأجورة — وهم يستولون على أعطيتهم من الملك فلا غنى لهم عن طاعته والاخذ بناصره . وقد يبلغ خوف الملك من اهله أن يحجر عليهم او يقتلهم كما كان يفعل سلاطين آل عثمان . والشواهد على اصطناع الجند من غير عصبية الملك او غير قبيلته او اهله كثيرة في التاريخ القديم ولاسيما في الاسلام . فالمعتصم خاف خروج العرب او الفرس عليه كما خرجوا على اخويه الامين والمأمون فاصطنع الاتراك وبنى لهم سامراً واطلق لهم الارزاق وغمرهم بالاعطية كما هو مشهور . واقتدى به من جاء بعده من الخلفاء العباسيين ببغداد والمروانيين في الاندلس والفاطميين بمصر والعثمانيين في اسيا الصغرى . واصبح جند الخلفاء والسلاطين اكثرهم من الاتراك او الصقالبة او الشراكسة او البرابرة او الانكشارية أو غيرهم من غير العرب

فيزداد الملوك بذلك اركاناً الى الرخاء ويزدادون ضعفاً ويزداد قوادهم وصنائعهم نفوذاً في الدولة ودالةً على الملوك والسلاطين والخلفاء فيطمعون بالمناصب الرفيعة . فتصير اليهم الامارة في الاطراف او الوزارة في العاصمة او قيادة الجند في الحرب . ويصير العقد والحل في ايديهم يولون الخلفاء او الملوك ويعزلونهم أو يقتلونهم او يحجرون عليهم كما فعل الجند التركي بالخلفاء العباسيين والانكشارية بالسلاطين العثمانيين وغيرهم في الدول الاخرى

٤ — الجاسوسية

والملوك يصلحون خطأهم هذا بخطأ من نوعه . فاذا خاف الملك جنده واراد التخلص من استبداد قواده اصطنع جنداً آخر من جنس آخر واتى بقواد آخرين يعهد اليهم بحمايته . ويصبح همه المحافظة على حياته ومنصبه ويستولى عليه الخوف من كل انسان فتقوم الشحناء بين فرق الجند وقد تنشب بينهم الحروب في التنازع على النفوذ . والملك يبث الجواسيس والعيون يستطلع بهم نيات رجال دولته ويغريهم بعضهم على بعض . ذلك كان شأن اكثر الدول الاستبدادية في اواخر ايامها . واحدث الامثلة على ذلك ما كان يفعله السلطان عبد الحميد في المابين وعهدنا لا يزال قريباً بجواسيسه ومصانعته المقربين له على غل واصطناعه الاجناد من أمم لا يخاف خروجها عليه ممن لا صلة بينهم وبين رجال دولته . فاصطنع الشراكسة والالبانيين واقامهم في قصوره للمحافظة على حياته . ولم تسقط دولته الا بخروج الاجناد عليه في اطراف المملكة — فاعمال هذا السلطان صورة مكبرة لحال الدولة الاستبدادية في ايام ضعفها

رابعاً — هرم الدولة

اذا تكاثر المصطنعون اشتغل السلطان ووزراؤه بانفسهم عن الدولة وفسدت امورها . ويزيدها فساداً اضطرار الملك ورجاله الى النفقات الباهظة على انفسهم في سبيل الملذات وبناء القصور واقتناء الجواري والاستكثار من اسباب الترف مما تقتضيه الحضارة والانغماس في الرخاء . وزد على ذلك كثرة المصطنعين من الاجناد ومن يحوم حول الملك من الجواسيس والمنافقين — كل هذه تحتاج الى الاموال فيطلبونها باية وسيلة كانت ويكثرون الضرائب فتنتشر المظالم فيغضب الرعايا وينقمون ويتسارُّون فيما بينهم عن فساد الدولة ويتمنون الخلاص منها ويترقبون فرصة للخروج من سلطانها

اما الملك فلا يهمه يومئذ غير حفظ نفسه واستبقاء نفوذه فينفق الاموال في التجسس واصطناع الجند لحمايته . وقد يبلغ من الخلل في جسم الدولة ان يشتغل كل امير بنفسه ويقتني الجند لحماية شخصه خوفاً من الامراء الآخرين او من الملك . وكثيراً ما تنشب الفتن بين رجال النفوذ او بينهم وبين الملك وتضطرم الحروب بين الجنود . ويتنازع الخاصة وهم طلاب المناصب في التقرب من السلطان التماساً للكسب لانحصار المال هناك . ويشتد النزاع على اسباب الرزق فتكثر الاحزاب ويصبح الامر فوضى . فيعجز

الملك عن تدبيره اذ ليس شيء من الامر في يده وانما هو الى الامراء ورؤساء الاجناد فتسيء حال الرعية لمبالغة الحكومة في استنزاف اموالهم واشتغالها عن رعايتهم بالتنازع على النفوذ والاموال . وتختلف صور التنازع باختلاف ابواب النفوذ في الدولة فاذا كان النفوذ بطريق الدين كان المقدمون في الدولة من خدمته وقام الخصام بينهم — فضلا عن اختصام رجال الجند

فاذا اعتبرنا الدولة جسماً حياً كانت هذه الظواهر امراضاً في ذلك الجسم تدل اعراضها عليها . فتكون العلة في الرأس او الصدر او الاطراف . فاذا كانت في الرأس فهي في الملك من ضعف رأي او فساد خلق . واذا كانت في الصدر ففي رجال الدولة من طمع وانقسام . واذا كانت في الاطراف فمن ضعف العمال والولاة او من قحط او جوع اصيبت به المملكة . وقد تظهر الاعراض في عضو ويكون المرض في عضو آخر كما يحدث في الافراد

ومعالجة هذه الامراض ايسر في الحكم الدستوري مما في الاستبدادي لان الملوك المستبدين انما يطلبون النفع الشخصي فاذا كانت علة الفساد من ضعف اخلاقهم فان ذلك الضعف يغريهم على التمسك بالسيادة ولو آل امرها الى خراب المملكة . اما اذا كان الرأس سليماً فيهون عليه معالجة سائر اسباب الضعف . والدول الاستبدادية يتوقف موتها وحياتها بالاكثر على الملك خلافاً للدول الدستورية كما سيجيء

على ان الدولة قد توفق في كهولتها او شيخوختها الى ملك عاقل يريد بها خيراً لكنه لا يستطيع ذلك لتمكن الفساد فيها وتعويل رجالها على الارتزاق من ذلك الفساد . فيعود سعيه وبالاً عليه كما اصاب عمر بن عبد العزيز في الدولة الاموية والمهتدي بالله في الدولة العباسية والسلطان سليم الثالث في الدولة العثمانية وغيرهم في سائر الدول الاسلامية وغيرها

خامساً — زوال الدولة

فاذا بلغت الدولة الى ما تقدم من الانشقاق بين جندها او بين رجال سياستها او غيرهم من اصحاب النفوذ وعجز الملك عن تدبيرها — وهو عاجز عن ذلك بطبيعة الحال لانه شب محجوراً عليه بين النساء والاطفال ولان رجال الدولة انما اختاروه لضعفه عن الوقوف في سبيل مطامعهم — فاذا بلغت الدولة الى هذا الحد فقد دنا أجلها ويكون زوالها باحدى ثلاث طرق :

١ — بالفتح

اذ يهون فتحها لاشتغال الاحزاب بالتضاغن والتخاصم عن تدبير المملكة وتدريب الجند فيغتنم الطامعون في الملك ضعفها فيحملون عليها فيجدون جندها متضعضعاً واهلها قد ملوا المظالم والضرائب يرحبون بكل فاتح على رجاء ان يكون خيراً لهم من دولتهم — ويكون ترحيبهم اسرع اذا كانوا من عنصر غير عنصر الحكومة يتكلمون لغة غير لغتها او من دين غير دينها او كانت بينهم وبين الفاتحين جامعة جنسية اودينية . وفي التاريخ امثلة كثيرة تؤيد هذه القاعدة اشهرها فتح العرب لمملكة الروم في الشام والعراق ومصر . كان العرب اهل بسالة وخشونة وعصبية وجامعة دينية والروم قد انغمسوا بالترف وتنازعوا على المناصب والاموال ورعاياهم قد ملوا حكومتهم . وفيهم اليهود على غير دينهم وقد حقدوا عليهم وبذلوا جهدهم في سبيل التخلص منهم — والنصارى تجمعهم مع الروم جامعة الدين لكنهم يجتمعون مع العرب بجامعة الجنس . لان السريان والانباط اقرب لغة ونسباً الى العرب مما الى الروم فوجدوا من الاهلين من فتح لهم الصدور واعانهم على الروم . ويشبه ذلك ما جرى في الحرب البلقانية بالامس لان العثمانيين كانوا يحاربون أمماً بينها وبين رعاياهم في مكدونية جامعة الدين وجامعة النسب او اللغة فلما جاءهم الفاتح فتحوا له صدورهم وكانوا له عوناً . ووقع نحو ذلك يوم جاء الافرنج لفتح بيت المقدس فاهله المسيحيون كانت قلوبهم مع الصليبيين

على ان الانقسام وحده كاف للاشتغال عن حماية البلاد وان لم يكن بين الفاتحين واهل البلاد صلة او جامعه فيفوز الفاتحون ان توفرت بهم الاسباب . كما فعل العثمانيون بفتح القسطنطينية ودولتهم يومئذ في ابان شبابها وخشونتها . واصحاب القسطنطينية قد اختلفوا وانقسموا وتنازعوا فيما بينهم في الدين والسياسة فلم ينفعهم الثبات في الدفاع

٢ — بالالتجاء الى الفاتحين

وكثيراً ما يتعجل اصحاب الدولة الهرمة الدخول في حوزة دولة أخرى من تلقاء انفسهم . ويقع ذلك في الغالب اذا اشتد الخصام بين احزابهم وكان أحدها ضعيفاً فيلجأ الى دولة أخرى يدعوها لانقاذه من عدوه . ويساعدها على الفتح سرًّا فيطلعها على عورات الدولة واماكن الضعف فيها . والغالب ان يكون الباعث على ذلك نعرة دينية كما فعل ابن العلقمي بمساعدة هولاكو على فتح بغداد انتصاراً للشيعة على السنة . أو

يكون السبب جامعة جنسية برابطة اللغة فقط او بالرابطتين جميعاً . وقد يكون الباعث على تلك الخيانة مجرد الرغبة في الانتقام لاهانة لحقت ببعض طلاب النفوذ . واذا كان الحزب الضعيف في جانب الملك خاف الملك على دولته وسلطانه فيستنجد دولة يتقدم اليها ان تساعده على خصمه فتنجده وتطلع على اسباب ضعفه وتتخذ ذلك وسيلة للقبض على ازمة دولته . كما أصاب الفاطميين في اواخر ايامهم يوم اختلت شؤونهم بتنازع رجال الدولة فاستنجد الخليفة جاره السلطان نور الدين صاحب الشام فانجده بجيش اخمد ثورة الثائرين . لكنه اخرج المملكة من أيدي الفاطميين وتولاها صلاح الدين تحت رعاية الخلافة العباسية . أي انه نقلها من الشيعة الى السنة

٣ — بالتفرع

وقد يكون ذهاب الدولة بالتفرع كما تقدم فتستقل الولايات في الاطراف عملاً بسنة الارتقاء . هكذا انقضت الدولة العباسية والدولة الرومانية الغربية وغيرهما لعجزها عن الاحتفاظ بذلك الملك الواسع . كأن المملكة جسم والعاصمة قلبه ففي شبابها تقذف الدم الى الاطراف بسهولة . فاذا شاخت يضعف القلب عن ايصال الغذاء فتأخذ الاطراف بالانفصال الأبعد فالأبعد . كما تبرد الاطراف في الجسم المائت قبل الاحشاء وآخر عضو يموت القلب . ولذلك كانت العاصمة آخر ما يؤخذ من اعضاء المملكة لانها كرسي الملك وفيها ثروته واهله . فيبذل جهده في الدفاع عنها . وقد تستقل اطراف المملكة او تدخل في حوزة دولة أخرى وتبقى العاصمة وضواحيها حية زمناً طويلاً كما اصاب بغداد في عهد العباسيين والقسطنطينية في زمن الروم

وقد يبدأ الموت بالرأس بصدمة قوية فتتفكك الاعضاء وتستقل كما حدث في الاندلس اذ ذهبت خلافة قرطبة فاستقل الولاة بما كان في ايديهم وعرفوا بملوك الطوائف . ولكن الغالب ان يبدأ الانحلال بانفصال الاطراف اما بالاستقلال من نفسها او بدخولها في سلطة دول اخرى

هكذا تنقضي الدول الاستبدادية وتختلف اعمارها باختلاف قوتها وضعفها واحوال اخرى . واطولها عمراً من كانت لها صبغة دينية من خلافة اوبطريركية او بابوية لان الناس لا يحكمون بمثل الدين

وسنتكلم عن آجال الدول الدستورية في فرصة اخرى

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ماقبله)

ثانياً — انكلترا

٦ — آثارها

لانكلترا آثار معنوية في نفوس العقلاء مرجعها الى الاعجاب باخلاقهم وتربيتهم ونظام عائلتهم — حتى اعدائهم فانهم يعترفون لهم بسمو الاخلاق وثباتها ويحرضون اقوامهم على تحديها

اما الآثار البنائية فانها كثيرة في انكلترا ولا سيما في لندن . وقد ذكرنا شيئاً منها في كلامنا عن هذه المدينة وعددنا ما فيها من الابنية والشوارع وغيرها . ولا يستطيع المار في شوارعها وساحاتها غير الاعجاب بما يراه منصوباً هناك من التماثيل الفخيمة لمشاهير الرجال فان الانكليز كثيرو الاحترام لاسلافهم يقيمون لهم التماثيل كما يقيمونها للقديسين . وكما يعجب الفرنساويون ببونابرت وينصبون تماثيله في شوارعهم وحدائقهم وساحاتهم وقصورهم فالانكليز يفعلون نحو ذلك بتماثيل ولنتن ونلسن ونحوهما . وناهيك بالقصور الكبرى والمعابد الفخيمة فانها كثيرة في لندن فنكتفي بالاشارة الى اشهرها مما وفقنا لزيارته في هذه الرحلة فنقول :

١ — كنيسة القديس بولس

انها قائمة في منتصف المدينة وهي أفخم ابنيتها وأعلاها ومن اقدمها عهداً . لم يتفق المؤرخون على اصل بنائها ولكنهم متفقون على انه كان في مكانها معبد من زمن الرومانيين ثم خرب واقاموا مكانه كنيسة سنة ٦١٠م احترقت سنة ٩٦١ فاعيد بناؤها

وتوالى عليها الخراب والترميم مراراً حتى جددت كلها في اواخر القرن السابع عشر على يد مهندس شهير اسمه خريستوفور رين بدأوا ببنائها سنة ١٦٧٥ وتمت سنة ١٧١٠ وانفق في سبيل ذلك ٨٥٠٠٠٠ جنيه اخذت من الاهلين بضريبة وضعتها الحكومة على الفحم الوارد الى لندن . وكان رين هذا يستولي في أثناء هذه المدة على راتب سنوي مقداره ٢٠٠ جنيه في السنة



كنيسة القديس بولس من الظاهر عند مدخلها الاكبر

بنيت هذه الكنيسة على مثال كنيسة القديس بطرس في رومية لكنها اصغر منها . ومع ذلك فهي اكبر كنائس العالم بعد كنائس رومية وميلان واشبيلية وفلورنسا . شكلها كالصليب الروماني طولها ٥٠٠ قدم وعرضها ١١٨ قدماً وعلو قبتها ٣٦٤ قدماً . قطر قبتها مئة قدم وقدمان . وقطر قبة كنيسة القديس بطرس في رومية ١٣٩ قدماً . ويزيد اهميتها في نظر الزائرين ما على جدرانها من النقوش والصور وما اقاموه في جوانبها من تماثيل عظماء الانكليز واكثرهم من كبار القواد . فهي بهذا الاعتبار معرض عظمة انكلترا وانما يفوقها بذلك دير وست منستر الآتي ذكره

مدخلها الاكبر من جهة الغرب . وهي قائمة في الداخل على ركائز ضخمة مربعة الجوانب تشبه ركائز جامع السلطان احمد في الاستانة وتشبهها ايضاً بالشرفة المستديرة المحيطة باعلى تلك الركائز . يتوهم الداخل لاول وهلة انها كنيسة كاثوليكية لكثرة ما يراه فيها من الصور لكنه لا يلبث ان يرى معظم تلك الصور تمثل مشاهير الرجال . لا يستطيع الداخل اليها الا التهيب مما يشاهده من فخامة البناء وسعة المكان وما نصب في جوانبه من التماثيل الرخامية والبرونزية . فيحسب نفسه في ساحة الحرب او في ساعة الدينونة وقد اجتمع نخبة الرجال ليؤدوا حساباً عما فعلوه اوليتفاخروا في من كان اشدهم بطشاً واكثرهم فضلاً في تعزيز العلم البريطاني . في الجناح الايسر من صحن الكنيسة تماثيل جماعة يعرفهم قراء الهلال وكان لهم دخل في شؤون مصر والسودان مثل الجنرال ستيوارت قائد الفرقة التي تعجلت الذهاب الى الخرطوم لانقاذ غوردون سنة ١٨٨٤ وكنا في جملتها فاصيب قائدها ستيوارت برصاصة في بطنه في معركة انتشبت بيننا وبين الدراويش قرب المتمة . سقط ونحن نراه ولا ننسى تلك الساعة الرهيبة لاننا كنا في اشد ساعات الخطر . وتمثال الجنرال غوردون وقد قتل في الخرطوم قبل وصول الحملة بيومين . وتمثال دوق ولنتن صاحب معركة وترلو وتماثيل الجنرال بكنن والجنرال بونسبي قتلا في وترلو . والاميرال نابيه قائد الاسطول الانكليزي في البلطيك سنة ١٨٥٤ وهناك طائفة من الادباء وارباب الاقلام منهم رينولدس المصور وباتريك نابيه وهلاند المؤرخان

وقس على ذلك التماثيل العديدة في الجناح الايمن والمواقف الاخرى يعرف القراء من اصحابها الاميرال نلسن الذي اغرق الاسطول الفرنساوي في ابي قير سنة ١٧٩٨ واشتهر بمواقع رفع فيها شأن الانكليز في كوبنهاغن وترافلغار وغيرهما . وقد نقشت اسماء تلك المواقع على قاعدة تمثاله . وقد خسر ذراعه اليمنى في واقعة قادس فجعلوه في التمثال متشحاً برداء يغطي تلك الذراع . ومنهم الجنرال ابركرومبي الذي قتل في ابي قير سنة ١٨٠١ والجنرال مور الذي قتل في كرونا باسبانيا . والاميرال هو الذي انقذ جبل طارق سنة ١٧٨٢ وفي بعض الحنايا تذكار للمقتولين في حرب القرم وحوله الاعلام التي كانت لهم هناك

ومن المشاهد الهامة في هذه الكنيسة قبتها لما تشرف عليه من الابنية البعيدة فقد صعدنا الى قمتها بسلم درجاته ستمائة وعشرون درجة فاشرفنا على لندن كلها كما اشرفنا على باريس من قمة برج ايفل . اما القبة فلها شأن خاص شاهدنا مثله وراء محراب

كنيسة اربني بالاستانة . نعني تفخيم الصوت فان حول قاعدة هذه القبة من الداخل شرفة مستديرة قطرها نيف ومئة قدم ومحيطها نحو ٣٢٠ قدماً . يشرف المار فيها على صحن الكنيسة وتسمى « قاعة التهامس » دخلناها من باب في بعض جوانبها فرأينا شيخاً يهمس في الحائط بصوت يكاد لا يسمعه الواقف بجانبه . فاومأ الينا ان نذهب الى مقعد في الجانب الآخر من تلك الشرفة . فمشينا ونحن نسمع الصوت يرتفع كلما بعدنا عن ذلك الشيخ . فلما وصلنا الى الطرف الاخر سمعناه كالخطيب يتلو علينا خطاباً في تاريخ هذا البناء

وتحت ارض الكنيسة سراديب مرصفة بالفسيفساء فيها تماثيل واضرحة للمشاهير ايضاً . منها ضريح للدوق ولنتن من الرخام السماقي قائم على قاعدة من الغرانيت وحوله الاعلام التي اكتسبها من اسبانيا والبورتغال وفرنسا . وبجانبه المركبة التي حملت جثته . وضريح بكتن زميله في وترلو . وفي مكان آخر يقابل منتصف القبة ضريح نلسن فيه تابوت مصنوع من خشب السارية الوسطى من سواري الدارعة الفرنساوية (لوريان) التي احرقها اسطوله في ابي قير سنة ١٧٩٨ وبجانبه ضريح رفيقه كولنوود وضريحان لنابيه ونورتسك . وتماثيل جماعات من رجال الادب والتاريخ بينهم السير وليم هورد رسل اعظم مكاتب حربي في القرم . واضرحة لنساء شهيرات في العلم وغيره

٢ — قصر جيلد هول

اشتهر هذا القصر بقاعته التي تلقى فيها الخطب العمومية . وفيها خطب روزفلت منذ بضع سنين خطابه المشهور الذي ذكر فيه مصر وسياسة انكلترا فيها . يمر الزائر من كنيسة القديس بولس الى جيلد هول بشوارع هي اكثر شوارع لندن ازدحاماً — في جهة اسمها شيبسايد يساوي متر الارض فيها نحو ٢٥٠ جنيهاً

بني هذا القصر للمرة الاولى في اوائل القرن الخامس عشر مقرّاً لقضاة ومجالس البلدية ثم تخرب واعيد بناؤه وانشئت فيه القاعة المذكورة وطولها ١٥٢ قدماً وعرضها ٥٠ وعلوها ٨٩ قدماً . تجتمع فيها المجالس البلدية للانتخابات ونحوها وتتلى فيها الخطب العامة . وفيها حوكم جماعة من المجرمين العظماء مثل ارل سيري واللادي جان غراي وغيرهما . وفيها تماثيل مشاهير الانكليز ولاسيما ولنتن ونلسن وشتام وبت ومور . وفي قاعة أخرى تماثيل أخرى في جملتها تمثالان خشبيان غريبا الشكل يعرفان بياجوج وماجوج ولم نعلم سبب هذه التسمية

وفي جيلدهول مكتبة فيها ١٤٣٠٠٠ مجلد معروضة للناس . وفيها متحف صناعي

للساعات وغيرها من المصنوعات الدقيقة — وخرائط كبيرة وقاعة دور فيها صور تاريخية منها صورة معركة جبل طارق بين الانكليز والاسبان سنة ١٧٨٢ وصور كثيرين من الملوك . وصورة يوبيل الملكة فكتوريا الماسي سنة ١٨٩٧ بالمركبة التي كان يجرها ثمانية افراس . وتحت الارض سراديب مثل سراديب كنيسة القديس بولس فيها قبور ونواويس قديمة

٣ — بنك انكلترا

نحن الآن على مقربة من بنك انكلترا الشهير فلا ينبغي لنا ان نمرَّ به سكوتاً . بني سنة ١٧٣٤ واعيد بناؤه كما هو الآن سنة ١٨٢٧ ليس في ظاهره ناقدة لكنهم يضيئونه من الداخل مبالغة في الاحتفاظ به . اما البنك نفسه أي العمل المالي المعروف بهذا الاسم فقد أنشئ سنة ١٦٩٧ وظل هو البنك الوحيد في لندن الى سنة ١٨٣٤ فانشئت بنوك أخرى . لكنه لا يزال اعظمها جميعاً ويمتاز عنها كلها بان الحكومة اذنت له باصدار الاوراق المالية (بنك نوط) . كان رأس ماله الاصلي ٠٠٠ ٢٠٠ ١ جنيه ثم تضاعف مراراً . عدد عماله الف عامل ولا يخلو من ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠ جنيه ذهب مخزنة في سراديبه المتينة و ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ جنيه عملة ورق بين ايدي الناس . وهو ينوب عن الحكومة الانكليزية فيما يتعلق بالديون التي عليها وقيمتها ٠٠٠ ٠٠٠ ٦٧٢ جنيه بين قبض ودفع وترصيد

وفي البنك مطبعة تطبع اوراقه (البنك نوط) يصدر منها ٠٠٠ ٥٠ قطعة كل يوم من فئة خمسة جنيهات الى الف جنيه . ويطبع فيها ايضاً البنك نوط الهندي . وآلاتها بغاية الاتقان طريقة طبعها تستدعي الاعجاب . ومن عادات هذا البنك ان يتلف كل ما يرجع اليه من اوراقه ولا يدفع للناس الا اوراقاً جديدة خارجة من تحت يد الطابع — لكنه لا يتلف الاوراق المرتجعة حال استلامها بل يحفظها خمس سنوات في خزائن من حديد لئلا يقتضي الامر مراجعة شيء منها لشهادة قضائية او نحوها ثم تحرق . ويبلغ عدد ما يجتمع عندهم منها في السنوات الخمس ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٠ ورقة وزنها ٩٠ طناً وقيمتها المالية ٠٠٠ ٠٠٠ ١٧٥٠ جنيه . واذا فرشت الواحدة بجانب الاخرى في خط واحد تألف منها درج طوله ٠٠٠ ١٣ ميل . وفي البنك آلة لوزن الجنيهات الذهب وفرزها تزن ٣٣ جنيهاً في الدقيقة فما كان منها ناقصاً لفظته خارجاً . وفي البنك مخزن لحفظ الجوهرات . ويحرس البنك شرذمة من الجند ليلاً ونهاراً

٤ — برج لندن

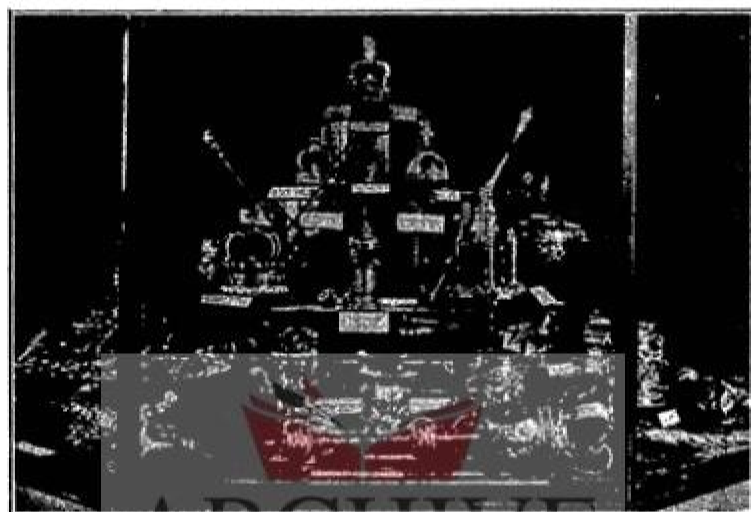
واقع على ضفة التيمس وهو من اقدم ابنية لندن واشهرها . كان معقلاً للملوك ثم جعلوه سجناً للمجرمين العظماء من الملوك او القواد او الامراء . حوله خندق عميق يحيط به ردم سنة ١٨٤٣ وجعلت الحكومة برج لندن الآن ثكنة للجند . ورممت جدرانه ليبقى حصناً . شكله مربع غير منتظم مساحة ارضه ١٣ فداناً عليها عدة ابنية يحيط بها سور مزدوج عليه الابراج . يقال في تاريخ بنائه انه يرجع الى وليم الظافر. اقدم قصوره الآن « البرج الابيض » بني في القرن الحادي عشر. وهو فخيم وله ذكر



برج لندن

رهيب في التاريخ لكثرة من سجن اوقتل فيه من العظماء . اشهر ضحاياه السير توماس مور قتل سنة ١٥٣٥ وحنة بولين قتلت سنة ١٥٣٦ وتوماس كروموبل قتل سنة ١٥٤٠ ومرغريت بول سنة ١٥٤١ والملكة كاترينه هورد سنة ١٥٤٢ والاميرال سيمور سنة ١٥٤٩ واللورد سمرست سنة ١٥٥٣ واللادي جان غراي وزوجها سنة ١٥٥٤ والسير جون اليوت مات فيه سنة ١٦٣٢ وغيرهم كثيرون . وممن سجنوا ولم يقتلوا جون بليول ملك اسكتلاندا سنة ١٢٩٦ ووليم ولس الاسكتلاندي سنة ١٣٥٠ وداود بروس ملك اسكتلاندا سنة ١٣٤٧ وجون ملك فرنسا أخذ اسيراً في بواتيه سنة ١٣٥٦ ودوق أورليان والدلويس الثاني عشر ملك فرنسا سنة ١٤١٥ والملك هنري السادس وغيرهم. وكان في البرج مأسدة نقلت الى مسرح الحيوانات العام. وفي هذا البرج تحف تاريخية لا يوجد مثلها في سواه منها الاسلحة والالبسة

والجوهرات اهمها المصوغات الملوكية سيأتي ذكرها . واول ما يستلفت نظر الشرقي عند دخوله الباب الخارجي للبرج مدفع عثماني اهداه السلطان عبد المجيد لانكلترا سنة ١٨٥٧ واذا دخل البرج فاهمُّ مايشاهده هناك المصوغات الملوكية الانكليزية . وقد ذكرنا المصوغات الملوكية الفرنساوية التي شاهدناها في متحف اللوفر لكن هذه افخم واثمن.

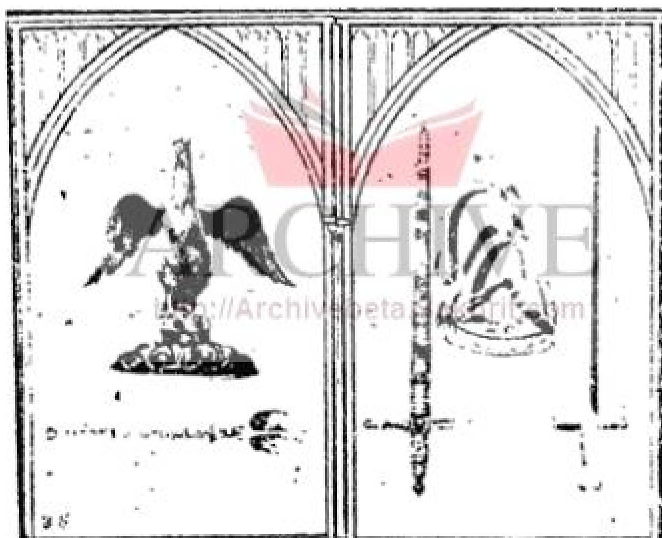


مجوهرات العرش الانكليزي

ان هذه المصوغات او المجوهرات معروضة في غرفة صغيرة في وسطها دكة مثمنة الاضلاع يكاد يقرب شكلها من الاستدارة . عليها رفوف مرتبة بعضها فوق بعض بشكل هرمي وضعوا تلك المصوغات عليها بحيث يراها المشاهدون . لكنهم احاطوا تلك الدكة والرفوف والمصوغات بسياج من شبك الحديد والواح من الزجاج . وبين الدكة والحائط ممرٌّ يكاد لايتسع لمرور اثنين والحرس وقوف لمراقبة المتفرجين . والمصوغات المشار اليها اكثرها تيجان مرصعة بالحجارة الكريمة بعضها قديم والبعض الاخر حديث وهي :

(١) تاج القديس ادورد صنع لتتويج شارل الثاني . سرقه الكولونيل بلود سنة ١٦٧١ في جماعة من رفاقه بعد ان قتلوا الحارس لكنهم لم يفوزوا بغنيمتهم (٢) تاج الملك ادورد السابع صنع في الاصل للملكة فكتوريا سنة ١٨٣٨ ثم جدد للملك ادورد سنة ١٩٠٢ وهو من المصوغات الحديثة . مرصع بجواهر لا يقل عددها عن ٢٨١٨ ماسة و ٣٠٠ لؤلؤة وجواهر أخرى . في مقدمه ياقوتة يقال انها كانت للامير الاسود اعطاه اياها دون بادرو صاحب قسطيلة سنة ١٣٦٧ وقد وضعها هنري الخامس على خوذته في

معركة اجنكورت . تحتها ماسة كبيرة تعرف بالماسة الكولينية قدمتها حكومة الترانسفال الى الملك ادورد سنة ١٩٠٧ وهي تنسب الى ماسة اسمها كولينا سيأتي ذكرها . وفي مؤخر التاج حجر صغير يقال انه كان لادورد المعترف (٣) تاج ولي العهد من الذهب الخالص غير مرصع (٤) تاج زوج الملكة ذهب مرصع (٥) تاج الملكة هو طوق من الذهب مغشي بالماس واللؤلؤ وقد صنع كلاهما للملكة ماريا ديست زوجة جيمس الثاني (٦) صولجان الملك ادوارد من الذهب الخالص طوله اربعة اقدام ونصف ووزنه ٩٠ رطلاً مصريا . قبضته ضخمة كالتاج يقال ان فيها قطعة من ذخيرة عود الصليب (٧) الصولجان الملوكي طوله قدمان وتسعة قراريط عليه صليب مرصع بالحجارة الكريمة (٨) صولجان الحمامة او عصا المساواة على رأسها تمثال حمامة باسطة جناحيها



المهازان والسيفان والابريق

(٩) صولجان آخر فيه صليب مرصع (١٠) الصولجان العاجي للملكة ماريا ديست فوقه حمامة من العقيق الابيض (١١) صولجان الملكة ماري زوجة وليم الثالث (١٢) مثال ماسة «كوه نور» الشهيرة وهي من اكبر حجارة الماس المعروفة . وزنها ١٦٢ قيراطا والماسة الاصلية الان في قصر وندسر وكانت قبلاً في حوزة ملك لاهور ووصلت الى ايدي الانكليز سنة ١٨٤٩ لما فتحوا البنجاب . وشاهدنا مصوغات اخرى ثمينة منها اساور التتويج والمهاز الملوكي وابريق زيت التتويج بشكل النسر والخاتم والملعقة والمملحة وغيرذلك . ويقدرون قيمة هذه المصوغات بمبلغ ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه

وفي تلك الغرفة خزانة (فترينة) فيها امثلة من الاوسمة الكبرى ومثال للماسة الترنسفالية المسماة كولينا . اما كولينا الاصلية فقد قسموها الى الماسة التي تقدم ذكرها في مقدم تاج الملك ادورد وقسموا الباقي الى ماسات وضعوها على الصولجان

معرض الاسلحة

وفي برج لندن معرض للاسلحة والادراع فيه امثلة من المدافع والبنادق والسيوف والحراب والفؤوس لبعضها ذكر تاريخي . منها سيف جلاد ملك أود واسلحة هندية الاصل اوعربية . ومنها المدفع الذي غنمه الفرنساويون من مالطة سنة ١٧٩٨ وحملوه على الدارعة سنسيبل الفرنساوية فاسترجعه الانكليز وهم على الباخرة سيهورس بقيادة القبطان فوت . وهناك امثلة من آلات العذاب كالجامعة التي تقبض على الابهامين معاً والفلق الذي يقبض على القدمين والاطواق للاحاطة بالاعناق . وبينها فاس لقطع العنق صنع سنة ١٦٧٩ وبجانبه البلاطة التي يسند العنق اليها عند القطع . ومن الادوات الحربية التاريخية ملاءة التف بها الجنرال وولف لما جرح سنة ١٧٥٩ وعليها مات . وثوب الدوق والمركبة المدفعية التي حملوا عليها جثة ادورد السابع

وفي قاعة اسلحة الفرسان كثير من الادراع والرماح والخوذ والسهام على اختلاف الاعصر من القرن الرابع عشر فما بعده . وتماثيل افراس عليها تماثيل فرسان بالالبسة الرسمية والادراع الثمينة . احدها يمثل هنري الثامن على جواده وعليه درعه . وآخر يمثل جيمس الثاني سنة ١٦٨٨ وآخر يمثل شارل الاول وعليه درع مغشاة بالذهب . وهناك غرفة لها ذكر تاريخي لانها كانت قاعة المجلس وفيها تنازل ريشارد الثاني عن الملك وغرف اخرى كانت سجوناً استخدموها الآن لحفظ السجلات وغيرها

وفي ساحة البرج بقعة فيها نحاسة مربعة نقش عليها ما معناه « انه في هذا المكان قطع رأس الملكة حنة » . وقد شاهدنا الابراج والمخادع التي كانوا يستخدمونها للسجن ويأتون فيها ضروب الظلم والفتك بلا حساب ولا تقدير . وناهيك بفنون التعذيب مما تقشعر له الابدان — ان من يطلع على ذلك ويرى ماعليه الامة الانكليزية اليوم من اسباب المدنية ومحاربة الجهل ومطاردة الظلم يعلم ان الامة لا بدَّ لها من المرور في اطوار من جملتها هذا الطور من الهمجية . وان ذلك ليس خاصاً ببلد دون آخر ولا امة دون اخرى

دار الضرب

وفي هذا البرج بناء خاص لضرب النقود بني سنة ١٨١١ ثم توسع سنة ١٨٨٢ وقد اتقنت فيه صناعة الضرب والآنه . ومنها ما يصنع ١٢٠ قطعة من النقود في الدقيقة

وقد بلغ ما ضرب سنة ١٩٠٩ ما قيمته ٠٠٠ ٠٠٠ ١٥ جنيه منها ٠٠٠ ٨٠٠ ١١ قطعة فئة جنيه و ٠٠٠ ٠٠٠ ٤ نصف جنيه و ٠٠٠ ١٨٦ ٣ نصف ريال و ٠٠٠ ٩٩٣ ٣ فلورين و ٠٠٠ ٩٠٠ ٦ شلين و ٠٠٠ ٠٢٨ ٧ نصف شلين و ٠٠٠ ٦٠٠ ٥ ربع شلين و ٠٠٠ ٢٥٦ ٢١ بنس فقس عليه

٥ — قصر وستمنستر

هو قصر فخيم واقع على ضفة التيمس ينعقد فيه البرلمان الانكليزي . وهو ينعقد في قاعتين فخيمتين منه احداهما لمجلس الاعيان والاخرى لمجلس العموم . وقبل الوصول الى قاعات البرلمان يمرُّ الزائر بقاعات عديدة : الاولى جدرانها مغشاة بالصور في جملتها صورتان احداهما تمثل معركة وترلو وقد فاز فيها الانكليز . والاخرى تمثل واقعة ترافلغار وقدمات فيها نلسن . طول الواحدة منهما نحو ١٥ متراً . يتصل منها الى قاعة اخرى جدرانها من الخشب الملون عليه صور اشهر ملوك انكلترا . ومنها دخلنا قاعة الاعيان في غير وقت الاجتماع . طولها ٩٠ قدماً وعرضها ٤٥ وعلوها ٤٥ قدماً ارضها مغطاة بصفوف من المقاعد مغشاة بالجلد الاحمر تسع نحو ٦٢٠ شخصاً . وللقاعة ١٢ نافذة زجاجها مزين بصور ملوك انكلترا وملكاتها منذ الفتح . وتضاء القاعة ليلاً بالكهربائية فتزداد جمالاً . وعلى الجدران بين النوافذ تماثيل للبارونية الذين اخذوا الدستور من الملك جون . غير ما على الجدران من النقوش البديعة بينها الصور الجميلة للملوك وبعض المواقف الدينية . وفي صدر القاعة عرش يجلس عليه الملك يصعد اليه ببضع درجات والى يمينه مجلس ولي العهد . وخرجنا من طرف القاعة الاخر الى غرفة فيها تعاليق ومواقف للبرانيط والاردية — لكل من الاعضاء تعليقة عليها اسمه . ومن هناك انتهينا الى دهليز جدرانه مزدانة بالصور التاريخية . ومنها الى قاعة متوسطة الحجم فدهليز آخر اتصلنا منه الى قاعة مجلس العموم . طولها ٧٥ قدماً وعرضها ٤٥ وعلوها ٤١ قدماً . وهي تشبه قاعة مجلس العموم بشكلها لكنها اقلّ فخامة وابسط رياشاً . عليها مقاعد مكسوة بجلد ازرق مخضر لا يسع اكثر من ٤٧٦ شخصاً مع ان عدد اعضاء هذا المجلس نحو ٦٧٠ وقد ترتبت المقاعد صفوفاً . وكرسي الرئيس في صدر القاعة عند طرفها الشمالي والى يمينه مقاعد لنواب الحكومة كالوزراء ونحوهم والى يساره رؤساء حزب المعارضين . وبين يدي الرئيس طاولة يجلس اليها الكاتب . ويجلس المخبرون ومكاتبو الجرائد على مقاعد فوق مجلس الرئيس . وفوقها مقاعد للسيدات . وتجاه مجلس الرئيس في الطرف الاخر من القاعة مقاعد للزائرين

٦ — دير وستمنستر

لهذا الدير شأن عظيم عند الانكليز لانه مجمع مفاخرهم ومدافن عظمائهم او تماثيلهم . يحوي من تلك المفاخر اكثر مما يحويه كل مكان سواه ولا يدفن فيه او ينصب تمثاله في ارضه الا الممتازون بالشرف والفخر في خدمة الامة والوطن . والاذن في دفن ميت هناك أعظم شرف تقدر الامة ان تمنحه لذلك الميت

والدير بناء قديم ولبنائه تاريخ طويل شكله يشبه من الداخل شكل كنيسة القديس بولس طوله ٥١٣ قدماً واعرض نقطة فيه ٢٠٠ قدم وعلوه مئة قدم وقدمان وعلو برجه ٢٢٥ قدماً . دخلناه من بابه الشمالي ولم نكد نتوسط المكان ونلتفت ذات اليمين وذات الشمال حتى وقع بصرنا على ما هنالك من قبور العظماء وتماثيل الكبراء وقد ساد السكوت وتجلت هيبة الموت فغلب علينا التهيب وخيل الينا اننا نسمع من كل قبر نداء ونرى في كل تمثال خطيباً . لا غرو ونحن بين بقايا أعظم رجال انكلترا وفيهم القائد الباسل والسياسي المحنك والشاعر المفلق والخطيب المفوه والعالم الحكيم والمخترع العظيم . وقد تكاتفوا جميعاً في خدمة امتهم فنهضوا بها الى اسمى منازل الدول . فاخذتنا العبرة وتذكرنا حال دولتنا في العالم السياسي فتشاغلنا عن تلك الهواجس بما بين ايدينا من مفاخر الآخرين . اذ لا فائدة من تلك الذكرى وان عرفنا الداء اذ لا سبيل لنا الى الدواء . وتجولنا في انحاء الدير نتفقد المدافن والتماثيل ونقرأ اسماء اصحابها فاذا فيهم نخبة الساسة والعلماء والشعراء والخطباء وغيرهم يعدون بالمئات ويضيق هذا المقام عن تعدادهم فنذكر امثلة من ذلك في مجاميع حسب الاماكن : منهم وليم بت السياسي المتوفى سنة ١٧٧٨ وجون هولس دوق نيوكسل (١٧٦١) وجورج كانين السياسي (١٨٢٧) والجنرال مالكولم واللورد بالمرستون واللورد منسفايلد والاميرال ورين والسير روبرت بيل السياسي (١٨٥٠) وفي مجموع آخر جورج غوردون اول ابردين (١٨٦٠) والسير توماس رافلس (١٨٢٦) وتشارلس جيمس فوكس وكبتن مونتاغيو وغيرهم . وهناك زاوية خاصة بالشعراء والادباء فيها تماثيل جورج غروت الشاعر وماكولي المؤرخ ودوق ارغيل الشهير وشكسبير امام شعرائهم . ورورت برنس وتنسن وشارلس دكنس وجون ملتن ولونفلو وغيرهم من الشعراء والادباء . وهناك زاوية للشرفاء واخرى للاساقفة وغيرهم ممن يستغرق تعداد اسمائهم فقط عشرات من الصفحات فكيف بذكر مناقبهم . وسنأتي على ذكر المتاحف في الهلال القادم

الوهم الاكبر

او مساوئ الفتح والاستعمار

رأينا في الهلال الماضي ان الحروب بين الدول المتمدنة اليوم لا تجدي نفعاً مادياً وان ضررها مشترك بين الغالب والمغلوب على السواء للترابط التجاري الذي بلغت اليه تلك الدول بحيث تتوقف حالة الواحدة منها على حالة جارتها . واقل خلل يصيب الحالة الاقتصادية في مدينة من المدن الكبرى يشعر به أهل سائر الاقطار . فاذا استولت انكلترا على المانيا مثلاً اوالمانيا على انكلترا فلا يكسبان شيئاً لبقاء تجارة البلاد وزراعتها في ايدي اصحابها وان الغرامة الحربية التي تفرضها الدولة الظافرة تسبب خللاً في التجارة تشعر به الدولتان على السواء . وان المانيا اذا اغتصبت مستعمرات انكلترا لا تربح شيئاً يذكر لان تلك المستعمرات اصبحت مستقلة باحكامها وانكلترا نفسها مع كونها صاحبتها بالاسم تتكلف نفقات الدفاع عنها ولا يصيبها منها نفع . وبجملة واحدة « بما ان الدولة الفاتحة اليوم لا يسعها الا ان تترك الارض لساكنيها فمن العبث أن ترجو الدول زيادة ثروتها بتوسيع املاكها . لانها تلحق باملاكها الارض وسكانها معاً فلا يستثمر الارض سوى اصحابها الاصليين » . ولذلك قال الكاتب بابطال الحروب في المستقبل وتوقف الدول عن بناء المدرعات وتجنيد الجيوش

هذه هي نظرية نورمان انجل مؤلف كتاب « الوهم الاكبر » وقد سلم بصحتها كثيرون . لكن بعضهم اعترض بان الحروب لا تنشأ دائماً عن اسباب مادية اقتصادية وانما هي في الحقيقة جزء من الطبيعة البشرية لا ينفصل عنها او هي من قبيل تنازع البقاء . وهذا التنازع سنة طبيعية تسري على الاحياء وهي علة ارتقائهم . فلنبحث اذاً في الحروب من :

الوجهة الاخلاقية الادبية

ونمهد الكلام بمقتطفات من آراء المنتقدين في هذا المعنى قال احدهم : « ان اسباب الحروب ترجع الى نواميس العقل البشري فان اعظم الحروب التي نشبت بين الامم انما كانت نتيجة التنافر بين العقول فيما يختص بحقوق الدول وادراك معنى العدل والانصاف . او بعبارة اخرى ان الحرب تنشأ عن اختلاف في الآراء والمبادئ فما

زالت الشعوب لم تتفق في آرائها السياسية الاساسية فنشوب الحرب بينها ممكن كل الامكان ».

وقال آخر : « كما ان الافراد يتخاصمون ويتقاتلون ليس بقصد الأثراء بل لاعتقادهم بحقوق لهم هضمت فيهيج غضبهم ويغلي دمهم فكذلك الامم تتنازع ولا تزال تتنازع لنفس الاسباب . وان لم ترج ربحاً ماديا من وراء الحروب »

وذهب جماعة من الكتاب الاجتماعيين الى ابعد من ذلك فزعموا ان الحروب نافعة ضرورية لتقدم الهيئة الاجتماعية . منهم الجنرال برناردي احد قواد الجيش الالماني واكبر كاتب في المانيا بما يختص بالحروب والتجنيد ونحو ذلك . وله كتاب مرماه حض الالمان على طلب السيادة في العالم بقطع النظر عن حقوق الدول – قال في فصل منه عنوانه « الحرب واجبة » ما يلي : « ان واجب الحكومة لا يقتصر على صد هجمات الاعداء بل يجب عليها ان تضمن لرعاياها اسباب المعاش والنمو . وليست المساعي في سبيل السلم الدولي سوى هذيان وسفاسف تحط من قدر الانسانية . لان من ارقى طبائع البشر انهم يضحون حياتهم في سبيل رأي او مبدأ — وليعلم الجميع انه من المستحيل ان تكون غاية السياسة والسياسيين في المستقبل حفظ السلم الدولي »

وكثيرون يستندون في حججهم الى علم الحياة فيقولون ان الارتقاء انما يكون بتنازع البقاء وبقاء الاصلح وهي سنة تنطبق على الامم كما تنطبق على الافراد . فلا يبقى منها الا اقواها واصلحها للبقاء وكل حركة يراد بها ابدال سنن الطبيعة (تنازع البقاء) بما يخالفها (اي السلم الدولي) تذهب عبثاً

وبالاختصار فمحبو الحروب يرجعون في ادلتهم الى هذه القضية : الحروب سببها اما تنافر ادبي بين الآراء والمبادئ او ميل الانسان الفطري الى التنازع والتفاخر وحب الظهور . فهي شرعية جائزة في الحال الاولى لان الداعي اليها راق . وضرورية في الحال الثانية لانها جزء لازم للطبيعة البشرية

اما نورمن انجل فقد فنّد هذه الآراء بادلة عديدة بدأ منها بقوله : يتبين لمن تتبع الحركة السلمية في السنين الاخيرة ان معارضيها عدّلوا اسباب معارضتهم وبدلوا فيها تبديلاً عظيماً . كان اعتراضهم الرئيسي على المطالبة بالسلم الدولي ان الحروب ضرورية للطبيعة الانسانية وان عليها يتوقف ارتقاء الجنس البشري كما يتوقف ارتقاء سائر انواع الحيوان على تنازع البقاء وبقاء الاصلح . فالآن وقد بين علم الاقتصاد السياسي ان تقدم العالم يتطلب السلم بين الدول العظمى اصبحوا يدعون ان الحروب

سامية الغاية راقية المرمى لانها تنافر ادبي اخلاقي . فلو ساد السلم لانصرف الناس الى المشاغل المادية واهملوا الاخلاق الراقية كالشجاعة والانفة وعزة النفس وحب الوطن ونحوها مما ينمو بالحروب والمنافسات الدولية . او بعبارة اخرى فبعد ان وصف المتقدمون الحركة السلمية بتخيلات شعرية واوهام نظرية لا تنطبق على الواقع جعلوها ضرباً من المادية تميت الصفات المعنوية والاخلاق الراقية ولا تهتم بغير المصالح المحسوسة

ثم قال : على ان المصالح المادية والمصالح الادبية المعنوية آخذتان بالتقارب مع تقدم المدنية لان غرضهما تحسين احوال الناس من جميع الوجوه . فكل ما يأول الى التقدم المادي المحسوس جائز ادبياً بل هو واجب ونحن نرى المدنية اليوم سائرة نحو هذه الغاية في كل مظاهرها . فالسياسة مثلاً كانت غايتها توسيع سلطة الملك ونشر نفوذه والاخلاص لاسرته بلا التفات الى مصلحة الامة على الاطلاق . فبنشر المبادئ الديموقراطية اصبح الملك لا يرجو اخلاص رعيته وخضوعها ان لم يوجه التفاته الى مصالحها ويهتم بشؤونها . حتى الملوك اصبحوا اليوم لا يتعرضون للشؤون العامة وانما الامة هي التي تحكم نفسها وقد تخلصت من التزلف والخضوع لشخص واحد . ومثل ذلك حصل في الاديان : كانت غاية الدين الرئيسية التنسك والتعبد والصلاة واجراء الرسوم والطقوس بقطع النظر عن حالة الناس الاجتماعية وعلاقاتهم بعضهم ببعض . فالمسيحي في القرون الاولى كان يفاخر اقرانه في احتماله العذاب واماتة الجسم والابتعاد عن المشاغل العالمية ونحو ذلك . فاصبح الناس اليوم بعد ارتقاء المسيحيين لا يرون معنىً لاحتمال الآلام والاماتات ما لم يرج منها نفع حقيقي . فليس قديس اليوم من ينقطع عن بني جنسه ويمضي حياته في كهف او مغارة بل القديس من ينقطع لخدمة الضعفاء والمرضى والمحتاجين

ثم ان اسباب الحرب المعنوية (اي التنافر الادبي بين الآراء والمبادئ) آخذة في الزوال لان الناس اصبحوا يحترمون آراء الغير وان خالفت آراءهم — والتاريخ يؤيد هذه الحقيقة لا سيما في المسائل الدينية . فاساس الدول الحديثة الحرية الادبية ويستبعد جداً اليوم ان تشهر احدى الحكومات الكبرى حرباً لاسباب دينية كما كان يقع في ما مضى . وهذا التغيير الذي اصاب الدين اصاب السياسة ايضاً لتضامن الدول وترابطها اقتصادياً وادبياً . ليس في اوربا اليوم دولة كاثوليكية محضة او بروتستانتية محضة . ولا يوجد شعب اتفقت طبقاته في الافكار السياسية والمبادئ الادبية كالاحزاب السياسية من ديموقراطية واشتراكية وارستوقراطية ونحو ذلك واصبحت المنازعات في

المسائل العمومية من شأن احزاب الامة الواحدة . واصبح ذوو الآراء المتشابهة وان كانوا في ممالك مختلفة أكثر تضامناً وائتلافاً من المنتمين الى احزاب متضادة في مملكة واحدة حتى يسهل اتفاق الاشتراكي الالماني مع الاشتراكي الفرنساوي اكثر من اتفاقه مع الاكليركي الالماني

ولننظر اخيراً في حجة الذين يقولون ان القتال يبيد الضعفاء ويبقي الاقوياء : يكفي ان نلقي نظرة واحدة الى الواقع لنتأكد خطأهم . ان الجيوش المتحاربة عبارة عن نخبة اقوياء الامة واصلح افرادها للبقاء فبدلاً من بقائهم حسب السنة الطبيعية نعرضهم للهلاك ولا يبقى غير الضعفاء شيوخاً ونساء واطفالاً أو بعبارة اخرى ان الحروب البشرية تعمل على مناقضة قوانين الطبيعة بدلاً من السير بمقتضاها . على ان عاطفة المقاومة في سبيل البقاء لا تستلزم ان تكون بشكل نزاع بين الافراد بل هناك نوع من المقاومة اهم منها واحق بالالتفات نعني مقاومة الافراد لما يحيط بهم من العناصر الطبيعية . ولا شك ان هذين النوعين اي مقاومة الانسان للانسان ومقاومة الانسان للبيئة يعملان معاً ولكننا نرى انهما كلما ارتقى المجتمع الانساني أهمل الاول وانصرف الى الثاني . بل هو بدلاً من التنازع الدائم بين افراده او جماعاته اصبح الناس يتضامنون ويتعاونون على مقاومة البيئة واستثمار الطبيعة . والتضامن سنة طبيعية ضرورية للتقدم مثل تنازع البقاء . كما يظهر من تتبع احوال الانسان من اقدم ازمان نشوئه

كان الانسان في اوائل عهد العمران اذا قتل اسيراً وقع له من بني جنسه احتفظ بالجثة غذاء له . وهو لا يقدر ان يأكلها وحده دفعة واحدة فكان يأخذ كفايته منها ويحفظ الباقي . ثم ما لبث ان رأى فساد ما يبقى بالتعفن ولم يعد يمكنه أكله . فلنفرض ان لذلك الرجل جارين اصابهما ما اصابه فاضطر كل منهما ان يخسر الجزء الاكبر من غنيمته . فاذا اتفق الثلاثة على التضامن بان لا يقتلوا الا رجلاً واحداً كل مرة يشتركون في اكله بحيث لا يبقى باق يخافون تعفنه استفاد الجميع من هذا الاتفاق . وهو احط مظاهر التضامن الانساني . ثم يرى أولئك الافراد مع الوقت ان الافضل لهم استبقاء أسراهم بالاستعباد بدلاً من قتلهم فيستخدمونهم . والاسير المستعبد كان مهاناً ممقوتاً محروماً من الملذات الدنيوية . ثم وجد الناس بالاختبار ان الافضل حسن معاملة الاسرى وسد حاجاتهم ليتمكنوا من الخدمة والعمل بنشاط . وهكذا كلما ارتقى الانسان قل جنوحه الى القوى القهرية الوحشية وزاد تضامنه مع بني جنسه — ولنتابع

درس تاريخ ذلك التضامن :

وجد اهل تلك الازمان باختبارهم الشخصي ان اسعد القبائل حالاً اكثرها تساهلاً مع عبيدها واحسنها معاملة لهم فتتحسن بهذه الواسطة احوال هؤلاء فيصبح العبيد اقناناً (serf) يعملون في الارض ويستثمرونها وبدلاً من الخدمة العسكرية يقومون بواجبات اخرى معينة . وكلما عمت المبادلة التجارية قل استخدام القوى الجسدية وقامت العوامل الاقتصادية مقامها . وقس على ذلك سائر درجات التقدم — كلما ارتقى الانسان في درجات الانسانية ضعفت فيه عاطفة التنازع : كان اهل القبيلة الواحدة يقتلون كل غريب لانه دخيل يخافونه فالعالم في نظرهم قسمان اهل القبيلة والغرباء . ثم اصبحوا لا يؤذون الغرباء ما لم تكن بينهما عداوة وبعد ان كان الظافرون يقتلون الاسرى بلا رحمة استعبدوهم وانتفعوا بهم . اما اليوم فقد بلغت الدول من التحالف والارتباط الى ما ذهب باهمية القوة العسكرية في احوال الشعوب الاقتصادية وصارت كل دولة تتوقف احوالها الاقتصادية على احوال جيرانها تحسن بحسنها وتفسد بفسادها . فاذا تمكنت انكلترا مثلاً من ابادة الغرباء مات نصف اهلها جوعاً

وكلما ارتقت الامة ميزت بين طبقات الغرباء وقسمتهم الى فرق وجماعات بعكس الزنجي فانه اذا غضب من احد البيض انتقم لنفسه من اي شخص ابيض يجده في طريقه سواء كان فرنساوياً او المانياً او انكليزياً او غير ذلك — واذا حصل خلاف بين انكلترا والمانيا مثلاً فالقائمون به افراد معدودون من الدولتين نعني رجال السياسة وليس للامة على اجمالها دخل . على ان الدولة في نظر الجمهور بمثابة شخص واحد ذي رأي واحد ولكن هذا التشبيه لا يجوز من عدة وجوه بسبب تعدد المصالح بين افراد الشعب الواحد ادبياً ومادياً . فعلاقة ولاية لويزيانا في الولايات المتحدة بمقاطعة لانكشير بانكلترا اشد توثقاً من علاقة هذه المقاطعة بجزر اوركني التابعة لانكلترا لان ولاية لويزيانا ترسل قطنها الى معامل لانكشير فتستولي معاملها عليه وتحوله الى ملبوسات ضرورية للانسان . وعلاقة انكلترا بفرنسا اهم من علاقتها ببعض مستعمراتها وقس على ذلك الروابط الاقتصادية المتعددة بين الامم وهي تجعل الحدود السياسية المتفق عليها بين الدول لا اهمية لها تذكر في الواقع

وخلاصة هذا البحث ان عاطفة المقاومة الغريزية في الانسان آخذة بالتحول من التنازع بين افراد الشعوب الى مقاومة البيئة واستثمار الطبيعة بتضامن الجنس البشري وهو مجراها النافع الحقيقي

النتائج العملية من هذا البحث

قد انتهينا من البحث النظري واقتنعنا ان لا فائدة حقيقية محسوسة من الفتح والاستعمار في هذه الايام . وان زوال الحرب لا يضاد الطبيعة البشرية بتحويل عاطفة المقاومة الاصيلة في اخلاق الانسان الى مقاومة البيئة واستثمار المحيط المادي — على ان الكاتب لا يستحق ان يسمى كاتباً ان لم يفكر في تطبيق اقواله وآرائه على الواقع او يتخذ التدابير الناجعة لنشر فكرته ونقلها الى حيز العمل — فهل يطلب نورمن انجل ان تتوقف المانيا وانكلترا عن بناء المدرعات وتجييش الجيوش او كما قال احد منتقديه « هل يريد ان يقنع الانكليز مثلاً ان يتركوا امورهم للالمان اذا اكتسحوا بلادهم ما زال ذلك لا يؤثر في الحالة المادية الاقتصادية ؟ » كلا . يعتقد المؤلف ان ما دامت الحالة الاوربية كما هي اليوم اي ما دام الاعتقاد سائداً ان الفتح الحربي يجلب الثروة والسعادة فيجب ان يستمر الطرفان على التأهب والاستعداد . غير ان كبار الساسة اليوم يدعون ان الغاية من بناء المدرعات وتجييش الجيوش انما هي الدفاع عن الوطن عند الحاجة لا الهجوم على البلاد المجاورة واغتصاب اموالها . فاصبحت كل دولة تتهم جارتها بالاستعداد للهجوم . فالتأهب للدفاع انما يكون خوفاً من هجوم والهجوم لا يكون الا من اجل المصلحة المادية . فليست غاية المؤلف ان يجعل الانكليزي يرحب بالالمان اذا ارادوا فتح بلاده ولكن غرضه ان يبين للالماني ان لا فائدة من فتحه انكلترا . واذا لم يقتنع فالانكليزي معذور اذا لجأ الى استعمال طرق عدوه

ان الدفاع عن الوطن والذود عن مصالحه لا يكون فقط بالتأهب الحربي براً وبحراً بل يمكن التوصل الى نفس الغاية بتهذيب الرأي العام وترقية شعوره وايقافه على الحقائق المتقدمة وذلك افضل من تجريد السيوف واطلاق القنابل . ولا بد من معترض يقول : هل يمكن ان يقتنع الناس بذلك وان تترك الانسانية عقيدة رسخت في ذهنها منذ نشوئها الى اليوم ؟ لا شك في ان نشر فكرة مثل هذه تستغرق زمناً طويلاً قبل تعميمها ولكن هل يمنع ذلك من السعي في نشرها ؟ قد يكون العامة بطيئي الادراك وقد يصعب عليهم فهم معنى الحرب ونتائجها فهل يقف ذلك دون بذل الجهد في بسط الواقع كما هو ؟ ما الذي يمنع رجال السياسة والادارة من ادراك هذه الامور واذا تحققوا صحتها فما الذي يمنعهم من تنفيذها ؟

ولنسأل التاريخ عن امكان تغير الرأي العام ولنأخذ مثلاً لذلك الاعتقادات

الدينية : في احدى عواصم اوربا صورة زيتية تمثل حاشية ملك اسبانيا بمن فيها من الاشراف والنبلاء يكتنفهم جماهير الشعب اجتمعوا في وسط المدينة ليشاهدوا احراق فتاة جميلة لا ذنب لها سوى انها بقيت على دين آبائها الذي تلقنته منذ طفوليتها — ان البدن يقشعر عند سماع حكاية مثل هذه ولكن منذ كم سنة حصل هذا الحادث ؟ ان اعمار ثلاثة شيوخ اذا جمعت كانت اطول من المسافة بيننا وبين ذلك الزمن (سنة ١٦٨٠) . لا شك ان رجال التفتيش الذين عملوا هذه الفظائع كانوا مخلصين في عملهم كما ان المتحمسين اليوم من حماة الاوطان يطلبون الحرب وهم يعتقدون انهم يخدمون بلادهم بهذه الطريقة

فلماذا لا يلحق العقائد الوطنية التغيير الذي حصل في العقائد الدينية لا سيما وان الفرق عظيم بين الحالة الاجتماعية في هذا القرن وفي ما مضى يوم كان انتشار الافكار من اصعب الامور بسبب جهل الشعب وصعوبة المواصلات . فاصبحت الافكار تنتقل الان بسرعة البرق فتنتشر بين العامة والخاصة . وافضل برهان على ذلك انتشار كتاب الوهم الاكبر في بضع سنوات انتشاراً عظيماً في كل اقطار المسكونة

ان الانسان قادر على اصلاح حاله بمجرد ارادته واجتهاده . هذه حقيقة بسيطة ومع ذلك فكثيرون ينكرونها — فهدم الاوهام السائدة الى اليوم في المسائل السياسية انما يحتاج الى العمل والسعي في اظهار الحقيقة — والحق يعلو ولا يعلى عليه

اميل زيدان

بعد كتابة ما تقدم اتانا كتاب من خليل افندي جباره احد كبار التجار السوريين في منشستر ذكر فيه الاحتفال الشائق الذي اقيم بالامس في تلك المدينة لنورمن انجل صاحب كتاب الوهم الاكبر . وقرأنا تفاصيل الحفلة في بعض الجرائد اليومية ومنها علمنا ان نورمن انجل ألحق القول بالعمل فهو يبشر الآن بمذهبه في انكلترا وغيرها من الممالك الاوربية . وقد خص تلاميذ المدارس بعنايته لانهم رجال المستقبل وعلى ارائهم تتوقف العلاقات الدولية في السنين المقبلة وقد الف جمعيات خاصة لهذا الغرض في جامعات انكلترا والمانيا لتتشرب الناشئة افكاره مع العلم — وكل ذلك يدل على ان الرجل مخلص في خدمته للجنس البشري



يلزم ادارة الهلال بالثمن او المبادلة

تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الاول وسنو الهلال الرابعة والثالثة عشرة والثامنة عشر

سفن الاسطول الاسلامي

وتوابعه

ووصف الحروب البحرية وقوانينها في الاسلام

اتينا في الهلال الاسبق على وصف كثير من سفن الاسطول الاسلامي وانواعها ومعداتها في الاسلام وناحقهُ الآن بذكر بقية انواعها وملحقاتها وما يتبعها من السفن الصغيرة والكبيرة تلك السفن التي كانت كنائن الا انها تمرق مروق السهام ورواكد هي مدائن الا انها تمر مر السحاب غير الجهام فلا عجب ان تسمى غرباناً وتنشر من ضلوعها اجنحة الحمام وتسمى جواري . وكم كان يسير مجراها من النصر . وهذه السفن المقيرة المسمرة غير المخروزة المدهونة والمسطحة غير ذوات الجاجيء التي اول من اجراها في البحر الحجاج بن يوسف [1] وان كانت تجيء في المرتبة الثانية من المكانة الا ان حاجة الاسطول اليها شديدة . وكلمة « الاسطول » لا تطلق فقط على مجموع السفن الحربية بل تطلق ايضاً على السفينة الواحدة الحربية قال صاحب شفاء الغليل : والاسطول مركب تهيأ للقتال ونحوه قال البحتري :

يسوقون اسطولاً كأن سفينه سحائب صيف من جهام وممطر

ويرد ذكرها كثيراً في تاريخ ابن خلدون بهذا المعنى في عدة مواضع فيقول في موضع منها « وصله من مرية بعشرة اساطيل » وفي موضع آخر « جهز له مائة وثمانين اسطولاً » و« اساطيلهم تناهز اربعمائة » الخ

ونبتديء الآن بالكلام على اهم السفن الحربية في الاساطيل الاسلامية وهي :

السفن وتوابعها

﴿ البطس ﴾ جمع بطسة وقد يحرفونها الى بطشة او بسطة وهي سفن حربية بحرية عظيمة الحجم كثيرة القلوع وصل عدد القلوع في البطسة الواحدة الى اربعين قلعاً مما يدل على اتساعها وهول منظرها . وقد اشتهر هذا النوع من السفن على الخصوص في ايام الحروب الصليبية وكانت البطس اشهر انواع سفنهم التي كانو

---

(1) الاعلاق النفيسة لابن رسته ص ١٩٥ و١٩٦ من طبعة ليدن

يتقاتلون عليها في ذلك الزمان لكبر حجمها . ويستخدمونها في نقل الازواد والذخيرة فيشحنونها وقت الحرب بالآلات والاقوات والميرة والرجال والمقاتلة والاسلحة وجميع ما يحتاج اليه في الحروب والحصار فتحمل البطسة الواحدة من المقاتلة خلقاً عظيماً يعدُّ بالآلاف . وكانوا يجعلون لها اسطحة عالية يضعون فيها الميرة والاقوات غالباً وكان لبعضها طبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش تفرش بالبسط وغيرها . وذكروا في التواريخ الافرنجية ان البطسة الهائلة التي كانت لملك المانيا في الحروب الصليبية كانت تسمى لعظمها وتناهيها في الكبر « نصف الدنيا » . ومن اشهر حيلهم في المقاتلة بالبطس ما ذكروه عن محاصرة الافرنج لبرج الذباب الذي كان قائماً وسط البحر وارادوا اخذه فجعلوا على سواري البطس برجاً ملأوه حطباً على ان يسيروا البطس حتى اذا لاصقت برج الذباب احرقوا البرج الذي على الصاري والصقوه ببرج الذباب ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذوه . وجعلوا في البطسة وقوداً كثيرة تلقى في البرج اذا اشتعلت النار فيه . وعبوا بطسة ثانية وملأوها حطباً ووقوداً على ان يدفعوا بها حتى تدخل بين البطس الاسلامية ثم يلهبونها فتحترق هذه البطس ويهلك ما فيها من الميرة . وجعلوا في بطسة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل لهم نشاب ولا شيء من آلات السلاح . حتى اذا احرقوا ما ارادوا احراقه دخلوا تحت ذلك القبو فامنوا وقدموا البطس نحو البرج المذكور وكان طمعهم يشتد حيث كان الهواء مصعداً لهم . فلما احرقوا البطسة التي ارادوا ان يحرقوا بها من على برج الذباب واوقدوا النار وضربوا فيها النفط انعكس الهواء عليهم [1] واشتعلت البطس باسرها واجتهدوا في اطفائها فما قدروا وهلك من كان فيها من المقاتلة [2] وحاول الافرنج اخذ ذلك البرج مرة أخرى فاعدوا في البحر بطسة هائلة وضعوا فيها برجاً بخرطوم اذا ارادوا قلبه على السور انقلب بالحركات ويبقى طريقاً الى المكان الذي ينقلب عليه تمشي فوقه المقاتلة وعزموا على تقريبه الى برج الذباب ليأخذوه به

﴿ البوارج ﴾ جمع بارجة وهي كلمة هندية عربها العرب عن لفظة « بيره » التي هي الى اليوم في اللغة الهندستانية « بيرا » [3] والبارجة سفينة حربية عظيمة اكبر

---

(١) سيأتي في وصف الحروب البحرية شيء من تأثير الرياح واهميتها في حروبهم البحرية

(٢) انظر سيرة صلاح الدين الايوبي لابن شداد

(٣) الراء في الاصل هندية فوقها اربع نقط تنطق بين الراء والغين وهي ثالثة الحروف الهندية التي يزيدها الهنود على حروف الهجاء العربية

من الشونة او هي الشونة العظيمة . وقد استعمل العرب لفظة بارجة كأنها عربية ينعت بها فيقال سفينة بارجة بمعنى سفينة مكشوفة . وقد اخذ العرب البوارج عن الهنود بعد الاسلام فكانوا يقاتلون عليها ويقاتلون بها . من ذلك ما جرى في ايام المعتصم فقد اغار الهنود ببوارجهم على شواطئ فارس الجنوبية وما يجاورها من شواطئ بلاد العرب فحاربهم المعتصم واسر بوارجهم . ذكر ذلك المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف عند كلامه على المعتصم وان له ثماني فتوح منها قوله «واسره البوارج وهي مراكب الهند وكان فيها منهم عسكر عظيم قد غلبوا على ساحل فارس وعمان وناحية البصرة» وذكر البوارج الطبري في حوادث سنة ٢٥١ هـ = ٨٦٥ م فقال ما نصه : «ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة (الى بغداد) عشر سفائن بحرية تسمى البوارج . في كل سفينة اشتيام [١] وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلثون رجلاً من الجذافين والمقاتلة فذلك في كل سفينة خمسة واربعون رجلاً» فالعرب لم تعرف البوارج الا بعد ان اختلطوا بالهنود لما افتتحوا السند وغيرها في القرن الاول للهجرة وكانت ولاة السند من المسلمين في ذلك العهد تستعمل البوارج في الفتوح وفي محاربة الاعداء من الهنود — انظر فتوح البلدان للبلاذري صحيفة ٤٣٥ و٤٤٥ و٤٤٦ من طبعة أوروبا

﴿ المسطحات ﴾ جمع مسطح وهي نوع من المراكب الحربية العظيمة . وقد اقتبس بعض الافرنج لفظة مسطح فقال الاسبانيون والبرتغال Mistico و Mestech والمسطحات والبطس اكبر السفن الاسلامية واعظمها حجماً . وسترى انهم كانوا يأتون بها وقت الحرب خلف المراكب الصغار خوفاً من ان تغرق هذه في واديها

﴿ الشذوات والسميريات ﴾ الشذوات اوالشذا مفردها شذاة والسميريات مفردها سميرية . ضرب من السفن البحرية والنهرية التي كانت تتخذ في الحروب في عهد

(١) الاشتيام او الاستيام في هذا المعنى هو كبير البارجة الحربية ويقابله بالفرنسية Commandant d'un navire de guerre وهذا هو المعنى الاصلي لهذه الكلمة . فان الاشتيام كان لرئيس الملاحين الموجودين في سفينة واحدة وفي عدة سفن حربية كانت او تجارية بحرية او نهرية او لرئيس السفن البحرية الذي بيده الامر والنهي وكل مايتعلق بسير السفينة ثم لامير نوع من السفن البحرية الحربية مثل امير الشذوات (وسيأتي ذكرها) اي بمعنى اميرال Amiral بالفرنسية ثم اصبح الاشتيام بمعنى رئيس الركاب والملاحين معاً ثم صار بمعنى صاحب الامتعة المحمولة في السفينة اي ناظر الامتعة وهذا المعنى فرعي (انظر مقالة الاستاذ ساتسانا Satsana في المقتبس مجلد ٧ ص ٢)

الدولة العباسية وقد اشتهرت في حروب الزنج باوائل النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة كما اشتهرت البطس في الحروب الصليبية . وكانوا يحملون في الشذوات والسميريات آلات الحرب والسلاح والمقاتلة والرماة والملاحين المساحين بانواع السلاح. قال الطبري في حوادث سنة ٢٦٧ هـ ما نصه « وكتب سليمان الى صاحب الزنج يسأله امداده بسميريات لكل واحدة منهن اربعون مجذافاً فوافاه من ذلك في مقدار عشرين يوماً اربعون سميرية في كل سميرية مقاتلان ومع ملاحيها السيوف والرماح والتراس» وكان امير البحر يتشاغل اياماً قبل الحرب بعرض الشذا وما يلحقها من الشذا الجنابيات والسميريات وترتيب قواده ومواليه وغلمانه فيها وتخير الرماة ترتيبهم في الشذا والسميريات وكانوا وقت الحرب اذا استأمنت شذاة من شذوات العدو كان اهلها ينكسون علماً ابيض يكون معهم [1] وهذه هو علامة الامان عندهم



سفينة عربية جلس ربانها على دكة الى اليسار ليدير الشراع بالامراس . وفي وسطها مقعد مرتفع يجلس عليه الديدبان . وهذه الصورة منقولة عن مسودات مقامات الحريري في مكتبة المستشرق شيفر تمثل اسفار العرب في البحار لذلك العهد

(١) الطبري ص ٢٦٧ سلسلة ٣ ج ٤

ولما انقطع العهد بالمحاربة على الشذوات والسميريات في اواخر الدولة العباسية اصبح القوم يركبون السفن المذكورة لغاية التجارة او السفر فقط

﴿ العكيري ﴾ وقد ضبطه ابن بطوطة في رحلته فقال وهو بضم العين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء وراء وهوشبه الغراب الا انه اوسع منه وفيه ستون مجذافاً ويسقف حين القتال حتى لا ينال الجذافين شيء من السهم ولا الحجارة . وهذا النوع من السفن كان يستعمل كثيراً في نهر السند وافرعه الكبيرة

﴿ العشيري ﴾ اتينا فيما تقدم على نوع من السفن الحربية وهو العشاريات ومفرده العشاري او العشيري وقد وصفه عبد اللطيف البغدادي المؤرخ المشهور في سياحته الى مصر في اواخر القرن السادس للهجرة فقال « واما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه « العشيري » شكله شكل شبارة[1] داخله الا انه اوسع منها بكثير واطول واحسن هنداماً وشكلاً قد سطح بالواح من خشب ثخينة محكمة واخرج منها افاريز كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويذهب ويدهن باحسن دهان . وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالساً على وسادته وخواصه حوله والغلمان والماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطعمتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفي باقي المركب يقذفون به لا يعلمون شيئاً من احوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق بمعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده واذا اراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض . والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقرى ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلاً بين يديه ويمشي به الى خلفه . واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل نحو امامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث

(١) الشبارة نوع من السفن العراقية التي كانت تستعمل في نهر دجلة . قال دوزي « ويسمونها في مصر حراقة وهذه الكلمة تستعمل الى الآن في العراق واشار اليها البارون دي سلان في ترجمة لابن خلكان ١ و ١٧٥ وتوفي (ارسلانشاه) في شبارة بالشط ظاهر الموصل والشبارة بالشين المعجمة مفتوحة والموحدة مشددة وبين الالف والهاء راء وهي عندهم الحراقة عند اهل مصر » وذكروا ان السفن التي كانت تخص المأمون سوى سفن العسكر اربعة آلاف شبارة كباراً وصغاراً

الملاح متجه واما سفن مصر فهي تحرك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه واما أي الحالتين اسهل والبرهان عليها فموضعه العلم الطبيعي وعلم تحريك الاثقال [١]

الحروب البحرية وقوانينها في الاسلام

كان من اوصاف الحروب البحرية بين السفن وقوانينها عندهم حتى اواخر دولة المماليك البرجية والبحرية في مصر : انه اذا كانت الحرب بين الشواني وبين البطس والمسطحات فانهم لا يأتون بالشواني ولا بالمراكب الصغيرة خلف البطس والمسطحات لئلا تغرق في واديها ولا يأتون بها من جانبها فانها لا يمكنها الالتصاق بها بل تقابلها عن بعد وتنطحها بالفاس الذي يقال له اللجام المار ذكره فيدخل عند الحرب في اسطام المركب وهي الخشبة التي في مقدم الشيني واذا امكنتهم الفرصة تأخروا به قليلاً ثم قدفوا قدفة واحدة قوية فينطح المركب ويدخل الماء فيه واذا كانت الحرب بين الشواني وبعضها تقرب الشيني من الشيني فتوقفه ثم يطرح الالواح بينهما كالجسر ويدخلون اليه ويقاتلون وقد تقدم في وصف الكلاليب ان العدو اذا كان قوياً ابطل فعلها بفأس ثقيل من فولاذ يضربونها به فتنقطع

وكانت المراكب الكبار ان سكنت الريح عنها جذبها الشواني الى موضع القتال . وكان الاصل عندهم في قتال البحر هو معرفة الرياح فكانوا يحركون المراكب بالارجل حتى يتقدم مركب خصمه او يعلو عليها فوق مهب الريح

وكان على والي حرب البحر اذا خرج للقتال ان يستجيد المراكب ويستجدها ويكثر تقويتها وادخار الاتها حتى اذا تلف شيء من ذلك وجد ما يخلفه ويحتاط في تقييرها واحكام ما يلاقي الماء منها فانه الاصل الذي يعول عليه ويتخير القواد والرؤساء العارفين بمسالك البحر ومراسيه وعلامات الرياح وتغييرات الانواء والحركات البحرية من المد والجزر . وكان من واجباته وقت الحرب ان لا يهجم على المراسي لئلا تكون مراكب العدو بها كامنه ولا يتقدم الى البر الابعد المعرفة به والاحتراز من الاحجار والعشاب والاحارش التي تتكسر عليها المراكب ويكثر من الماء والزاد ليستظهر على طول المدة ان دعت الحاجة اليه كادخار اصحاب الحصون . وان كان القتال قرب البر والسواحل والجزائر فيجعل عيونه وطلائعه على الجبال فيتأهب لذلك ويفعل مقدم

(٢) الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لعبد اللطيف البغدادي صحيفة ٤١

المركب من تأليف اصحابه ووعدهم واستمالتهم وتحريضهم قبل الحرب كما يفعل والي البر وابلغ من ذلك . لان هذا لا منجى منه ولا مخلص الا بصدق القتال اما كاسر او مكسور ......

ان الحرب في البحر شديدة صعبة عسرة لامور منها ان المجال ضيق ولا تكاد السهام والاحجار تخطىء وكل رشق ينكى . ومنها اختلاف الرياح بما يضر او سكونها عند وقت الحاجة اليها ومنها انه لا يمكن فيه الهرب والفرار ان اقتضت المصلحة ذلك ولا الاستتار . وقد مثل العرب حرب البر وحرب البحر بالشطرنج والنرد فقد قالوا نقلاً عن احد حكماء الفرس ان الشطرنج وضع لتمثيل حرب البر والنرد وضع لتمثيل حرب البحر فان صاحب النرد وان وضع المهارك في المواضع الجيدة واحترز فاذا جاءت الفصوص بما لا يوافق الغرض لم ينتفع باحترازه وبطل عليه تدبيره كاختلاف الريح واضطراب البحر قال المتنبي في المعنى :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[1]

﴿ حركات الاسطول ﴾ كانت الاساطيل الاسلامية تجري الالعاب والحركات المعروفة الآن بالمناورات البحرية الحربية امام الخلفاء والملوك في الاعياد والمواسم الرسمية وفي وداع الاسطول وسفره الى الحرب وفي عودته منه فكانوا يحتفلون احتفالاً عظيماً يحضره جميع الامراء وكبار الدولة وتشهده الرعية فكانت الاساطيل تأتي بالالعاب المدهشة فتمثل الحروب البحرية وحركاتها المتقنة وهي مزينة باسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنيقات فيرمى بها وتحدر السفن والمراكب وتقلع وتفعل سائر ما تفعله عند لقاء العدو . وقد وصف ابو بكر محمد بن عيسى لعب الاسطول في يوم المهرجان بجزيرة ميورقة فقال :

بُشرى بيوم المهرجان فانه ... يوم عليه من احتفائك رونق
طارت بنات الماء فيه وريشها ... ريش الغراب وغير ذلك شوذق
وعلى الخليج كتيبةٌ جرارةٌ ... مثل الخليج كلاهما يتدفق
وبنو الحروب على الجواري التي ... تجري كما تجري الجياد السبقُ
ملأ الكماة ظهورَها وبطونَها ... فاتت كما يأتي السحاب المغدقُ
خاضت غدير الماء سابحةً به ... فكأنما هي في سراب أينق
عجباً لها ما خلت قبل عيانها ... ان يحمل الأُسدَ الضواري زورقُ
هزت مجاديفاً اليك كأنها ... اهداب عين للرقيب تحدِّقُ

(١) اثار الاول في ترتيب الدول للحسن بن عبدالله

وكأنها اقلام كاتب دولة في عرض قرطاس تخط وتمشق[1]

اما في مصر فكان الخلفاء والسلاطين يجلسون لوداع الاسطول ولعودته ويحضرون بانفسهم تجهيزه فاذا تهيأ للاقلاع ركب الخليفة الى منظرة المقس (محل جامع اولاد عناد الآن) لتوديعه ومشاهدة حركاته باحتفال باهر قال المقريزي « وفي سنة اثنين وتسعين وستمائة تقدم السلطان الملك الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الى الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس بتجهيز امر الشواني فنزل الى الصناعة واستدعى الرئيس وهيأ جميع ما تحتاج اليه الشواني حتى كملت عدتها نحو ستين شونة وشحنها بالعدد وآلات الحرب ورتب بها عدة من المماليك السلطانية وألبسهم السلاح فاقبل الناس لمشاهدتهم من كل أوب قبل ركوب السلطان بثلاثة ايام وصنعوا لهم قصوراً من خشب واخصاص القش على شاطئ النيل خارج مدينة مصر وبالروضة واكتروا الساحات التي قدام الدور والزوايا بمائتي درهم كل زربية فما دونها بحيث لم يبق بيت بالقاهرة ومصر الا وخرج اهله او بعضهم لرؤية ذلك فصار جمعاً عظيماً وركب السلطان من قلعة الجبل بكرة والناس قد ملأوا ما بين المقياس الى بستان الخشاب الى بولاق ووقف السلطان ونائبه الامير بيدر وبقية الامراء قدام دار النحاس لمنع الحجاب من التعرض لطرق العامة فبرزت الشواني واحدة بعد واحدة وقد عمل في كل شونة برج وقلعة تحاصر والقتال عليها ملح والنفط يرمى عليها وعدة من النقابين في اعمال الحيل في النقب وما منهم الا من اظهر في شونته عملاً عجباً وصناعة غريبة يفوق بها على صاحبه » هذا مثال من تهافت الناس وكثرة اجتماعهم لمشاهدة حركات الاسطول وهو اعظم شاهد على ما بلغت اليه الاساطيل الاسلامية من الجلالة والعظمة واعتناء الخلفاء والملوك بها

الجامعة المصرية عبد الفتاح عباده

احسن طرق ارسال الدراهم

الى ادارة الهلال بمصر

هي الاوراق المالية (بنك نوط) انجليزي وفرنساوي وروسي وامركاني والحوالات على البوسطة لان ذلك ميسور في كل الممالك

(١) المعجب في تلخيص اخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي علق عليه الاستاذ دوزي بالانجليزية وطبعه في ليدن سنة ١٨٨١

بيض الفصح

بحث ادبي أثري تاريخي

١ — رمز البيضة عند القدماء

ان الامم قديمها وحديثها اتخذت الرموز لشؤون شتى . وغني عن البيان ما في هذا الامر من الاشارة الى تاريخ الشعوب الماضية ومعرفة درجات تقدمهم ورقيهم . فقد اكثر منها الصينيون وتفننوا فيها على مناح متنوعة . واستخدمها المسيحيون ولا سيما في الاجيال الثلاثة الاولى لاسباب تاريخية كنسية لا محل لتفصيلها هنا . ومما هو حري بالذكر ان اشهر الرموز العظمى عند الامم القديمة هي البيضة العالمية اي التي تولد الكون منها . فان هذا الرمز وجد عند كل الامم القديمة الوثنية الا الصينيين . فاهل اليابان يمثلون البيضة امام ثورذهبي يكسرها بقرنيه ليخرج منها العالم . والثور رمز ايضاً عن القوة الخالقة . واصل هذا الاعتقاد اي مسئلة البيضة عند الهنود كما هو شائع ان برهم الروح الازلي المبدع الكل لما شاء ان يخلق الكون انشأ اولاً الماء ووضع فيه جرثومة فاستحالت الجرثومة الى بيضة ذهبية شديدة اللمعان حلَّ فيها برهم وخرج منها باسم برهمي ثم شاء ايضاً فلقها نصفين كوَّن منهما السماء والارض وجعل بينهما الجو وما تضمنه من الاجرام . وتروى الحكاية على غير هذا الاسلوب

ويرويها الفرس ايضاً في اعتقادهم على خلاف هذه الكيفية وينسبونها الى ارمزد روح الخير . ويذكرها المصريون القدماء على نسق قريب من ذلك ويخالفهم بعض المخالفة الفينيقيون والكلدانيون وغيرهم . وربما كان المسيحيون يرمزون عن دفن السيد له المجد وقيامته باستخدامهم بيض الفصح لما في ذلك من المشابهة الظاهرة . فقشرة البيضة الشبيهة بالرمس تحتوي على جسم حي يتولد منه فرخ اذا توفرت للدجاجة شروط طبيعية لا مناص منها . وفي العادة المألوفة عند بعض المسيحيين الى عهدنا هذا ان يكتبوا على البيضة شعار العيد المجيد بظفر الرب وقيامته من بين الاموات « المسيح قام » اشارة واضحة الى هذا الرمز

وهاك ما كتبه في هذا المعنى احد نوابغ عصرنا المشهورين بدقة نظرهم وكثرة ابحاثهم قال : « وعند الطوائف الشرقية رمز قديم لا يزال مستعملاً حتى اليوم في عدة كنائس وهو البيضة . فيعلقون بيضة نعام في حنايا الكنائس يريدون بها الدلالة على قيامة المسيح وعلى سهره على كنيسته كما يسهر النعام على صغاره . ومن ذلك عادة

البيض الفصحي في كل البلاد يمثلون بها قبر المسيح الذي فتحه بقوة لاهوته فظهر للعالم بحياة ممجدة بعد زوال حياته الاولى الفانية . وربما صبغوا البيض بحمرة دلالة على دم الفادي المسفوك لخلاص البشر مدة آلامه . والكنيسة نفسها تدعى في الشرق « بيعة » اي بيضة (من السريانية « بيعتا ») ولعل سبب هذه التسمية انهم كانوا يبنون الكنائس على شكل البيضة يمثلون بها قبر المسيح » (اه)

٢ — تلوين بيض الفصح وتقاليد المسيحيين بشأنه

لا مشاحة في ان عادة تلوين بيض الفصح قديمة جدًّا يعزى تاريخها الى ما قبل المسيح باجيال . ويُروى ان المؤمنين كانوا يكرسون يوماً من سنتهم ليحتفلوا فيه ببدء الربيع وكانوا يقضونه بين اللهو والقصف واللعب والرقص ومن جملة عاداتهم في هذا اليوم تلوين البيض اشارة الى مناظر الطبيعة المدبجة بالازهار على اختلاف اشكالها والوانها . بيد اننا لم ندر متى ادخلت هذه العادة في الديانة المسيحية وانتشرت بين معظم المسيحيين . ومن اغرب ما يقال في هذا المعنى ان بعض المسلمين والاسرائيليين واهل الشيعة (المتاولة) وغيرهم يلونون البيض في ايام معلومة عندهم

ومهما يكن من الامر فالمخيلة المسيحية قد وضعت لهذه العادة المذكورة تقاليد شتى لا بدَّ من ذكرها لما فيها من الفكاهة والافادة . يرى البعض ان القديسة مريم المجدلية بعد وفاة السيد وقيامته قصدت رومية المدينة الشهيرة اذ ذاك رغبة في مواجهة القيصر . فمثلت بين يديه وشكت له قساوة بيلاطس والي اليهودية نحو سيدها وكانت عبرات الحزن والتلهف تجري على وجنتيها . وقدمت له بيضة حمراء اشارة الى دم السيد الذي اهرق من اجلنا فطيب القيصر قلبها الحزين ووعدها خيراً بالاستقصاء عن هذا الامر ومحاكمة المعتدين . ويزعم اخرون ان احدى الآنسات الاسرائيليات اتفق انها حملت في حجرها عدداً من البيض ومرَّت بصديقة لها مسيحية . فبادرتها الثانية بالسؤال التالي « اتعلمين ايتها الصديقة ان سيدنا له المجد قد قام من الاموات » ؟ فاجابت الاسرائيلية لم اصدق ذلك ان لم يتلون ما في حجري من البيض وهكذا كان . وقال غيرهم غير ذلك . وعندنا ان مسئلة صبغ البيض عادة قديمة عند المسيحيين فكانوا ولا يزالون يصبغونه بالاصفر والبنفسجي والاحمر وغيره بقصد الزينة او تمييزاً عن بيض سائر السنة ويتهادونه يوم عيد الفصح . وقد بطلت هذه العادة اليوم في كثير من البلاد واستبدلت في بعضها ببيض من السكر يجعلون في باطنه شيئاً من الهدايا اللطيفة ويعطى للاولاد . ولا شك في ان هذا البيض هو ما كان يجتمع عندهم في ايام الصوم لسبب

امتناعهم من المآكل الحيوية وما شاكلها مما هو مسطر في الكتب المسيحية الطقسية ولا حاجة الى ذكره

٣ — التفنن في تزيين بيض الفصح

ولم يقتصر المسيحيون على مجرد تلوين البيض بالالوان المستعملة فتطرقوا من هذه العادة البسيطة الى ما وراءها وابدعوا في نقش البيض وتصويره وزخرفته . فالباريسيون مثلاً لهم باع طويلة في تصوير البيض والتفنن فيه . وكفى برهاناً ساطعاً على ذلك ذكر كل من مصوريهم Lancret وWatteau اللذين اشتهرا بتصوير البيض وزخرفته . على ان القدسيين وقاطني بيت لحم وبيت جالا وغيرهما من ضواحي اورشليم لهم مزية خاصة في زخرفة البيض . فبعد صبغه بلون احمر قاتم ينقشون عليه رسم قيامة السيد ويدبجونه بازهار وتعاريج متعددة ويكتبون عليه غالباً بالعربية واليونانية والروسية « المسيح قام » فضلاً عما يستحضره باعة السلع الكنسية من روسيا وغيرها من البيض الاصطناعي . فزخرفته تأخذ بمجامع الفؤاد بما فيها من دقة الصناعة وجودتها . وقد اعتاد بعض آنسات القدس وسيداتها ان يثقبن البيضة بثقوب دقيقة يتمكن بها من اخراج بياضها وصفارها وتنظيفها ويطرزن عليها بالابرة العادية اشكالاً كثيرة لا فائدة من وصفها . فهذا النوع الاخير من البيض قليل الكلفة لكنه حسن المنظر يقتنى لتزيين بيوت العامة والخاصة

٤ — مهاداة بيض الفصح

بقي الكلام على اصل عادة مهاداة البيض وهو مما لم يتوصل الباحثون الى معرفته على وجه يمكن الجزم فيه . والارجح ان هذه العادة قديمة بدليل انتشارها في بلاد فارس وغيرها ولم تزل مرعية الجانب عندهم الى عهدنا هذا وقد اتخذوا لذلك عيداً سموه عيد البيض وهو اليوم العشرون من آذار أي رأس العام الجديد . ولا يخفى ان هذه العادة انتقلت الى المسيحيين القدماء فعمت معظم الاقطار النصرانية . ولا مشاحة ان الديانة المسيحية كما هي الآن تشتمل على كثير من العادات الوثنية والعبرانية غير ان المسيحيين تصرفوا بتلك العادات على مقتضى البواعث والاحوال وسلموها ايانا بهيئة جديدة ليس فيها أثر وثنيّ . ولا نقصد من اثبات ذلك الا بيان ما هو حري بالذكر لما فيه من الصحة التاريخية . فان بعض المولعين بدرس عادات الشعوب وتأويلها قد عللوا عادة اهداء البيض كما يأتي : ان الكنيسة المسيحية شرقها وغربها كانت منذ القديم تنقطع في أثناء الصوم الاربعيني عن تناول المآكل الحيوانية

والبيض واللبن وغيرها كما هو جارٍ الآن بين الشرقيين . فاخذ المسيحيون يتهادون البيض المسلوق يوم العيد السعيد لتعذر اهداء غيره من المآكل . وقد ترك لنا احد ادباء الافرنسيين وصف ما كان شائعاً في القرن الثالث عشر وما فوقه من العادات البهجة يوم عيد الفصح واهداء البيض فيه الى ان قال : ان عادة اهداء البيض الطبيعي لم تزل مستعملة حتى يومنا هذا غير ان الباريسيين استعاضوا عنها بالبيض الاصطناعي والملبس واللعب وما شاكلها

ويحسن بنا ان نلاحظ في هذا البحث ان القدسيين يستحضرون ليلة الجمعة العظيمة كمية من البيض المسلوق الملون الى الكنيسة في كيس صغير فيه قشر من المحاب وقطع من الشعانين المباركة . فبعد ان يقرأ عليها الكاهن الاثني عشر انجيلاً المعروفة باناجيل الآلام حسب الطقس الشرقي يعيدها اصحابها الى بيوتهم ويوزعهـا كبير العائلة على على اهله نهار عيد الفصح بعد قداس الهجمة . فهذه العادة معروفة عنـد جمهور القدسيين غير انها مرعية الجانب بين القابلين منهم لاسباب لا حاجة الى نشرها . ولبيض الفصح صلوات خاصة يجدها من يريد في الكتب الطقسية المسيحية . هذا جل ما وقفنا عليه في هذا الصدد وللباحثين في كل ما ذكر تفاصيل شتى امسكنا عن استيفائها حباً بالاختصار

الاسكندرية في ١٩ ابريل سنة ١٩١٣ نجيب ميخائيل ساعاتي القدسي

دكتور في اللاهوت



الجواهر الاصطناعية

اشتغل الكيماويون القدماء طويلاً في تحويل المعادن الى ذهب واضاعوا السنين في البحث عن حجر الفلاسفة المنشود . ولم يفكروا في عمل جواهر اصطناعية مع انه اسهل من ذلك . لان الجواهر مواد بسيطة مبلورة فيكفي للحصول على الجواهر الثمينة ان نتوصل الى طريقة لتبلور تلك المواد واول خطوة في هذا السبيل تحديد مقادير المواد الداخلة في تركيب تلك الجواهر . ونبدأ بكيفية عمل الماس الاصطناعي :

اصطناع الماس

ثبت منذ نحو ١٥٠ سنة ان لافرق بين الماس والفحم في اصل مادتهما لان كليهما فحم (كربون) لكن الماس فحم مبلور. فلم يبق لاصطناعه غير اكتشاف طريقة يتبلور بها الفحم . وقد استسهل بعض الكيماويين ذلك في بادئ الامر قياساً على تبلور بعض

المواد المعروفة كالكبريت مثلاً فانك اذا احميته حتى صار سائلاً ثم تركته الى ان يبرد تكونت فيه بلورات صفراء جميلة . اما الفحم فاذا أحمي احترق وتحول الى غازات باتحاده مع اوكسجين الهواء . وهناك طريقة اخرى للتبلور عرفها الكيماويون — نعني اذا ذوبت ملحاً اعتيادياً في الماء لابد ان تصل الى درجة لا يذوب فيها الملح لان الماء اذاب كل ما يقدر ان يذيبه . فاذا احميت ذلك الماء زادت قابليته للتذويب . فاشبعه من الملح وهو حام واتركه حتى يبرد فيتبلور الملح الذي اذابته الحرارة

وقد صحت هذه الطريقة بتبلور الفحم فاذابوه في حديد مصهور فلما برد المزيج تحول الفحم الى بلورات سوداء مظلمة ليس فيها شفافة الماس . وهذه البلورات هي المادة التي يصنعون منها اقلام الرصاص . وليس في تلك الاقلام في الحقيقة أثر للرصاص وانما هي فحم مبلور يسمى عند الافرنج Graphite

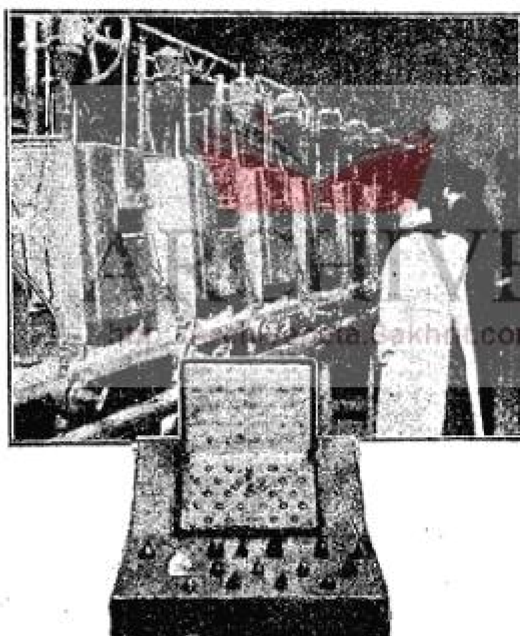
واول من وفق الى صنع ماس حقيقي هنري مواسان . بدأ عمله بدرس تركيب الماس الطبيعي درساً دقيقاً فاضطر لذلك ان يحرق قطعاً منه فوجد فيه أثراً خفيفاً من الحديد . فاستنتج من ذلك ان للحديد دخلاً في تكوين الماس . ثم وجد بالبحث ان الماس يوجد في مناجمه ومعه دائماً نوع من الصوان « الكوارتز » وهذا الحجر لا يتكون في الطبيعة الا بالضغط العظيم فاستنتج مواسان ان الماس كذلك يحتاج الى الضغط في تبلوره

وقد زاده تمكناً من استنتاجاته المتقدمة ان احد العلماء وجد في نيزك وقع في ولاية اريزونا من الولايات المتحدة قطعاً صغيرة جداً من الماس ففحص مواسان بنفسه ذلك النيزك ليبحث عن كيفية تكون الماس فيه فتوصل الى ان الحديد يسيل من شدة الحرارة فاذا برد سائله زاد حجمه كما يزيد حجم الماء اذا تحول الى جليد . فالنيزك واكثره من الحديد يسيل عند وقوعه بالحرارة التي تتولد من احتكاكه الشديد بطبقات الهواء التي يمر فيها . لكنه لايلبث ان يبرد فتبرد اولاً طبقة خارجية تكوّن حوله غلافاً صلباً ويبقى الحديد في داخله سائلاً فيبرد شيئاً فشيئاً ولا مجال لزيادة حجمه لانحصاره بذلك الغلاف الصلب . فينشأ من ذلك ضغط شديد يكفي لتحويل الفحم الممزوج بالحديد الى ماس . فلم يبق لمواسان بعد اكتشافه هذا الا ان يقلد الطبيعة بما يشبه النيزك ليتحقق صحة استنتاجه عملياً . فوضع كمية من الحديد مع قليل من فحم السكر في وعاء لا يذوب بالحرارة ولا يحترق . ووضعه في فرن كهربائي يولد حرارة هائلة فسال الفحم والحديد فنقل هذا المزيج دفعة واحدة الى وعاء فيه ماء بارد جداً .

فحصل فيه نفس ما يحصل للنيزك . اي تكون اولاً غلاف حديدي وفي داخله السائل الحديدي . فلما برد تولد فيه ضغط شديد فتبلور الفحم فعلاً بشكل قطع صغيرة من الماس لا تساوي القطعة منها خمس ما انفقه في توليدها — على انه وان لم يربح مالاً من تجاربه هذه فله الفضل في كشف سر من اسرار الطبيعة ومعرفة الطريقة التي تصنع بها حجارتها الكريمة . ومهد طريقاً قد يأتي بفائدة مادية في المستقبل باتقان العمل

اصطناع الياقوت

لم يكسب مواسان شيئاً من عمل الماس الاصطناعي لكن بعض اهل النشاط والجد نجح في اصطناع الياقوت واستثمر تعبه . عرف الكيماويون من زمن طويل ان



معمل الياقوت : توضع المواد الاولية في القمع الاعلى حيث تذوب من شدة الحرارة فتتساقط في الداخل وتكون بلورات الياقوت . وفي اسفل الصورة انموذج من الياقوت الاصطناعي قبل صقله وبعده

الياقوت ليس الا شكلاً متبلوراً من الخزف الاعتيادي الذي تصنع منه الاوعية كالقلل والاباريق واسمه العربي صاصال . فما هي طريقة تبلور ذلك الخزف ؟ ان اول من توصل الى ذلك الاستاذ فرنايل الفرنساوي وطريقته اليوم مستعملة في فرنسا والمانيا يربح اصحابها منها ربحاً لا يستخف به

اما الطريقة فبسيطة جدًا وهي كطريقة مواسان — عبارة عن تقليد الطبيعة في تكوينها قضبان الجليد المدلاة . وذلك ان نقطة الماء اذا بردت تحت الصفر كونت بلورة ثلجية . فاذا بردت قبل سقوطها من سقف كالدلف تبلورت وجمدت ولصقت به وتبعتها نقطة أخرى جمدت فوقها او حولها ولا يزال حجمها يتزايد كلما سقط عليها الماء حتى تتكون منها اسطوانة بشكل الاجاصة المقلوبة . غير ان فرنايل ادخل بعض التغيير على طريقة الطبيعة فبدلاً من شكل الاجاصة المقلوبة جعل بلورة الياقوت تتكون بشكل اجاصة معتدلة

وكيفية ذلك ان يضاف الى الصلصال قبل تبلوره بعض المواد الملونة كاوكسيد الكروم للياقوت الاحمر والتيتانيوم مع اوكسيد الحديد للياقوت الازرق (وقد توصلوا الى هذا التركيب بعد التجارب الطويلة) توضع مع الصلصال في وعاء قمعي الشكل تولد فيه حرارة شديدة فيذوب الصلصال والمواد الممزوجة به فيتساقط نقطاً من فوهة القمع على قالب صلب اجاصي الشكل (كمثري) فيجمد ويتخذ شكله ثم تصقل هذه البلورات الخشنة فتصير جميلة لطيفة . والوان الياقوت المختلفة تتوقف على المواد التي تدخل في المزيج الاولي فاذا كان اوكسيد الكروم مثلاً لطيفاً خرجت الياقوتة حمراء بلون الدم واذا خالطه شيء من الحديد خرج بلون برتقالي وقس على ذلك

ولا بد ان يتساءل القارئ اذا كان ثم فرق بين الياقوت الطبيعي والياقوت الاصطناعي فالجواب ان العين وحدها لا تجد فرقاً ظاهراً بين الاثنين . ولكن المكروسكوب يبين فرقاً طفيفاً لوجود خلايا هوائية في الياقوت الاصطناعي مكانها بلورات رمادية صغيرة جدًا في الطبيعي

ولنفرض اخيراً انهم توصلوا الى طريقة بسيطة وخيصة لصنع الماس وسائر الحجارة الثمينة فما تأثير ذلك على الناس ؟ لا شك ان قيمتها تقل ويقل طالبوها ايضاً لكثرتها لانها لا تكون حينئذ وسيلة للظهور والتفاخر . فيفتش الناس عن حجر او معدن غير معروف ولو كان في جبهة الاسد ليتميز به الاغنياء عن سواهم

كيف صار روزفلت رجلاً

درس للشبيبة الشرقية

يحرر روزفلت اليوم في مجلة الاوتلوك الاميركية وقد شرع يكتب فيها فصولاً من تاريخ حياته واختباراته الشخصية وهو طفل وغلام ورجل . وقد خصص في العدد الاخير منها فصلاً في حياته الجسدية ذكر فيه كيف كان في صباه نحيلا ضئيلا وتنبه الى

الاهتمام بتربيته البدنية حتى صار قوياً نشيطاً . وختم مقالته بنصائح مفيدة للحصول على بنية قوية . فرأينا ان نقتطف من تلك المقالة ما نعتقد فيه النفع للقراء ولا سيما الشبان منهم وحسبهم الاقتداء برجل كروزفلت — قال :

« كنت غلاماً سقيماً عصبي المزاج جباناً لا اقدر ان اجاري رفاقي لكنني كنت احب الرجال الاشداء الذين لا يهابون شيئاً وكنت اعجب بما اقرأه من قصص الشجاعة والفروسية او اسمعه من الحوادث التي جرت لابي واجدادي . على ان هذا الاعجاب لم يخرج عن كونه شبه حلم بعيد فلما بلغت السنة الرابعة عشرة من عمري طرأ عليّ حادث انتفعت منه نفعاً جزيلاً واليك هو :

« اصبت بالربو في صدري حتى عجزت عن العمل فطلبت الراحة في قرية على ضفة بحيرة فسافرت اليها ومعي في المركبة ولدان من عمري كانا اقوى مني بدناً واسوأ نية فلما رأياني جباناً ضعيفاً طمعا في اغتيالي وجعلا يضايقانني حتى لم اطق صبراً فخطر لي ان انازلهما واقاتلهما فرأيتني عاجزاً عن مقاتلة واحد منهما فكيف بهما معاً

« فعلمني هذا الحادث اكثر من الكتب التي قرأتها والمواعظ التي سمعتها فقررت ان اجعل نفسي رجلاً صحيحاً قوياً لئلا اقع تحت رحمة غيري ووجدت الطريقة الوحيدة لهذه الغاية التمرين العضلي والرياضة . فبدأت اتعلم الملاكمة (بوكس) فاستصعبتها في بادئ الامر لعدم لباقتي وقلة مرونة عضلاتي لكنني ما لبثت بعد سنتين حتى صرت من الملاكمين وفي ذات يوم اجرى استاذي امتحاناً لتلاميذه في الملاكمة فكانت النتيجة اني فزت على رفيقين قويين لم اكن احلم بالانتصار عليهما فدهشت لهذا النجاح الباهر »

ثم سرد روزفلت كيف اخذ منذ ذلك الحين ينصرف الى ركوب الخيل وصعود الجبال والصيد وسائر الالعاب الرياضية والتمارين الجسدية مما يطول تفصيله . على ان سياحته في السودان منذ بضع سنوات برهان ناطق على الدرجة التي بلغ اليها اهتمامه بالرياضة البدنية ونقتصر هنا على النصائح والآراء التي ختم بها مقالته قال :

« ذكرت الحوادث المتقدمة تأييداً لمبدأي في هذه الحياة وهو ان النشاط النفسي يؤدي الى النشاط الجسدي وهو اساس كل عمل . ان سكان المدن بخلاف اهل القرى لا تساعدهم طبيعة الحضارة على التقدم الجسدي ولكن يمكنهم بكل سهولة ان يجعلوا انفسهم اقوياء اصحاء اذا ارادوا ذلك ولا يلزمهم للوصول الى هذه الغاية الا العزم والثبات . فكل صانع او محام او تاجر او غيرهم من سكان المدن يقدر ان يحصل على جسم صحيح وعقل صحيح . شاهدت كثيرين من رفاقي في الجيش كانوا في فرقتي ومع

كونهم من اهل المدن اظهروا من الاقدام والنشاط والثبات ما لم يظهره سواهم

« ان أسباب النجاح في هذا العالم نوعان : احدهما فطري تهبه الطبيعة من نفسها بلا تعب او اجهاد كالمواهب الطبيعية البدنية والعقلية وقد يستطيع الانسان التوصل بها الى النجاح في امور لا يقدر ان يبلغها عامة الناس مهما اجهدوا قواهم . ويدخل في هذا القسم الرجال العظام من قواد وحكام وكتاب وغيرهم . ولا شك ان التعلم والتمرين يزيدان تلك القوى الفطرية ولكنهما لا يمكنان رجلاً اعتياديا من بلوغ الغاية القصوى . اما النوع الآخر فهو اقل ظهوراً لكنه اكثر اهمية لعموم الناس اذ يكفي للحصول عليه العزم والثبات وهو ليس مبنياً على فرق جوهري بين الناس يميز بعضهم عن بعض وانما هو فرقٌ عرضي ينشأ ويزول بمجرد ارادة الرجل . لانه لا يستلزم قوًى فطرية هائلة بل يتوقف على تمرين المواهب الاعتيادية الموجودة في كل انسان وتربيتها . فباب النجاح من هذا النوع مفتوح لاكثر الناس على شرط ان يستعملوا قوة ارادتهم . ولا شك ان كثيراً من الاعمال العظمى التي ذكرها التاريخ قامت بذوي الهمة والنشاط وان لم يكونوا بفطرتهم من اصحاب الادمغة الممتازة . فاسباب النجاح الثانية تهمُّ جمهور الناس اكثر من تلك واليها يجب توجيه الاهتمام . اما فيما يخصني فان كل فوز او انتصار نلته في حياتي انما هو من النوع الثاني لاني كنت في بادئ امري ضعيفاً نحيلاً قليل الثقة بنفسي فتغيرت تغيراً عظيماً بواسطة التمرين الجسدي والنفسي

« لا ازال اذكر قصة قرأتها منذ حداثتي فيها قبطان مركب انكليزي يقصُّ لبطل الحكاية كيف حصل على خلق الشجاعة وهذا قوله : « يكون الرجل في بادئ امره ضعيف العزم قليل الثقة بنفسه جباناً يخاف من كل شيء واكثر مخاوفه وهمٌ ناتج عن ضعف ارادته . ثم لا يلبث ان يتسلط على ذلك الوهم شيئاً فشيئاً بتقوية ارادته فيذهب خوفه . وبعبارة اخرى انه يقنع نفسه بالوهم بان لا باعث للخوف . ثم يتحول هذا الوهم الى حقيقة فيصبح لا يهاب شيئاً » وقد اتبعت هذه الطريقة وكنت اخاف اموراً كثيرة مادية ومعنوية فتعوَّدت ان اعمل كما لو لم اكن خائفاً فاصبحت في الواقع لا اخشى شيئاً مما كنت اخافه قبلاً . فكل واحد يقدر ان يعمل عملي لا سيما في ايام حداثته

« لاشك ان الرجل المولود شجاعاً يستحق اعجابنا . ولكن لا يبرح من ذهننا ان الرجل الذي لم تمنحه الطبيعة هذه النعمة يقدر ان يكتسبها اذا اراد ولا يكفي ان يريد ذلك وهو جالسٌ في غرفته كانه يحلم حلماً لطيفاً بل عليه ان يسعى ويعمل ليحقق حلمه فان الهمم تجعل الوهم حقيقة » اه



بيربونت مورغن

المثري الاميركي الشهير

تبحث الصحف والمجلات باسهاب في تراجم حملة الاقلام من سياسيين واجتماعيين وادباء وشعراء وتعدد آثارهم وثمار قرائحهم . وقلما تذكر رجال الاعمال المادية والمشاريع الاقتصادية . ليس فينا من لا يعرف ترجمة هوجو وشكسبير ودانتي ولكن الذين يعرفون سيرة مكتشف البخار ونحوه قليلون مع ان النفع المحسوس من وراء اكتشاف كهذا والتأثير الحقيقي الذي يلحق كل امة من امم العالم عظيمان جداً في حياتها الاقتصادية المادية بالنسبة الى عمل شاعر او كاتب . فاكتشاف البخار مثلاً احدث انقلاباً هائلاً في الحالة الاقتصادية لم يفت الانتفاع به فرداً من افراد العالم . اما كتب الادب والشعر فتسر قارئها وقد ينتهي كل عملها هناك

وقد قام في البلاد الاميركية في القرن الماضي فئة من رجال الاعمال والمشاريع كانوا قادة شؤونها الاقتصادية وفي مقدمتهم المستر جون بيربونت مورغن المتوفى بمدينة رومية في ٣١ مارس الماضي ونحن موردون فذلكة من ترجمة حاله مع آراء بعض المشاهير فيه

حياته واعماله

ولد مورغن سنة ١٨٣٧ في مدينة هارتفورد ووالده جونيوس مورجن من الماليين المعروفين كان صاحب مصرف من اكبر مصارف الولايات المتحدة فلا غرو اذا اتبع الابن خطوات ابيه . ويختلف مورغن من هذا القبيل عن غيره من المثريين الاميركيين كفاندربلت وكرنجي اللذين بلغا الى ما بلغا اليه من الثروة بدون تمهيد او سابقة . تعلم مورغن اولاً في مدرسة بوسطن العالية واتم دروسه في جامعة كوتنجن الالمانية ونال عدة القاب اكرامية من جامعات اميركا اعترافاً بذكائه

وفي العشرين من عمره اشتغل كاتباً في احدى الشركات ثم صار الوكيل الوحيد في الولايات المتحدة لبيت من بيوت لندن المالية . وفي سنة ١٨٦٤ الف شركة مالية باسم «دبني مورغن وشركاهم» وبدأت مشاريعه الكبرى من ذلك الحين ولا سيما فيما يختص باصلاح ادارة السكك الحديدية وتنظيمها . ويروى عنه في تلك الايام ان والده كلف صديقاً له ان يراقب سلوك مورغن الصغير ويخبره عن احواله فبعد مدة ارسل تقريراً قال فيه « ان جون مواظب على عمله لكنه قليل النشاط والانتباه » واظهر الصديق ثقته القليلة بنجاحه في المستقبل . ولم يمض شهران على هذا التقرير حتى كان العالم المالي شديد الاعجاب بمهارة مورغن في انقاذ احدى شركات السكك الحديدية من الافلاس

وما زال من سنة ١٨٨٠ يحسن احوال السكك الحديدية والماليون يشعرون بتأثيره المتزايد حتى كانت ازمة سنة ١٨٩٣ فاقفل بها خمسمئة مصرف من مصارف الولايات المتحدة فكان بيربونت مورغن من اكبر العوامل في اصلاح الخلل وارجاع الثقة التجارية وهي قوام المعاملات المالية . على ان مورغن مشهور بابتكاره شركة احتكار الفولاذ سنة ١٩٠١ وهي كغيرها من شركات الاحتكار الاميركية المعروفة عندهم بالترست (Trust) وغاية كل منها حصر صنف معين من الاصناف يكون لها القول الفصل في كل ما يتعلق به من اصطناعه وبيعه . وقد حسن مورغن احوال الفولاذ بهذه الطريقة ولا يخفى ما يحتاج اليه هذا المشروع من المقدرة العقلية والهمة وغايته احتكار صناعة هي ركن من اركان الحياة الاقتصادية

وقام مورغن بعد ذلك بمشاريع كثيرة والف عدة شركات تجارية ولما طرأت ازمة سنة ١٩٠٧ كان له الفضل الاكبر في تخفيف وطأتها فاقرض البيوتات المتضايقة الموثوق بها مبلغ ٥ ملايين جنيه واتحد مع زملائه فعملوا جميعاً على ارجاع المياه الى

مجاريها . وبالاجمال انه كان ركناً من اركان الحركة التجارية في العالم باسره اذا طرأ خلل على تلك الحركة بادر الى اصلاحه حتى قيل « ان مكتب مورغن ملجأ المتقهقرين يصلح حالهم وينتشلهم من هوة الخراب »

لا يظنن القاريء بعد سرد هذه الاعمال التجارية المادية ان الرجل كان في شاغل عن الامور الادبية المعنوية فقد كان من اكبر المشتغلين بجمع الكتب الثمينة والآثار النفيسة القديمة والحديثة ويقدرون ثمن ما جمعه في حياته بمبلغ يتراوح بين اربعة ملايين جنيه وعشرين مليوناً . منها نحو ١٦٠٠٠٠ جنيه ثمن ثلاث صور زيتية فقط وله مجموعة مصنوعات صينية تقدر بمثل هذه القيمة ولا يمكن سرد محتويات مجموعاته الا بصفحات عديدة . فنقتصر منها على ذكر الاناجيل التي كانت لهنري الثامن ملك انكلترا ونسخ عديدة من الكتب المقدسة من اقدم النسخ الخطية والمطبوعة . ونسخ من الطبعة الاولى لكتب شكسبير وغيرها من الآثار الادبية ونحو ذلك من التحف النادرة

آراء بعض المشاهير ممن عاملوه

اجمع الذين عاملوا مورغن على امتداح اخلاقه وصدقه قال فيه روزفلت :

« كان مورغن مخالفاً لي في اهم المسائل السياسية ومع ذلك فكلما سنحت لي الفرصة ان احادثه او اعامله كنت اتوسم فيه الصدق والاخلاص . فاذا قال فعل واذا وعد وفى وكان يصنع الخير ويشترط كتمانه . عرفت عائلة احد اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي انقذها مورغن من الفقر المدقع ولم يكن بينه وبين المتوفى رابطة سوى اعجابه بصدق وطنيته واخلاصه في الخدمة العامة . فعل ذلك بعد ان اشترط ابقاء امره مكتوماً »

وسئل راعي الكنيسة التي كان مورغن عضواً فيها عن حياته الدينية فقال :

« كان بيربونت مورغن مع كثرة شواغله اول مساعد لكل عمل خيري واول معضد لكل اجتماع يراد به تحسين حالة الشعب وكان شديد الايمان ينتبه بكل خشوع لما يقال في الكنيسة من الوعظ والصلاة وكثيراً ما كان يعين الفقراء سرًّا »

وقال احد اصدقائه من كبار الماليين :

« اسعدني الحظ ان اعاشر مورغن زمناً طويلاً وادرس اخلاقه فوجدت نجاحه العظيم لم يكن متوقفاً على ذكائه وعلمه . وانما هو ناجم عن اخلاقه وآدابه فانه كان رجلاً بكل معنى الكلمة — ولا شك انه ورث كثيراً من مناقب ابيه وكثيراً ما سمعته يذكره مقروناً بالاحترام . على انه سعى هو نفسه في تربية اخلاقه وانمائها اذ لا يكفي ان يكون الوالد حسن السيرة حميد الاخلاق ليشب الابن على مثاله بل لا بد من ان يختار الانسان لنفسه الطريق الذي يحلو له . وكان مورغن يفتخر انهُ استقلَّ عن ابيه في بادئ

حياته فكوّن اخلاقه بمجرد ارادته وسعيه • فسرّ مقدرة هذا الرجل في ما بلغ اليه من الاهمية الاقتصادية حتى اصبح امر الاسواق المالية اليه انما هو اخلاقه واساسها الصدق والامانة والمواظبة والنشاط . أما ثروته فقد اختلفوا في تقديرها ولا يستطيعون معرفتها تماماً الا بعد حين ولكن المظنون انها نحو ثلاثمائة مليون جنيه

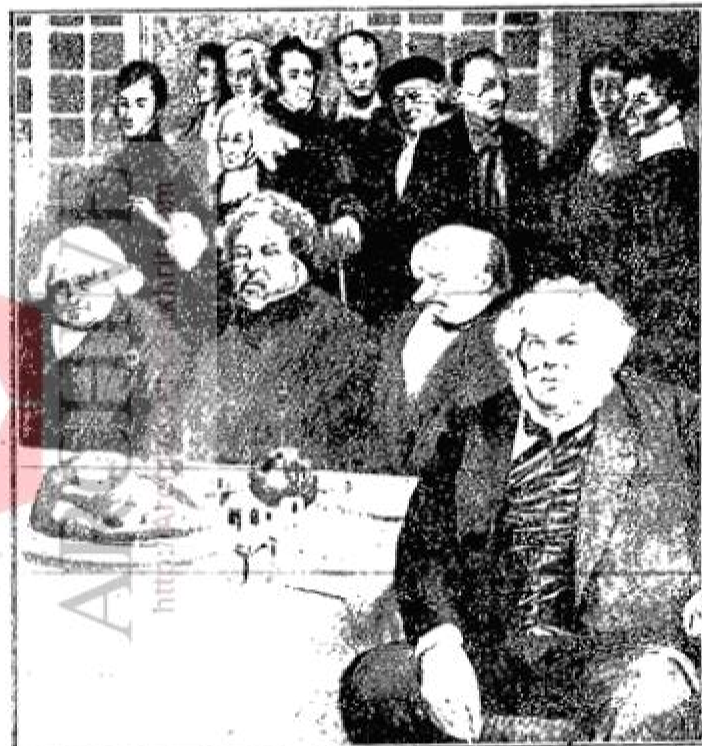
عظماء الرجال والطعام

المشهور ان الاعمال العقلية تضعف الهضم لما بين الدماغ والمعدة من العلائق المتبادلة ولذلك كان اصحاب القرائح من الشعراء والادباء والعلماء من اكثر الناس تعففاً في طعامهم وشرابهم . وقد تواترت الامثال والحكم في تقبيح النهم وتحسين التعفف . ومن مرويات العرب من هذا القبيل ان الحرث بن كلدة سئل عن افضل الدواء فقال « الازم » يريد قلة الاكل . وقال آخر افضل الدواء ان ترفع يدك عن الطعام وانت تشتهيه . وقيل للمنذر بن جندب ان ابنك اذا اكل طعاماً كظه حتى كاد يقتله فقال لو مات ما صليت عليه . ودعا عبد الملك بن مروان رجلاً الى الغداء فقال ما فيَّ فضل يا امير المؤمنين فقال لا خير في الرجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل . وهم ينسبون صفاء الذهن الى قلة الطعام في المعدة او الجوع ويقولون ان العود اذا خلا جوفه صفا صوته . ومن امثالهم المشهورة ان البطنة تذهب الفطنة . ومن الامور المقررة في الطب الحديث ان النهم يجلب السقم لان اكثر ما يعرض للناس من الاسقام والعلل انما سببه النهم في الطعام وكم نتواصى بتقليل الطعام عند الاعمال العقلية

وقل من اشتهر بالنهم من ادباء العرب وعلمائهم لانهم كانوا يتحاشون الظهور بذلك . واشهر من عرف بكثرة الاكل من العرب سليمان بن عبد الملك الاموي ذكروا انه اكل مرة عجلاً برمته وخمس دجاجات هنديات وشرب وتجشأ ثم جلس مع اصحابه على المائدة كالعادة كانه لم يأكل شيئاً . وما زال سليمان هذا نهماً حتى مات من كثرة الاكل وهو في دابق اذ جاءه فلاح من اهل القرى بسلين احدهما مملوء بيضاً والآخر مملوء تيناً فقال قشروا فجعل يأكل بيضة وتينة حتى فرغ من السلين ثم اتوه بقصعة مملوءة مخاً بسكر فاكله فاتخم ومرض ومات . والواثق بالله العباسي كان مفتوناً بحب الباذنجان وكان يتناول في اكلة واحدة اربعين باذنجانة

وقد وقفنا على مقالة في احدى المجلات الفرنساوية عن مشاهير الاكولين من رجال

الصف الاول : رنسار لفونتين بروتير سردو بدلير لمرتين رسو موليه فيني ١ : ... ميشليه رنانيه موسه شاتوبريان هوسمان





الصف الثاني : فولتير ٢ : سانبوف غوتيه بلزاك ديروك بوفيه كنديلو

الصف الثالث : جانين ساندو دوماس الكبير رينان ٣ : سارسي زولا بانفيل لابيش فابر

مشاهير ادباء الفرنساويين

بالنظر الى الطعام

مرتبة اسماءهم حسب صفوفهم ومواقعهم بالنسبة بعضهم الى بعض

الاقلام عندهم يظهر منها انهم كثيرون في فرنسا . وقد اجتمع جمهور منهم في صورتين وفيهم جماعة تفاخر بهم فرنسا سائر الامم مثل بلزاك ودوماس وريتان وغيرهم . وترى عواقب النهم ظاهرة في اكثرهم وبينهم جماعة ضخام الابدان والوجوه . وصوروا معهم جماعة من قابلي الطعام نحاف الابدان

ذكروا ان بلزاك الكاتب الفرنساوي الشهير كان يوصي صاحب المطعم الذي يأكل عنده على طعام للغداء يكفي لوليمة كبيرة من جملة ذلك ثماني دستات من المحار (كندفلي) و١٢ قطعة بفتيك غير الخضار والمعاجين . ومن الفاكهة بطيخة واقة او اكثر من الأثمار غير المشروبات . كان يستيقظ من رقاده في الساعة الحادية عشرة ويتناول غداءه نحو الساعة الرابعة وهو مؤلف من عدة الوان ومقادير كثيرة نحو ما تقدم . ويعمد الى القيلولة فاذا نام ساعتين ايقظه خادمه وبيده فنجان كبير من القهوة القوية . ولا يزال يشرب من هذه القهوة فنجاناً بعد فنجان الى العشاء

وتقسم حياة فيكتور هوغو من حيث الطعام الى دورين كان في اولهما نحيفاً يقتات بفرنك واحد في اليوم . ولما اتسعت حاله وكثر رزقه توسع في طعامه فاخذ في السمن وزاد اكله . وقد ذكر احد مترجميه انه كان في الثمانين من عمره متين الفكين قوي المعدة صلب الاسنان يمضغ قطعة اللحم (الكتلت) بعظمها

وكان اسكندر دوماس الروائي الكبير كثير الاكل وكان ذلك ظاهراً في سحنته للمتفرس في وجهه الكبير وشفتيه الضخمتين وهجومه على اطباق الطعام هجوم الاسد على الفريسة . وكان عارفاً بصناعة الطبخ كثيراً ما يعالج طعامه بيديه ويتأنق في اتقانه وتعليله

ولزولا الروائي ايضاً طوران في حياته : كان في شبابه بديناً جداً ثم اخذ في الهزال بتقليل الطعام على كيفية وضعها له الاطباء . اهمها الانقطاع عن السوائل فكان لا يشرب الا قدحاً من الخمر الحمراء بعيد الطعام . ثم عاد فانغمس في النهم واكثر من الطعام

وكان رينان الفيلسوف الشهير بديناً جداً كثير الاكل اذا جلس الى المائدة اشتغل بالقطع والمضغ والبلع لا يلتفت يميناً ولا شمالاً . ومن لطيف ما يروى عنه من هذا القبيل انه كان في دعوة بعض الاصدقاء واخذ كل من المدعوين دوره في الخطابة على المائدة ورينان غارق في الاكل . فلما جاء دوره نبهته صاحبة المنزل قائلة «جاء دورك يا استاذ للكلام تفضل» فرفع رأسه وقال «اشكرك يا سيدتي لا حاجة لي بالكلام الآن الا لطلب قليل من البازلة» . ومن مشاهير الاكولين عند الفرنساويين رابليه الشهير . وكان تيوفيل غوتيه يكثر من اكل اللحوم الحمراء في الصباح عند النهوض من النوم . وجان جاك روسو خفيف العضل لكنه كان اكولاً ويحب ان يتناول

طعامه خارج الغرف تحت السماء وقلما يشرب القهوة . واما المكثرون من القهوة على الخصوص فمنهم فولتير كان يشرب نحو ستين فنجاناً من القهوة في اليوم وكذلك ديدرو

وهناك طائفة من الكتاب والشعراء اشتهروا بالتعفف وكانوا نحاف الابدان منهم جلاتيني كان اكله قليلاً واكثر ايامه لا يتناول الغداء . وبوديه كان يغتذي في الغالب على بعض الاثمار الجافة والنقولات . وكان لامارتين قليل الطعام لا يشتهي منه غير المثلجات

باب الأخبار العلمية

﴿ مستقبل الاتوموبيل ﴾ لا يسع من تتبع تاريخ الاوتوموبيل في العقدين الاخيرين الا ان يدهشه التقدم الباهر الذي بلغت اليه صناعته فقد سببت انقلاباً عظيماً في وسائل النقل لا تقل اهميته عن الانقلاب الذي حصل عند استعمال البخار . ويظن البعض ان الاوتوموبيلات ستقوم في المستقبل مقام السكك الحديدية كما قامت هذه مقام عربات النقل . وقد نشرت مجلة المجلات الانكليزية عدة مقالات في هذا المعنى بحثت فيها عن مضار السكك الحديدية والخسائر المتأتية عن استعمالها وبينت مزايا الاوتوموبيل وكيف انها اذا عمت البلاد كانت اسهل للقيام بوظيفة النقل من غيرها فتجعل المملكة جسماً واحداً متضامناً — على ان الناس الفوها فاصبحوا لا يقدرون اهميتها حق قدرها وفاتهم انهم بين يدي انقلاب اقتصادي عظيم . وللاقتناع بصحة ذلك قابل اوتوموبيل من طرز هذه السنة بآخر مصنوع قبل دخول القرن العشرين . ومما يدل على هذا الانقلاب العظيم عدد الاوتوموبيلات المتزايد فان مجموع الموجود منها في الولايات المتحدة اليوم يبلغ المليون وتقدر قيمتها نحو الف مليون ريال اي مئتي مليون جنيه

ويستعمل الاوتوموبيل لعدة امور آخرها واغربها استعماله كنيسةً نقالة تطوف الحقول والقرى الصغيرة . ومن هذا النوع كثير في اميركا للكاثوليك في بعضها مذبح وشموع وسائر لوازم الصلاة . فاذا اراد القس اقامة الصلاة في محل وقف وفتح العربة فيظهر المذبح وينصب فوقه خيمة معلقة بالاوتوموبيل

﴿ بيع بالمزاد بواسطة الكهرباء ﴾ في هولاندا اسواق يباع فيها البيض بالمزايدة فنظراً لما كان يحدث فيها من الازدحام وصعوبة الاجراآت اللازمة للبيع والشراء

الهلال

الجزء التاسع من السنة الحادية والعشرين

اول يونيو (حزيران) سنة ١٩١٣ و ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣٣١

الحياة

مقرها ومصيرها

الحياة اعز ما لدى الانسان فالبحث فيها اهم ما يوجه اليه ابصاره . ولا بد انه انتبه الى ذلك من اقدم ازمان عمرانه . أو بالحري منذ أخذ يعمل فكرته في ما يقع بصره عليه . فاول شيء استلفت انتباهه الفرق بين الميت والحي من بني الانسان ولا سيما ممن يهمهُ امرهم أو يحتاج اليهم أو يحبهم . تصوَّر شاباً أحبَّ فتاة — والحب قديم — فاصبح لا يلذ لهُ غير قربها ولا يخاف سوى هجرها . يرى السحر في عينيها والنور في حدقتيها والعزاء بين شفتيها . ويرى الحياة تتدفق من جوارحها كلما لمسها احسَّ بالحرارة أو بالكهربائية . اذا تراكمت عليه الهموم وهي راضية فالسعد حليفه . واذا غضبت فلا يرضيه شيء من اسباب السعادة — تصوَّر انهُ لقيها يوماً وقد جمدت عيناها وانطفأ نورهما وبردت بشرتها وتيبست اطرافها وامتقع لونها وبطلت كل حركة فيها . يخاطبها فلا تجيب . لا تلبث ان يتولاها البلى ويتحوَّل ذلك الملاك السماوي الى جيفة لا تطاق . فاول ما يخطر لهُ البحث عن علة تلك الظواهر الفتانة واين ذهبت — او ما هي الحياة واين مقرها والى اين مصيرها ؟

قضى الانسان ادهاراً وهو يرى الاموات يذهبون ولا يرجعون ويفكر في نسمة الحياة اين كانت واين ذهبت . والظاهر ان اقدم حلّ وصلوا اليه بعد اعمال الفكرة ان الحياة مقرها القلب — ذلك ما ذهب اليه اليونان وغيرهم من الامم القديمة وان الدماغ مقرّ العقل . لكن العبرانيين كانوا ينسبون الى القلب كثيراً من اعمال العقل ايضاً وربما نسبوا بعضها ايضاً الى الكلى . وكذلك المصريون القدماء فان في صلواتهم ادعية كثيرة لحفظ القلب لانه مقر الحياة والعقل . وقس على ذلك تعاليم سائر الامم القديمة

ثم تحولت الانظار الى الدماغ وصار الاعتقاد انه مقر الحياة والعقل . ومذهب جالينوس في ذلك ان الروح الحيوانية (الحياة) تجري من الدماغ الى القلب ومنه تتوزع في الجسد بواسطة الشرايين . وهذا هو رأي العرب ذهب اليه الرازي وابن رشد وابن سينا وغيرهم . ولما بزغ نور التمدن الحديث اخذت الشكوك تتخلل هذا الاعتقاد ووقفوا حيناً يترددون . حتى اذا درسوا علم الحياة وشرّحوا الاجسام وفحصوا الانسجة تحت الميكرسكوب تبين لهم ان الحياة ليس لها مقرّ معين من الجسد تنبعث منه . وانما هي تقوم باشتراك الاعضاء باعمالها الحيوية . ولكن الاعضاء تتفاوت في الاهمية بالنظر الى الحياة فقسموها الى اعضاء رئيسية واعضاء اضافية . فالاعضاء الرئيسية هي التي لا يستغني عنها الاحياء اهمها الدماغ والقلب أو الجهاز العصبي والجهاز الدموي . فالانسان او الحيوان يعيش بلا رجل او يد لكنه لا يعيش بلا دماغ او قلب

وعلموا بالفحص الميكرسكوبي ان الانسجة الحية على اختلاف وظائفها ترجع الى خلايات او حويصلات صغيرة فيها مادة الحياة الاصلية التي يسمونها بروتوبلاسم . وان النمو والدثور في الاجسام الحية يقع في تلك الخلايا . وان الحياة لا تزال في الجسم الحي حتى يقف عمل القلب فيموت الجسم وتبطل اعمال الحياة في كل جزء منه . ولذلك حاول بعض الاطباء اعادة الحياة الى الجسم بقبض القلب وبسطه . وقد جربوا ذلك في ميت لا تزال اعضاؤه سليمة وانما مات من صدمة اوقفت حركة القلب . فعادت الحياة الى الميت ريثما تعب الجراح ـ جرب ذلك الدكتور توفيه احد جراحي مستشفى الاحسان في باريس سنة ١٨٩٩ في شاب عمره ٢٤ سنة توفي بعلة في الزوائد البريتونية بالمعاء الغليظ وجسمه في ما خلا ذلك صحيح وقلبه سليم . فلما تأكدوا موته شقّ الدكتور توفيه صدره



الدكتور نوفيه يعيد الحياة الى الميت بقبض القلب
في مستشفى الاحسان بباريس

بحيث تمكن من ادخال يده وضغط بها على القلب بعد ان امر تلاميذه ان يمسكوا اطراف الشرايين المقطوعة بالملاقط . وكان ضغطه بمثابة انقباض القلب بعضله كأن يده عوضت عن عضل القلب ولم تمض هنيهة حتى اخذت ملامح الحياة تظهر في وجه الميت. وسأله الطبيب عن اسمه فاجاب بصوت ضعيف « جان » ولكن الطبيب تعب وحالما ابطل العمل عاد الرجل الى الموت

فالاعتقاد السائد الآن هو ان الدورة الدموية اذا وقفت ماتت الاعضاء وصارت انسجتها الى الانحلال . لكن بعض اهل الهمة والعلم من خدمة الانسانية وصلوا بتجاربهم المتوالية الى حقيقة تخالف هذا الاعتقاد — نعني الدكتور الكسيس كرل الطبيب الفرنساوي المقيم في اميركا وهو يشتغل بالابحاث الحيوية الميكرسكوبية في معمل روكفلر

وقد اشرنا الى تجاربه غير مرة ونأتي الآن على اجمالها لايضاح الموضوع مع ما حدث من ثمار بحثه واختباره

ترقيع الشرايين

اول شيء وجه اليه فكره الاسراف الذي يقع في الاعضاء السليمة بالوفيات الاعتيادية اذ يموت الانسان عادة من علة في عضو من اعضائه الرئيسية وسائر الاعضاء سليمة . فخطر له هل يمكن استخدام الاعضاء السليمة في جسم آخر فسدت فيه تلك الاعضاء ؟ اذ يتفق أن يكون الانسان سليم الجسم الا الكلية مثلاً أو الكبد أو القلب فهل يمكن ابدال كليته أو كبده أو قلبه باعضاء سليمة مأخوذة من اناس ماتوا بعلة في غير هذه الاعضاء ؟

خطر له ذلك كما يخطر سائر ما يتمناه الانسان من النعم وان كان مستحيلاً . لكنه ادرك خطارة هذا الامر وعلم انهُ اذا وفق اليه قلب علم الحياة وادهش العالمين . وكان يفكر في ذلك وهو في جامعة ليون ثم انتقل الى اميركا والحق بمعمل روكفلر وفيه كل ما يخطر للباحث تجربته . فنشط للعمل بثبات وهمة



(ش ١) قطع من الشرايين موصولة وقد تم التئامها

توقف في سبيل الوصول الى غرضه في استبدال الاعضاء العليلة باعضاء سليمة امران رئيسيان : الاول الاحتفاظ بالاعضاء السليمة بحيث تبقى فيها القوة الحيوية الى حين الحاجة . والثاني وصل اجزاء العضو السليم بالاجزاء التي كان العضو الفاسد متصلاً بها . فاذا استأصلنا كلية عليلة واردنا التعويض عنها بكلية سليمة وجب علينا ان نصل اطراف شرايينها واوردتها واعصابها وسائر اوتارها وعضلاتها بالاجزاء التي فصلت تلك منها بحيث يسهل جريان الدم في ذلك العضو الجديد ليغتذي ويعيش . واهم نقطة في هذا العمل

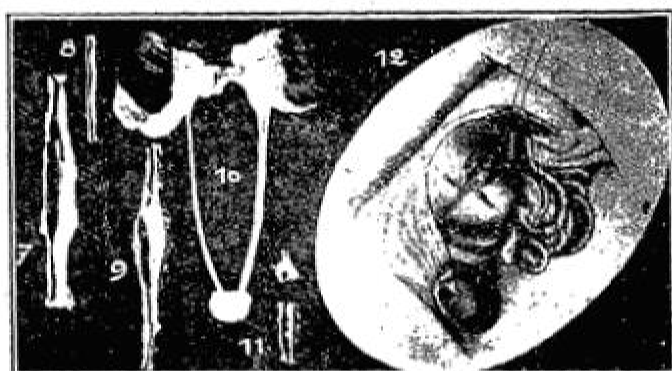
وصل الشرايين لانها وسيلة نقل الدم . وكان العلماء قد اخذوا بدرس هذه المسألة وجربوا وصل الشرايين والاوردة بالخياطة الدقيقة وانما كان يعيقهم تكون الجلط الدموية عند نطقة الالتحام . فاستنبط الدكتور كرل طريقة تمنع تكونها وخاط الشرايين بابر رفيعة وخيوط حريرية دقيقة . وبرع في ذلك حتى توصل الى قطع الاورطي (الشريان الاكبر) على مسافة قصيرة من القلب وخياطته بدقة بحيث يعود الى اصله . وجرب طريقته هذه في الحيوانات فاتى بالغرائب بنقل الاعضاء او بعض اجزائها من حيوان الى آخر. فنقل اورطي كلب وخاطه باورطي كلب آخر . وقطع اجزاء من جدران الاورطي في القطط والكلاب وخاطها في غير امكنتها بسهولة تحت البنج الثقيل فكان ينبج الكلب تنبيجاً تاماً ويجري فيه ما يريده من قطع وخياطة والكلب لا يشعر بألم في اثناء العملية ولا بعدها والجروح تلتئم بسرعة ولا يحدث نزف أو التهاب . فلا يلبث الكلب أو الهر ان يفيق من البنج حتى يعدو ولا يدري ان دمه يجري في وعاء ليس له . وعند الدكتور كرل هرة صحيحة الجسم شريانها السباتي منقول اليها من كلب في منزله . ونقل قطعة شريان من ركبة احد الناس وخاطها في اورطي كلب . ونقل بعض معاونيه قطعاً من شرايين الارانب والقطط الى الكلاب

نقل الاعضاء

فلما وفق الى وصل الشرايين والاوردة اخذ يفكر في نقل الاعضاء من حيوان الى آخر . واساس هذا العمل ان القلوب والكلى يمكن اعادة الحياة اليها بعد موت اصحابها . فنقل قلب احد الكلاب ووضعه في عنق كلب آخر . ووصل اورطي القلب المنقول بالشريان السباتي من هذا الكلب بالخياطة الرفيعة . وكذلك بين الوريد الاجوف والوريد الوداجي . فاصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً احدهما ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة والآخر مئة نبضة !

وجرب الدكتور كرل ايضاً نقل الكلى فاقتلع الكلية باوعيتها من كلب ووضعها في مكان كلية مثلها من كلب آخر وخاط اوعيتها بالاوعية هناك فشفيت وصارت كانها خلقت في مكانها . واقتلع الكليتين من كلب آخر وخاط اوعيتهما في كلب آخر فالتحمت الاوعية الدموية والاعصاب التحاماً تاماً وعاش الكلب بهما وقد جرب ذلك

بين حيوانات مختلفة فوجد انها تقرب من النجاح كما كان الحيوانات اقرب بالسلالة الحيوانية . كما بين الكلب والهر مثلاً او بين الهر والارنب او الانسان والقرد وتبعد كما بعدا كما بين الفار والضب



(ش ٢) نمرة (1) في الشكل الاول ونمرة (12) في الشكل الثاني كلبان معدان لاجراء العملية عليهما وقد بنجا وغلف كل منهما بكيس ولم يترك منهما ظاهراً الا جزء من الاحشاء الذي ستجري عليه العملية . فنمرة (12) تم فتح فيه صدر الكلب حتى ظهر القلب والاورطي وامسك طرفاه بالملاقط ولم يبق الا اجراء العملية . ونمرة (10) في الشكل الثاني كليتان والمثانة قد اقتلعت من هر وهي معدة لادخالها في احشاء هر آخر . وكذلك نمرة (3) من الشكل الاول فانها معدة لهذا الغرض

وقد فصلنا ذلك في الهلال السابع من السنة الثامنة عشرة . وشاعت تجارب كرل واقتدى به سواه حتى جربوا ذلك في الناس فنقلوا الغدة الدرقية من غلام وهي عليلة وخاطوا مكانها غدة سليمة لعجل فنجحت العملية وشفي الغلام

اختزان الاعضاء ونمو الانسجة خارج الجسد

بقي عليه اختزان الاعضاء السليمة الى حين الحاجة . فاستخدم لها البرودة فاصطنع صندوقاً مثلجاً اختزن فيه قطعاً من الشرايين والاوردة واستخدم بعضها لهذه الغاية بعد ثلاثين يوماً فاتت بالغرض المطلوب كانها قطعت بالامس . ثم كشف له أمر ادهش العلماء لانه يخالف الاعتقاد الشائع من حيث موت الاعضاء او انسجتها بموت الاعضاء الرئيسية او توقيف الدورة الدموية . فوجد ان الاعضاء يمكن ان تبقى حية ولو فصلت من الجسم. بل هي قد تنمو نمواً طبيعياً بالغذاء كانها لا تزال متصلة به . وقد ذكرنا تجاربه من هذا

القبيل في السنة الماضية . وخلاصة ذلك انهُ أخذ قلب جنين الدجاج في الاسبوع الثاني أو الثالث من تكوّنهِ وقطعهُ قطعاً وضعها في السائل الدموي (المصل) . وكان يغير السائل كل اربعة أو خمسة ايام بعد ان يغسل تلك القطع بضع دقائق . فاستطاع بذلك حفظها ١٢٠ يوماً لم يطرأ عليها تغيير غير النمو الطبيعي كأنها في البدن الحي . فبلغت الانسجة في آخر تلك المدة نحو خمسة عشر ضعف حجمها في اول الشهر الثالث

وكانت تلك القطع تخفق أو تضرب أي تنقبض وتنبسط كأنها في قيد الحياة . ووضعوا اثنتين منها في وعاء واحد وراقبوا سرعة « خفقانها » فوجدوا القطعة الكبيرة تضرب ٩٢ مرة في الدقيقة . والصغيرة ١٢٠ مرة . وفي اليوم الرابع قلت سرعة الخفقان لكن بعد الغسل بساعة ونصف كان خفقان القطعة الكبيرة ١٢٠ والصغيرة ١٦٠ في الدقيقة ثم التحمت القطعتان واخذتا تضربان معاً

واستخرج الدكتور كرل من تجاربه نتائج مهمة فهو يرى انهُ يمكننا ان نحفظ الانسجة حية والقلب يخفق بضعة اشهر وهو مفصول عن الجسم . فمن المعقول ان يتوصلوا الى حفظ الانسجة كذلك الى ما لانهاية !

وكان لهذا الاكتشاف دويٌّ في العالم المتمدن . ونال الدكتور كرل جائزة نوبل عن الابحاث الطبية في هذا العام . والآمال معقودة بتجارب هذا الطبيب وهو لا يزال في مقتبل العمر لم يدرك السنة الاربعين من عمره يشتغل في ابحاثه بهمة ونشاط يستنبت الانسجة الدقيقة خارج الجسم في السوائل المغذية فتنمو كأنها في الجسم الحي ولا يزال يؤمل اكتشاف حقائق حيوية جديدة غير التي توصل اليها من حيث اصل الحياة ومصيرها

احسن طرق ارسال الدراهم

الى ادارة الهلال بمصر

هي الاوراق المالية (بنك نوط) انجليزي وفرنساوي وروسي وامركاني والحوالات على البوسطة لان ذلك ميسور في كل الممالك

آجال الدول

أو اعمارها قديماً وحديثاً

٢ – آجال الدول الدستورية

تكلمنا في الهلال الماضي عن آجال الدول الاستبدادية من نشوئها أو تكونها فنموها ورسوخها فكهولتها وهرمها الى زوالها . ونحن باسطون الآن آجال الدول الدستورية على نحو هذا الترتيب

لكن الدولة في الحكم الاستبدادي تختلف عنها في الحكم الدستوري اختلافاً كبيراً. وقد رأيت ان الدولة المستبدة هي صاحبة السيادة لا تملك الرعية معها امراً ولا نهياً . واما في الدول الدستورية فالامة هي صاحبة السيادة الحقيقية والدولة تابعة لها . فالبحث في اجل الدول الدستورية انما هو البحث في اجل الامة — والدولة جزء منها . ولكننا نقدم الكلام في نشوء الحكم الدستوري وتكونه ورسوخه ثم ننظر في اجله

اولاً — نشوء الحكم الدستوري

السلطة الطبيعية

الحكم الدستوري كما هو معروف في الدول الدستورية اليوم بعيدٌ عن طبيعة العمران . وانما نشأ بعد ارتقاء شأن العامة في الدول الحديثة في اجيال متوالية . واما اذا اردنا به الشورى على الاجمال فنرى له امثلة في التمدن القديم باثينا وروميّة وقرطاجنة . لكنه يختلف عن شورى هذه الايام من وجوه كثيرة لا محل لها هنا . واما العمران البشري بحسب طبيعة الانسان فانه اميل الى الحكم الاستبدادي لان الدولة الاستبدادية في اصل تكوينها صورة من صور العائلة

وتختلف الامم في استعدادها للشورى باختلاف طبائعها وغرائزها . والغالب في الامم القديمة ان تكون حكومتها على مثال حكومة معبوداتها . فاذا كانت متعددة الآلهة كاليونان والرومان كانت اقرب الى الشورى وبعكس ذلك اذا كانت من اهل التوحيد . ويصح ذلك على الامم التي نشأت فيها الدول على الفطرة . لكن طبيعة العمران تتغلب

عليها ولذلك رأيتها جنحت الى الحكم الاستبدادي نخضعت للملوك والقياصرة وذهبت الشورى أو الجمهورية هباء منثوراً . الا في القليل النادر لاسباب محلية . فلما انتشر التمدن الحديث وارتفع شأن العامة نشأت الدول الدستورية الحديثة وفيها الجمهورية والملكية المقيدة . وهي من ثمار هذه المدنية واساسها الاعتراف بحقوق العامة واشتراك الامة في اعمال الحكومة على ما هومعروف في المجالس النيابية . واذا تدبرت تاريخ هذه الدول رأيتها نشأت اما بالتفرع او بالانقلاب

نشوء الدول الدستورية بالتفرع

ومعنى ذلك ان تستقل بعض الامارات او الولايات عن دولة كبرى كانت في حيازتها فتخرج عنها بالقوة أو بالمحالفة كما فعلت اكثر جمهوريات اميركا الشمالية والجنوبية بعد ان كانت خاضعة لانكلترا أو فرنسا أو اسبانيا أو البرتغال . وكما استقلت امارات البلقان وغيرها عن الدولة العثمانية في القرن الماضي . وهذه كانت خاضعة لدولة استبدادية فلما تفرعت جعلت حكوماتها دستورية وفيها اليونان والسرب ورومانيا وبلغاريا وغيرها

نشوء الدول الدستورية بالانقلاب

كذلك نشأت معظم دول اوربا الكبرى اي كانت في اول امرها دولاً استبدادية يرجع الحكم فيها الى الملك ومن يختاره من ذوي شوراه لا دخل للامة في شيء منها . ثم تحولت الى الحكم الدستوري وتمكنت فيها الشورى بتمكن العلم والمدنية والاعتراف بحقوق العامة . اما بالتدريج او بالوثوب دفعة واحدة او على وثبات متوالية . واسعد الامم حظاً اكثرها تمهلاً في نيل القواعد الدستورية اذ تتسرب اليها تلك القواعد او المبادئ رويداً رويداً فتهضمها وتتمثلها قطعة قطعة بلا تعب ولا خطر كما فعلت انكلترا اقدم الدول الدستورية . واتعسها حظاً اكثرها تسرعاً في التقام تلك المبادئ فاما ان تهضمها بعد العناء الشديد والخسارة الفادحة كما كان شأن الفرنساويين في ثوراتهم المتوالية أو ان تعجز عن هضمها فيعود الدستور عليها بالوبال وقد يأول الى تمزقها او دخولها في سيطرة دولة اخرى كما اصاب ايران . وكما نخشى ان يصيب المملكة العثمانية لا سمح الله

والانتقال من الاستبداد الى الدستور لا يخلو من الخطر على كل حال ولكن خطره يكون قليلاً كلما كان الانقلاب بطيئاً اذ تستعد الامة له بالتدريج شأن كل انتقال

اجتماعي مهما كان طفيفاً . اعتبر ذلك في كل تغيير يراد ادخاله على العادات أو المعتقدات . حتى المسائل الاصلاحية وان ثبت نفعها عقلاً فانهـا لا تخرج الى حيز العمل حتى تلاقي مقاومة . لان هذا الاصلاح أو غيره لا بد من ان يشغل مكاناً في المجتمع الانساني كان مشغولاً بشيء آخر فاذا قام مقامه نازعه على حصته منه . فلو اريد ادخال نوع جديد من الملابس مثلاً فباعة الاقمشة الاخرى يبذلون جهدهم في مقاومته لئلا يعود عليهم بالخسارة . وقس عليه سائر مرافق الحياة

وتظهر تلك المقاومة اكثر وضوحاً اذا كان مايراد ادخاله يتعلق بالدين . فاصحاب الاديان القديمة لا يدخرون وسعاً في تقبيحه ومقاومته لئلا ينازعهم على حصتهم من العمل في ذلك المجتمع

فاحر بالانقلاب السياسي ان يلقى مقاومة كبرى لانه يقطع ارزاق كثيرين ويقف في سبيل كثيرين فهو لا يخلو من الخطر . ولذلك وجب على اصحابه ان يتيقظوا ويحتاطوا — وهاك اهم تلك الاخطار :

١ — نقمة اصحاب النظام القديم

للدول في الحكم الاستبدادي تأثير كبير على الامة الداخلة في سلطانها فتتكيف احوالها الاجتماعية والسياسية والدينية على ما يلائم تلك الدولة . ولذلك قالوا « الناس على دين ملوكهم » وهو طبيعي في الحكم المطلق اذ تكون ارادة الملك شريعة المملكة فتتجه افكار الامة ومساعيها الى ارضاء من يقيمهم ذلك الملك نواباً عنه في الحكومة وهؤلاء يعملون مايرضي ملكهم . وتتسلسل الاغراض والمساعي سلاسل مترابطة الحلقات تتجه الى نقطة واحدة يوجهون اليها مطامعهم ويلتمسون منهـا ارزاقهم ويتفاوت نفوذهم فيهم بتفاوت مواهبهم وعقولهم . فاذا توالت الاجيال على هذه الحال اصبح المحيطون بالعرش نخبة الاذكياء واهل الدهاء . واذا رأوا في الملك ضعفاً اغتنموا ضعفه لابتزاز الاموال وسايروه وداجوه واستعانوا على ذلك بالاعوان وغيرهم

ويحيط بالعرش ايضاً دائرة اخرى من رؤساء الدين يؤيدون عرشه ويستمدون سطوته ويؤيدون الحكم الاستبدادي لانه يشبه سلطة الخالق

ويلحق هاتين الدائرتين من المقربين دوائر اخرى يحيط افراد كل منها حول كبير من المقربين يرتزقون بما يرضيه وتحوم حول هؤلاء طبقات اخرى لمثـل هذا السبب حتى يتصل ذلك بالتجار والصناع والباعة والادباء . وبتوالي الاجيال يألفون النظام الاستبدادي ويتعودونه ويصبرون على سيئاته الا اذا كانت فاحشة لاتحتمل . وفي

كل حال فقاب هذا النظام لايتصدى له غالباً الا الذين نالهم منه ضرر فيرون في قلبه نفعاً . ويتذرعون الى الاجتماع عليه باسم الوطن او الامة او الحق او جامعة اخرى ويجعلون اساس اجتماعهم اصلاح الدولة وقلب الحكومة الاستبدادية . وقد يكون فيهم من يطالب الدستور انتصاراً للحق فقط ولكنهم قليلون

فاذا تأتى لهم ذلك واعلنوا حرية الافراد ونقلوا السيادة الى الامة اصبح الملك واعوانه وسائر رجال النظام القديم عرضة للاحتقار او المصادرة او القتل وقد ذهبت اسباب رزقهم وضاع نفوذهم . فهم اعداء للنظام الجديد لا يدخرون وسعاً في تقبيحه والسعي في هدمه اما عن اقتناع او نقمة . وتختلف مساعيهم باختلاف احوال تلك الامة وعلائقها السياسية مع الدول الاخرى . وقد يقودهم اليأس الى تحريض بعض الدول على اغتنام تضعضع حال هذه الدولة في اول الانقلاب للاستيلاء عليها كلها او بعضها . كما فعل بعض النبلاء الفرنساويين الذين اضرت الثورة بنفوذهم فنزحوا الى المانيا وشرعوا يستنهضون حكوماتها ويزينون لها ارسال الوفود الى فرنسا لانقاذ لويس السادس عشر من اسر الباريزيين وهم يعلمون انهم يعرضون بلادهم بذلك الى سيطرة الاجانب . وقد يتحينون الفرص ويفسدون بين اصحاب الانقلاب انفسهم بالنعرات الدينية او الجنسية . وفي التاريخ الحديث شواهد كثيرة من هذا القبيل

ولذلك جرت عادة زعماء الانقلابات السياسية أن يقيدوا الالسنة ويغلوا الاقلام ويكموا الافواه ويجردوا السيوف باعلان الاحكام العرفية او العسكرية حتى تستقر السكينة وتتوطد دعائم الدستور . وقد يمضي على هذه الفترة عدة اعوام تجري الدماء في اثنائها انهاراً بلا شفقة ولا حساب . وانما يراد تأييد النظام الجديد وهو لا يؤيد بغير السيف . هكذا فعل الفرنساويون في ثوراتهم المتوالية فلم يستثنوا ملكاً ولا اميراً ولا كاهناً وقف في سبيل نظامهم . وقد يرتكبون في سبيل ذلك مظالم كثيرة لكنها في نظرهم خير من الرجوع الى النظام القديم

٢ — عدم استعداد الامة لذلك الانقلاب

من قواعد الاجتماع ان انتقال الامة من نظام الى نظام او عادة الى عادة او عقيدة الى عقيدة لايثبت ان لم يكن تدريجيا لان الناس اعداء لكل جديد . وخصوصاً اذا كان ذلك الانتقال يمس مصالحهم اليومية ويدخل في اسباب رزقهم او يتعلق براحتهم ولو كانوا هم الساعين فيه والمطالبين به . كما فعلت الامة الفرنساوية فانها لم توفق الى توطيد دعائم الدستور الا بعد ثورات متوالية تعودت الامة فيها النظام الجديد وهلك في سبيل

ذلك الوف من الناس

فالانتقال من نظام الى نظام لا يثبت الا بالتدريج مع ملاحظة حال الامة . وهي ترى الحكم الاستبدادي اقرب الى طبائع البشر وتميل من فطرتها الى المحافظة على القديم . فانتقالها دفعة واحدة من الاستبداد الى الدستور كانتقال اهل البلاد الحارة الى الاقاليم الباردة بحجة ان الطقس البارد انفع للصحة وادعى الى النشاط . ولكنك اذا فعلت ذلك عرضت اولئك الاقوام لامراض كثيرة . واذا لم يكن بدٌّ من نقلهم فيجب ان يتم تدريجاً في اجيال متوالية . فلا تنقل السوداني الى انكلترا دفعة واحدة بل تنقله الى صعيد مصر وتنقل اولاده الى مصر واولادهم الى اسبانيا واحفادهم الى فرنسا . وهكذا جيلاً بعد جيل حتى تتعود اجسادهم البرد

وهكذا حدث في انتقال امم اوربا من الاستبداد الى الدستور فانهم تمشوا اليه خطوة خطوة فاعطوا الامة حقوقها رويداً رويداً حتى صارت الحكومة النيابية كما هي الآن . ولا يزال بين دول اوربا تفاوت في دساتيرها من هذا القبيل . ولعلَّ دستور انكلترا اوسعها كلها ولم يصل الى ما هو عليه الا بمئات من السنين . ولو جاءها في اول سعيها الى الحرية كما هو الآن لقضى عليها او كلفها اضعاف ما انفقته في سبيله من الارواح والاموال . ولكنها فطرت على التأني والنظر في العواقب حتى كانت تصبر عشرات من السنين على الاصلاح الطفيف قبل الوصول اليه . واما الفرنساويون فانهم تعجلوا الاصلاح بالقوة فسفكوا في سبيله الارواح

فاصبح العقلاء من طلاب الدستور يلاحظون حال الامة ويعطونها من الحرية على قدر استعدادها كما فعل ميكادو اليابان في دستوره فانه حفظ لنفسه حقوقاً تساعد على حفظ الموازنة بينه وبين الامة . ولذلك خفنا على الصين لما انقلبت الى جمهورية ولا نزال نخشى عليها كما بينا ذلك في مكان آخر . ولهذا السبب خفنا على الدستور العثماني لما أُعلن لانه من اوسع الدساتير نيابة لم تصل انكلترا الى مثله الاَّ بالاجيال المتوالية . وقد أُعطي للعثمانيين دفعة واحدة والامة على اجمالها لم تستعد له . ولذلك قلنا في بعض ابحاثنا ان الدستور العثماني ينبغي ان يكون فيه شيء من الاستبداد ليصلح لهذه الامة

٣ — تنازع اهل الدولة على الاجتزاء من ذلك الانقلاب

طبيعي ان يجتمع القوم في طلب أمر لهم فيه مصلحة مشتركة وان قلت اسباب الاجتماع بينهم فان المصلحة تدفعهم الى الاجتماع باوهن الاسباب كما فعل البلقانيون في

حربهم الاخيرة وهم اعداء فيما بينهم فجمعتهم المصلحة لمحاربة عدوهم المشترك (العثمانيين) فاذا فرغوا من الحرب عادوا الى ما بينهم من اسباب التفريق

والمجمعون للمطالبة بالحكم الدستوري اذا وفقوا الى قلب الحكومة وأنشأوا دولة دستورية تنازعوا على الانتفاع من النظام الجديد فيعودون الى ما كان بينهم من الفروق الجنسية أو الدينية فتقوم الشحناء بينهم وقد يوقد نارها بعض الدهاة من اصحاب النظام القديم بالدسائس ونحوها ولا يعدمون وسيلة لاثارة الضغائن بين العناصر او المذاهب . وقد وقع مثل ذلك في ممالك اوربا باواسط القرن الماضي يوم تقررت السلطة للامة بالدستور فاخذت كل امة تفكر في جنس من يتولى حكومتها لانها ترى لها الحق أن لا تخضع لدولة غريبة عنها . ونشأت بسبب ذلك الجامعات الجنسية اللاتينية والجرمانية والسلافية وغيرها . وكانت هذه الروح من جملة ما بعث الولايات البلقانية على الخروج من حوزة الدولة العثمانية واستعانت على ذلك بما يجمعها بدول اوربا من الجنسيات كما فعلت الصرب والبلغار واليونان . وكما يخشى ان يفعل المجر وبوهيميا وكرواسيا ودلماتيا للخروج من سيطرة النمسا اذا حدث فيها انقلاب او زحت تحت حرب او لسبب آخر . ولهذا السبب يخشى على الصين وهي في اول انقلابها ان يقع الخصام بين عناصرها المختلفة المغول والمنشو والتبيت والتتر فضلاً عن اهل الصين الاصليين

والخطر من الانقسامات الجنسية او المذهبية يكون اشد وطأة اذا كانت الدولة التي احرزت الدستور مؤلفة من عناصر مختلفة او مذاهب متفرقة فان التنازع يقوم بين تلك العناصر او المذاهب على الاستئثار بالسلطة . ويشتد التنازع اذا رافقه الجهل والفقر ولا سيما اذا كانت تلك العناصر ذات مجد سابق وجاءها الدستور واسعاً حرًّا ولم تسيجه بالحكم العرفي أو العسكري . كما وقع بالدولة العثمانية لهذا العهد وهي كما تعلم من تعدد العناصر والمذاهب وقد اطلقت فيها الاقلام وسعى رجال النظام القديم في الافساد ودس الدسائس بالضرب على الاوتار الحساسة والدولة مع ذلك مضطرة لاستبقاء بعض رجال ذلك النظام في مصالحها . ولهذه الاسباب كان الخطر على الدستور الفارسي اقل مما على الدستور العثماني لان الفرس امة واحدة ومذهب واحد وان كان العثمانيون اقرب الى اسباب المدنية منهم . فان تفرق العناصر أكثر خطراً على الدولة لانه يضعفها ويذهب بقوتها — وكل مملكة تنقسم على نفسها تخرب . وقد جاهرنا بخوفنا هذا عند ما اعلن الدستور فتقدمنا الى قومنا العرب وغيرهم ان يتمهلوا في

المطالبة بحقوقهم وان يحسنوا الظن برجال الحكومة ولا ينازعوهم على المناصب ولا يفتحوا مسألة العناصر ريثما يستقر امر الدستور وترسخ قواعده ثم يطلبون ما يريدون فلم يصادف نداؤنا قبولاً . فوقع ما كنا نتخوفه واستفحل النزاع بين العناصر العثمانية فاغتنم الاعداء اشتغال العثمانيين بالتخاصم وغلبوهم على الولايات البلقانية كما هو مشهور

ونحن انما استمهلناهم في المطالبة لا استخفافاً بحقوقنا او رغبة في التنازل عنها فاننا اكثر غضباً للعنصر العربي واللغة العربية من سوانا بل لعلمنا ان المطالبة في ذلك الحين وعلى ذلك الشكل لا تثمر غير التنافر المؤدي الى الانشقاق ونحن احوج الى التساند للافاة الخطر الذي يهدد كل انقلاب ولا سيما الانقلاب العثماني وقد انتقل العثمانيون فيه من الاستبداد المطلق الى الدستور الحر والامة جاهلة وقد قامت به طبقة راقية قليلة الاختبار ابطرتها النعمة واسكرها الفوز على حين غرة فلم تتخذ الاحتياطات اللازمة كما فعل سواها قبلها بل اكتفت بان تفاخر سائر الامم بنيلها الدستور بلا سفك دماء وغفلت عما خبأته لها نواميس الاجتماع من الاخطار . وقد قلنا والناس في ابان الفرح باعلان الدستور « ان الفرح لا يكون باعلانه وانما يكون باستثماره » فالامة العثمانية اليوم في بحران شديد نجانا الله من عواقبه

ثانياً — كيف تتأيد الدولة الدستورية

فاذا اجتازت الدولة خطر الانقلاب السياسي بسلام فتأييدها انما يقوم باصلاح داخليتها وترقية اذهان العامة بنشر العلم واستثمار القرائح والمواهب والقيام على الغرس واستصلاح الارضين ونشر التجارة ونحو ذلك من اسباب العمران . وهذه كلها لا يتم منها شيء ان لم تتفرغ لها الدولة بسيادة السلام وتنصرف هي والامة الى العمل معاً في هذا السبيل مدة كافية لاتمام هذه الاعمال

وقد علمت ان الدول الاستبدادية كانت تتأيد بالعصبية وبناء الحصون وتجنيد الجند ونشر لغة الدولة ودينها فالدول الدستورية تحتاج الى هذه ايضاً لكنها اكثر حاجة الى نشر العلم والصناعة وترقية الوسائل الاقتصادية وهي علة الثروة الحقيقية بتنشيط الزراعة ومد الخطوط الحديدية . واذا اتيح لها التوسع بالاستعمار فانما يكون استعمارها بنشر تجارتها وآدابها وعلومها ولغتها كما تفعل الدول الراقية في هذا العصر — وسنعود الى الكلام عن اسباب ضعف الدولة الدستورية وسقوطها في فرصة اخرى



عقول الحشرات
وطبائعها

قرأت كتاباً حديثاً لمستر ادمند سيلوس في هذا الموضوع وجدت فيه من الفائدة والفكاهة ما حملني على اقتطاف شذرات منه لقراء الهلال :

١ — الارضة

الأرضة هي الحشرة التي تأكل الخشب وتكثر في البلاد المدارية مثل افريقيا واميركا واستراليا وتوجد احياناً في جنوب اوربا وبعض البلاد المعتدلة . تعيش جماعات في قرى صغيرة ذات مسالك متقاطعة وغرفة الملك والملكة في اسفل القرية . وينقسم سكان القرية الى طبقتين : الجنود والعمال . وتمتاز الجنود عن العمال برؤوس كبيرة وفكوك قوية . وهي تحرس القرية من الغرباء لكنها لا تتداخل في المشاحنات الصغيرة التي تحدث في الداخل كأنها تستصغرها وتستكبر نفسها عليها . ولكنها تخرج على العدو اذا تعدى عليها وتشتبك معه مستقتلة حتى تغلبه وتطرده أو تفنى في الدفاع عن وطنها . اما العمال فانها تعتنى بالملك والملكة فتغذيهما بلعابها وهي تبني القرية بعجينة من الخشب وتحفر مسالكها

وتمتاز الارضة عن النمل في أن دعاميصها وسرفاتها تكون شادنة اي لا تحتاج للحضانة مثل دعاميص وسرفات النمل . وليس عمالها من الأناث فقط مثل عمال النمل والنحل بل من الاناث والذكور التي لم يكمل نموها الجنسي . ولا يخفى ان اكثر الحشرات تكون اولاً بيضاء تنقف عن دعموص وهذا ينسلخ عن سرفة وهذه تنسلخ عن الحشرة الكاملة

والارضة تتفاهم باصوات تحدثها بتحريك جسمها حركة انتفاضية كأنها اصيبت برعدة . وتشاهد هذه الحركة عند موت احداها أو عند حدوث خطر . فانها تجري حينئذ مسرعة ثم تقف في طريقها لتنتفض كأنها تستغيث بالقرية وتنبه اخواتها . واذا كانت الارضة تنخر خشبة وقد تغلغلت فيها حتى لا ترى من باب النخر فيمكن لارضة اخرى ان تنبهها وتخرجها من النخر اذا وقفت بالباب وانتفضت . ويدل ذلك على استطاعة الارضة لاحداث الاصوات وعلى وجود حاسة السمع فيها

وتأكل الارضة اخواتها اذا مرضت. وعند الانسلاخ تأكل ثوبها الذي خرجت منه . وقد تتكادم ارضتان وتتلاحسان ثم ينقلب المزاح جداً وتلتقم احداهما لقمة صالحة من جسم الاخرى . ويجري هذا الناموس على الملك والملكة ايضاً اذا مرضا . وقد ينشأ شجار صغير بين بعض الجنود أو بعض العمال فتثور القرية ويستمر القتال حتى يتداخل البعض في مصالحة المتشاجرين . تظهر قرية الارضة كأنها تلة صغيرة وقد ينبت عليها العشب . وقدرة الارضة على اكل الخشب تفوق الوصف فان حكومة الحبشة تمد اسلاكها التلغرافية الان على اعمدة حديدية لان الارضة تأكل السواري الخشبية كلها

٢ — النمل

للنمل اصدقاء واعداء يساكنونه في قراه . فمن اعدائه حشرة تسمى اللبسميد ترتزق باللصوصية . فاذا رات نملة تحمل غذاء تتبعها حتى تخطف ما تحمله وتجري به . وهي سريعة الجري والحركة لا قدرة للنمل على اللحاق بها . وفي دهاليز القرية وسراديبها متسع لها في مخاتلة النمل . واذا اجتمع حولها جماعة من النمل انتفضت أو تعمدت الانتفاض أو الرعشة وادارت نفسها بسرعة وخفة فيذعر النمل من ذلك ويخاف من قربها فلا تزال تنتفض حتى يتركها . ومع ذلك فان ما يقتله النمل منها كثير تظهر جثثه منتشرة في جوانب القرية

ومن أصدقاء النمل صرصر يسمى البوصة يقطن قرى النمل ويتغذى من مخازنه والنمل يدافع عنه عند الحاجة ويغذيه بذاته اذا احتاج الامر الى ذلك . وسبب هذه الصداقة ان الصرصر يفرز مادة عسلية من بطنه يلحسها النمل . فهو لذلك يتولى حمايته وتغذيته واذا خرج من القرية لسبب التف النمل حوله وارجعه . وقد يأكل هذا الصرصر احياناً دعاميص النمل فلا يشدد النمل عليه العقاب بل يكتفي باقلاله كانه ينظر للفائدة الاخرى التي ينالها من وجوده . والعجيب ان هذا الصرصر يمكنه ان يقتل سكان القرية كلها اذا اراد . لان له كيساً يفرز غازاً كبريتياً مصدعاً . لكنه لا يفعل ذلك مع النملة مهما فعلت هي به . في حين ان هذا الغاز يكاد يكون سلاحه الوحيد في مشاجراته مع سائر الحشرات . ولعل الانتخاب الطبيعي اوحي اليه ذلك لانه لو استعمله مع النمل لما قدر على مساكنته

وبعض النمل يربي من النبات كما نربي نحن البقر الداجنة ـ ونعني بالمن الحشرات الصغيرة التي تعيش على ورق الاشجار وتمص عصارتها وتقع احياناً على اوراق القطن

وتمتص عصارته وتميته وتسمى الاصابة به عند الفلاحين « الندوة العسلية » لان هذه الحشرات التي لا يزيد حجم الواحدة (المنة) منها على رأس الدبوس تفرز مادة عسلية لزجة . وهي كثيرة التناسل لدرجة هائلة . والنمل يحملها الى قراه ويعتني بها واذا اراد ان يحتلبها ربت على بطنها تربيتاً خفيفاً فتفرز نقطة من العسل يرتشفها في الحال . وهو يأويها ويغذيها ويقيم الحرس عليها لهذه الغاية

واغرب من تربية المن وحلبه ان بعض النمل يزرع نوعاً من الفطر . ويقول الذين عاينوا ذلك ان النمل يحمل الى القرية قطعاً صغيرة من اوراق الشجر ويختار غرفة في القرية تسع رأس انسان يجتمع فيها ويسحق ما جمعه من الورق ويعجنه بلعابه كرات صغيرة الواحدة منها بحجم الخردلة او اكبر قليلاً . ثم يجمعه اكداساً بعضها فوق بعض . فلا تمضي اربعون ساعة حتى يتكون على سطح هذه الكرات نوعٌ من الفطر كالمخمل ناعم طري يأكله النمل . وهذا من اعجب ما روي عن حيوان غير الانسان . وكان المظنون ان النمل يأكل الكرات التي يصنعها من ورق الشجر ولكن المحققين في درس طبائع النمل اثبتوا انه انما يأكل الفطر الذي ينبت عليها ومتى اكله القاها ولم يعد اليها كأنه لا يعتبرها الا تربة مسمدة صالحة للانبات فقط

وجاء في حياة الحيوان للدميري : « ومن طبعه (النمل) ان يحتكر قوته في زمن الصيف لزمن الشتاء وله في الاحتكار من الحيل ما انه اذا احتكر ما يخاف انباته قسمه نصفين . . . واذا خاف العفن على الحب اخرجه الى ظاهر الارض ونشره » وهذه حقائق ثابتة ولكن بقية اقواله عن النمل مفعمة بالخرافات

ومن الامثلة الغريبة عن تبادل المنفعة بين الحيوان والنبات ان في بعض صحاري اميركا المدارية ينمو نوع من السنط يعشش فيه النمل فيفرز السنط شراباً عسلياً يعيش عليه النمل ويسهر على حراسته . فلا تقترب من هذا الشجر دابة او حشرة لترعى ورقه الا هجم عليها والخنها قرصاً ولذعاً حتى تبعد عن الشجرة . فكأن السنطة تسكن هذه الحشرات وتقدم لها الغذاء لتحرسها من اعدائها فهي لها بمثابة الجيش للدولة

وبعض النمل يخزن ما يجمعه من عصارات الاشجار في بطون نوع من النمل يخصصه لهذه الغاية . فيخرج سكان القرية الى « نبع » عسل في احدى الاشجار وتملأ اشداقها بها وتعود الى القرية فتزقق عدداً وافراً من النمل حتى ينتفخ بطنها الى حجم البندقة او اكبر فلا تستطيع الحركة لثقل ما اختزن فيها . فاذا جاعت نملة جاءت الى احدى هذه المخازن الحية فتجتر لها النملة الخازنة جرّة ترتشفها منها النملة الجائعة .

وهنود اميركا يبحثون في قرى النمل عن هذه الخوازن ويشربون ما فيها . وقد جرت مناقشة في صحف الولايات المتحدة عن امكان المتاجرة بعسل هذه الخوازن وتقرر ان عسلها لذيذ شهي ويمكن تعويد الناس على اكله لكن الكمية التي تحصل منه قليلة فلا تكون تجارته رابحة

وقد نقل رومانس في كتابه « ذكاء الحيوانات » مشاهدة لاحدى السيدات نذكرها هنا ونختم بها المقال عن النمل :

قالت السيدة وقد قتلتُ عمداً جملة من جنود النمل « رأيت عدداً كبيراً من النمل يحيط بجثث القتلى فوقفت لمراقبتها . فرأيت اربع اوخمس نملات انفردت عن الجمع ومشت الى قرية قريبة فدخلتها . وما عتمت ان خرجت يتبعها جمهور آخر من النمل . فمشى الجميع صفاً اثنتين اثنتين حتى وصل الكل الى موضع القتلى . فتقدمت نملتان وحملتا قتيلاً ومشتا به يتبعهما نملتان اخريان لا تحملان شيئاً . وفعلت البقية كذلك فكان اذا تعبت الحاملتان تأخرتا وتقدمت النملتان اللتان لم تحملا شيئاً وحملتا الجثة ومشت الجنازة هكذا الى ان وصلت الى موضع بجانب شاطىء البحر فاخذ النمل يحفر حفرة واسعة تكفي لاحتواء القتلى . وفي فعل ذلك رأيت بضع نملات قد ولت الادبار كأنها تعبت من العمل فافسدت هذا النظام لكنها لم تنعم بهربها اذ تبعها جمهور من النمل واحضرها واعدمها في الحال عقاباً على فعلها . ثم دفنت القتلى في الحفرة »

ومن يقرأ هذه الحكاية وامثالها يعجب من ذكاء النمل ولا يبخل عليه بميزة العقل التي يختص الانسان بها نفسه دون سائر الحيوانات

٣ — الجراد

الجراد من الاوبئة الوافدة يزحف احياناً كالطاعون بل اشد منه . وربما كان عدد قتلاه اكثر من قتلى الطاعون في بعض البلاد التي يزحف عليها . يأكل الزرع فتمحل الغلات ويموت الناس جوعاً . وذكر المؤرخون اغاراته ووصفوها . ومن ذلك ما قاله احدهم « أن في سنة ١٧٤٨ بلغت مساحة ما يرى من الجراد في فيانا عاصمة النمسا ثلاثة اميال عرضاً وظل اربع ساعات وهو يتخطى البرج الاحمر . وكان كثيفاً يحجب ضوء الشمس حتى كان الانسان لا يرى انساناً آخر على عشرين خطوة منه »

قال الدكتور منرو يصف جيشاً من الجراد في جنوب افريقيا : « ان الغوغاء كانت تطير فتحط على كل شيء اخضر يلاقيها . فتأكل القمح (اذا كان طريا غضاً

والذرة (مهما كانت كبيرة جافة) وقصب السكر والبرسيم والمراعي بانواعها . وكذلك الخضار واوراق الشجر وربما اكلت لحاءه ايضاً . وهي تعري اشجار الفاكهة من اثمارها كلها . وتدخل احياناً البيوت فتلتهم ما فيها من الاقمشة وستائر الشبابيك . واذا رأت قطيعاً من الغنم اكبت عليه واكلت صوفه »

والجراد لا يجتمع ويصير مؤذياً الا وهو صغير قبل ان يستكمل نموه . والعرب يسمونه في هذه الحالة غوغاء (تجمع على غوغاء) والعجيب ان الاوستراليين يسمونه ايضاً (Mobs) وهو الغوغاء في العربية . ويطلقون هذا الاسم على عوام الناس كما نفعل نحن . فاذا كثرت الغوغاء تفرقت وقل نهمها فيخف ضررها او يزول تقريباً والجمع من الغوغاء لا يطير الا بعيد شروق الشمس ويحط قبيل غروبها فيقطع في اليوم ميلاً او ميلين على الاكثر لاشتغاله في أثناء الطريق بتجريد الارض من زرعها . وهو لا يتخطى الانهار الواسعة ولكنه يقطع المجاري الصغيرة وربما غرق في ذلك عدد كبير منه

قال الدكتور منرو « اذا وفدت جيوش الغوغاء حسبتها سحباً سوداء ويستحيل على الانسان احصاؤها ولكن يدل على عظمها ان الرياح تعصف احياناً فتسفوها الى البحر وتغرقها ثم تقذفها الامواج الى الشاطىء بعد ذلك فتظهر جثثها متكردسة بعضها فوق بعض الى علو ثلاثة اقدام او اربعة وتمتد طولاً الى مسافة خمسين او مائة ميل . فيشمُّ السكان نتنها الى مسافة مائة وخمسين ميلاً في داخل البلاد »

ولا يقود جمع الجراد في طيرانه رئيس . ويستدل الدكتور منرو من ذلك على وجود عقل اجتماعي للجراد تفكر به الجماعة قال « من البين الواضح ان الجرادة التي تطير بين الجيش المؤلف من الملايين من الجراد لا يمكنها ان تنظر الى رئيس يقودها . وقد لاحظت ذلك ايضاً في اسراب الطيور . لاني لم ارَ سرباً من الطير ينقاد في طيرانه لرئيس . واعتقد ان الطيور اذا اجتمعت خضعت حركاتها لعقل مجموعها . فللسرب من الطير عقل كما للفرد عقلٌ حينما ينفرد . والا فكيف نفسر طيران الجراد ؟ »

٤ — العناكب

ليست العناكب بالمعنى العلمي الدقيق حشرات . وهي مشهورة بقبح هيئتها ودكنة الوانها . لكن بينها عناكب تعيش في جنوب اميركا والهند وغيرهما من البلاد الدافئة

في الغابات بين الازهار وتقتات بفراش يسمى ابا الدقيق ..وهي هناك زاهية الالوان تبهر النظر كانها الجواهر . والسبب في تلونها انها تقتات بالفراش الملون وهو يعيش على الازهار ويمتص رحيقها . فنشأ في هذه العناكب ذوق للالوان الزاهية فصارت الذكور منها تطلبه في الاناث والاناث في الذكور . فأدى هذا الانتخاب الجنسي الى تلونها مثل الوان الفراش الذي تصيده بالوان باهية باهرة

والمشهور ان انثى العناكب تكره الذكر ولا تقبل خطبته الا بعد ان يحتال عليها ويتلطف في استرضائها ويحاسنها ويناغيها ويداعبها . واذا نال وطره منها فزعها وهرب مسرعاً لان الانثى عند ما تشعر انها تلقحت تتحول الى الذكر وتأكله من رأسه لقدمه لانها أكبر جسماً منه

حبس بعضهم ذكراً وانثى من هذه العناكب وسيج عليهما ووصف دعاب الذكر قال « اذا كان الذكر على بضعة قراريط منها لوّح بساقيه الزاغبتين كانه طاحون هوائي . فترمقه الانثى شزراً كانها تريد ان تفترسه فيظل محافظاً على مركزه ولا يقترب منها . يبقى كذلك مدة طويلة وكلما همَّ بالتقدم اليها تندفع هي اليه فيتراجع مسرعاً . وقد يتجلد احيانا ويقترب الى مسافة قيراط منها ويرفع ذراعيه فتطرده عنها . فيهتاج ويعود اليها ويدور حول نفسه مراراً ثم يقف منتصباً على اطراف قوائمه الخلفية ويهز بطنه . ثم يثب من الجانب الواحد الى الاخر بين يديها فتخف بذلك كراهتها وتقف وقد طابت نفسها فتريه بدنها الزاهي بالالوان ولا تعود تهجم عليه بل تتراجع الى الوراء كلما اقترب منها . ثم يرقد على بطنه امامها ويربتها بقوائمه الامامية . وكأن هذا يغضبها فتطرده عنها . فيعود متلطفاً ويربتها بخفة حتى تأنس به . »

٥ — انتحار العقرب

تضاربت الآراء في قتل العقرب نفسها اذ احيطت بالنار فالبعض ينفي ذلك ويقول ان العقرب تتأثر بالنار كثيراً فتموت من شدة حرارتها . وقال آخرون انها اذا ضويقت تغرز حمتها في ظهرها وتسم نفسها . ولما كانت العقرب لا تستعمل حمتها مع عدوها الا اذا ارادت قتله فهي بذلك تفهم ان لسعها لنفسها يؤدي الى موتها كما تعرف انه يؤدي الى موت عدوها . واذا كانت تفعل ذلك عن اختيار فهي تنتحر بمعنى الانتحار الحقيقي

ارسل احدهم الى مجلة « نيتشر » يقول : « احضر لي خادمي ذات صباح عقرباً

(في الهند) يظهر انها اطالت الجولان في الليل وضلت طريقها عند انبثاق الفجر فحبستها في قفص لاراقبها . فوضعتها في اصيل احد الايام على احد الشبابيك بحيث تقع عليها اشعة الشمس فهيجت من الضوء والحرارة . وتذكرت ان العقارب تنتحر اذا احيطت بالنار . فاخذت عدسية محدبة وجمعت اشعة النور على ظهر العقرب فصارت تنفث وتبصق وتجري وهي هائجة . واعدت هذا العمل اربع او خمس مرات وكلما فعلته تهيجت واسرعت وهي تنفث . ولما كررت ذلك رفعت ذنبها وغرزت حمته في ظهرها بسرعة البرق فسال دمها ولم يمض نصف دقيقة حتى ماتت » قال الكاتب « وقد كتبت اليكم هذا لابين اولاً ان الحيوانات تنتحر احياناً . وثانياً ان الحيوانات السامة تموت من تأثير سمها »

والعقارب كالعناكب تأكل الاناث ذكورها اذا استطاعت بعد التلقيح . ولذلك فالذكر عندما ينتهي من التلقيح يسارع الى الفرار - وليس ذلك غريباً في الطبيعة لانها تهتم بالنسل اكثر مما تهتم بالابوين . وبين الحيوانات البحرية حيوان لا تخرج اولاده من رحمه الا اذا مزقت بطنه واماته . ومعلوم ان سنابل القمح لا تنضج الا اذا جف الساق الذي يحملها ومات . واكثر النباتات السنوية تجري على هذا الناموس

٦ انتخاب المهد

بين الحشرات ما ينتخب مهداً لفراخه . وقد يكون هذا المهد دعموصاً من دعاميص الحشرات الاخرى . مثال ذلك ان بعض الزنابير اذا شعر بقرب وضع البيض يبحث عن دعموص (كدودة القطن مثلاً وهي دعموص بعض الفراش) فيلسعها بحميه حتى تموت أو تتخدر فيحملها الى وكره ويبيض في جوفها . فاذا نقف البيض خرجت فراخ الزنبور واكلت من لحمها . وقد قيل ان الزنبور لا يميت الدعموص الذي يصيده بل يلسعه حتى يخدره فقط لكي يبقى حياً حتى اذا نقف البيض وخرجت الفراخ وجدته حياً لم ينتن . لكن الحقيقة غير ذلك . لان صغار الزنبور تأكل الدعموص ولو انتن . واذا وجد بين الدعاميص التي يحملها الزنبور الى وكره مالا يزال حيا مخدراً فذلك لان سم الزنبور لم يقتله تماماً ولان الزنبور اكتفى بتخديره كانه حسبه مائتاً

وبين الذباب ذبابة تسمى تاخينه اذا ارادت ان تبيض بحثت عن دعموص تغرز مبيضها في جوفه وتزرع بيضها هناك فينقف عن فراخ التاخينه التي تتغذى وتنمو من

لحم الدعموص. والتاخينه صديق معوان للمزارعين فهي التي تقي الحقول من الدعاميص الكثيرة التي تتغذى بالنباتات. هي كثيرة في اميركا وحبذا لو احضرتها مصلحة الزراعة عندنا وجربتها في مقاومة دعاميص دودة القطن

ويجري هذا المجرى ايضاً نوع من الذباب يسمى « اخينومون » يلقي بيضه في جوف المن الذي يصيب الاشجار (ويسمى عند الفلاحين الندوة العسالية) ولولا هذا الذباب وبعض الحشرات الاخرى لكثر هذا المن وما ابقى على الارض عوداً اخضر لانه كثير التناسل لدرجة هائلة

(مصر) سلامه موسى

اكتشاف الينابيع والمناجم

بواسطة العصا المنبئة [1]

كثر تحدث الصحف الاوربية ولا سيا الفرنساوية منها في الاسابيع الاخيرة عن تجارب قام بها نفر من العلماء في باريس وضواحيها للنظر في ما يدعيه بعض الاشخاص من المقدرة على التنبؤ عما تحت سطح الارض من الينابيع والمغاير والمناجم وغير ذلك بواسطة عصا يمسكونها بايديهم ويسيرون بها فحالما يقف الرجل فوق المكان المطلوب تلتوي العصا اشعاراً بما هناك. وقد تألفت لجنة علمية فحصت كثيرين من الذين يدعون هذه القوة أتوا من جميع انحاء فرنسا لهذه الغاية. فتحققت بواسطة التجارب ان لزعمهم اساساً صحيحاً مع غرابته وبعده عن المألوف ومناقضته الظاهرة للمبادىء العلمية المعروفة. وكان العلماء في ما مضى يستنكفون من البحث في هذا الموضوع لاعتقادهم انه من باب الخرافات والتدجيل. ولاشك ان كل من يقرأ شيئاً عنه لاول مرة يهزأ به وينسبه الى الشعوذة والتلفيق ويستكبر على ابن القرن العشرين ان يسلم بامور اولى ان يصدقها اهل القرون المظلمة

ولا يخفى ما قد يتأتى عن هذه الطريقة من الفوائد. فكم من المناجم في جوف الكرة الارضية لا يدري بها احد وكم من الينابيع والمياه تجري بين طبقات الارض وتذهب سدى والسطح جاف مهجور لقلة مائه. فما هي القوة التي تنبيء ممسك العصا عما

(١) بالفرنساوية baguette divinatoire وبالانكليزية divining or dowsing rod

لا يراه الناس ؟ وما تعليل هذه الظواهر الغريبة التي لولا تحقيقها علمياً لما سلمنا بها ابداً ؟ هل هي من قبيل الظواهر النفسية الغريبة كانتقال الافكار والشعور عن بعد او هي قوة جديدة ليس لها سابقة نقيسها عليها او نشبهها بها ؟ هذه اسئلة سنبذل الجهد في الرد عليها في الاعداد التالية بقدر ما تسمح لنا حالة العلم الحاضرة

نبذة تاريخية قديمة

اول حادث من هذا النوع وصل خبره الينا يرجع الى سنة ١٥٠٠ للميلاد ذكره أحد العلماء في كتاب عن علم الارض . وكانت العصا في ذلك الحين تستعمل لاستخراج المعادن دون سواها وكانوا يعتقدون ان بعض المعادن تجذب انواعاً مخصوصة من الاشجار فاذا اقترب العود من المكان الذي فيه المعدن مال نحوه بقوة تختلف باختلاف أنواع المعادن والاشجار . وفي اواخر القرن الثامن عشر اخذوا يستعملون العصا لاكتشاف المياه ايضاً وهاك اقدم حادث مدوّن من هذا القبيل :

« وهبت القديسة تريزة سنة ١٥٦٨ بقعة من الارض لتبني فيها ديراً فلم تجد فيها ماء كافياً واوشكت ان تهملها لولا ان راهباً اسمه الاخ انطونيو اتى وفي يده عصا فبعد ان تمشى قليلاً ذهاباً واياباً وقف وقال « احفروا هنا » فحفروا فوجدوا ماء غزيراً فنسبت القديسة تريزة هذه الحادثة الى اعجوبة الهية »

وفي سنة ١٧٨١ وضع الدكتور توفينيل طبيب لويس السادس عشر تقريراً مسهباً عن تجارب عملها مع غلام اسمه بليتون . ومما رواه عنه انه حول بقعة من الارض كانت قفراء الى مزرعة خصبة باكتشافه عدة ينابيع فيها

التاريخ الحديث

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وصل امر اولئك المتكهنين الى جمعية الابحاث النفسية في لندن فكلفت احد اعضائها استاذ العلوم الطبيعية في جامعة من جامعات انكلترا ان يستقصي خبر هذه الظواهر ويدقق البحث فيها فقدم عدة تقارير عن ابحاثه قال فيها :

« اول ما خطر لي في تعليل ظواهر العصا المنبئة ان لبعض الناس معرفة دقيقة بخواص التربة والحجارة فيعرفون ما في باطن الارض بما يظهر على سطحها وان ليس في المسألة تنبؤ حقيقي سوى هذا الاستنتاج العلمي — ثم تحولت عن هذا التعليل ونسبتها الى الصدفة والاتفاق لاسيما وان العامة ينسون الحوادث التي لا تنجح ولا يتذكرون غير الناجحة منها — ولكني تركت هذا الرأي ايضاً واضطررت الى

التسليم بان عند بعض الناس مقدرة غريزية حقيقية يعرفون بها المواد المختبئة في باطن الارض . وحالما يصل الاشعار بوجودها الى الدماغ يتبعه تشنج عضلي خفيف لايشعر به صاحبه يتسبب عنه التواء العصا — على اني وجدت كثيرين من مدَّعي هذه القوة ليسو سوى دجالين يلجأون الى هذه الحيلة في طلب الرزق »

واليك حادث رواه الاستاذ المذكور « كان لاحد سراة الانكليز ارض واسعة في احدى مقاطعات انكلترا فاراد ان يبني فيها بيتاً وهوفي حاجة الى ماء كثير . فحفر بئراً لهذه الغاية عمقها ٩٠ قدماً فلم يجد فيها ماء فاستشار بعض الخبيرين في علم طبقات الارض فاشاروا عليه ان يحفر بئراً في مكان عنده ففعل ولكن بلا نتيجة . ثم نصحوا له ان يجرب مكاناً آخر فحفرالى عمق مئة قدم بلا جدوى ايضاً . واحتفروا في ذلك العمق سراديب جانبية لعلهم يجدون اثراً للماء فلم يجدوا . فلما يئس وكان قد انفق اكثر من الف جنيه انكليزي عبثاً خطر له ان يستدعي جون ملنس المشهور بالتنبؤ عن المياه المخبأة في باطن الارض وان لم يكن واثقاً بنجاحه . فكتب اليه واستقبله في المحطة وسار به الى الارض بدون ان يخبره عما جرى قبل مجيئه والرجل لا يعرف تلك الناحية مطلقاً . فما لبث جون ملنس ان مشى هنيهة والعصا في يده حتى التوت التواء شديداً في مكان وقف عنده واكد لصاحب الارض ان في تلك النقطة ماء كثيراً على عمق ٢٠ قدماً . وتنبأ ايضاً عن نقطة ثانية بقرب الاولى فحفروا فيهما ووجدوا ماء غزيراً

واختبر مرة رجلين في بقعة واحدة من الارض لم يعرفها احد منهما . فاخذ كل واحد وحده بدون ان يراه الآخر فاتفق الرجلان في انتخاب نفس النقطة تماماً . وذكر ايضاً حوادث اخرى عديدة لا محل لايرادها هنا

اما التجارب الاخيرة في فرنسا فقد اجريت في أثناء المؤتمر الثاني لعلم البسيكولوجيا العملي المنعقد في باريس من ٢٥ الى ٢٩ مارس الماضي وهي من قبيل الحوادث المتقدم ذكرها . وقد قدم عنها تقرير الى نظارة الزراعة الفرنساوية لما يترتب على هذا الفن عند اثباته من تحسين الزراعة في بعض الامكنة . ومما جاء في هذا التقرير ان الموضوع لا يزال قابلاً للاخذ والرد ولا يمكن البتّ فيه نهائياً لا سيما وان التجارب اجريت في وقت غير مناسب بسبب كثرة الامطار . وهناك نوع جديد من التنبؤ عن منطويات الارض اهتم به المؤتمر نعني معرفة الاماكن الخالية والمغاور التي تحت الارض وقد اتت هذه التجارب بنتائج مرضية . ولننتقل الان الى تعليل هذه الظواهر اي لماذا تتحرك العصا في نقط مخصوصة من الارضين دون غيرها

التعليل

ان اكثر الذين يستدلون بهذه الطريقة على وجود المياه والمعادن وغيرذلك انما هم من عامة الناس وكثيراً ما ينسبون مقدرتهم هذه الى قوى كهربائية ـ وكلمة كهربائية اصبحت اليوم وسيلة لتفسيركل ما لايفهمه الجمهورمن الظواهرالغريبة ـ غيران اعتقاد الرجل بالقوة الكهربائية قد يعود عليه بالفشل في عمله اذا عرف بوجود مادة غير موصلة للكهربائية بينه اوبين عصاه وبين الارض . ولكن اذا كان هناك في الواقع موصل رديء للكهربائية وهو لا يدري بوجوده فلا يؤثر في نجاحه قط . ويدل ذلك على ان لاعتقاد الرجل دخلا في نجاحه او عدمه وهومن قبيل الاستهواء (Suggestion) ويؤيد ذلك ان اكثر المتكهنين قابلون للاستهواء والتنويم كل القبول . ويسلم اكثر الباحثين في هذه الظواهر ان حركة العصا والتواءها ينتجان عن تأثر الرجل لا عن تأثرها مباشرة . فعندما يتأثر هو تتحرك عضلاته وهولا يدري حركة غيراختيارية يعبر عنا في العلم بالحركة العضلية غير المدركة [1] يدل على ذلك ان العصا لا تتحرك ما لم تكن في يد الرجل فاذا وضعت مثلاً على آلة وسيرت بها فلا يظهرعليها اقل تأثير

على ان السؤال الهام هو : ما هي القوة التي تمكن الرجل من اكتشاف الماء أو المنجم ؟

اختلف المفسرون في الرد على هذا السؤال فالبعض ينسبونها الى قوة طبيعية فيسيولوجية (اي جسدية) كقابلية الجسم للتأثر من الرطوبة المسببة عن وجود الماء او من المواد المتصاعدة من المناجم (لان المواد تنحل انحلالاً بطيئاً فتبعث في الهواء دقائقها المنحلة) او نحو ذلك . ومن الثابت طبياً ان أصحاب بعض الامزجة . ولا سيما المصابين بالروماتزم شديدو التأثر من الرطوبة . فتأثر المتكهن عن الماء او المعدن في نظر هذه الفئة من العلماء هو من هذا القبيل . وحالما يتأثر جسمه يلوي العصا التي بيده بدون ان يشعر بفعله العضلي كما ذكرنا

والفريق الآخر يعتقدون بوجود قوة نفسية غير منظورة يرى الرجل بواسطتها ما لا تراه عيناه لان تلك القوة تخترق المواد الجامدة وتسمى Clairvoyance ولاغرابة فيها اذا ذكرنا بجانبها قراءة الافكار وانتقالها والشعور عن بعد ونحوها من الظواهر النفسية الغامضة (انظر مقالة انتقال الافكار والشعور عن بعد في الهلال الثالث من

(١) Unconscious muscular action

هذه السنة) فلما يرى الرجل مطلوبه تتحرك عضلاته الحركة المعهودة التي تسبب التواء العصا — وبعض المتكهنين يستغنون عن استخدام العصا فيستدلون بواسطة شعور غريب يشعرون به عند ما يقتربون من الماء او المعدن او الشيء المراد البحث عنه يعبرون عنه بنوع من الضيق او التعب . واذا صحَّ ان تلك القوة ترى الرجل ما لا تراه عينه فلا يبعد ان يتمكن ايضاً من معرفة سائر المخابيء وهو الواقع . فقد استعملت هذه الطريقة للبحث عن نقود مدفونة في الارض والذي عمل التجارب عالم يوثق به اخذ كل التحوطات لمنع الغش وابعد الشخص الذي خبأ النقود — وهو الوحيد الذي يعرف المخبأ — عن المكان الذي امتحن فيه الرجل لئلا يقرأ فكره بواسطة انتقال الافكار

وبالاجمال فان التجارب التي اجريت من هذا الباب وان لم تنجح كلها فان ما نجح منها يستحيل ان يكون من قبيل الصدفة . واذا سلمنا بهذه القوة وهي عبارة عن النظر بلا عيون فانها تسهل علينا فهم بعض المسائل التي لا تزال غامضة الى الآن في علم الحيوان كرجوع بعض الطيور والحشرات الى اوكارها بعد سياحات طويلة فقد تكون تلك القوة ايضاً فيهم

وعلى كل حال فلا يجوز الانتقال في موضوع كهذا من الانكار الكلي الى الاعتقاد الاعمى وانما يمكننا ان نستنتج من بحثنا هذا ما يأتي :

اولاً : ان التكهن بواسطة العصا المنبئة عن المياه والمعادن من الظواهر التي تستحق التفات العلماء فلا يجب ان يستنكف العالم الطبيعي من هذا البحث لغرابته — وان كان اول ما يتبادر الى الذهن نسبته الى الغش والتدجيل

ثانياً : ان الذين يقدرون على معرفة ما في باطن الارض قليلون بالنسبة الى الذين يدعون هذه القوة

ثالثاً : لا ريب في ان التواء العصا مسبب عن تشنج عضلي في حاملها لا يشعر به

رابعاً : انه مع ثبوت الحوادث وتحقيقها فالتعليل ناقص جداً يفتقر الى البحث والتدقيق

اميل زيدان

يلزم لادارة الهلال

بالثمن او المبادلة

(١) تاريخ التمدن الاسلامي الجزء الاول

(٢) سنوات الهلال الثانية والرابعة والثالثة عشرة والثامنة عشرة

صحة العائلة

السرطان

اخر الآراء فيه

اطلعت في احدى المجلات الانكليزية على مقالة ضافية في السرطان واعراضه وأسبابه ووسائل التوقي منه فاحببت تلخيصها لقراء الهلال :

السرطان من اهم الامراض التي يشتغل الاطباء بدرسها اليوم لانه آخذ في الانتشار بسرعة غريبة . كان في القرن الماضي اذا ترتبت اسباب الوفيات حسب اهميتها جاء السرطان في الدرجة العاشرة منها وهو اليوم الخامس منها وفي بعض الاماكن الثالث . وقد ظهر من الاحصاء الاخير في انكلترا انه يصاب به واحدة من ثماني نساء باغن الخامسة والثلاثين من العمر . وتوفي به سنة ١٩٠٨ اربعون الف نسمة في اميركا . ومع ذلك لم يصل الاطباء حتى الآن الى معرفة سببه الحقيقي

ظنه البعض ناتجاً عن جراثيم مرضية (ميكروب) ونسبه البعض الاخر الى نوع الغذاء واوقاته ومقاديره . وظنه آخرون من تأثير الاقليم او البيئة او الوراثة . اما ما وصل اليه الباحثون من اسبابه بالتجربة والاستقراء فهو انه ينتج عن انتقال خلايا بعض اجزاء الجسد الى جزء آخر وتستقر بين خلاياه — اذ لا يخفى ان الجسم الحي مؤلف من خلايا حية (حويصلات) تختلف خصائصها باختلاف الاعضاء التي تتألف منها . فحويصلات العصب تختلف عن حويصلات العضل او الدهن مثلاً . فوجدوا ان بعض الحويصلات تنتقل لسبب غير معلوم من موضعها الاصلي وتستقر بين حويصلات من جنس آخر وتتضاعف بسرعة غريبة وتقتل الانسجة التي حولها . فينمو ذلك الورم الغريب ويأخذ في الانتشار بواسطة الغدد الليمفاوية حتى يهلك الجسم الا اذا استدرك بعملية جراحية — واليك نتيجة الابحاث التي اجمع على صحتها اوثق اطباء اليوم :

(١) ان اكثر احوال السرطان التي تستدرك عاجلاً تشفى

(٢) لا فائدة من العقاقير في معالجته على الاطلاق
(٣) ان تأجيل العلاج يؤدي الى الخطر لا محالة
(٤) الواسطة الوحيدة للشفاء انما هي استئصال الورم بعملية جراحية حالما يكتشف . فتقل ضحايا السرطان ٥٠ في المائة على الاقل

علاقة التهيج الموضعي بالسرطان

ان علاج السرطان معلوم وواضح جداً لكن اسبابه مجهولة . على انهم عرفوا منها التهيج الموضعي وان لم يكن هو السبب الاصلي لكنه يسهل وجود السرطان ويساعد على نموه لان التهيج يضعف الانسجة فتصير قابلة للمرض اكثر من القوية . وقد ثبت ان السرطان لا ينمو في موضع لم يحدث فيه تهيج مستمر والبراهين على ذلك كثيرة : فالرجال الذين يدخنون التبغ بالغليون معرضون للاصابة بالسرطان الشفوي ويندر ان تصاب النساء بهذا النوع من السرطان . وقد لوحظ ان المصابات به كن يدخنّ بالغليون . وفي الهند كثيرون يصابون بالسرطان الخدي لانهم يمضغون نوعاً من الفلفل الهندي يحفظونه مدة طويلة في التجويف بين الخد والاسنان فيتهيج الغشاء المبطن للخد ويصير قابلاً للسرطان . وسرطان اللسان ينتج غالباً من احتكاك اللسان بسن مكسورة . وفي كردستان قوم يتسلقون الجبال الباردة ويستدفئون بفحم مشتعل يحملونه بوعاء على اوساطهم فهؤلاء كثيراً ما يصابون بسرطان في ظاهر البطن — ويندر ان يصاب هذا المكان في غير هذا البلد

يجب فحص كل تهيج باقرب فرصة

تقدم ان السرطان لا يتولد الا بعد تهيج موضعي مستمر فالمعالجة سهلة وهي ان يبادر الى استئصال الورم المشتبه حال ظهوره . وان لم يثبت قطعياً انه سرطاني فهو نمو مرضي وقد يتحول بطول التهيج الى سرطان . يظن بعضهم ان لا فائدة من استئصال السرطان ولا امل من شفائه مطلقاً ــ وليس الامر كذلك . كانوا يظنون نحو ذلك في السل ولكن بالوسائط والمعالجة الحديثة وصل الاطباء الى شفاء المصابين به وهكذا في السرطان اذا استدرك في اول امره فيترجح شفاءه وقد يشفى ٧٥ في كل المائة من المصابين به

سرطان المعدة

اعم انواع السرطان في الرجال والنساء سرطان المعدة . وفي القرن الماضي كانوا يظنون استئصاله مستحيلاً لان جرّاح الامس لم يكن يعلم ان قسماً صغيراً من المعدة

يقوم بعمل الهضم ويغني عن القسم الآخر . فاليوم يعالج المصاب بهذا النوع من السرطان باستئصال القسم العليل من معدته ولا يتعطل الهضم . وبين العمال وارباب الصنائع والخدم كثيرون يقومون باشغالهم بثلث المعدة او ربعها ولا يشعرون بنقص في تغذيتهم . وقد شفي من المصابين بهذا المرض ٣٠ في المائة وقد يشفى ٥٠ في المائة او اكثر اذا تداركوا الاصابة باول امرها

سرطان الثدي

اكثر انواع السرطان شيوعاً في النساء هو سرطان الثدي والرجاء من شفائه ٧٥ في المائة اذا استدرك في اوله . وهو يبتدىء بظهور كتلة غريبة في الثدي ـ وليس كل ورم يحدث هناك يكون بداية سرطان . ولكن نموًّا كهذا يجب الاهتمام به حال ظهوره ويستحسن استئصاله وان لم يتحقق انه سرطاني لئلا يتحول بالتهيج المزمن الى سرطان . فحال ظهور الكتلة في الثدي يجب المبادرة الى فحصها على يد جراح ماهر فاذا ثبت انها نمو بسيط وجب نزع الكتلة بعملية طفيفة واذا اشتبه بوجود السرطان فلا بد من استئصال الثدي كله . ومن الخطاء ان تهمل العملية ويضيع الوقت بالفحص المطول اذ ربما تفوت الفرصة المناسبة وتصبح العملية عقيمة

السرطان المعوي وغيره

قد يظن لاول وهلة ان السرطان المعوي يستحيل شفاؤه لان الامعاء مستقرة داخل الجسم ومحاطة باعضاء اخرى كثيرة . ولكن الامر بالعكس لان الامعاء تتألم من السرطان وتشعر به قبل سائر الاعضاء . فاقل نمو غريب فيها يوقف حركتها ويجبر المريض على استدعاء الطبيب . فاذا كان هذا الاخير ماهراً تدارك الامر في اوله واستأصل القسم المصاب . والسرطان المعوي اذا اهمل في بادىء امره لا يقطع الامل من شفائه كما في سائر الاعضاء لان الغدد اللمفاوية التي بواسطتها ينتشر سم السرطان قليلة جدًّا في الامعاء

وسرطان الشفة من اسهل الامراض للتشخيص والمعالجة لانه في خارج الجسم ويسهل فحصه وعمليته سهلة وقليلة الخطر وقد يشفى ٩٠ في المائة اذ تطببوا في اول المرض . وقد ينمو السرطان ايضاً في الحوصلة المرارية (الكيس الصفراوي) وسببه غالباً حصاة صفراوية تهيج ذلك المكان وتضعف انسجته . واستخراج الحصاة الصفراوية سهل وقليل الخطر فعلى المصاب بها ان يبادر الى استخراجها

الخلاصة

يجب حفظ ثلاث حقائق عن السرطان وهي :

(١) لا ينمو السرطان الا بعد تهيج مزمن ومستمر

(٢) اذا منع سبب التهيج ترجح عدم تولد السرطان

(٣) الطريقة الوحيدة للشفاء هي استئصال السرطان بعملية جراحية

فلا يجوز اهمال أي تهيج مزمن في داخل الجسم او خارجه بل يجب المبادرة الى فحصه . فاذا تأكد وجود السرطان وجب المبادرة الى الجراحة واستئصال القسم المصاب وقد قال احد كبار الاطباء في اميركا : « الخطر ليس في العملية الجراحيـة ولكنه في تأجيلها » (س)

روح الثورة [1]

ايها السادة والسيدات

من فضائل اجدادنا ارباب النيابات ما بعدُ اليوم رذيلة . ومن وحوش الماضي الهائلة لم يبق غير هياكل في متاحف العلم والتاريخ . ومن مواعين الاسلاف اصحاب الأنافة ما لا يصلح اليوم لبيت الفلاح . ومن اديان الاقدمين الالهية والحيوانية لم يبق غير المتهدم من انصابها والطامس من رموزها ورسومها . ان آلهة الانسان مثل مواعينه لا تصلح مدى الدهر . نشعل النار يوماً امامها ويوما تحتها ويوماً فيها . نقدم المحرقات اليوم ونحرق المعبودات غداً . الثابت في الحياة ثابت الى حين واما الانقلاب فثابت الى الابد . اجل ان يداً سرية علوية تعمل ابداً في الامور وفي الاشياء فتحولها وتغيرها وتبدل منها . التطوُّر سنة الحياة في الجزئيات منها والكليات . في العلوم وفي الاديان في السياسة وفي الامم في الطبيعة وفي الناس . خذ شيئاً واحداً من اشياء الاقدمين وقابله بما نشأ منه وقام اليوم مقامه فتكاد تجهل الاصل وتدهشك درجات التحسين فيه والارتقاء . وقفتُ مرة في احد المتاحف الاوربية امام معرض من السلاح . فرأيت ادوات الحرب والقتال كلها مصفوفة بحسب تاريخها ورقيها . اولها النبوت الذي قطع من الغاب لقتل وحوشها وآخرها البارودة الحديثة التي يطلق بها

(١) خطبة الفيت في حفلة جمعية تهذيب الشبيبة ببيرت في ١٧ ايار (مايو) سنة ١٩١٣

عشرين مرة في الدقيقة . لمخترعها الانسان لقتل الانسان فقلت في نفسي : وفي المستقبل تمسي البارودة هذه مثل نبوت الاولين اثراً من الآثار بينها المتحف وبارودها الصدأ

ولا شك عندي انا وان كنا ابتدأنا بالنبوت الشوكي وتدرجنا منه الى الغوّاصات والطيارات الحربية سنتدرج ايضاً الى الحجة والبرهان والتشريع والسلم العام . ولكن الانقلابات في زمن السلم اعظم منها في زمن الحرب وروح الثورة حية ثابتة ابداً . روح الثورة كائنة في كل الامم وفي كل الاماكن وفي كل الازمنة . وهي في الناس وفي الطبيعة عاملة دائماً اما خفية واما ظاهرة . اما هادئة واما هائجة . اما بانية واما هادمة

الثورة [1] يد الانقلاب . وناموس النشوء والارتقاء روح الثورة . ولهذا الناموس الالهي مظاهر قد تستغرب لتنوعها فيه . فهو عامل في الناس وفي الاشياء على السواء لكن ردَّ العقل فيه يختلف ونتائجه تتنوع . المياه كلها واحدة السحاب يسخن فيذوب فيسط على الارض ماء طهوراً . ولكن مجاري المياه تختلف باختلاف التربة التي تسقط فيها فيجري منها الحار والفاتر والبارد ويجري منها المالح والمعدني والقراح . فالعوامل التي تعمل خفية في الاشياء قلما يراها الانسان . ولكنه يشاهد نتائجها التي تظهر في الاحايين فجأة فيكبرها ويدعوها ثورة وانقلاباً . وما الثورة الا سلسلة من حوادث خفية تتجسم في مظهر من مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية . الثورة شجرة جذوعها اعظم من فروعها وتربها اقدم من سمائها . الثورة حادث خطير خمسه الاخير يظهر للعيان واخماسه الاخرى خفية سرية . الثورة كلمة الله مجسدة في الاشياء تجعل الجماد حياً والحي ناراً والنار نوراً والنور حقاً وعدلاً ورقياً وسلامة

كان الحديد جماداً فصار في الكور حياً . وساعة يدخل النار يبتدىء فيه تاريخ الثورة الطبيعي . وساعة يضعه الحداد على السندان ويرفع فوقه المطرقة يبتدىء فيه تاريخها العملي . فتراه بعدها سكة او مدفعاً او معولاً او سنداناً . وكذلك الحجارة التي تصير كلساً والكلس الذي يصير طيناً والطين الذي يصير جدراناً . والجدران التي تصير سجناً . والسجن الذي يصير عاملاً حسيا بين الطبيعة والانسان . كيف لا وهو الحلقة الاخيرة من سلسلة الثورة الطبيعية . والفصل الاول من تاريخ الثورة المدنية وقس على ذلك في حوادث الاجتماع وفي مظاهر الطبيعة والاكوان

---

(١) اريد بالثورة معناها التاريخي الاجتماعي ولابد في مثل هذه المباحث من التوسع بما يجيء في كتب اللغة من التعريفات

ان الزلزال اقرب نتيجة الينا لانه اصطدام عناصر تحت الارض ثائرة بعضها على بعض . وتفجر البراكين وتساقط الشهب وفيضان الانهار نتائج ظاهرة حسية لسلسلة حوادث بعيدة الاسباب خفية . ولا اظن حادثاً واحداً اجتماعيا او طبيعياً أثر في تاريخ الامم او تاريخ الارض تأثيراً كبيراً وكان منفرداً في مفعولاته وعوامله عن بقية الحوادث اومنفصلاً عن السابق واللاحق من مجاري النواميس الكلية الشاملة . في تاريخ الارض مثلاً ازمان بائدة تعرف بازمنة الحجر والجليد والنحاس وغيرها . يفصل بعضها عن بعض حادث في الطبيعة خطير . ولكنه لا يفصلها على ما اظن تمام الانفصال . واني لأجسر ان اقول وان كنت قصير الباع في هذا العلم ان حوادث هذه الازمنة سلسلة بعض حلقاتها خفية لا مفقودة . وقد اخفاها الحادث العظيم كما تخفي المرجانة في السلك مكانها . وقد يكون الحادث الخطير همزة وصل محيية لا همزة قطع مهلكة . فيحمل بذور الحياة من زمن الى زمن . وينقل مبادىء الرقي من جيل الى جيل

وان ناموساً كلياً ازلياً يغير في ماهية الحوادث الى حد محدود ولا يتغير قطعياً . تنفجر البراكين فتقذف بحممها خارجاً فتتغير تربة الارض حولها . وقد تغير شكلها ايضاً فتجعل السهول جبالاً والجبال سهولاً . ولكنها تقف عند هذا الحد ولا تتعداه . فلا تستطيع ان تجعل البحر ارضاً او الارض ماء . والطوفان كالبركان لا يخرج عن ناموسه ولا يتعداه . فالمياه اذا طمت هدمت فتستحيل الارض بحراً الى حين . وقد تتغير تربتها وعمرانها . ولكن مركزها تحت الشمس لا يتغير

والذي يصح في تاريخ الارض والكائنات يصح في تاريخ الامم والحكومات فللثورة ناموس وللناموس طريق وللطريق منصات فيها عرائس تحمل شموعاً يوقدها الله للناس وهي شموع الزعامة والهدى . والزعامة بدونها صوت ولا عين وسيف ولا يد . والزعيم الكبير الصادق من سار الى غرضه في نور تلك المنصات . فيحق ان يدعى اذ ذاك زعيم الناس ولا يجوز ان يدعى زعيم الثورة . ذلك لان الثورة سنة والزعماء مسوقون عاملون لها حاملون بنودها مستمدون من انوارها كل على قدر طاقته . واذا استطاع اكبر تمساح في النهر ان يوقف سيره او يغير مجراه . واذا استطاعت النسور ان تسد فوهة البركان او تخمد ناره . يستطيع الزعماء في الثورة التأثير على ناموسها الذي هو روحها الحية الالهية الازلية

في الامس خطب اللورد مورلي في مجمع المؤرخين الذي التأم بلندرا ـ واللورد مورلي من نوادر ارباب السياسة والادب والفكر في العالم اليوم — فقال ان للبداهة في السياسة

تأثيراً كبيراً في تاريخ الامم . اي ان رجلاً عظيماً في كلمة يرتجلها او في عمل يعمله بداهة وعفو القريحة يغير مجرى الحوادث التاريخية المهمة . وقد يصح هذا في فروع الحوادث لا في اصولها . مَن مِن الزعماء كان اعظم في الارتجال من ميرابو ؟ ومَن مِن ارباب السياسة كان في البداهة والاقدام اعظم من بزمرك ؟ اما ميرابو فلو شاء ايقاف الثورة او تحويل مجراها لما استطاع الى ذلك سبيلاً . ولو خدم بزمرك غير الوحدة الالمانية لما كان فيها سريا عبقرياً . لو عمر ميرابو لاستطاع في الاكثر تلطيف فظائع الثورة الافرنسية . ولو مات بزمرك قبل ان يتم عمله لتممه بعده سواه . في الحياة ناموس يعلو به النوابغ لكنهم لا يعلون عليه . وان شجاعة الرجال وفصاحة الزعماء وبداهة السياسيين تؤثر بظواهر الحوادث لا بجوهرها . وعندنا من تاريخ الدولة العثمانية برهان على ذلك قريب . هذه الثورة الاخيرة — وقد تسمونها دسيسة — اسقطت الوزارة الكاملية واودت بحياة احد زعمائها . فهل غيرت شجاعة انور واصحابه شيئاً من جواهر الامور ؟ هل عززت شأن الجند ؟ هل صانت شرف الامة ؟ هل فازت برد غارات العدو ؟ هل خلصت ادرنه ؟ هل ظفرت في الاقل بصلح شروطه احسن للدولة من الشروط التي عرضت على الوزارة السابقة ؟ ولو نهض صباح الدين وانصاره غداً ودكوا الوزارة الحاضرة دكاً أتغير يا ترى من روح الحركة الفكرية الثوروية شيء جوهري ؟ لا لعمري ! ولو وفق العثمانيون الى اكبر زعيم في العالم لما استطاع اليوم رد الطوفان . ولما استطاع اليوم سد فوهة البركان

بعد هذه الاشارة الخصوصية التي ساقني البحث اليها اعود الى عموميات الموضوع . قلت ان للثورة ناموساً ثابتاً في كل الامم وفي كل الازمنة . عوامله اكثرها خفية وبالاخص في اوقات السلم . ولا تحصر هذه العوامل في الحكومة وفي السياسة فقط . بل هي حية محيية في كل دائرة من دوائر الحياة في كل نفس بشرية راقية . ففي كل امرئ تحدث ثورات منه وعليه في ساعات من الحياة يوادها اجمل ما فيها . فتلجّ في النفس اصوات تزعزع فيها المألوف . وتنزع منها شكيمة العادات . فتنقلها من فكر الى فكر . ومن حال الى حال . وهذا في الحقيقة من سنة التطور . الثورة لا تحصر في الرجال بل تراها عاملة حتى في الاطفال . فالطفل الجائع يثور على أمه عند ما تمسك عنه اللبن حتى اذا اصاخت الام لصراخه واجابت طلبته يستحيل الجوع فيه شبعاً . والصراخ غناء . هذه ثورة الطفل الطبيعية وقد كللها النصر . اما اذا تغلبت شهوته على حكمة

أمه فتثور عليه معدته فيدعى الطبيب أي الاجنبي لينظر في امره . وهذه ثورة أخرى طبيعية . سببها التفريط ونتيجتها التورط والفشل

وما يصح في الاطفال من هذا القبيل يصح في الرجال . على ان الطبيعة امنا لا ترحمنا ولا ترثي لحالنا لا تتساهل بتنفيذ شرائعها فينا . ان بثوراً تظهر في جسم الانسان لدليل ثورة في دمه . فقد حمل الدم ما لا يستطيع حمله فرفضه ثائراً فظهرت آثار الثورة في جلد صاحبه . وما يصح في المادة يصح في النفس . توبة الجاني ثورة في نفسه كللت بالفوز . الانتحار نتيجة ثورة في قلب المرء افسد اليأس قصدها وغير الفشل نتيجتها . الراهب اذا تزوج فالثورة فيه على نذوره . والخليع اذا ترهب فالثورة فيه على شهواته . والنفس الأثيمة اذا ارتدعت واهتدت فالثورة فيها على الشر والضلال واذا تسامت فالثورة فيها على الخسة والسفالة والجهالة . وقس على ذلك اطوار النفس وتقلباتها ارتقاء وانحطاطاً

قلت ان روح الثورة حية عاملة في دوائر الحياة كلها . وفي كل فترة من الزمن تتجسم نتائجها فيبصرها الناس ويدركونها . خذ التجارة مثلاً — فان طرائقها واساليبها وادواتها اليوم غيرها منذ مئة سنة . وفروعها الجديدة المتعددة لم تخطر للفينيقيين ولا لمن سبقهم من التجار في بال . تدخل بيت شركة من الشركات في أوربا واميركا اليوم فلا تجد فيه غير المكاتب والدفاتر والآلات الكاتبة والاوراق . وبينها واليها مئات من الشبان والبنات واقفين وجالسين يكتبون ويحسبون . فتظن نفسك في دائرة من دوائر الحكومة . فتسأل : ما هي تجارة هذه الشركة . فيقال لك ان لا تجارة لها . وبعد ان تطلع على حقيقتها يدهشك أمرها وتستغرب ماهيتها . فتقول في نفسك : وكيف يمكنها ان تدفع رواتب عمالها الكثيرين وهي مؤسسة لفحص دفاتر التجار اولتقدير ارباحهم . اولنشر الاعلانات اولمطالعة الجرائد فتقص منها ما يهم عملاءها من الاخبار . وهنالك ابواب أخرى عديدة للارتزاق ما حلم بها الانس في الماضي ولا الجن . وهذا التفريع والتخصيص في العمل انما هو نتيجة ثورات سلمية في طرائق التجارة القديمة . وانا لنشاهده في الولايات المتحدة . هنالك عند اشرافنا على نيويورك نرى اعلام الثورة قائمة امامنا مجسمة في تلك الصروح الشامخة . وان ثورة الاميركيين على الهندسة المعروفة في فن البناء القديم لمن اعظم ثورات السلم والتجارة

ولا اخص الامة الاميركية بكل ما نشاهده اليوم من ادلة الانقلاب ومظاهره الخطيرة . نحن في زمن عظمت فيه اعمال العقل كما عظم البناء عند الاقدمين . ففي

مدنية الغرب اشكال معنوية وحسية هي من قبيل ضخامة الاهرام . هذه ابنية الاميركان وقد فاقت قلل الجبال علوًّا . وهذه اختراعات العلماء واكتشافاتهم ملأت اعلامها الارض بحراً وبرًّا وجوًّا . فاين منها الاهرام وابو الهول اين منها هياكل المصريين ومعاهد الرومان . ايفاخرنا الماضي بقبور ابطاله وبما تجسم من مجد ملوكه وخرافات كهانه ؟ هذه معاهد العلوم مجد اربابها مجدها . وهذه صروح لملوك الثروة معاهد الخير والاحسان تشفع بهم وبها . بل هذه مساعي ابطال العلم والعمل ان آثارهم تدل عليهم . وانا لنراها اليوم في الشرق وفي الغرب . في اقاليم الارض كلها وفي قطبيها . في صحاري الجنوب وفي ثلوج الشمال . في السهول قائمة وفي الجبال . في البحار ماخرة وفي الانهار . فوق المياه تعج وتحتها . في الاثير تضج وفي الفضاء . تحت المعادن تهدر وفوق السحاب . وهي كلها من فضائل الثورة العظيمة ثورة السلم والعلم ثورة الفكر والعمل

اجل سادتي ان مساعي الانسان في هذا الزمان عقمت أو أثمرت لجسيمة كلها بل هي كلها ثوروية . ومثلما تكثر فيها اسباب الرقي والمجد والسعادة تتعدد فيها اسباب البؤس ايضاً والفقر والشقاء . ان جئتني من الماضي بحسنة اريك من مثلها في الحاضر حسنات . وان اشرت الى سيئة اعدد من شكلها سيئات . البؤس عندنا مثل النعيم كلاهما جسيم والخير مثل الشر كلاهما عظيم والقبيح في هذه الحياة المادية الجديدة مثل الجميل تتصل اسبابه بمساعي الانسان العقلية المحضة فيفسد الطمع نتائجها . وتشوه الانانية جمال مقاصدها . على ان ذلك لا يدعو الى اليأس عند من يفكر في الامور ويطلع على شيء من تاريخ الثورة الاجتماعية السلمية ثورة العلم والعمل في المغرب . ان هي الا حديثة النشأة كثيرة المحن . وان ما تضمره لنا الايام من فوائدها لاضعاف ما نشاهده منها اليوم . ولو لم تكن روح الثورة اي سنة التطور حية في هذه الحياة ثابتة دائمة لما قبل الحكيم مدنية الغرب واكبرها . كيف لا ولم تزل للعبودية فيها آثار ظاهرة واشراك مهلكة . وفيها في احياء البؤساء ظلمات لا تولد غير المنكرات . كيف لا وفقر اليوم عبودية لا تقاس بعبودية الماضي . والعبد الراضي بسوء حاله غير العبد المدرك لبؤسه المتمرد على اسياده المطالب بما لغيره من وسائل العيش والرقي والسعادة. وهذه من حسنات مدنيتنا التي تنبه كل من عاش في ظلها ونورها وتستنهضه ليطالب في الاقل بما لهُ من الحقوق المدنية والطبيعية . نعم ان روح الثورة فيها لا تقعد وعينها لا تنام وعقلها لا يقف ويدها لا تكل ابداً

أما الثورة السياسية فلي كلمة وجيزة في طرق الفوز والفشل او بعضها فيها . من استقرى التاريخ يعلم ان الثورة الحقيقية العظيمة نتائجها العميم خيرها انما تبدأ فكراً وشعوراً . ولا يبقى من آثارها بعد ان تحدث فعلاً الا ما كان منطبقاً على ما نضج في الانفس والعقول . بل لا ينمو من بذورها الا ما وافق التربة التي تزرع فيها . مثال ذلك الجمهوريات في مدن ايطاليا في الاعصر الغابرة كجمهوريتي فلورنسا والبندقية وحكومة كرومويل في انكلترا وعروش نابوليون في اوربا فانها لم تدم طويلاً . عززها السيف حقباً من الزمن ثم قلبتها الفوضى واباذتها التقاليد الوطنية . وقد يكون نصيب جمهورية الصين اليوم نصيب تلك الحكومات القصيرة الاجل . فالثورة الحقيقية ذات النتائج الثابتة انما هي بنت التعاليم السديدة والمبادئ السامية لا بنت المدافع والحراب . على ان السلاح يعززها عندنشأتها . اذا جرد السيف في سبيلها من كان عارفاً ماهيتها مدركاً بعض اسرارها محترماً ناموسها مستأصلاً من التقاليد والخزعبلات ما يعترض سيرها ونجاحها

فالانقلاب الادبي الذي يحدث اولاً في النفس ثم يتدرج منها الى البيت . فمعاهد العلم فدوائر الاجتماع يولد ثورة تحتاج فيها اليوم الى سلاح يؤيدها ويعززها . والآن عدنا الى ما كنا فيه . ان انقلاباً في الاخلاق والعقول والانفس وفي طرائق التعليم والتربية وفي دوائر الادب والاجتماع يحدث الثورة الصالحة التي لا يتبعها ردُّ فعل خبيث . ولا تأتي الا بالاصلاح الثابت الناضج المفيد

ولكن هذا الاصلاح لا يتم بلا انقلاب في الاحكام . ولا يتم انقلاب بلا ثورة سياسية ولا تنجح الثورة السياسية بلا ضحية . ولا تصح الضحية ان لم يكن صاحبها عالماً باهمية ما هو فاعل ثابتاً بما يؤمن مدركاً شيئاً من المذهب السياسي الاجتماعي الذي ينبغي ان ينصره بلسانه ويده وبماله ودمه . تيقنوا هذا ان : المفاداة بالنفس لا بدَّ منها في تأسيس الاديان او نشر المذاهب الاجتماعية . او تأييد الحقائق العلمية او تعزيز النهضات السياسية . ان في دم الشهيد مكروب النهوض لكنه لا ينتشر الا اذا كانت الاجسام مستعدة له . ولا تكون كذلك الا بعد ان تظهر فيها آثار الثورة الداخلية الهادئة . وهذه كما قلت تظهر في حينها ولا يمكننا ان نعجل حدوثها او نؤجله — وقد تنمو الثورة السياسية في فساد الماضي والحاضر كما ينمو النبات في الاقذار . والاستشهاد في سبيلها يزيد نموها

روح الثورة واحدة في الامم المتمدنة ; لكن اساليبها تختلف باختلاف طبائع

الامم وقد تتنوع ادواتها بحسب تقاليدهم وعاداتهم . ففي اميركا مثلاً تعمل الثورة اليوم بالفأس والمعول وفي فرنسا بالريشة والقلم وفي انكلترا بالقياس والميزان وفي المانيا بالجوهر وفي ايطاليا بالخنجر وفي روسيا بالديناميت . أما في الشرق فالثورة لم تهتد بعد الى ادوات العمل ولم تحسن استخدام واحدة مما ذكرت . جربنا الريشة والقلم فكنا فيها مقلدين . جربنا القياس والميزان فكنا فيها عابثين . لجأنا في الاستانة وفي مصر الى الرصاص وفي الهند الى الديناميت فكنا فيها مجرمين . جربنا الثورة السلمية فكنا مخطئين . جربنا السيف والمدفع فكنا فيها ضالين مضلين . والحق يقال ان سلاح الثورة عندنا لم يوضح بعد

ولايفوتكم ان البادئ بالثورة السياسية يكون غالباً اما فريستها واما تاجرها . وقد يكون تاجرها وفريستها معاً يأكل من مالها ثم تأكله . وقد يذهب ضحية على مذبحها. فيكون « كالتربيل » الذي يرميه الصياد في البحر فيدفع السمك الى سطحه فيصطاد، اذ ذاك قوم اشبه بالصيادين منهم بالزعماء

الزعماء ! عممت في ما قلته فيهم فاخصص . عندي ان الهيئة الاجتماعية كالجبل : الخيرات عند قدميه والصحة في وسطه والمحل في رأسه . في اسفل الهيئة الاجتماعية الجهل في العمل والذل . وفي وسطها شيء من التهذيب والدهاء . وفي رأسها السيادة والاثرة . يستثمر القاعدون عند اسفل الجبل الارض فيبعثون بالغلة ما خلا أجورهم الى من في رأسه . فيأخذ من في وسطه قسماً منها لقاء دفاعهم عن حقوق الانسان كما يزعمون . وفي ايام الثورة السياسية يكثر في هذه الطبقة الزعماء الادعياء طلاب السيادة والمال . فيهضمون حقوقاً يزعمون انهم يدافعون عنها . ويسلبون مَن تحتهم ومَن فوقهم . ويتآمرون مع السادة اصحاب النفوذ الخبيث فيتبوأ السادة مجالسهم مجالس الظلم والاستبداد والاثم والفساد ويسكتونهم بشيء مما يكسبون ويتقاسمون ما يغنمون. هؤلاء الزعماء وقد امسوا في قمة السيادة يصدرون اوامرهم كالصخور يدحرجها الصبيان من اعالي الجبال فتحطم الاشجار في طريقها وتسحق الازهار وتدمر ما غرسه الانسان وتهدم ما بناه

يدمرون ويفسدون ومن فسادهم يكسبون فهم تجار لا زعماء يتاجرون بالسياسة وبالحرب . يتاجرون بادوات الجند ومعداته . برتبه وجهالته ودينه وكسائهم وبخبز يومه يتاجرون بآمال الامة واملاكها يتاجرون بويلاتها وولاياتها يتاجرون بدمها ودموعها . يتاجرون بأقدس الاشياء لديها . عفواً سادتي فقد احسنت الينا

في ما قلت . فلو احسنوا التجارة في الاقل لانتفعت الامة بعض النفع بتجارتهم . ولكن دأبهم ان ينهبوا ويبيعوا ويخزنوا وكلٌ في قلبه يقول : بعدي الطوفان . والامة المسكينة تخرج الى النور وهي تتلمس باب طريقها

فاذا وقفت هناك وجدت من يأخذ بيدها ويهديها سواء السبيل . هناك طائفة الادباء الحقيقيين العاملين بجد واخلاص في سبيل الرقي والعدل والحرية . وفي سبيل العلم والحكمة والجمال عليهم وحدهم يتوقف تحرير الانسان . واعلموا ان الانسان لا يتحرر تحرراً حقيقياً تاماً اذا لم تتشرب روحه الثوروية روح المعرفة والشعروالحكمة . وان الادباء الحقيقيين من شعراء وفلاسفة واصحاب الفنون الجميلة وارباب العلم والحكمة لا ينتمون الا الى حزب واحد في العالم هو حزب الحق والحرية والحقيقة والجمال . ولا يكبرون ويجلون الا فئة قليلة من الناس روّاد المدنية الجديدة دعاة الثورة السلمية الاجتماعية المهذبين المعززين المرشدين المعزين ارباب الفنون الصادقين النوابغ الهادين . هؤلاء نجلهم ونكبرهم . ولا نجل من الناس سواهم . فلا يهمنا من الطوائف والملل غير المتساهلة الراقية منها . تلك التي يقف رؤساءها عند واجباتهم فلا يتعدونها . ويزرعون في قلوب الناس حب الحرية الادبية والروحية قبل كل شيء . ولا يناهضون روح الثورة اي سنة الارتقاء المقدسة . وانما يهمنا ويهم كل ذي شعور حي شريف ان ينتصر الهدى على الضلال . وان تتكلل الحقيقة في الفنون الجمال . يهمنا ان تتعزز الحرية الشخصية في كل مكان . يهمنا ان يتمتع بحق المساواة تجاه الاحكام كل من بني الانسان . نهتم لما كان سديداً من التعاليم . سليماً من العقائد . سامياً من الاراء . ان التعاليم السديدة السامية لا تفسد احداً من البشر . وهي لا تفسد مدى الدهر . وان روح الثورة التي تتغذى دائماً منها لا تخمد ولا تضمحل . وانما لها هجعات ولها يقظات ومتى انار الله مصباحها في دوائر الادب والدين والسياسة . وشعرت الامة شعوراً حقيقيا صافياً ان العدل اساس الملك . وان العمل به واجب مقدس وان طلب الحقيقة وحب الجمال في الحقيقة ضرورة من ضرورات حياتها . وان الحرية نور يومها والشجاعة هواؤه وسماؤه : متى اصبحت الامة تدرك هذه الجوهريات وتجدُّ في طابها وتسعى لتحقيقها بشرها بفوز مبين في مضمار الرقي والمجد والعمران

(بيروت) امين الريحاني



باب السؤال والاقتراح

اخلاق المصريين وعاداتهم

حضرة منشئ الهلال

تعلمون ان في القطر المصري جمعية علمية انتدبتها الحكومة المصرية لدرس مرض الطاعون ومعرفة أسباب انتشاره ووجوده بمصر بصفته وباء محلياً مدة طويلة والتوصل لمعرفة أحسن الطرق لمقاومته وطرده من هذه الديار . وقد وجدت في أثناء ابحاثها ان الطاعون المنتشر بكثرة في الوجه القبلي هو من نوع الطاعون الرئوي الذي ينشأ من ملامسة المريض مباشرة والتعرض لتنفسه والبصاق الدموي الذي ينفثه وهو مملوء بميكروبات الطاعون . وعلى ذلك فالجمعية الآن تبحث عن هذا النوع خاصة بالوجه القبلي . ونظراً لعدم وجوده بالوجه البحري (الا نادراً) وان القاهرة لم تصب بالطاعون قطعياً رأينا ان طبائع وعادات الاهالي لها دخل عظيم في ذلك

وحيث انكم من الذين يشجعون الابحاث العلمية ولكم الاطلاع الواسع وخصوصاً في مايتعلق بعادات وطبائع المصريين كتبنا اليكم هذا راجين ان تدلونا على الكتب التي تبحث في هذا الموضوع سواء كانت عربية او انكليزية او افرنسية او المانية . اما اذا كنتم لا تتذكرون كتاباً موافقاً من هذا النوع فهل يمكن ان تكتبوا مقالة مطولة في مجلتكم تتعلق بالاسئلة الآتية :

١ عادات وطبائع اهل الوجه القبلي والبحري وبنوع اخص الطبقة السفلى من حيث معاملاتهم لموتاهم وحزنهم الشديد كأن يقبلوا المتوفى او يتقربوا اليه باي صفة كانت غير مبالين بالعدوى ٢ اعتقادهم بالعدوى قبل الوفاة وبعدها وهل يعتقدون بعدوى الحميات وخصوصاً مرض الطاعون ٣ معالجتهم للامراض مثل الاورام والدمامل والخراجات والحميات ٤ معيشتهم الداخلية في بيوتهم ووصف هذه البيوت وعلاقتها بانتشار الامراض ونرجو اجابة طلبنا هذا الذي تشكركم عليه الانسانية والعلم

(اسيوط في ٢٨ مايو سنة ١٩١٣) عن مدير المعمل البكتريولوجي للابحاث الطاعونية

الدكتور فؤاد حلمي

﴿ الهلال ﴾ وصل كتاب حضرتكم وقد فرغنا من طبع هذا الهلال ولم يبق فيه مكان لاجابة طلبكم ولا الوقت الكافي لدرس هذا الموضوع درساً يفي بالغرض المطلوب ولم نشأ ان نؤجل الجواب الى صدور الهلال القادم لئلاً يطول انتظاركم . فرأينا ان نكتفي الآن بذكر الكتب التي تبحث في ما تطلبون الاطلاع عليه على ان نعود الى الكتابة في هذا الموضوع في وقت آخر

لا نعرف كتاباً عربياً تصدى لدرس اخلاق المصريين وعاداتهم على الشكل الذي تطلبونه . ولكنكم تجدون شيئاً من ذلك في كتاب مجوني اسمه « هز القحوف في شرح قصيدة ابى شادوف » للشيخ يوسف الشربيني طبع بمصر سنة ١٢٧٤ في عرض الانتقاد على بعض العادات الشائعة في الارياف . وربما عثرتم على شيء من ذلك مفرقاً في كتب الادب او التاريخ . اما الافرنج فقد كتبوا عن عادات المصريين في رحلاتهم الى مصر في القرن الماضي وقبله . اشهرها رحلة لين الانكليزي فان هذا الرجل خالط المصريين زمناً طويلاً ودرس آدابهم واخلاقهم في اوائل القرن المذكور والف كتاباً في مجلدين طبع مراراً . وهو من اوثق الرحلات الافرنجية المعروفة . واسمهُ Manners & customs of the modern egyptians على ان الحملة الفرنساوية قبله الفت كتاباً عن احوال مصر في عشرات من المجلدات اسمه Description d'Egyte وصفت فيه مصر من حيث السياسة والاجتماع والتاريخ والاقتصاد والآداب والاخلاق والتاريخ الطبيعي وكل شيء واوضحت ذلك كله بالصور المتقنة في عدة اطالس . وقد طبع هذا الكتاب في اوائل القرن الماضي بالفرنساوية . وفي الاجزاء ١١ و١٣ و١٦ منه ابحاث في الامراض الشائعة بمصر . وفي اجزاء اخرى فصول في الآداب الاجتماعية والاخلاقية مفيدة . وللدكتور كلوت بك كتاب خاص بالطاعون المصري هو اوفى كتاب في هذا الموضوع اسمه La peste observée en Egypte طبع في باريس سنة ١٨٤٠ . وله كتاب آخر في الطاعون المصري مختصر اسمه Leçon sur la peste d'Egypte طبع بباريس سنة ١٨٥١ وله كتاب في وصف مصر من حيث السياسة والادارة والاجتماع والصحة سماه Aperçu sur l'Egypte في مجلدين وفيه وصف الامراض المتسلطة في مصر . فلعلكم تجدون شيئاً من مطلوبكم في هذه الكتب

ونظنكم تجدون شيئاً من ذلك ايضاً في التقارير التي تصدرها مصلحة الصحة العمومية ولاسيما في اثناء تفشي الاوبئة . وفي مذكرات المجمع العلمي المصري Institut d'Egypte

فقد اطلعنا في مجلد سنة ١٨٦٢ منها على نبذة في الطب التجريبي لشافعي بك تبحث في عادات المصريين من حيث معالجة امراضهم الاعتيادية . ولمدرسة الطب المصرية تقارير اسمها Records of the school of medicine لا تخلو من فوائد صحية اخلاقية وطنية من حيث العادات الجارية بمصر

على ان هذا وامثاله من الكتب لا تفي بالغرض المطلوب تماماً والاولى على ما نرى ان تؤلف الحكومة لجنة طبية تتولى درس عادات اهل الارياف دوساً علميًّا دقيقاً حسب الاقاليم . وفي هذا الدرس فائدة صحية واجتماعية واخلاقية من حيث مداركة الطاعون وغيره . وليس اقدر من الحكومة على ذلك

ايضاحات تاريخية

الفيالق العثمانية

حضرة منشئ الهلال

نقلتم تقسيم الفيالق في الهلال الثاني من هذه السنة كما كان قبل اعلان الدستور . وقد اطلعت على تقسيمها بعد خلع السلطان عبد الحميد كما كانت عليه وقت اعلان الحرب البلقانية ارجو نشره خدمة للتاريخ وهو :

الفيلق الاول	مركزه الاستانة	الفيلق العاشر	مركزه اذربيجان
« الثاني	مركزه تكفورطاغ (رودستو)	« الحادي عشر	« وان
« الثالث	« قرق كليسه	« الثاني عشر	« الموصل
« الرابع	« ادرنه	« الثالث عشر	« بغداد
« الخامس	« سلانيك	« الرابع عشر	« اليمن
« السادس	« مناستير	وفرقة مستقلة في طرابلس الغرب قبل حرب ايطاليا	
« السابع	« اسكوب		
« الثامن	« الشام	«	« في الحجاز
« التاسع	« ارضروم		

زملة عبد القادر

ان ما ذكرتموه في الصفحة ٢٨٦ وما يليها من الجزء الخامس من هذه السنة عن زملة الامير عبد القادر وتسليم الامير يحتاج الى تفصيل دفعاً للالتباس . وذلك ان

مجالس الولايات الصينية واعضاء مجلس نواب تلك الجمهورية . اما مجلس الشيوخ فينتخبه اعضاء مجالس الولايات . وقد اسفر الانتخاب عن نتيجة حسنة بشهادة الذين تتبعوه مع كونه اول انتخاب من هذا القبيل حصل في تلك البلاد . بقي ان نرى كيف تعمل تلك المجالس وهل تتوصل الى حل المشاكل الصينية ووضع قانون اساسي للجمهورية

مطبوعات جديدة

﴿ كتاب الأنساب ﴾ ويعرف بانساب السمعاني هو معجم للتراجم الفه تاج الاسلام ابو سعيد التميمي السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ لتحقيق انساب المشاهير لا سيما اصحاب الحديث — ليس من حيث تسلسل آبائهم وانما اراد به انتساب كل منهم الى بلده او قبيلته او ابيه او صناعته . كقولنا « الابار » نسبة الى صناعة الابر « والبزاز » الى تجارة البز و « البخاري » نسبة الى بخارا وقس على ذلك . وقد رتبه على حروف الهجاء حسب تلك النسب فاذا ذكر نسبة وكانت الى بلد مثلاً ذكر مكانه او الى رجل او الى قبيلة عرّفها ثم يعمد الى ترجمة صاحب تلك النسبة . فهو معجم للتراجم مرتبة مواده على الالقاب او الانساب . ذكر كشف الظنون انه في ثمانية مجلدات وانه نادر الوجود لكن البحاثين من المستشرقين وجدوا منه نسخاً منها نسخة في المتحف البريطاني عنيت لجنة تذكار جيب بطبعها بالزنكوغراف حسب الاصل الخطي تماماً . فصدرت بالامس في ١٢١٦ صفحة كبيرة بخط دقيق لو طبعت بحرف الهلال وقطعه لزادت على ٢٢٠٠ صفحة . وفي صدره مقدمة انكليزية للاستاذ مرجليوث الشهير وصف فيها المؤلف وكتابه . فهو من امهات كتب التراجم فنثني على لجنة تذكار جيب جميل الثناء على نشره وهو يطلب من مكتبتي لوزاك في لندن وبريل في ليدن . وثمن النسخة جنيه افرنجي غير أجرة البريد

﴿ كتاب الولاة وكتاب القضاة ﴾ واهدتنا لجنة تذكار جيب ايضاً كتاباً يشتمل على كتابين الاول اخبار ولاة مصر لابي عمر الكندي المتوفي سنة ٣٥٥ (راجع الجزء الثاني من تاريخ آداب اللغة صفحة ٣١٩) يشتمل على اخبار امراء مصر من عمرو بن العاص الى الفتح الفاطمي في ٣٠٠ صفحة . والثاني اخبار قضاة مصر للكندي المذكور في ٢٠٠ صفحة مرتب على السنين . وفي آخر هذه الطبعة ملحق لاستيفاء اخبار قضاة مصر الى سنة ٤١٩ لابن حجر العسقلاني في ١١٥ صفحة . وفي ذيل الكتاب فهارس ومقدمة انتقاد انكليزية للاستاذ كيست ومعه خريطتان انكليزيتان

احداهما تمثل المملكة العباسية في القرن العاشر للميلاد والاخرى خريطة مصر السفلى وضواحي الفسطاط في القرن المذكور. وهو من الكتب النادرة والفضل في نشره للجنة تذكار جيب جزاها الله خيراً . وهو يباع حيث يباع كتاب الانساب وثمن النسخة اثنا عشر شليناً غير اجرة البريد

﴿ تاريخ جهانكشاي ﴾ هو كتاب فارسي لعلاء الدين الجويني المتوفى سنة ٦٥٨ للهجرة في تاريخ المغول عنيت لجنة تذكار جيب المذكورة بطبعه مثل سائر افضالها على الآداب الشرقية الاسلامية . وصدر الجزء الاول منه وهو يشتمل على تاريخ جنكيز خان واعقاب اوتاكيون خان . وقد وقف على تصحيحه محمد بن عبد الوهاب القزويني . وفي صدره مقدمة انكليزية ضافية للاستاذ براون المستشرق الانكليزي المشهور وهو من عمدة اللجنة المذكورة وقد بين في هذه المقدمة اهمية تاريخ المغول مع ملاحظاته على المسودة التي نشروها منه . واطال في ترجمة المؤلف ووصف كتابه ومزاياه وغير ذلك . وثمن النسخة ثمانية شلينات غير البريد

﴿ العقود اللؤلؤية في الدولة الرسولية ﴾ هو كتاب تاريخي نفيس في تاريخ الدولة الرسولية التي تولت اليمن من سنة ٦٢٦ — ٨٥٨ هـ تأليف الشيخ علي بن الحسن الخزرجي رتبه على السنين . عنيت بنشره لجنة تذكار جيب ايضاً عن نسخة خطية قديمة كانت لمعتمد خان عالمكيري ثم انتقلت الى قمر الدين خان احد وزراء محمد شاه ثم اتصلت بديوان الهند في لندن . ثم انتقلت الى مكتبة جامعة كمبريدج فلما اطلع عليها الاستاذ براون المتقدم ذكره اشار على امناء وقف جيب بنشرها ففعلوا فطبعت في مطبعة الهلال وتولى تصحيحها وتنقيحها الشيخ محمد بسيوني عسل مدرس اللغة العربية في جامعة كمبريدج وقد صدر الجزء الاول في ٤٤٠ صفحة ينتهي بحوادث سنة ٧٢١ هـ وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعون غرشاً والبريد ثلاثة غروش

﴿ تقويم البلدان ﴾ هو كتاب في الجغرافية الحديثة تأليف محمود افندي مراد من خريجي القسم العالي من مدرسة المعلمين الخديوية اوضحه بالاشكال والخرائط وفيه نحو ٦٠ خريطة وشكلاً . وهو خلاصة الجغرافية العامة ضبط الاعلام فيها بالشكل خوف الالتباس ورجع في بعضها الى اصل النسبة او ما يتلفظ به اصحابه وهو مطبوع طبعاً متقناً ويطلب من حضرة المؤلف بمصر

﴿ الحرب البلقانية ﴾ هو كتاب تاريخي في وصف الحرب التي جرت في اوائل هذه السنة بين الدولة العثمانية والدول البلقانية لحضرة توفيق افندي طنوس المحرر

بجريدة البصير وقد نقلها عن اوثق المصادر . ومهد الكلام في مقدمات هذه الحرب واسبابها وما تخللها من المغامز السياسية وعلاقة اوربا بهـا . وزين الكتاب بالرسوم والحقه بخريطة وهو يدخل في نحو ٢٠٠ صفحة ويطلب من حضرته وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش

﴿ نشوء الاجتماع ﴾ هو كتاب يبحث في السنن الطبيعية لنشوء النوع الانساني وكيف تكونت اممه تأليف بنيامين كد الكاتب الاجتماعي الانكليزي . وقد عني بنقله الى العربية محمد افندي صالح وصدر الجزء الاول منه وهو يبحث في اسباب الارتقاء وعمل العقائد الدينية في نشوء المجتمع الانساني — وهو من الذ المواضيع العصرية النافعـة ويطلب من مكتبة التأليف بمصر وثمن هذا الجزء خمسة غروس والبريد نصف غرش

﴿ جهره نما ﴾ جريدة فارسية مصورة تصدر في القاهرة مرة في الاسبوع لصاحبها الحاج ميرزا عبد الحميد خان الايراني دخلت في سنتها العاشرة وهي تبحث في السياسة والاجتماع وتزين مقالاتها بالرسوم الجميلة

﴿ مجلة الفنون الجميلة والتصوير الشمسي ﴾ هي مجلة فنية ادبية تنشئها الجمعية الفوتوغرافية المصرية مرة في الشهر بسعي اثنين من اعضائها همـا حسن آصف بك وشكري افندي صادق وكلاهما من عشاق الفنون الجميلة . وفوضت الجمعية الى احدهما آصف بك ان يطلب من الحكومة التصريح بنشرها فهو مديرها المسئول . وهي مجلة فريدة في بابها بالقطر المصري بدل اشتراكها ثلاثون غرشاً

﴿ مجلة الفنون ﴾ هي مجلة ادبية فنية ايضاً او هي معرض ادب لنشر المقالات الشعرية الفلسفية من طريقة جبران خليل جبران وامين الريحاني وغيرهما من اصحاب الخيال الشعري الفلسفي تصدر في نيويورك لمنشئيها نسيم افندي عريضة ونظمي افندي نسيم . وهي فريدة من نوعها في اللغة العربية مثل المتقدم ذكرها . ومن غرائب توارد الافكار صدور المجلتين في وقت واحد مع بعد الشقة بينهما . وقيمة اشتراكها خمسة ريالات اميركية او مئة غرش مصري

﴿ الحمراء ﴾ جريدة حرة جامعة تصدر في ريوجنايرو بالبرازيل مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها الياس افندي طعمة بدل اشتراكها ٢٥ فرنكاً

﴿ مجلة الناشئة ﴾ تبحث في الناشئة وشؤونها انشأتها المدرسة العلمية الوطنية بدمشق ويحررها طلابها تصدر في اول كل شهر عربي بدل اشتراكها ١٥ غرشاً

﴿ الترقي ﴾ جريدة سياسية اقتصادية ادبية تصدر في طنجة بمراكش مرة في الاسبوع بدل اشتراكها خمسة فرنكات

الهــلال

في السنة الثانية والعشرين

تحسين في خطته وزيادة في مواضيعه

عاهدنا حضرات القراء منذ انشأنا الهلال انا كلما زادونا اقبالاً زدناهم تحسيناً . وقد قمنا بعهدنا هذا غير مرة . فضلاً عما تقتضيه سنة الارتقاء من التحسين المستمر في الاحياء وما يلحق بها . ونحن الآن بين يدي تحسين جديد ننوي ادخاله على الهلال من اول السنة القادمة (الثانية والعشرين) يتناول مواضيعه وصفحاته وابوابه وغير ذلك

مواضيع الهلال

اصدرنا الهلال منذ احدى وعشرين سنة لم نغفل في اثنائها عن مراعاة حاجة القراء على اختلاف طبقاتهم من حيث ابوابه واساليبه ومواضيعه وما يلحق به من الكتب . فكان اول ما رأينا الحاجة ماسة اليه تاريخ الاسلام والعرب وسائر المشرق لانهُ تاريخ بلادنا ودولتنا وينطوي على تاريخ آدابنا الاجتماعية واحوالنا السياسية . ولم يكن بين ارباب الاقلام يومئذٍ من يلتفت الى هذا الموضوع الا نادراً . فتصدينا لهُ واخذنا بنشره في الهلال وغيره على طرق مختلفة — بدأنا بوضعه في قالب روائي يسهل تناوله ويسيغ هضمه . ثم الفنا في فلسفته ونقده بطريق البحث والتنقيب والتحقيق كما فعلنا في تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ العرب قبل الاسلام . فلم تمض بضع عشرة سنة حتى تنبهت الاذهان الى تاريخ العرب والاسلام فازداد القراء رغبة في مطالعته واقبل الكتاب على التأليف فيهِ . فرأينا الحاجة تدعو الى كتاب يسهل على المؤلفين البحث في كتب العرب ومعرفة ما يحويه كل كتاب ومكان وجوده بحيث يمكن الوصول اليهِ والاستعانة بهِ فالفنا تاريخ آداب اللغة العربية لهذه الغاية . ونحن الآن في جزئهِ الثالث يصدر في آخر هذه السنة . ويصدر جزءه الرابع وهو تتمة الكتاب في السنة القادمة ان شاء الله

وآنسنا في الاعوام الاخيرة ميلاً في قراء العربيــة الى المواضيع الاجتماعية والاقتصادية وغيرهما من الابحاث الحيوية فوجهنا العناية اليها وكتبنا فيها والقراء يستزيدوننا منها . وتكاثر طلابها ونبغ من الناشئة طبقة من المفكرين تاذلهم هذه الابحاث

فعزمنا على مجاراتهم في رغائبهم وسنكثر من الكتابة فيها في الهلال وملحقاته

ووجدنا من الجهة الاخرى ان الهلال بحجمه الحالي يضيق عما ننوي ادخاله فيه فرأينا ان نزيد صفحاته ١٦ صفحة كل شهر ونوالي التحسين في مواضيعه الاخرى ونزيد عليها ما نرى فيه الفائدة . فضلاً عن اتقان مظاهره من حيث نظافة الطبع وجودة الورق واتقان الصور وغير ذلك . وستصير ابواب الهلال من اول السنة الثانية والعشرين التي يصدر العدد الاول منها في اول اكتوبر القادم على هذه الصورة :

ابواب الهلال من اول السنة الثانية والعشرين

١ المقالات : ومنها يتألف القسم الرئيسي من الهلال وتشتمل على وصف اشهر الحوادث وتراجم اعظم الرجال . ومقالات اجتماعية وتاريخية وتهذيبية واخلاقية وفلسفية وعلمية مما تقتضيه حاجة الامة أو تستدعيه الاحوال الجارية . فلا يخلو هلال من عدة مقالات ضافية في المسائل التي يتحدث بها الناس أو يتوقون الى معرفتها من حيث الاجتماع أو الاقتصاد السياسي او فلسفة التاريخ أو العلم أو الادب او نحوها ونزينها بالرسوم والخرائط حسب الحاجة

٢ السؤال والاقتراح : نكتب فيه مقالات يقترحها القراء او نجيب على الاسئلة في كل موضوع نتوسم فيه فائدة للجمهور

٣ العائلة والمنزل : ننشر فيه وصايا صحية عمومية تفيد العائلات على الخصوص ومقالات تتعلق بتدبير المنزل وشؤونه

٤ عجائب المخلوقات : لنشر ما نقف عليه من غرائب الطبيعة من حيوان او نبات او جماد ونزينه بالرسوم مما تلذ مطالعه وتجزل فائدته

٥ اخبار علمية وصناعية : نضمنها خلاصة ما وصل اليه العلم والصناعة من الاختراعات والاكتشافات

٦ اخبار اجتماعية واقتصادية : لنشر زبدة ما يحدث من الشؤون التي تتعلق بالهيئة الاجتماعية واحوال البلاد الاقتصادية

٧ خواطر وآراء : نلخص فيها آراء مشاهير العلماء والفلاسفة وخواطرهم في كل موضوع

٨ المراسلة والمناظرة : للمناظرات التي تقوم بين ادباء العصر في المواضيع المفيدة

٩ تاريخ الشهر : نذكر فيه خلاصة ما يحدث من الاخبار في مصر وخارجها مما يهمُّ التاريخ حفظه مع ايضاحها بالرسوم والخرائط

١٠ التقريظ والانتقاد : لدرس ونقد ما يصدر من الكتب الهامة في اثناء الشهر

١١ مطبوعات جديدة : تقتصر في هذا الباب على ذكر ما يصدر من الكتب والجرائد والمجلات ونكتفي بايراد مواضيعها وارشاد القارئ الى اثمانها واماكن وجودها

١٢ رواية تاريخية : تنتهي بانتهاء السنة

بدل الاشتراك

قد علمت ان صفحات الهلال ستزيد ١٦ صفحة كل شهر يجتمع منها في عشرة اشهر ١٦٠ صفحة . فبعد ان كانت صفحاته في السنة ٨٠٠ صارت ٩٦٠ صفحة . فضلاً عن الملحق السنوي الذي يُعطى في آخر السنة بدلاً من الشهرين الاخيرين . وفضلاً عن التحسين الذي سندخله في الابواب والمواضيع . اما بدل الاشتراك فيبقى كما كان نعني ٨٠ غرشاً بمصر و١٠٠ غرش في الخارج

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الثالث

ملحق السنة الحادية والعشرين

ان ملحق الهلال لهذه السنة هو الجزء الثالث من تاريخ آداب اللغة العربية سيصدر مع جزئها العاشر . وربما اقتضى اصداره تأخير ميعاد ذلك الهلال بضعة عشر يوماً . فيصدران معاً في اواسط يوليو الآتي ان شاء الله

قائمة مكتبة الهلال

لسنة ١٩١٣

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٣ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

فرنسا وانكلترا وسويسرا

عمرانها ونظام حكومتها وحضارتها ومتاحفها

وسائر احوالها الاقتصادية والاجتماعية

من رحلة لصاحب الهلال هذا العام (تابع ماقبله)



ثانياً — انكلترا

٧ — متاحفها

١ — المتحف البريطاني

هو اعظم متاحف انكلترا ومن اعظم متاحف العالم. يشتمل على التحف والآثار مثل اللوفر بباريس ويمتاز عنه باشتماله على مكتبة نفيسة يندر مثلها بين مكاتب اوربا. وبناء المتحف فسيح تأسس سنة ١٧٠٠ ونما ببنائه ومحتوياته حتى بلغ ما هو عليه الان فنذكر تحفه التاريخية اولاً ثم نأتي الى مكتبته

دار التحف

هي عبارة عن المنحوتات والمصنوعات والمنقوشات من الآثار التاريخية والفنون الجميلة والتحف والذخائر وغير ذلك ويصح ان يقال في وصفها انها جمعت آثار الانسان من اول عهد العمران الى الان في القارات الخمس. وفيها من كل شيء احسنه مرتبة على الدول والامم في قاعات لآثار الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والحثيين والفرس واليونان والرومان والهند والصين واليابان والعرب في الجاهلية والاسلام وامم اوربا الحية وآثارها وامثلة من مصنوعات الامم المتوحشة وآثارها ومظاهر عاداتها في افريقيا واوستراليا واميركا وجزائر المحيط. ومصنوعات الامم المتمدنة من الفنون الجميلة والتصوير والنقش والحفر وفيها امثلة تدهش الناظر. ولكن

هذا القسم من التحف في اللوفر احسن منه في المتحف البريطاني واوسع . وفي هـذا المتحف مجموعة نفيسة جدًّا من النقود قديمها وحديثها ومجموعة للاوسمة وطوابع البريد وغير ذلك — غير آثار الانسان قبل التاريخ

وكل قسم من هذه التحف يشغل عدة قاعات و بينها من النوادر ما لا يوجد عند الامم الاصلية التي اخذت التحف منها . مثال ذلك ان بين التحف المصرية مخطوطات من البردي لا مثيل لهـا في المتحف المصري بالقاهرة وفيها حجر الرشيد نعني الحجر الذي حلوا منه القلم المصري القديم (الهيروغليف) على اثر حملة بونابرت فان هذا الحجر اتصل الى المتحف البريطاني قبل انشاء المتحف المصري . شاهدناه في صدر الآثار المصرية في خزانة وهواسود اللون مكسور من اعلاه . وفي المتحف المصري نسخة من هذا الحجر لكنها غير التي استعانوا بها على حل القلم المصري . وهنالك آثار مصرية ثمينة ومومياءات عديدة ومصوغات

وقس على ذلك الآثار الاشورية والبابلية ولعلها في المتحف البريطاني اغنى منها في سواه و بينها الوف من السجلات القرميدية المنقوشة بالحرف المسماري بينها القرميدة التي عليها قصة الطوفان كما يرويها البابليون . غير قراميد الصكوك والعقود والمراسلات وتماثيل قديمة جدًّا يظن انها نحتت نحو ٤٥٠٠ قبل الميلاد . وفيها آثار نينوى وقصور اشورية كاملة نقلت من بين النهرين الى هذا المتحف بجدرانها وسقوفها وتماثيلها . وفي جملتها تماثيل رجال اشتهروا بالتاريخ مثل اسرحدون نقلاً عن صورته على صخر عند نهر الكلب في بيروت وغير ذلك مما يطول بنا شرحه

وهنالك قاعات للآثار الدينية على اختلاف الاعصر والأمم ، وفيها من المشابهة في ظواهر ما يدهش العقل . ومجموعة للساعات القديمة والحديثة والاسطرلاب وغيرها من صنع الاجيال الوسطى . وقد بحثنا بينها عن الساعة التي اهداها الرشيد لشارلمان فلم نقف على خبرها . وشاهدنا بين هذه التحف تمثال طاوس من فولاذ عليه نقوش فارسية وكتابة عربية وهو تمثال « طاوس » اله اليزيديين حملوه من بلد قرب ديار بكر . طوله متر و بعض المتر واقف على قاعدة كالطاسة المقلوبة وعليها نقوش

وفي قاعة المصنوعات الزجاجية مصنوعات عربية من مصابيح وكؤوس ونحوها

عليها كتابة عربية بعضها من القرن الثالث عشر للميلاد وبينها قطع زجاجية عليها كتابة كوفية من عهد الدولة العباسية

وفي قاعات العادات والازياء والمصنوعات الشرقية سيوف بعضها تاريخي ينسب الى بلاده في الهند والصين في جملتها السيوف الدمشقية الشهيرة والفارسية والهندية والافغانية لكل منها شكل خاص . الفارسية منحنية والهندية والافغانية معتدلة وكذلك الدمشقيه لكنها شديدة الصقل . قبضتها من ذهب بعضها بحد واحد والبعض الآخر بحدين . وقس على ذلك السروج واشكالها

مكتبة المتحف البريطاني

يعرف قراء الهلال غنى هذه المكتبة بالكتب العربية مما يقرأونه في تاريخ آداب اللغة العربية عن الكتب الموجودة فيها . ويزيد عدد الكتب في هذه المكتبة على مليون كتاب في اللغات المختلفة والمواضيع على اختلاف الاعصر . بينها مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية وفيها معرض لتاريخ الخطوط بينها خطوط مشاهير الملوك والقواد والعلماء منها تواقيع ملوك انكلترا من ريكاردوس الثاني الى الملكة فيكتوريا وتواقيع ملوك آخرين . ومن خطوط مشاهير العلماء والشعراء والقواد شيء كثير . غير المخطوطات القديمة للكتب الهامة ولا سيما التوراة في العبرانية والسامرية واليونانية

وهناك مجموع لتاريخ الطباعة فيه امثلة من المطبوعات من اول عهد الطباعة الى الآن منها نسخة من التوراة باللغة الالمانية طبعها غوتنبرج سنة ١٤٥٥ بيعت نسخة منها سنة ١٨٩٧ بمبلغ ٤٠٠٠ جنيه وهي اقدم المطبوعات على الاجمال . ثم قاعات لتاريخ الطباعة في كل مملكة على حدة

وفيها امثله من الكتب المصورة بالالوان بعضها كتب حوالي القرن العاشر للميلاد ومن المخطوطات الشرقية اقدمها انجيل في العربية والسريانية كتب على رق غزال في القرن العاشر للميلاد . واقدم الكتب المخطوطة في العربية القرآن ومنه نسخة في المكتبة الخديوية يظن انها كتبت في القرن الثامن . ومن المخطوطات العربية المصورة بالمتحف البريطاني مقامات الحريري كتبت في القرن الثالث عشر وقد نشرنا صورة بها في الجزء الثالث من تاريخ آداب اللغة العربية

متاحف اخرى

وفي لندن متاحف اخرى عديدة يطول بنا وصفها اهمها « تيت كاليري » ويسمى متحف الصناعة الانكليزية وهو يشبه متحف لوكسنبرج في باريس فيه امثلة من صنع اشهر المصورين والنحاتين الانكليز. اكثرها خيالي يراد به الفن من حيث تشخيص العادات والاخلاق او الوقائع التاريخية تصويراً بالالوان او نحتاً على الرخام. ومن اجمل المنحوتات المتقنة فيه تمثال ولنتن على جواده وصور منحوتة تمثل حادثة الابن الضال ونحوها من الوقائع الشهيرة. ومن الصور صورة المارشال روبرتس على جواده ونابليون على الباخرة التي حملته الى منفاه وأخرى تمثل الطوفان وغير ذلك

ومتحف ولس: اصله من المتاحف الخصوصية اهدته اللادي ولس المتوفاة سنة ١٨٩٧ للامة الانكليزية وهو يساوي ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه. واشترت الحكومة المنزل لوضع المتحف فيه بثمانين الف جنيه سنة ١٩٠٠ ويمتاز عن سائر المتاحف بدقة ما يحويه من المصنوعات ويظهر للمتأمل في تحفه ان جامعها تأنق في انتقائها وسخا في ابتياعها وانه ذو ذوق سليم في الصناعة. ومن جملة ما شاهدناه فيها طاولة كتابة من زمن لويس الخامس عشر وصورة الملك جورج الرابع ومصنوعات مختلفة من القرن ١٧ و ١٨ وهناك مجموعة صور محفورة في العاج او الذهب او العظم او منزلة بالميناء في غاية الدقة. ومجموع ساعات واسطرلابات وابر مغنطيسية من صنع القرون الاخيرة والات هندسية. ورأينا مصباحاً عربياً عليه كتابة عربية منقول من احد جوامع القاهرة. وهناك قاعة للاسلحة والادراع والمدافع بينها بنادق قبضاتها منزلة بالعاج عليها نقش جميل مدهش. وادراع مذهبة نحو ما شاهدناه في برج لندن لكنها اتقن وأثمن — وقاعات عديدة للصور الزيتية منها صورة تمثل رحيل يعقوب مع ابنائه الى مصر وغير ذلك من الصور والمحفورات والمصنوعات

ومتحف مدام تيسو: وهو كثير الشبه بمتحف جريفن في باريز فيه مشاهد تاريخية ممثلة بالشمع كما حدثت حتى يتوهم الناظر انه يرى الحقيقة كما هي. كل مشهد في غرفة خصة منها موقف ولنتن عند سرير نابوليون وهو ميت. وتمثيل موت نلسن ومقتل غوردون في الخرطوم وتولية الملكة فكتوريا. والملحجون يوقع ما يسمونه «ماجنا كارتا»

ومشاهد أخرى شاهدنا مثلها في متحف غريفن . وتماثيل حديثة منها الملك ادوار وقبطان التيتانيك وسان يتسان صاحب الانقلاب الصيني . وجمهور من عظماء الانكليز منهم غلادستون وسالسبوري وتشمبرلن ولويد جورج واسكويث وامبراطور الروس ومفاتيح قلعة متس . ومشاهير اميركا مثل روزفلت وتافت وغيرهما واذا وقع نظرك على احدهم ظننته ينظر اليك يوشك ان يخاطبك

ومتحف فيكتوريا والبرت : وهو اثري تاريخي فيه مصنوعات ايطالية قديمة اكثرها ديني . بينها امثلة من طرز البناء الايطالي ومصنوعات ايطالية من البرونز كالطاسات والاباريق والتماثيل والاصنام الصغيرة . وصور صنع بلنسية باسبانيا في اوائل القرن ١٥ وهناك مصنوعات يونانية اكثرها كنائسي . وفي بعضها مصنوعات عربية منها قطعة من افريز كتبوا عليه انه منقول من جامع المؤيد بمصر . وساعة شمسية عليها كتابة عربية كاملة طولها متر وعرضها نحو نصف متر لم يذكروا مكانها . وقطعة من عتبة سبيل وغير ذلك . ومن التماثيل الضخمة في هذا المتحف مثال من عمود تراجان في رومية في قطعتين طول كل منهما نحو ٢٠ متراً وعرض قاعدتيهما ٢١ قدماً بقدمنا . وهناك عدد كبير من الآثار الدينية وامثلة عديدة من آثار رومية منقولة بالجبس بينها رؤوس عشرات من القواد الرومانيين والقديسين . وعدة قاعات فيها انواع من النسج والتطريز نحو ما شاهدناه في متحف كليني بباريس . ولاشك ان اصحاب الازياء (المودة) يستفيدون من الاطلاع عليها لوضع الزي الجديد . ومنحوتات تمثل حوادث دينية في القرنين ١٣ و ١٤ وعلب واقفال من العاج المخرم في جملتها علبة صنعت في صقلية في القرن ١٣م على النمط العربي عليها صور مذهبة

وفيها مصنوعات اخرى دقيقة تشبه ما في متحف ولس . وقاعات للازياء والملابس حسب الاعصر والبلاد وهي مجموعة نفيسة لتاريخ الالبسة الشرقية والغربية . ويمتاز هذا المتحف عن سواه بهذه المصنوعات واتقانها . ومنها سجادة طولها نحو ١٣ متراً كتب عليها «٩٤٦ للهجرة» وانها حملت من جامع اردبيل وقس على ذلك

ومن المتاحف التي تستحق الذكر في لندن المتحف الوطني (نيشنال كاليري) وهو مجموع مصورات ومصنوعات مثل متحف لوكسنبرج بباريس

بلاد الانكليز خارج لندن

جمعت لندن اهم المتاحف والاثار لكن في غيرها كثيراً مما يستحق الذكر . ونذكر منه ما وفقنا الى رؤيته في اثناء هذه الرحلة في كمبريدج واكسفورد ومنشستر

كمبريدج : وجدنا كمبريدج بلداً عامراً بالمدارس والكليات يكاد يكون قوام عمرانه على تلامذة المدارس واساتذتها ومن يلحق بهم . وربما بلغ عددهم جميعاً نحو ٤٠٠٠ نفس . اما اهل البلد فلا يزيدون على ٤٥٠٠٠ نفس . ومما استلفت انتباهنا ابنية تلك المدارس التي يتألف من مجموعها « جامعة كمبريدج » الشهيرة فانها متشابهة الشكل قديمة الطرز وهو طرز الاجيال الوسطى . والبناء عبارة عن مربع كل ضلع منه مؤلف من غرف متناسقة صفاً واحداً في ثلاث طبقات بعضها للتعليم والبعض الاخر للاكل او النوم . ووسط المربع حديقة او فسحة خالية . وفي كل مدرسة كنيسة وتتألف المدرسة الواحدة من ثلاثة مربعات او اربعة متقاربة يستطرق بعضها الى بعض وابواب الغرف صغيرة على نسق واحد بسيط كثيرة الشبه بالابنية الشرقية وقد سهل علينا الاستاذ براون مشاهدة اجزاء هذه الابنية واستلفت انتباهنا الى باب غرفته وهو بابان الواحد وراء الآخر احدهما يغلق من الداخل والآخر من الخارج وبينهما فراغ هو ثخانة الحائط فاذا كان الاستاذ في غرفته اغلق الباب الداخلي فقط فاذا خرج اغلق البابين جميعاً

والسبب في بقاء هذه المدارس على الطرز القديم انها تأسست في الاجيال الوسطى فبنيت على طرزها وحافظ اصحابها على ذلك الطرز . وقد وصفنا جامعة كمبريدج وعدد مدارسها وتلامذتها غير مرة في الهلال

وفي كمبريدج متحف لا يذكر بالنظر الى متاحف لندن . لكننا شاهدنا فيه ترساً مستديراً عليه نقوش فارسية بينها اسم السلطان نادرشاه فاذا كان المراد به القائد الفارسي المشهور بهذا الاسم كان هذا الترس من التحف الثمينة

اكسفورد : وهي تشبه كمبريدج من اكثر الوجوه وقد عرفت بجامعتها واشتهرت بمكتبتها المعروفة بمكتبة بودليان فانها من المكاتب النفيسة في الآثار الشرقية . وقد جاء ذكرها مراراً عديدة في اثناء ذكر اماكن الكتب بتاريخ آداب اللغة العربية . وفي

كمبريدج مكتبة نفيسة لكن هذه اوسع واغنى . وقد سهل علينا الاستاذ مرجليوث رؤية كتب عربية نادرة فيها



شارع في اكسفورد

ذكرناها في اما كنها من تاريخ اداب اللغة . وفي مكتبة اكسفورد كتب خطية انكليزية وايرلندية دينية مصورة من القرن الثامن للميلاد

منشستر : هي مدينة صناعية تكاد تكون معملاً كبيراً لكثرة ما فيها من المعامل والمتاجر . يتوسم القادم فيها ذلك قبل وصوله اليها مما يشاهده من الدخان المتكاثف فوق ابنيتها . ولذلك كان اكثر سكن اهلها في الضواحي . وهي مثال للجد والعمل وتنافس المواهب الصناعية والتجارية . وقد اتيح لنا مشاهدة معمل للغزل بجوارها فيه نحو ١٠٠٠٠٠ مغزل و٢٠٠٠٠٠ مغزل مزدوج و٩٠٠ عامل ويدير مغازله آلات بخارية قوتها ٢٥٠٠ حصان . ورأينا القطن يدخل بالات ويخرج مغزولاً خيوطاً دقيقة في غاية الضبط . ويضيق بنا المقام عن وصف تجارة هذه المدينة وفي شهرتها ما يغني عن الاطناب

وقد سرنا ما شاهدناه فيها من تقدم اخواننا السوريين فقد عرفنا منهم طائفة حسنة من كبار التجار كما شاهدنا في باريس . وبينهم غير واحد من اصحاب الثروة والتجارة الواسعة . وهم على الاجمال اهل سمعة حسنة وقد تخلق اكثرهم باخلاق الانكليز من المحافظة على الوقت والصدق في المعاملة والتأني في الحكم — وهي مزية للسوري على سواه نعني مقدرته العجيبة في تطبيق احواله على الوسط الذي يعيش فيه . فتجده في فرنسا كانه

فرنساوي بحركاته وكلامه ومعاملته وسائر احواله وهكذا بانكلترا واميركا . والتجار السوريون في منشستر لهم معاملات واسعة مع ابناء بلادهم في اقطار العالم شرقاً وغرباً ولعملائهم ثقة عظيمة فيهم مثل ثقتهم بالتجار الانكليز . ومن البيوت التجارية السورية في منشستر محلات كحلا وغبريل وجبارة ومطر ومجدلاني وخوري حداد وفرح و بحمدوني وغيرهم

ثالثا — سويسرا

ضاق المقام عن الافاضة في وصف سويسرا وقد زرنا منها جنيف ولوزان وايفيان . وهي من احسن مصايف العالم لوقوعها حول بحيرة من اكبر البحيرات . تحف بها الشواطيء المكسوة بالغابات الغضة والقرى العامرة . وكنا لما زرنا الاستانة منذ بضعة اعوام ادهشها بوسفورها بما على شاطئيه من التلال المكسوة بالاشجار والقصور . وقلنا انها فريدة في العالم فلما شاهدنا جنيف وضواحيها اذا هي كثيرة الشبه بالبوسفور من حيث مناظره الطبيعية



تمثال فولتير في فرناي

وفي جنيف بعض المتاحف والمعارض . وفيها جامعة شهيرة وكذلك لوزان فان

جامعتها كبيرة . واما ايفيان فقد عرفت بمائها العذب يحمل بالقناني المختومة الى انحاء العالم المتمدن

ونختم كلامنا عن هذه الرحلة بفائدة اجتماعية فلسفية شاهدناها في فرناي بجوار جنيف وهي القرية التي قضى فولتير اعوامه الاخيرة فيها . ومنزله هناك معروض للفرجة بما فيه من الآثاث والادوات في غرفة النوم والمكتب والمائدة . مما يبعث على التفكير في مصير الانسان . وانما اثر في خاطرنا على الخصوص تمثال لفولتير نصبه اهل القرية في مدخل قريتهم فوق قاعدة من الرخام نقشوا عليها بالفرنساوية ما ترجمته :

« الى فولتير المحسن لفرناي وقد عمر لاهلها اكثر من مئة بيت و بنى لهم كنيسة ومستشفى وحوضاً للماء وسبيلاً وكان يقرضهم النقود بلا ربا . وقد جفف المستنقعات وانشأ اسواقاً للبيع والشراء واطعم اهلها في مجاعة سنة ١٧٧١ »

وقفنا عند هذا التمثال برهة ونحن نعيد قراءة ما نقش عليه . وانما ادهشنا منه قوله « و بنى لهم كنيسة » . والقراء يعرفون فولتير ونظره في الكنائس وما يتبعها فكيف يبني للناس كنيسة ؟ انه لم يبنها لما يرجونه هو منها لاخرتهم بل بناها لاعتقاده انها من اهم اسباب سعادتهم . وانهم لا يستغنون عن الدين في معاملاتهم . وفي ذلك عبرة للذين يتوهمون استغناء الناس عن الدين

معهد مصر العلمي

ومجلس المعارف المصري

Institut d'Egypte & Institut Egyptien

لما كانت مباحث الهلال يدور اغلبها حول المواضيع الوطنية المصرية والنهضة الحديثة التي بدأت ببزوغ القرن التاسع عشر عنَّ لي ان اكتب كلمة عن المعهد العلمي الذي وضع اساسه نابوليون و يعرف خلفه الان باسم « مجلس المعارف المصري » ومقره بجوار نظارة الاشغال العمومية بالقاهرة

ولا يخطئ اصحاب التواريخ في اعتبار احتلال الفرنساويين لوادي النيل بدء

الانقلاب الاخير في تاريخ مصر الحديث واخراجها من ظلمات الجهل التى غشيتها في أثناء القرون الماضية الى نور الحضارة والمدنية . واذا أخفق سعيهم في جعل مصر جوهرة في تاج مملكتهم فقد افلحوا في بذر بذور المدنية الحديثة مدة احتلالهم القصير — نعني الثلاث السنوات (١٧٩٨ — ١٨٠١) التي قضاها رجال التجريدة العسكرية بين السيف والنار والبحث والتنقيب والتخطيط والتدوين

لم يغرب عن ذهن الشاب قائد الحملة الفرنساوية وهو لم يبلغ الثلاثين من عمره ان يأتي مع حملته الحربية بحملة علمية فيها نخبة من علماء فرنسا خلفوا لحملته ذكراً جميلاً . وهم الفوا معهد مصر العلمي بالقاهرة واعلنوا افتتاحه على اثر دخولهم مصر في ٢٢ اغسطس سنة ١٧٩٨ وعقدت اول جلساته في ٢٤ منه بمنزل حسن كاشف جركس الذي انشئت فيه مدرسة المبتديان بالناصرية قبل هدمه . وفي مكانه اليوم المدرسة السنية للبنات التابعة لنظارة المعارف العمومية

وهو المعهد الذي ادهش المؤرخ المعروف الشيخ عبد الرحمن الجبرتي بما فيه من المعدات والكتب الفلكية وكل شيء احضره الفرنسيس معهم . فوصف ما رآه وصفاً مسهباً في الجزء الثالث من تاريخه من صفحة ٣٤ الى ٣٦ ويجمل بنا نقل مثال منه لان الذين دونوا اخبار الحملة الفرنساوية في عهده قليلون وقد كان شاهد عين قال :

« وافردوا للمدبرين والفلكيين واهل المعرفة والعلوم الرياضية كالهندسة والهيئة والنقوشات والرسومات والمصورين والكتبة والحساب والمنشئين حارة الناصرية حيث الدرب الجديد ومابه من البيوت مثل بيت قاسم بك وامير الحاج المعروف بابي يوسف وبيت حسن جركس القديم والجديد الذي انشأه وشيده وزخرفه وصرف عليه اموالاً عظيمة من مظالم العباد . وعند تمام بياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ففرّ مع الفارين وتركه . فيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة. ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم . فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر لساعتين ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسي منصوبة أموازية لتختات عريضة مستطيلة . فيطلب من يريد المراجعة مايشاء منها فيحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى اسافلهم من العساكر . واذا حضرلهم

بعض المسلمين فمن يريد الفرجـة لا يمنعونه الدخول الى اعز اماكنهم . ويتلقونه بالبشاشة والضحك واظهار السرور بمجيئه اليهم وخصوصاً اذا رأوا فيه قابلية او معرفة او تطلعاً للنظر في المعارف بذلوا له مودتهم ومحبتهم ويحضرون له انواع الكتب المطبوعة بانواع التصاوير وكرات البلاد والاقاليم والحيوانات والطيور والنباتات وتواريخ القدماء وسير الامم وقصص الانبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث اممهم مما يحير الافكار . وقد ذهبت اليهم مراراً واطلعوني على ذلك فمن جملة ما رأيته كتاب كبير يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبه صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم وهو قائم على قدميه ناظراً الى السماء كالمرهب للخليقة وبيده اليمنى السيف وفي اليسرى الكتاب وحوله الصحابة رضى الله عنهم بايديهم السيوف . وفي صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين وفي الاخرى صورة المعراج والبراق وهو صلى الله عليه وسلم راكب عليه من صخرة بيت المقدس . وصورة بيت المقدس والحرم المكي والمدني وكذلك صور الأئمة المجتهدين وبقية الخلفاء والسلاطين . ومثال اسلامبول وما فيها من المساجد العظام كآيا صوفيا وجامع السلطان محمد وهيئة المولد النبوي وجمعية اصناف الناس لذلك . وجامع السلطان سليمان وهيئة صلاة الجمعة فيه وابو ايوب الانصاري وهيئة الجنازة فيه وصور البلدان والسواحل والبحار والاهرام وبرابي الصعيد والصور والاشكال والاقلام المرسومة بها وما يختص بكل بلد من اجناس الحيوان والطيور والنبات والاعشاب وعلوم الطب والتشريح والهندسيات وجر الاثقال وكثير من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم . ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضي عياض ويعبرون عنه بقولهم شفاء شريف والبردة للبوصيري ويحفظون جملة من ابياتها وترجموها بلغتهم . ورأيت بعضهم يحفظ سوراً من القرآن. ولهم تطلع زائد للعلوم واكثرها الرياضة ومعرفة اللغات واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق ويدأبون في ذلك الليل والنهار وعندهم كتب مفردة لانواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من اي لغة كانت الى لغتهم في اقرب وقت . وعند نوت الفلكي وتلامذته في مكانهم المختص بهم الالات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة والات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن المصنوعة من الصفر المموه وهي تتركب ببراريم مصنوعة محكمة كل آلة منها عدة

قطع تركب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة بحيث اذا ركبت صارت آلة كبيرة واخذت قدراً من الفراغ ولها نظارات وثقوب ينفذ النظر الى المرئي . واذا انحل تركيبها وضعت في ظرف صغير وكذلك نظارات للنظر في الكواكب وارصادها ومعرفة مقاديرها واجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها وانواع اينكامات والساعات التي تسير بثواني الدقائق الغريبة الشكل الغالية الثمن وغير ذلك

« وافردوا لجماعة منهم بيت ابراهيم كتخدا السناري وهم المصورون لكل شيء ومنهم اريجو المصور وهو يصور صور الآدميين تصويراً يظن من يراه انه بارز في الفراغ مجسم يكاد ينطق حتى انه صور صورة المشايخ كل واحد على حدته في دائرة وكذلك غيرهم من الاعيان وعلقوا ذلك في بعض مجالس ساري عسكر . وآخر في مكان اخر يصور الحيوانات والحشرات وآخر يصور الاسماك والحيتان بانواعها واسمائها ويأخذون الحيوان او الحوت الغريب يلادهم فيضعون جسمه بذاته في ماء مصنوع حافظ للجسم فيبقى على حالته وهيئته لايتغير ولا يبلى ولو بقي زمناً طويلا

« وكذلك افردوا اماكن للمهندسين وصناع الدقائق وسكن الحكيم رويا بيت ذي الفقار كتخدا بجوار ذلك . ووضع آلاته ومساحته واهوانه في ناحية وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والادهان واستخراج الاملاح وقدوراً عظيمة وبرامات وجعل له مكانا اسفل واعلى ولها رفوف عليها القدر المملوءة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة وبها كذلك عدد من الاطباء والجرايحية قد افردوا مكاناً في بيت حسن كاشف لصناعة الحكمة والطب الكيماوي وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات لتقطير المياه وخلاصات المفردات واملاح الارمدة المستخرجة من الاعشاب والنباتات واستخراج المياه الجلاءة والحلالة وحول المكان الداخل قوارير واوان من الزجاج البلوري المختلف الاشكال والهيئات على الرفوف والسلالات وبداخلها انواع المستخرجات .... » اه

ثم ذكر ما شاهده من التجارب الكيماوية والكهربائية وقد اكتفيت بالاشارة اليه

هذا هو معهد مصر العلمي . وتعده فرنسا من مفاخرها ولا عجب ان قرأ الناس في جرائد الامس (مارس ١٩١٣) استقبال النزلاء الفرنسويين بمصر للمسيو كايو كبير وزراء فرنسا سابقاً والمسيو ميلران وزير حربيتها السابق وقد جاء للمرافعة في

القضية التي رفعتها الحكومة المصرية على شركة هليوبولس . فانهم احتفلوا بقدمها واطروا فرنسا وطنهما مهد الحرية والنور . فرد المحتفل بهما وذكرا ما لفرنسا من اليد الطولى في ترقية مصر وحضارتها

وطبع الدكتور اباتا باشا مقالاً بالفرنسية عنوانه « بونابارت ومعهد مصر العلمي » في نشرة مجلس المعارف المصري لسنة ١٨٨٩ استعنت به ايضاً على درس هذا الموضوع . وقد اتفق الرواة ان بونابرت لم تكد قدمه تستقر بالقاهرة حتى بادر الى جمع العلماء الذين جاءوا معه واشهر ضباط حملته والف منهم معهده هذا . لان نابوليون نفسه كان عضواً في المعهد العلمي المسمى بهذا الاسم في فرنسا (Institut National) فاراد ان يكلل فتوحه بتأسيس معهد مثله في مصر وهي الطريق بين الشرق والغرب . وهو اول من فكر في فتح قناة السويس وكلف المهندسين بوضع التخطيط الهندسي بها ثم عاقته العوائق والاضطرابات وخطأ المهندسين بما ذكروه من ارتفاع سطح البحر عن مصر . وعقب ذلك سفره الفجائي في ليلة ٢٢ اغسطس سنة ١٧٩٩ . لكن قدر ان يكون هذا المشروع من نصيب فرنسا – والامور مرهونة باوقاتها . فقام به دلسبس فتتح رسمياً في عهد اسماعيل في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

وكان نابوليون قبل مجيئه الى مصر قد اوفد مسيو مونج الى رومية ليوافيه الى مصر ويحضر معه المطبعة العربية من الفاتيكان . وهي اساس الطباعة العربية بمصر . ولم تشغله الاستعدادات الحربية عن تكليف الكتبي بوجنس لمشترى مكتبة مهمة . وفوض اليه ان ينتقي احسن الكتب اللازمة للبحث والاستقراء في مثل الغرض الذي هموا به بحيث ينقلونها الى اي محل ارادوا للمراجعة . واقاموا عليها حراساً ومباشرين يعرضونها على الناس كما ذكر الجبرتي . واخذ منذ صعد الى السفينة لوريان من طولون ٢٠ يونيو سنة ١٧٩٨ باعداد خطابه الحماسي الذي جاء فيه « من بونابرت العضو بالمعهد العلمي الاهلي وقائد الحملة .. ايها الجنود انكم قادمون على فتح ستكون نتائجه للمدنية وتجارة العالم عظيمة »

وكلف الضابط كافاريلي باعداد ما يلزم لراحة تجريدة العلماء والصناع المذكورين . وفيها نحو عشرين من تلاميذ مدرستي المهندسخانة والمعادن بباريس بينهم نخبة من مشاهير علماء فرنسا . اما قراره الذي اسس به المعهد فقد اوضح في المادة الثانية منه

اختصاصاته وهذه خلاصة الغرض منه :

اولاً — نشر المدنية والعلم في مصر

ثانياً — البحث والمطالعة ونشر الحوادث الطبيعية والوقائع التاريخية والصناعية

ثالثاً — اخذ رأي اعضائه في المسائل التي تستشيرم فيها الحكومة

وحدد في المادة الثالثة منه عدد اعضاء المجمع المذكور وان يكون مؤلفاً من اربعة اقسام في كل قسم اثنا عشر عضواً والكل ثمانية واربعون عضواً من نخبة اركان حربه.

هذا هو البذار الذي بدأ بونابرت يبذره في مصر على ان يجعله معهداً علمياً كالمعهد الفرنسي الذي كان يفتخر انه من اعضائه . وهاك اسماء المشهورين من اعضاء معهد مصر العلمي :

في الرياضيات : بونابرت ومونج وفوريه وكوستاس ولوبير وجيرار واندريو وساي

وفي الطبيعيات : برتوليه ودولوميو وكونتي وجيوفروا سان هلر ودوزنيت ولاري

وفي قسم الاقتصاد السياسي : بوريين ودزيه ورنيه وكافاريللي دوفالجا وبوسيلج وكرانتس

وفي قسم الاداب : رينون وكلبر وفنتور دوبارادي وجومار ومارسل ودوم رفايل ده موناكس

وعقدت جلسته الاولى في ٢٤ اغسطس في سراي حسن كاشف المتقدم ذكرها وخصصت القاعة الكبرى للجلسات . وفي هذه السراي وضعوا المطبعة الفرنسية العربية والمعمل الكيماوي ومعرض الطبيعة والمرصد والمكتبة

وانتخب مونج رئيساً وبونابرت نائباً له وفورنيه سكرتيراً . ثم انتظم عقد الجلسات الساعة ٧ صباحاً مرتين بالاسبوع ، وله نشرة تصدر مرة كل ثلاثة اشهر . ومن المسائل التي اشتغلوا بحلها : عمل احسن بناء لطواحين الماء والهواء وحفر الآبار في الصحراء واتخاذ الطرق لايصال الماء الى القلعة بالقاهرة وترشيح ماء النيل وتبريده وصناعة الخبز والبيرة والبارود بواسطة المواد الاصلية المستخرجة من القطر نفسه . وكانت طائفة منهم تشتغل بمساحة القطر المصري ورسم الجزر وأخرى تشتغل بالبحث في انواع الحاصلات وابداء الملاحظات العلمية النافعة في الاحوال الطبيعية والفلك والتاريخ الطبيعي . او بالبحث عن احسن الطرق وانفعها والتحسينات التي يمكن ادخالها لترقية الاهلين واسباب معائشهم

بواسطة الآلات . وحفر الترع والاشغال العمومية في النيل والمشروعات المستحسنة في تربة مصر وغير ذلك من المسائل والوسائل النافعة

واسس مارسل مطبعة وانشأ جريدة . وجمع زميله فنتور مجموعة هامة من المخطوطات الشرقية لتكون زينة المكتبة الاهلية بباريس . ونصب آخرون سلكاً تلغرافياً بالقاهرة وانشأوا معامل للصناعة من كل نوع ومستشفيات ووسائل تطهير البلد ودوام تنظيفها على طريقة صحية وتنظيم مياه النيل وصرفها بطرق عادلة . واشتغلوا في اكتشاف اكبر الآثار الفخيمة . وفي تخطيط موقع القناة الفرعونية القديمة التي كانت تصل ممفيس بالقلزم تخطيطاً هندسياً

وقام بونابرت نفسه ومعه مونج وبرتوليه وكافارللي للبحث في المياه التي تخترق صحراء السويس الى سينا والانتفاع بها . واخيراً ارسل تجريدة علمية اثرية الى الوجه القبلي للتنقيب في الخرائب المحفوفة بالاسرار في الكرنك والاقصر ومدينة آبو والقرنة

ولم تطل مدة المعهد لان سفر بونابارت الفجائي وقتل كليبر آل الى انحلاله ورجوع العلماء الى فرنسا . لكنهم اشتغلوا هناك بنشر نتائج ابحاثهم في مذكرات عن مصر طبعوها في باريس ظهرت في اربعة مجلدات بقطع الثمن بعنوان Mémoires sur l'Egypte

وكانوا قد طبعوا بالقاهرة جريدتين « كوريه دجبت » Courrier d'Egypte و« ديكاد اجبسيان » Décade Egyptienne لنشر الحوادث التي جمعت في اثناء التجريدة لتوزيعها بالقاهرة . ولكن هذه المجموعات اختفت من السنة التاسعة للجمهورية وعوضوها بالمؤلف الذي عنوانه «وصف مصر» Description d'Egypte في عشرة اجزاء بقطع الكامل ومعها ١٢ مجلداً بقطع الكامل ايضاً مع ٨٩٤ لوحة

ظهرت اول حلقة منه سنة ١٨٠٨ والثانية سنة ١٨١٣ . وفي سنة ١٨١٤ توقف العمل نوعاً ثم بعد الصلح عادوا اليه . وبالجملة ان هذا الاثر النفيس لم يتم الا سنة ١٨٢٨ ومن هذا الكتاب نسخة في المكتبة الخديوية لمن اراد مطالعتها

وتقلبت على مصر بعد الحملة الفرنساوية أحوال شتى ذهبت بمشروعات الفرنساويين فيها . حتى اذا صارت الامور الى المغفور له محمد علي باشا كان جل معوله في اصلاحاته على الفرنساويين مما ليس هنا محل الكلام فيه . وانما نحن في عرض الكلام على معهد

مصر العلمي وكيف تقلبت احواله حتى صارت الى ما هي عليه الآن

في سنة ١٨٤٠ تشكلت الجمعية المصرية The Egyptian Society واقتصر اعضاؤها على الاشتغال بالمسائل اللغوية الاثرية . ثم تغير اسمها بجمعية مصر Société d'Egypte وغرضها « جمع الكتب الخاصة بمصر في مكتبة مع ما له مساس بالشعوب التي توالت عليها باختلاف العصور واختلطت بساكنيها او بالفاتحين الاقدمين »

وفي سنة ١٨٥٩ اجتمع لفيف من العلماء بالثغر الاسكندري واتفقوا على أن يعيدوا لمصر معهدها العلمي الذي أسسه بونابرت وقرروا استبدال اسمه باسم Institut Egyptien « مجلس المعارف المصرى » (أو مجلس العرفان كما ترى في القصيدة الآتية) وعقدت اول جلساته في ٦ مايو سنة ١٨٥٩ ثم نقل الى القاهرة سنة ١٨٨٠ . وقد عثرت في محفوظات الدفترخانة المصرية على امرين عاليين أحدهما بالتركية صادر من سعيد باشا بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٢٧٦ بشأن تخصيص محل لعقد جلساته واعانته من الحكومة بخمسة آلاف فرنك سنوياً بناء على التماس رئيس الجمعية المصرية كنيك بك . والثاني من اسماعيل باشا في ٩ رجب سنة ١٢٨٧ باعادة صرفه بعد قطعه بمسعى كلوتشي بك رئيس مجلس المعارف المذكور

وفي اول سنة ١٨٩٨ قرر الاعضاء بالاجماع على الاحتفال بعيده المئوي في ٢ دسمبر من تلك السنة . وطبعوا لذلك كتاباً خاصاً سموه « الكتاب الذهبي » جمعوا فيه ما التي من المحاضرات وما كتب في مجلس المعارف مع اسماء الاعضاء من عهد تأسيسه وعنوان المقالات التي خطها يراعهم . وفيه صور الوالي محمد سعيد باشا والخديويين الذين خذوا المجلس تحت رعايتهم وهم اسماعيل باشا ومحمد توفيق باشا وعباس حلمي باشا اطال الله ايامه

واجمعوا ايضاً على صنع وسام نقش عليه من جهة Institut d'Egypte 1798 وفي وسطه صورة الاهرام والشمس مشرقة واسم بونابارت ومونج وجومار . علامة على انه قد مضى قرن على تأسيس المعهد الاول . ومن الجهة الاخرى Institut Egyptien دار العلوم المصرية سنة ١٨٥٩ » ومنح للاعضاء العاملين

اما الرؤساء الذين خدموه فهم : كنيك بك من ٦ مايو سنة ١٨٥٩ فمسيو توربورن

من ١٥ مايو سنة ١٨٦٠ فسيو ماريت من ١٦ مايو سنة ١٨٦١ فسيو دوشامبور سنة ١٨٦٢ فماريت بك ثانية من ١٢ اغسطس سنة ١٨٦٣ فكولوتشي بك من ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٦٨ فماريت باشا ثالثةً من ٢٠ فبراير سنة ١٨٨٠ فجلياردو بك من ١٨ مارس سنة ١٨٨١ فسيو ماسبرو من ٢٣ دسمبر سنة ١٨٨١ فالاستاذ شوينفرت من ٢١ دسمبر سنة ١٨٨٦ فيعقوب ارتين باشا من ٢٨ دسمبر سنة ١٨٨٨ وهو رئيسه اليوم . وقد وضع فيدال بك سكرتيره نبذة في اعماله من وقت تأسيسه تلاها في مؤتمر المستشرقين الدولي السابع المنعقد في فينا سنة ١٨٨٧

وفي الجزء الاول من المذكرات التي قدمها اعضاؤه قصيدتان الاولى للخوري مخائيل صفير ترجمها رفاعة بك ومرقس بك كابس المحامي بالقاهرة منها :

قد ابدعوا مجلس العرفان منتظماً كم فيه اظهار مكنون ومكتوم
والبحث في مجلس العرفان مصلحة لحث ذي العزم في ايجاد معدوم

والثانية طويلة لرفاعة بك رافع الطحطاوي اشار الى المجلس بقوله :

والآن قد تنظمت جمعية بها حلا ثغر اسكندرية
مذ نشرت اعلامها البهية احاطت العلوم بالاظلال

وقد عني مرقس بك كابس المذكور بترجمتها الى الفرنسوية وقدم تقريراً عنها طبع في الجزء الاول من المذكرات توفيق اسكاروس

مصر مدير القسم الافرنجي بدار الكتب الخديوية



باب الأخبار العلمية

﴿ دفاع الحشرات عن أنفسها ﴾ للحشرات طرق عديدة للدفاع عن أنفسها وقت الخطر كاللدغ واللسع وتوليد الروائح الكريهة والتكيف حسب المحيط والتظاهر بالموت وغير ذلك . ومن اغرب هذه الطرق افراز بعض الحشرات سائلاً لونه اصفر او احمر تنفر منه اعداؤها فتهرب الحشرة بهذه الواسطة وتخلص من الهلاك . ويظن

﴿ رفات اليازجي ﴾ احتفل محبو العلم والادب بمصر في يونيو الماضي بنقل رفات المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي الى سوريا لتدفن في مدفن العائلة هناك واستقبلها البيروتيون باحتفال يليق بمقام حجة اللغة وامام الانشاء

مطبوعات جديدة

﴿ الاقتصاد السياسي ﴾ صدرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب تأليف جيفونس الفرنساوي . وقد نقله الى العربية علي ابو الفتوح باشا وكيل المعارف العمومية وكامل بك ابراهيم رئيس نيابة محكمة قنا ومحمد مسعود افندي المحرر الفني بنظارة الداخلية والمرحوم صالح نور الدين افندي من موظفي نظارة المالية . وهي لجنة تألفت منذ نحو عشرين سنة لتعريب مئة مؤلف انتقوها من اسهل المؤلفات مأخذاً وابسطها اسلوباً فبدأوا بهذا الكتاب ونشروه ونفدت طبعته الاولى وقد تشتت عقد الجمعية فاعاد سعادة ابي الفتوح باشا النظر فيه ونقحه وذيله بفوائد هامة . وتولى محمد مسعود افندي اعادة طبعه . وهو من خيرة الكتب في هذا الموضوع . ويطلب من ملتزم طبعه محمد زكي امين افندي في الحلمية الجديدة ومن مكتبة الهلال

﴿ تهذيب الالفاظ العامية ﴾ هو كتاب لغوي علمي تأليف الشيخ محمد علي الدسوقي المدرس بالمدارس الاميرية جمع فيه ابحاثاً جليلة في ادواء اللغة العربية وعلاجها وفي طرق التعريب . وفي تهذيب اللغة العربية وادوار تنقيحها وما اصابها من التحريف على اختلاف مواقعه . واتى بالامثلة الكثيرة من الالفاظ الشائعة على السنة العامة جعلها في مجاميع كل مجموع في موضوع رتب الفاظه على الابجدية . ورتب الصفحة في ثلاثة حقول ذكر في الاول منها اللفظة العامية وفي الثاني ما يقابلها في اللغة الفصحى وفي الثالث المأخذ الذي عول عليه . فهو كالمعجم للالفاظ العامية وما يقابلها في اللغة الفصحى نحو ما فعل المرحوم الشيخ خليل اليازجي في معجمه الذي سماه « الصحيح بين العامي والفصيح » ولم يظهر . ويحتاج هذا العمل الى مشقة واستنباط ونظر . ونحن في حاجة الى امثاله الان والافكار متجهة الى احياء اداب اللغة العربية وضبط مصطلحاتها . ويطلب الكتاب من حضرة المؤلف

﴿ المرشد العام في الصحة والاسقام ﴾ هو كتاب صحي للدكتور محمد صدقي طبيب مستشفى دمنهور ذكر فيه الاسعافات الوقتية والامراض المعدية والقواعد

الصحية وعلاج بعض الامراض العادية مما يضطر الناس الى استدراكه في غياب الطبيب . فهو من الكتب التي لا تستغني عنها العائلات ويستفيد منه الناشئون وهو يطلب من مكتبة الهلال

﴿ نشوء فكرة الله ﴾ هو خلاصة كتاب لجرانت الين الانكليزي في نشوء الاعتقاد بالله وترقي الانسان الى التوحيد وبيان اصول الديانة المسيحية . لسلامه افندي موسى صاحب مقدمة السبرمان . ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرش

﴿ خواطر في الحقوق والادب ﴾ لسامي افندي الجريديني المحامي الشهير اسلوب في الكتابة يمتاز بسهولته ووضوحه حتى في اعوص المسائل الحقوقية والاجتماعية مما يدل على نضج تلك المواضيع في ذهنه . وبين يدينا خواطره في الحقوق والادب كانت قد نشرت في جريدة الاخبار باوقات متفرقة ولدواع مختلفة . فجمعها في هذا الكتاب وقد اشترط في المقدمة ان يكون القارئ ملما بالمبادي القانونية والاصول الاجتماعية ليسهل عليه فهم ما فيه . ولكن اسلوبه لا يحتاج الى شيء من ذلك . وفي الكتاب مقالات في الربا والطلاق والقمار والزواج والسمسرة والتسجيل والسوريين بمصر وحقوق الملوك وحقوق النساء وحقوق التاليف وغير ذلك

﴿ تاريخ الحرب البلقانية ﴾ صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لسليم افندي العقاد الكاتب الصحافي جمع فيه تاريخ الحرب التي نشبت ولا تزال بين الدولة العثمانية ودول البلقان . صدرها بوصف جغرافي لشبه جزيرة البلقان ووصف شعوبها والمسالة الشرقية وتاريخها وما تقلبت عليه واسباب الحرب البلقانية وما تقدمها من المفاوضات والمساعي وتفصيل حال الجيش العثماني والجيش البلغاري وقوادهما وخطة كل منهما . والمعارك التي جرت واسباب النصر وينتهي هذا الجزء بتسليم باور باشا من وقائع الجيش البلغاري الرابع . وفيه ١٣٠ صفحة فضلاً عن الرسوم والخرائط وهي ١٤ صورة وخريطتان حربيتان . والكتاب جدير بالمطالعة لاهمية موضوعه وحسن اسلوبه . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد غرش

﴿ حديقة الجنان في تاريخ لبنان ﴾ هو مطول في تاريخ لبنان لحضرة الخوري اسطفان ضو منشىء مجلة العثماني في مجلدين الاول يتضمن حوادث لبنان من القرن السادس للميلاد الى سنة ١٧٨٨ في ١٤٤ صفحة . والثاني يتضمن ما جرى من حوادثه من هذه السنة الى سنة ١٨٤٢ في ٣٥٤ صفحة . وليته يلحقه بجزء ثالث ينتهي تاريخه فيه الى اليوم . والكتاب يطلب من المخزن العثماني في مناوس البرازيل . ومن سائر المكاتب في بيروت والشام

﴿ دليل لبنان وسوريا ﴾ هو مطول في لبنان وسوريا لبولس افندي مسعد يدخل في اربعة اجزاء كبيرة : الاول في جغرافية لبنان وسوريا والثاني في تاريخها والثالث والرابع في فلسطين وما يليها وغير ذلك . وقد صدر الجزء الاول وهو يشتمل على ابحاث في جو سوريا واقاليمها وطبيعة ارضها وجغرافيتها الطبيعية ومعادنها وما فيها من الحيوان والنبات وما يتعلق بتجارتها وصناعتها وسائر شؤونها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وسكانها واديانها ولغاتها واصول تمدنها ونهضتها العلمية واسباب رقيها او تأخرها وغير ذلك . وكل باب من هذه الابواب يفتقر الى بحث وتنقيب ومراجعة وقد ستوفى حضرة المؤلف ذلك على اسلوب سهل لا يمل المطالع منه . وياحبذا لو زاده ايضاحاً بالخرائط والرسوم . والجزء الاول نحو ٤٦٠ صفحة ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ تاريخ الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية ﴾ هو تاريخ هذه الجمعية عن ربع قرن تأليف شكري افندي خليل سويدان المرجعيوني بمناسبة الاحتفال بيوبيلها الفضي في بطرسبرج من سنة ١٨٨٢ — ١٩٠٧ وقد زينه بصور قياصرة الروس وغيرهم من الاسرة المالكة وهو يطلب من حضرته في ورشستر ماس باميركا

﴿ منتخبات امين الحداد ﴾ هو مجموع نفيس يتضمن امثلة من نظم المرحوم الشيخ امين الحداد ونثره . فيه كثير من الفوائد الاجتماعية والادبية وفي شهرة هذا الاديب ما يغني عن التقريظ . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال

﴿ سلوى الهموم ﴾ هو ديوان يحتوي على ما جادت به قريحة الياس افندي الفران الشاعر المشهور بقول المعنى والقريض من الشعر العامي السوري . وهو مجموع في نيف و٢٠٠ صفحة تشتمل على منظومات هذا الشاعر في هذا الباب . وقد اصاب بتسميته سلوى الهموم لما حواه من الاقوال اللذيذة في كل موضوع . ونود لو انه أرسل القريحة العامية على هواها ولم يتأنق بادخال الالفاظ الفصيحة عليها . وهو يعدُّ ذلك اتقاناً ونحن نعده تشويهاً . وادخال الفصيح على العامي كادخال اللفظ العامي على النظم الفصيح . ولذلك كان احسن منظوماته في نظرنا اقلها عناية وتأنقاً . وهو يطلب من مطبعة مرآة المغرب في نيويورك وثمنه عشرون غرشاً

﴿ سحر بابل وسجع البلابل ﴾ هو ديوان شعر للسيد جعفر الحلي النجفي في ٤٤٦ صفحة ويطلب من مطبعة العرفان في صيدا وثمن النسخة نصف ريال

﴿ الادب العصري في مصر ﴾ تأليف الشيخ محمد سليمان من خريجي القسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي فيه نخب من اقوال ادباء العصر ويطلب من حـ

﴿ الارشاد الى تربية العقل ﴾ هو كتاب في التربية وفلسفتها وشروطها محمد علي السركي طبيب مستشفى المنيا الاميري ثمن النسخة ١٢ غرشاً ويطلب من

﴿ الخلاصة القانونية ﴾ يبحث في الاحوال الشخصية لكنيسة الارثوذكسيين تأليف المرحوم ايغومانوس فيلوتاوس رئيس ... بسة الكبرى . وقد شرحه ونشره جرجس أفندي فيلوتاوس عوض ... المجلة ويطلب من حضرته

﴿ مبكر الغيث ﴾ ديوان شعر من نظم محمد افندي رمزي نظيم جمع ... شعره . ويطلب من حضرته في القاهرة

﴿ ديوان شكري ﴾ ظهر الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن افندي شكري و صدره مقدمة في الشعر ومزاياه نفيسة ويطلب من حضرته

﴿ صلاح الدين ومكايد الحشاشين ﴾ هي الحلقة السادسة عشرة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام لمنشىء الهلال . تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش ونصف



خاتمة السنة الحادية والعشرين

نختم هذه السنة من الهلال بحمد الله على ما لقيناه من اقبال القراء ونصرة ارباب الاقلام مما حبب الينا توسيع نطاق الهلال وتحسين مواضيعه وزيادة صفحاته من ا سنته القادمة . عملاً بالقاعدة التي وضعناها منذ انشأنا الهلال وهي : كلما زادنا القراء اقب زدناهم تحسيناً . وقد فصلنا ذلك في المقدمة ... فتكون صفحات الهلال من اك القادم ٩٦ صفحة بدلاً من ٨٠ ... والله الموفق على كل حال

